المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا العربية
فرع الأدب

الشواهد الشعرية في كتاب دلائل الإعجاز للشيخ عبد القاهر الجرجاني

توثيق وتحليل ونقد

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في البلاغة العربية

إعداد الطالبة :
نجاح أحمد عبد الكريم الظهار

إشراف :
سعادة الأستاذ الدكتور : علي محمد حسن العماري

١٤٠٧ هـ - ١٤٠٨ هـ
١٩٨٧ م - ١٩٨٨ م

إهداء ...

- إلى من غرس في نفسي حب العلم .. ومهّد لي دروبه وعلمني أن لذة الحياة الحقيقية في العلم وبخاصة ماكان مستمداً من الشريعة الغراء ، أو ذا صلة بها .. فسبقه الأجل قبل أن يتحقق أمله ويرى ثمرة جهده .. رحمه الله وجعل الجنة مثواه .

- إلى من وقفت عمرها على تهيئة سبل الراحة والهدوء لي ، فمكنتني من ورود منهل العلم والعرفان .. إلى منبع الحنان ، وفيض العطاء بلا امتنان ..

إلى والديّ الحبيبين أهدي أجر هذا العمل .

شكر وتقدير ...

أحمد الله سبحانه وتعالى وأشكره أن وفقني لإتمام هذا العمل المتواضع .. وأصلي وأسلم على من أوتي جوامع الكلم النبي الأمي الذي أرسل رحمة للعالمين ، فجزاه الله عن أمته خير الجزاء .

ثم أتقدم بالشكر والتقدير إلى والديّ الكريمين اللذين غرسا في أعماقي حب العلم ، وأنارا لي دروبه ، وفتحا لي أبواب النجاح .

وإلى أستاذي المشرف الذي رباني فكرياً ومنحني خالص نصحه وسديد توجيهاته فكان - وبحق - نعم المربي ونعم الموجّه .

وإلى أساتذتي الأفاضل الذين قدموا لي كل نقد بناء ، وتوجيه صادق هادف .

وإلى كل من أولاني رعايته وسعى في تقديم العون لي من قريب أو بعيد .

نجاح

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمدُ للهِ والصلاةُ والسلامُ علَى من أُوتيَ جوامعَ الكَلِمِ النبيِّ الأُمِّيِّ أفصحَ الثقلينِ لساناً، وأعذَبِهِم بياناً، وعلى آله وصحبهِ الأبرار وعلى الأئمةِ الأطهارِ الذينَ جَنَّدُوا أوقاتَهُم وأنفسَهُم لِحمَايةِ آي القرآنِ، فوضَّحُوا غريبَهُ، وبَيَّنُوا مشكِلَهُ، وَفَتَقُوا أكمامَ بيانِهِ وعَجائِبِهِ وبعد:

فإنَّ عِلمَ البلاغةِ مِنْ أَجَلِّ العلومِ وأشرفِهَا، فبالبلاغةِ كان تَحدِّي الثقلين "قُلْ لَئنِ اجتَمعَتِ الإنسُ والجِنُّ على أن يأتُوا بمثلِ هَذا القرآنِ لا يأتونَ بمثلِهِ وَلَو كانَ بعضُهُم لبعضٍ ظَهيرا"(1)

وهو أرسخُ العلومِ أصلاً وأبسَقُها فرعاً، وأحلاها جَنىً، وأعذَبُهَا ورداً، وأكرمُها نِتاجاً، وأنورُها سِراجاً؛(2) لأنه قام على أساسٍ شريفٍ، وهو دراسةُ إعجازِ القرآن، لِذا كانَ لِعُلَماءِ العربِ جُهودُهُم المشكورةُ في الارتقاءِ بهذا العلمِ فألَّفُوا فيه ما أَلَّفُوا مِنَ الكُتبِ العظيمةِ القيِّمةِ إلا أنَّ أهمَّ كتابَينِ وأعظمَ رافِدَينِ في هَذا العِلْمِ هُمَا كتابا الشيخ عبد القاهر "أسرارُ البلاغةِ" و"دلائل الإعجاز" فهُمَا يُمثلانِ مَرْحَلَةَ النُّضجِ النَّقديِ والبلاغي عِندَ العَربِ، وكُلُّ ما أُلِّفَ بَعْدَهُما من مُؤلَّفاتٍ في البلاغةِ أستقى - ولا شك - مِنْ هذينِ الرافدَينِ بطريقٍ مباشرٍ أو غير مباشرٍ.

وَلَمْ تَخْرُجْ البلاغةُ بعدَ ذلكَ عن الصورةِ التي رسمها الشيخُ فكتابُ المفتاحِ وكتابُ الإيضاحِ اللذانِ اتكأ عليهِمَا المتأخرون لَمْ تختلفْ أفكارُ مؤلفَيهما كثيراً عن أفكارِ الشيخِ إلاّ في التَّقسيمِ والتبويبِ والتعريفاتِ وبعضِ المسائلِ

---

(1) الاسراء: ٨٨

(2) الدلائل - رضا: ٤ - خفاجي - ٥٥ - ٥٦ - شاكر: ٥

الجزئيةِ ثم تلا هذين الكتابين كتبٌ حفلت بالأفكار الفلسفية، ومالت نحو الشروحِ المعقدةِ، فبَعُدَت بذلك عن خطةِ الشيخِ التي رسمها، إذ أنّهُ كان يهدفُ إلى الطريقةِ التحليلية التذوقيةِ في البلاغة، ولو أنّهم ساروا على منوالِهِ هذا، وانتهجوا نهجَهُ لارتقَتْ نظرية الشيخ، وطرحت ثِمَارَها، آتَتْ أكلَهَا وبارتقائها يظهرُ تطورُ الفكرِ العربي البلاغي والنقدي وهكذا وجدتُ في نفسي رغبةً دفينةً تُلِحُّ عَلَيَّ أن أقِفَ وجهاً لوجهٍ أمامَ بلاغةِ الشيخِ وفكره بدلاً من أخذها عَنْ طريقِ وسيطٍ "المفتاح - والإيضاح".

وقد قَيَّضَ اللهُ لِي إتمام دراستي العُليا، فَقَرُبْتُ قليلاً من منهج الشيخ إلاّ أنّ زادي مِنْ هذهِ الدراسةِ لم يكنْ يسعفني للقيام برحلتي الشاقةِ إلى فكر الشيخِ المتعمق الأصيلِ فآثرتُ في مرحلة الماجستير أن أختارَ موضوعاً من موضوعات البلاغةِ أسيرُ فيه على خطةِ الشيخ التحليليةِ، فيكون لي درساً عملياً، وخطوةً أولى تُجَرِّؤني على الاطلاع على فكر الشيخ اطلاعاً جدّياً من خلالِ كتابيه فكان موضوعي آنذاك "القصرُ وأساليبه مع بيانِ أسرارها في الثلثِ الأول من القرآن الكريم" وكانت طريقتي فيه طريقةً تحليليةً مما دَفَعني إلى الاطلاع المباشرعلى طريقة الشيخ التحليلية في كتابيه "الدلائل والاسرار" ومن خلال اطلاعي هذا لمستُ فيهما اعتمادَ الشيخ على الشواهدِ الشعرية اعتماداً كبيراً، أكثرَ من اعتمادهِ على الشواهد القرآنية، وقلة استشهاده بالأحاديث النبوية مما كان له أثرٌ كبيرٌ في نفسي، فرأيتُ، أو هكذا بدا لي أنّ دراسةَ هذهِ الشواهد الشعرية دراسةً تحليليةً نقديةً تُعيدُ بلاغةَ عبدِ القاهر أو أكثر آرائِهِ البلاغيةِ في ثوبٍ جديدٍ رُبّما كان موفقاً رائعاً مع ما تظهرهُ من تأريخٍ لتطورِ القول في هذهِ الشواهدِ سواءً عند العلماءِ والنقاد الذين سبقوا عبد القاهرِ، أو عاصروه أو جاءوا بعده.

وقد تأملت هذه الشواهد ، فكان مما وضح عندي :ـ

١. أن منها شواهدَ لم يحكم عليها عبدُ القاهر بجودة ولا برداءةٍ فعليّ أن أحكمَ عليها مع بيانِ سرِّ الحكمِ .

٢. ومنها ما حَكَمَ عليه عبدُ القاهر بأحدِ هذين ، ولكنْ لم يُبَيِّنْ سِرَّ حُكمِهِ فقُلتُ لَعَلِّي أصِلُ إلى هذا السِّرِّ .

٣. ومنها ما حَكَمَ عليهِ ، وَبَيَّنَ سِرَّ الحكمِ ، واكتفى بالظواهرِ النحويةِ ، فرأيتُ أنَّ هذه الظواهرَ غيرُ كافيةٍ وغير مقنعةٍ، فرأيتُ أن أخطُو خطوةً إلى الأمامِ فأبينُ الأُسرارَ البلاغيةَ التي تكمُنُ في هذهِ الظواهرِ .

٤. ومنها ما حَلَّلَهُ عبدُ القاهرِ ، وحَكَمَ عليهِ ، فرأيتُ أن أنظُرَ في هذا التحليلِ وفي هذا الحكمِ .

٥. ومنها ما استحسنَهُ الشيخُ، ورأيتُ أو رأى غيري من النُّقّادِ أنَّهُ غيرُ حَسَنٍ فرأيتُ أنْ أتعرَّفَ على مَصْدَرِ الاستحسانِ عندَ عبدِ القاهرِ ، وأبينَ رأيي في الحكمِ عليها بعَدَمِ الحُسْنِ وفي كلِّ ذلكَ استعنتُ بما قالهُ العلماءُ والنقادُ قبلَ عبد القاهرِ وماقالهُ العلماءُ والنقادُ بعدَهُ إن كانَ وردَ شيءٌ من هذهِ الشواهدِ فيما أُلِّفَ قبلَهُ أو بعدَهُ .

٦. رأيتُ الشيخَ عبدَ القاهرِ يميلُ كثيرًا على الأريحيةِ والذوقِ، فرأيتُ أنْ أُفْرِدَ هذا الموضوعَ ببحثٍ أُبَيِّنُ فيهِ مكانَ الذوقِ في الحكمِ على النصوصِ ، وتطورَ البحثِ في هذا الموضوعِ ، وهَلِ الذوقُ يُعَلَّلُ أَوْ لا يُعَلَّلُ ، وهلْ يَكفي في الحكم على النص الإحالة على الذوق كما يفعله الشيخ عبد القاهر كثيرا ؟

٧. كثيرٌ من هذهِ الشواهدِ لم ينسبهُ الشيخُ ، فرأيتُ أن أبذُلَ جُهدِي في نسبَتهِ . ويتبعُ ذلكَ أنْ أُترجِمَ في الهوامشِ لِمُعظَمِ الشعراءِ تراجِمَ موجزةً .

كما ترجمتُ لكثيرٍ من الأعلامِ ، وخاصةً مَنْ قِيلَتْ فيهِ القصيدةُ التي منها الشاهد . كذلك حاولتُ ذِكرَ مناسبةِ القصيدةِ التي منها الشاهدُ فإنَّ هذا كله ـ لا شك ـ يساعدُ على فهمِ الشاهدِ وتحليلهِ .

٨ . كما حاولتُ إرجاعَ هذهِ الشواهدَ إلى مظانِّهَا ، وتوثيقَ كُلِّ شاهدٍ ، فاستعنتُ بكثيرٍ من الدواوينِ الشعريةِ ، وكُتُبِ الأدبِ والبلاغةِ والنقدِ ، والنحو والعروض والتفسيرِ .

٩ . وأحياناً يذكرُ عبدُ القاهر بيتاً مفرداً ، وربما اكتفى بشطرِ بيت وإدْرَاكُ السرِّ البلاغي فيه يتوقفُ على وصلِ البيتِ ، أو الشطرِ بما قبلَهُ ، أو بما بعدَهُ ، فرأيتُ أنْ أصِلَ هذهِ النصوصَ بما لا بدَّ منه لتحليلهَا وبَيَانِ سِرِّ بلاغَتِهَا .

١٠ . أما بالنسبةِ لبابِ السرقات ، وما وَرَدَ فيهِ من شواهد وموازناتٍ سكتَ الشيخُ عنْ تحليلِ مُعظَمِها ، فَقَدْ حاولتُ ، واجتهدتُ عَلَى قَدْرِ علمي واستطاعتي تحليلَ تلك الشواهدِ والموازنةَ بينها آملةً أن أكونَ قد أصبتُ فيها بعضَ الإصابةِ ، ولا يَذهب عن أحدٍ مدى الصعوبةِ والمشقةِ التي يتكبدها المتصدِّي لهذا العمل .

وقد واجهتني بالفعل صعوباتٌ شتَّى أولُهَا :ـ

* كثرةُ شواهدِ الشيخِ الشعريةِ ، مما استنفدَ مِنِّي وقتاً وجهداً واضطرني إلى إطالةِ البحثِ ، فَقَدْ وَصَلَ عددُ الشواهدِ بعد إسقاط المكررات :ـ
- اثنين وثمانين وثلاثمائة ـ غير أبيات المدخل وعددها أربعة عشر بيتاً . ـ

وذلك بعد أن جَعَلْتُ كلَّ بيتينِ أو ثلاثةٍ عقدَ بينها الشيخُ الموازنة شاهداً واحداً إذْ أنَّ عَدَدَ الأبياتِ الشعريةِ الواردة في كتابِ الشيخ بعد إسقاط المكررات ـ يبلغ :
- ستين وأربعمائة ، هذا مع إضافة أبيات المدخل . ـ

* وثاني هذه الصعوبات هي كيفيةُ تقسيم فصولِ البحثِ إذْ أنَّهُ من المعلومِ أنَّ كتابَ الدلائلِ ينقصهُ التقسيمُ والتبويبُ والتنظيمُ كما قال عبد القاهر نفسه :

" وليس يتأتى لي أن أُعلمك من أول الأمر في ذلك آخره ، وأن أسمِّيَ لك الفصول التي في نيتي أن أحرِّرها بمشيئة الله عز وجل ، حتى تكون على علم بها قبل موردها عليك فاعمل على أن ههنا فصولا يجيء بعضها في إثر بعض . (١)

---

(١) الدلائل شاكر : ٤٢

يضاف إلى ذلِكَ أنَّ بعضَ الشواهدِ كان يُكرِّرُهَا الشيخُ في فصولٍ عِدَّةٍ من البحثِ ، ويَسْتَشهِدُ بِهَا عَلَى أكثرِ مِنْ مسألةٍ مِمَّا اضطرني إلى السَّيرِ على خطةِ الشيخِ وترتيبه حتى يسهل على قارئِ هذا البحث الرجوع لكل شاهد في بابه ومعرفة موضعه دون عناء .

* وثالثها : تشعبُ البحثِ وتفرعُهُ مما اضطرني إلى الرجوعِ والاطلاعِ على أكثرِ المؤلفاتِ التي سبقت الشيخَ عبدَ القاهرِ في البلاغةِ ، أو في النقدِ ، أو في الأدبِ ، وعلى أكثرِ المؤلفاتِ التي عاصَرَتْهُ ، أو كُتِبَتْ بَعدَهُ في هذه الفنونِ .

* ورابعها : أنَّ مُعظَمَ الكتُبِ التي رَجَعتُ إليها لم تكُنْ مفهرسَةً ، مما اضطرني إلى فهرستِ الكثيرِ منها حتى أستطيعَ أن أقِفَ على موضعِ الشاهدِ .

وأنا أُدْرِكُ أنَّ هذهِ الدراسة تحتاجُ إلى جهودٍ كبيرةٍ وإلى التذرعِ بالصبرِ وسعةِ الصدرِ ، ولكن ثقتي وأَملي كبيرٌ في فَضلِ اللهِ تعالى ، وفي عونهِ وتسديدِهِ ، وهو سبحانَهُ الموفقُ والمستَعَانُ .

هذا هو منهجي الذي سرتُ عليهِ ، أمَّا عَنْ خُطَّةِ البحثِ فتتكونُ مِنْ مقدمةٍ ، وتمهيدٍ وبابين ، وخاتمةٍ .

وتتضمن المقدمة :ـ

* سرّ اختياري لهذا الموضوع .

* أهمية البحث .

* ظاهرةَ كثرةِ استشهادِ الشيخِ بالشِّعرِ ، وقلَّةِ استشهادِهِ بالآياتِ القرآنية ، وقلةِ استشهادِهِ بالحديثِ النبوي الشريف .

ويتضمن التمهيدُ :ـ

أ / دراسةً موجزةً عنِ الإمامِ عبدِ القاهرِ .

ب / دراسةً موجزةً عن كتابِ دلائلِ الإعجازِ .

ج / معنى كلمةِ شاهدٍ في اللغةِ والاصطلاحِ .

د / بعضَ الدراساتِ التي قامتْ حولَ الشواهدِ قديمِهَا وحديثِهَا .

أما البابُ الأولُ وعنوانُهُ " شواهِدُ دلائلِ الإعجازِ " فيتضمن خمسة عشر فصلا :

الفصلُ الأولُ :ـــ

أ/ أبياتُ المدخلِ .

ب/ شواهدُ تحقيقِ القولِ في البلاغةِ والفصاحةِ .

الفصلُ الثاني :ـــ

أ/ شواهِدُ الكنايةِ والاستعارةِ والتمثيلِ .

ب/ القول في نظم الكلام ومكان النحو منه .

الفصلُ الثالثُ :ـــ

شواهِدُ النظمِ .

الفصلُ الرابعُ :ـــ

شواهدُ التقديمِ والتأخيرِ .

الفصلُ الخامسُ :ـــ

شواهِدُ القولِ في الحذفِ .

الفصلُ السادسُ :ـــ

شواهِدُ الفروقِ في الخبرِ .

الفصلُ السابعُ :ـــ

شواهِدُ الفروقِ في الحالِ .

الفصلُ الثامنُ :ـــ

شواهِدُ الفَصلِ والوصلِ .

الفصلُ التاسعُ :ـــ

شواهدُ بابِ اللفظِ والنَّظْمِ .

أ/ شواهِدُ أمورٍ شتى في أمرِ اللفظِ والنَّظْمِ .

ب/ شواهِدُ الكنايةِ والاستعارةِ والتمثيلِ .

ج/ شواهِدُ إنَّ ومواقِعِها .

د/ شواهِدُ كادَ .

هـ/ شواهِدُ كُلٍّ .

الباب الثانـــي :-

" قضايا بلاغيـة ونقديـة في الكتاب "

ويتضمـن ثلاثـة فصول :

الفصلُ الأولُ :-

قضيةُ الإعجازِ وصلـةُ هذهِ الشواهدِ بِـهَا .

الفصلُ الثانـي :-

قضيةُ النقـدِ الأدبي وأثرُ عبد القاهـرِ فيها .

الفصلُ الثالـثُ :-

قضيـةُ الذوقِ .

وأخيراً الخاتمة وتتضمن النتائج والتوصياتِ التي خرجتُ بها من البحثِ .

وقد ذَيلتُ البحثَ بفهارس عديدة :

فهرس الآياتِ القرآنية ، وفهرس الأحاديث ، وفهرس الأبيات الشواهدِ، وفهرس الأشعارِ غير الشواهد ، وفهرس الشعراءِ ، وفهرس الأعلام ، وفهرس المصطلحات البلاغية ، وفهرس الأمثال ، وفهرس اللغة ، وفهرس الأماكن والبقاع ، وفهرس القبائل والدول ، وفهرس الأديان والمللِ ، وفهرس الحيواناتِ ، وفهرس المصادر والمراجعِ ، وفهرس الموضوعات .

وذلك إيماناً مِنّي بأهمية هذه الفهارسِ ودورها الفعَّال في مساعدةِ الباحثِ على كشف كثيرٍ من المسائل مما يضيء طريق البحث أمامَهُ .

هذا خلاصة جُهدِيَ المتواضعِ أضَعُهُ بين أيدي أساتذتي الأفاضل طامعةً منهم في كل توجيهٍ صادقٍ ، ونقدٍ بنَّاءٍ فإن كنتُ فيه على شيءٍ من التوفيق ، فهذا بفضلِ اللهِ وتوفيقهِ " الذي علَّمَ الإنسانَ مَالَمْ يَعْلَم " (1) وإن كنتُ قد قصَّرتُ فالتقصيرُ من طبيعةِ البَشرِ .

وفي الختام أقدِّمُ جَزيلَ شكري ووافر امتناني لكل من مدَّ لي يدَ العونِ من قريبٍ ، أو بعيدٍ ، وأخصُّ بالشكرِ استاذيَ المشرف الدكتور " علي محمد حسن العماري " الذي تلمذتُ على يدهِ مايقربُ من تسعِ سنواتٍ وإني لحظيةٌ فخور بهذهِ التلمـذةِ

---

(1) العلـق : ٥

التي جعلتني أنْهَلَ من بحرِ معرفتهِ الواسع ، وفيضِ علمه الأصيلِ ممّا كان لـهُ أثرٌ كبيرٌ في تسديدي وتقويمي وإصلاح ما أعوج من فكري .

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى أعضاء اللجنة الأجلاء الذين نظروا في بحثي هذا بعين التقويم والتسديد .

ولا يفوتني أن أشكر جامعة أم القرى التي ربتني ثقافياً وعلمياً وهيأتْ لي ولطلابِ العلمِ سُبُلَ التحصيل والمعرفة .

وفقني الله وإياكم لما فيهِ الخيرُ والمنفعةُ .

****

التمهيـــد

أ- دراسة موجزة عن الإمام عبد القاهر .

ب- دراسة موجزة عن كتاب دلائل الإعجاز .

ج- معنى كلمة شاهد في اللغة والأدب .

د- بعض الدراسات التي قامت حول الشواهد قديمها وحديثها .

أ - — دراسة موجزة عن الإمام عبدالقاهر —

إنَّ علم البلاغة من أهم العلوم وأجلّها ، فهو علم نهض من أجل خدمة القرآن ؛ وذلك عن طريق دراسة إعجازه ، وهذا بلا شك من أشرف الدراسات وأعظمها قدرًا ، وأرفعها منزلة .

قال الشيخ عبد القاهر منوهاً بفضل هذا العلم :

" ثم إنَّكَ لا ترى عِلْماً هو أرسخ أصلاً ، وأبسق فرعاً ، وأحلى جنىً ، وأعذبَ وِرْداً ، وأكْرَم نِتاجاً ، وأنور سِراجاً من عِلْم البيانِ الَّذِي لولاه لم ترَ لِساناً يَحُوك الوَشْيَ ، ويصُوغ الحَلْيَ ، ويَلْفظَ الدُّرَّ ، ويَنْفُثُ السِّحْرَ ، ويَقْرِي [١] الشَّهْدَ ، ويُرِيكَ بَدائِعَ مِنَ الزَّهَر ، ويُجْنيك الحُلْوَ اليانعَ مِنَ الثَّمَرِ ، والَّذي لَولاَ تَحَفِّيه بالعلومِ ، وعنايتُه بِهَا ، وتصويرُه إيَّاها ، لبقيت كامنةً ، مستورةً ، ولَمَا اسْتَبَنْتَ لَهَا يَدَ الدَّهْرِ صُورة ، ولاستمرَّ السِّرارُ بأهِلَّتها ، واستولَى الخَفاءَ على جُمْلَتِها إلَى فوائدَ لا يدركُها الإحصاء ، ومحاسن لا يَحْصُرها الاستقصاء " [٢] .

ومن هذا المنطلق كان لا بد من إلقاء الضوء على أهم شخصية حملت مشعل الدراسات البلاغية ، فأنارت دروبها ، ومهدت طرقها ، وذللت صعابها .

وسأتحدث في هذه العجالة عن نسبة الشيخ عبد القاهر ، ومكان وزمن نشأته ، ثم أتحدث عن أبرز ما يميز حياته وهي الناحية العلمية ، ثم أضعه في ميزان القدماء ، ومعاصريه ، والمحدثين ، لتبرز مكانته ، وتثبت في العلم ريادته ، لعلي أكون بهذه الدراسة الموجزة قد أضأت بعض الجوانب المهمة في شخصية الشيخ .

---

(١) أي يجمع الشهد .

(٢) الدلائل رضا : ٤ - ٥ ، خفاجي : ٥٥ - ٥٦ ، شاكر : ٥ - ٦ .

الإمام عبد القاهر الجرجاني (١) :-

هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني توفي سنة إحدى وسبعين وأربعمائة ، وقيل سنة أربع وسبعين وأربعمائة من الهجرة (٢) .

لم يذكر المؤرخون سنة مولده ، ولم يتحدثوا عن عمره ، كما لم يتحدثوا عن أسرته ، وعن حياته الاجتماعية ، وهذا يدل على أن حياة الشيخ كانت هادئة لم تطرقها أحداث مهمة تلفت انتباه المؤرخين ، ولعل أبرز ما في حياته شغفه بالعلم والتحصيل .

وكل ما يمكن أن يقال عنه : أنه نحوي مشهور متكلم على مذهب الأشعري ، فقيه على مذهب الشافعي ، كان شيخاً ورعاً تقياً ، يُرَوى أنَّ لصاً دخل عليه، وهو

---

(١) انظر ترجمته في :-
دمية القصر للباخرزي : ٢ / ١٢ - ١٥ ، نزهة الألباء للأنباري : ٣٦٣ ، إنباه الرواة للقفطي : ٢ / ١٨٨ - ١٨٩ ، العبر في خبر من غبر للذهبي : ٢ / ٣٣٠ ، فوات الوفيات للكتبي : ٢ / ٣٦٩ ، مرآة الجنان لليافعي : ٣ / ١٠١ ، طبقات الشافعية الكبرىٰ للسبكي : ٣ / ٢٤٢ ، طبقات الشافعية للأسنوي : ٢ / ٤٩١ - ٤٩٢ ، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة : ١ / ٢٧١ - ٢٧٢ ، النجوم الزاهرة لابن تغري بردي : ٥ / ١٠٨ ، بغية الوعاة للسيوطي : ٢ / ١٠٦ ، طبقات المفسرين للداودي : ١ / ٣٣٦ ، روضات الجنات للموسوي : ٥ / ٩٠ ، مفتاح السعادة لطاش كبري زاده : ١ / ١٥٧ ، كشف الظنون لحاجي خليفة : ١ / ٨٣ - ١٢٠ ، ٢١٢ ، ٦٠٢ ، ٦٠٣ ، ٢ / ١١٦٩ ، ١١٧٩ ، شذرات الذهب لابن العماد : ٣ / ٣٤٠ ، ٣٤١ ، هدية العارفين للبغدادي : ١ / ٦٠٦ (م٥ من كشف الظنون) ، الأعلام للزركلي : ٤ / ٤٨ ، معجم المؤلفين : ٥ / ٣١٠ .

(٢) انظر هذا الاختلاف في :-
العبر في خبر من غبر : ٢ / ٣٣٠ ، طبقات الشافعية للسبكي : ٣ / ٢٤٢ .

في الصلاة فأخذ جميع مافي البيت، وهو ينظر إليه ولم يقطع صلاته [١].

ونستطيع أن نضيف دليلاً آخر على ورعه وتقواه ، وعمق إيمانه ، وحسن توكله على مولاه . من مقدمة كتابه الدلائل حيث قال :

" الحمدُ لله ربِّ العالمين حَمْدَ الشَّاكِرين ، نحمَدُه على عظيم نَعْمائِهِ ، وجميل بَلائِهِ ، ونَسْتكفِيه نوائبَ الزمان ، ونَوازِلَ الحَدَثان ، ونرغبُ إليه في التوفيق والعِصْمة ، ونبرأُ إليه من الحَوْلِ والقُوَّة ، ونسأله يقينا يملأ الصَّدْر ، ويَعْمُرُ القَلْبَ ، ويَسْتولي على النفس حَتَّى يَكُفَّها إذا نَزَغَت ويرُدَّها إذا تطلَّعت ، وثِقَةً بأنه عز وجل الوَزَرُ ، والكَالِئُ والرَّاعِي ، والحافظُ ، وأنَّ الخيرَ والشَّرَّ بيده ، وأن النِّعَمَ كلَّها من عنده ، وأنْ لاسُلطان لأَحدٍ معَ سُلْطَانه ، نُوجِّه رغباتنا إليه ، ونُخْلِص نِيَّاتنا في التوكُّل عليه " [٢].

ولد الشيخ في مدينة جرجان، وهي مدينة مشهورة بين طبرستان وخراسان [٣]، وعاش في عصر الدولة الزِّيارية وهي إحدى الدول التي انفصلت عن الدولة العباسية، وانتهى حكمها سنة ٤٣٣هـ في عهد " أنوشروان بن منوجهر بن قابوس بن وشمكير " وانتقل الحكم إلى يد " طغرلبك " [٤] فأصبحت في يد السلاجقة ، وتوفي الشيخ وهي ماتزال في أيديهم .

وفي ظل هذه الدول عاش الشيخ عبدالقاهر بعيداً عن الاضطرابات السياسية قاصراً نفسه على الدرس والتحصيل ، فأخذ النحو بجرجان عن أبي الحسين محمد بن

---

(١) انظر: طبقات الشافعية للسبكي : ٣ / ٢٤٢ ، طبقات الشافعية للأسنوي : ٢ / ٤٩١-٤٩٢ ، شذرات الذهب : ٣/ ٣٤٠ .

(٢) الدلائل رضا : ٢ ، خفاجي : ٣٥ ، شاكر : ٣ .

(٣) معجم البلدان : ٢/ ١١٩ .

(٤) الكامل في التاريخ : ٨/ ٣٠ ، وانظر محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية : " الدولة العباسية " : ٣٩٤، ٤١٦ .

الحسين الفارسي[١] الذي كان من كبار أئمة العربية ، ولم يأخذ عن غيره مجالسة؛ لأنه لم يخرج عن بلده إلّا أن ياقوت الحموي يرى أنه درس على يد القاضي الجرجاني[٢] وجالسه قال :-

" وكان الشيخ عبد القاهر الجرجاني قد قرأ عليه،واغترف من بحره ، وكان إذا ذكره في كتبه تبخبخ به ، وَشَمَخَ بأَنْفِهِ بالانتماء إليه "[٣].

وقد شك الدكتور أحمد بدوي فيما رواه ياقوت الحموي وحجته في ذلك أن القاضي الجرجاني توفي سنة " ٣٩٢ هـ " فمتى يكون عبد القاهر قد أخذ عنه ؟ .

وهذا يتطلب أن يكون الشيخ عبد القاهر قد ولد قبل وفاة القاضي الجرجاني بخمس عشرة سنة على الأقل ، وبذلك يكون الشيخ قد بلغ من العمر مايقرب التسعين ، والدكتور أحمد بدوي يشك أن يكون الشيخ عبد القاهر قد توفي في هذه السن .

---

(١) هو أبو الحسين محمد بن الحسين بن محمد بن عبد الوارث الفارسي النحوي، وهو ابن أخت النحوي المشهور " أبو علي الفارسي " أخذ عن خاله علم العربية ، وطوف الآفاق ، وكان خاله قد أوفده على الصاحب بن عباد بالري ، فارتضاه وأكرم مثواه ، ووُزّر للأمير غرسيستان ثم اختص بالأمير إسماعيل بن سبكتكن بغزنه ووُزّر له إلى أن استوطن جرجان ، وقرأ عليه أهلها،ومنهم عبد القاهر الجرجاني ، وتوفي محمد بن الحسين سنة ٤٢١ هـ ،/ انظر ترجمته :-
نزهة الألباء : ٣٤٣-٣٦٣ ، معجم الأدباء : ١٨/ ١٨٦- ١٨٨ ، بغية الوعاة : ١ / ٩٤ ، مفتاح السعادة : ١ / ١٥٦ ، ١٥٧.

(٢) هو أبو الحسن علي بن عبد العزيز بن الحسن بن علي بن إسماعيل الجرجاني قاضي الرَّي في أيام الصاحب بن عباد ، وكان أديباً أريباً كاملاً - له رسائل مدونة وأشعار مغننة ، وكان جيد الخط مليحاً يُشَبَّه بخط ابن مُقْلَة . توفي سنة ٣٦٦ هـ ، وقيل ٣٩٢ هـ ./
انظر ترجمته :
معجم الأدباء : ١٤/ ١٤-٣٥.

(٣) معجم الأدباء : ١٤ / ١٦.

ويبدو لي أن الاعتماد على تاريخ وفاة القاضي الذي ذكره الدكتور أحمد بدوي ليس بالحجة القوية ؛ لأنه من المحتمل أن يكون الشيخ قد توفي في هذه السن ، ولكن قد تقوى الحجة لو أنه أخذ بأرجح الأقوال في أن وفاة القاضي على بن عبد العزيز الجرجاني كانت سنة (٣٦٦هـ)(١).

ونقل الدكتور أحمد مطلوب في كتابه : "عبد القاهر الجرجاني" نصاً عن الخوانساري صاحب "روضات الجنات" فهم منه أن الشيخ عبد القاهر قد تلمذ في النحو وغيره على يد ابن جني ، والصاحب بن عباد ، وردّ قول الخوانساري محتجاً بأن ابن جني توفي سنة (٣٩٢هـ) ، والصاحب بن عباد توفي سنة (٣٨٥هـ) .

قال :

"وذكر الخوانساري أن عبد القاهر درس النحو على شيخين آخرين في قراءة النحو" ثم قال بعد أن نقل عن بغية الوعاة إنه أخذ عن ابن أخت أبي علي الفارسي :

"وهو غريب ؛ لأن هذا الأحقر مع قلة بضاعته في هذه الصناعة قد اطلع على شيخين آخرين له في قراءة النحو وغيره : أحدهما ابن جني المشهور ، والثاني الصاحب بن عباد الوزير"(٢).

---

(١) هذا ما رجحه ابن خلكان في وفيات الأعيان قال :
"وذكر الحاكم أبو عبد الله بن البَيّع في "تاريخ النيسابوريين" أنه توفي في سلخ صفر سنة ست وستين وثلثمائة بنيسابور وعمره ست وسبعون سنة ، رحمه الله تعالى ، وقال غيره : إنه كان حسن السيرة في قضائه صدوقاً ، وَرَدَ به أخوه محمد نيسابور في سنة سبع وثلاثين وثلثمائة ، وهو صغير غير بالغ وسمعا من سائر الشيوخ ، ومات بالري ، وهو قاضي القضاة في سنة اثنتين وتسعين وثلثمائة ، وحمل تابوته إلى جرجان ، ودفن بها ، ونَقْلُ الحاكم أثبت وأصح". / انظر : وفيات الأعيان : ٣ / ٢٨١ .

(٢) روضات الجنات : ٥ / ٩٠ .

وهذا غير صحيح؛لأن ابن جني توفي سنة (٣٩٢هـ) ومات
الصاحب بن عباد سنة (٣٨٥هـ) وقد تكون دراسة عبد القاهر
لكتبهما لا عليهما.(١)

ويظهر لي أن الخونساري يقصد بالأحقر وقليل البضاعة والذي قرأ على ابن جني والصاحب بن عباد هو محمد بن الحسين الفارسي ابن أخت أبي علي الفارسي وأستاذ الشيخ عبد القاهر، وليس المقصود أن الشيخ عبد القاهر هو الذي قرأ على ابن جني والصاحب بن عباد كما فهم الدكتور مطلوب.

والذي يرجح ماذهبت إليه ماذُكر في ترجمة ابن أخت أبي علي الفارسي من أن خاله أوفده على الصاحب بن عباد وهو في الري فأكرمه وأحسن وفادته.

فالثابت إذاً أنه أخذ عن ابن أخت أبي علي الفارسي مدارسةً، ثم اعتمد بعد ذلك على شغفه وحبه للاطلاع، فدرس كتب من سبقوه ووعاها، وتأثر بها ونقل عنها. مثل سيبويه، والجاحظ، والمبرد، وابن جني، والآمدي، والقاضي الجرجاني.

وكان لإقامة الشيخ بجرجان، وعدم خروجه منها، وعكوفه على كتب العلم أن ذاع ذكره وارتفع قدره فَشُدَّت إليه الرحال من كل مكان. قال القفطي:

"وقرأ ونظر في تصانيف النحاة والأدباء، وتصدر بجرجان،
وحُثَّت إليه الرِّحال وصنَّف التصانيف الجليلة".(٢)

فكان من أشهر تلاميذه: علي بن أبي زيد الفصيحي(٣)، وأحمد بن عبد الله المهاباذي الضرير صاحب شرح كتاب اللمع لابن جني.(٤)

ومن تلاميذه أيضاً: أبو نصر أحمد بن إبراهيم بن محمد الشجري.(٥)

---

(١) عبد القاهر الجرجاني: ١٥.

(٢) إنباه الرواة: ٢ / ١٨٨.

(٣) شذرات الذهب: ٣/ ٣٤٠.

(٤) معجم الأدباء: ٣/ ٢١٩، بغية الوعاة: ٣٢٠، روضات الجنات: ٥/ ٩٠، الأعلام: ١/ ١٥٨.

(٥) إنباه الرواة: ٢ / ١٩٠.

وأكثر مصنفات الشيخ كانت في علم النحو فله :

١- كتاب المغني :

وهو عبارة عن شرح لكتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي، ويقع في نحو ثلاثين مجلداً[١].

٢- كتاب المقتصد :

وهو ملخص لكتابه المغني، ويقع في ثلاثة مجلدات[٢]، وذكر الحاجي خليفة أنه مجلد واحد[٣]. وقد عاب القفطي هذا المؤلف فقال :
" وهو مقتصد من مثله على ما سمّاه ، لم يأت في " الإيضاح " بشيء له مقدار"[٤]

٣- كتاب التكملة :

وهو كالاستدراك لبعض المسائل التي لم يذكرها صاحب الإيضاح ..

وهذا المؤلف لم ينبه إليه إلاّ الوزير القفطي . وأطلق عليه الزركلي اسم " التتمة "[٥].

---

(١) نزهة الالباء : ٣٦٣ ، العبر في خبر من غبر: ٢ / ٣٣٠ ، فوات الوفيات : ٢ / ٣٦٩ ، طبقات الشافعية للسبكي : ٣ / ٢٤٢ ، بغية الوعاة: ٢ / ١٠٦ ، مرآة الجنان : ٣ / ١٠١ ، مفتاح السعادة: ١ / ١٥٧ ، طبقات المفسرين للداودي : ١ / ٣٣٦ ، روضات الجنات: ٥ / ٩٠ ، كشف الظنون : ١ / ٢١٢ ، شذرات الذهب : ٣ / ٣٤٠ ، هدية العارفين : ١ / ٦٠٦ ، معجم المؤلفين : ٥ / ٣١٠.

(٢) إنباه الرواة : ٢ / ١٨٨ ، فوات الوفيات : ٢ / ٣٦٩ ، طبقات الشافعية للسبكي : ٣ / ٢٤٢ ، بغية الوعاة : ٢ / ١٠٦ ، نزهة الألباء : ٣٦٣ ، طبقات المفسرين : ١ / ٣٣٦ ، معجم المؤلفين : ٥ / ٣١٠.

(٣) كشف الظنون : ١ / ٢١٢.

(٤) إنباه الرواة : ٢ / ١٨٨.

(٥) الأعلام : ٤ / ٤٩.

٤- كتاب الإيجـــاز :

وهو مختصر الإيضـــاح.(١)

٥- العوامل المائـة :

وهو كتاب مختصر ، مشهور متداول كما قال عنه صاحب كشف الظنـــون ؛ ولشهرته هذه حظي بعناية الشارحين ، شرحه حاجي بابا الطوســـيوي والمولى أحمد بن مصطفى المعروف بطاش كبري زاده ، ونظمه بالتركيـــة محمد بن أحمد الداعي المعروف بصوفي زاده الأدرنوي ، المتوفى ســـنة ١٠٢٤ هـ وترجمه أيضا كمال الدين المدرس.(٢)

٦- الجمـــل :

وهو عبارة عن شـــرح لكتابه العوامل ، ويسمى الجرجانية.(٣)

وقد طبع عدة طبعات ، وشرح عدة شروح منها :

" المرتجل " لمحمد بن عبد الله الخشاب (٥٦٧ هـ) ، وشرح الســـيد البطليوسي (٥٢١ هـ) وشرح أبي عبد الله البلنسي (٥٨٦ هـ) ، وشـــرح أبي الحسن الحضرمي النحوي (٦٠٩ هـ) ، وشرح أحمد الشريشي (٦١٦ هـ) وشرح محمد علي الغرناطي (٧١٥ هـ).(٤)

٧- التلخيص : وهو شرح لكتابه الجمل.(٥)

وله في علم الصـــرف :

٨- كتاب العمدة في التصريف.(٦)

---

(١) كشف الظنون : ١ / ٢١٢ ، هدية العارفين : ١ / ٦٠٩ .

(٢) كشف الظنون : ٢ / ١١٧٩ ، وهناك شروح كثيرة انظرها في كشف الظنون ، نزهة الألباء : ٣٦٣ .

(٣) إنباه الرواة : ٢ / ١٨٩ .

(٤) كشف الظنون : ١ / ٦٠٢-٦٠٣ .

(٥) نزهة الألباء : ٣٦٣ ، فوات الوفيات : ٢ / ٣٦٩ .

(٦) بغية الوعاة : ٢ / ١٠٦ ، شذرات الذهب : ٣ / ٣٤٠ ، معجم المؤلفـــين : ٥ / ٣١٠ .

٩- وله كتاب في العروض :[١]

" وهو قصيدة تتضمن قواعد الأوزان الشعرية وقد طبعت في ذيل كتاب الإقناع في العروض، وتخريج القوافي " للصاحب بن عباد سنة ١٣٧٩ هـ في بغداد بتحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين ".[٢]

أما في الدراسات القرآنية فله :

١٠- كتاب " شرح الفاتحة " ويقع في مجلد واحد .[٣]

١١- درج الدرر في تفسير الآي والسور .[٤]

١٢- المعتضد :

وهو شرح لكتاب إعجاز القرآن للواسطي أطلق عليه السيوطي[٥] اسم إعجاز القرآن الكبير.[٦]

١٣- كتاب إعجاز القرآن الصغير: وهو شرح لكتاب الواسطي .[٧]

---

(١) فوات الوفيات : ٢ / ٣٦٩ .

(٢) عبد القاهر الجرجاني ، أحمد مطلوب : ٤٥ .

(٣) فوات الوفيات : ٢ / ٣٦٩ ، طبقات الشافعية للسبكي : ٣ / ٢٤٢ ، شذرات الذهب : ٣ / ٣٤٠ ، معجم المؤلفين : ٥ / ٣١٠ .

(٤) هدية العارفين : ١ / ٦٠٦ .

(٥) هو محمد بن يزيد الواسطي عالم متكلم من علماء المعتزلة عاش في النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة ، وتوفي سنة (٣٠٦ هـ) ، وقيل (٣٠٧هـ) اشتهر بكتابي : الإمالة ، وإعجاز القرآن ، انظر ترجمته :
الفهرست لابن النديم : ٢٤٥ ، شذرات الذهب : ٢/٢٩٩ ، كشف الظنون : ١ / ١٢٠ .

(٦) بغية الوعاة : ٢ / ١٠٦ .

(٧) نزهة الألباء : ٣٦٣ ، طبقات الشافعية للسبكي : ٣/٢٤٢ ، بغية الوعاة : ٢ / ١٠٦ .

١٤- الرسالة الشافية :

وهي رسالة في إعجاز القرآن مطبوعة ضمن كتاب " ثلاث رسائل في إعجاز القرآن " وأطلق عليه ابن شاكر الكتبي اسم " إعجاز القرآن ".(١)

وله في البلاغة :

١٥- دلائل الإعجاز.

١٦- أسرار البلاغة.

وهما من أعظم مصنفاته وأكبرها فائدة قال عنها طاش كبري زاده :

" ومن جملة مصنفاته دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة في علمي المعاني والبيان ، وهما الآية الكبرى واليد البيضاء في العلمين المذكورين، وإليهما ينتهي علم من تأخر في ذينك العلمين ".(٢)

وله كتب متفرقة في الأدب :

١٧- المختار من دواوين المتنبي والبحتري وأبي تمام .

وقد اعتنى بنسخه وتصحيحه،والتعليق عليه الأستاذ " عبد العزيز الميمني " ونشره ضمن كتاب الطرائف الأدبية.(٣)

ورأى أنه سار فيه على مذهب أستاذه القاضي الجرجاني،وذلك في تقديم البحتري على أبي تمام.(٤)

١٨- وذكر البديعي في الصبح المنبي أن لعبد القاهر كتاباً في شرح ديوان المتنبي.(٥)

١٩- مختار الاختيار: في فوائد معيار النّظّار في المعاني والبيان والبديع والقوافي . والذي نبه لهذا الكتاب إسماعيل باشا البغدادي.(٦)

---

(١) فوات الوفيات : ٢/ ٣٦٩.

(٢) مفتاح السعادة : ١/ ١٥٧-١٥٨.

(٣) الطرائف الأدبية : ٢٠١.

(٤) المرجع السابق : ٢٠٠.

(٥) الصبح المنبي : ٢٦٨.

(٦) هدية العارفين : ١/ ٦٠٦.



٢٠- التذكـــرة :

وأشـــار إليه القفطي حيث قال :

" وله مسائل منثورة أثبتها في مجلد ، هو " كالتذكرة " له لم يستـــــوف القول حق الاستيفاء في المسائل التي سطرها "(١).

٢١- المفتـــاح :

ولم يذكر المترجمون غير اسمه.(٢)

هذا هو تراثه العلمي المتين الذي ورّثه للعلماء من بعده ، وهو بحق تـــراث زاخر بالفوائد الجمة .

أما عن أدب الشيخ وكتاباته الشعرية ، فهي لا تعد شيئاً بجانب ذلك الـــتراث الضخم . إنما هي محاولات قام بها الشيخ للتعبير عن بعض مايعتور في نفســـه من إحساس بالتشاؤم والضيق ، وهي محاولات ينقصها الخيال الفني البارع.

ومن هذه الأبيات :

هَذَا زَمَـــانٌ لَيْـــسَ فِيـــهِ (م)

سِوَى النَّذَالَـــةِ وَالجَهَالَـــةْ

لَمْ يَـــرْقَ فِيـــهِ صَاعِـــدٌ

إلاَّ وَسُـــلَّمُهُ النَّذَالَـــةْ (٣)

وهذان البيتان يُظهران فلسفة الشيخ في الحياة ، وهي فلسفة متشائمة تـــدل على ضيق الشيخ،وتبرمه من ذلك الزمن المليء بالنذالة والجهالة ، وعدم تقديـــر العلم والعلماء والحفاوة بهما ، وتدل أيضاً على عفة نفسه وسموها ، وترفعها عــــن الوصول إلى العُلا بغير طريق الشـــرف .

---

(١) إنباه الرواة : ٢ / ١٨٩.

(٢) فوات الوفيات : ٢ / ٣٦٩، طبقات الشافعية للسبكي : ٣ / ٢٤٢ ، شذرات الذهب : ٣ / ٣٤٠.

(٣) دمية القصر : ١٣.

ومن هذه الأبيات أيضا :

كَبِّرْ عَلَى العِلْمِ ياخَلِيلي

وَمِلْ إلى الجَهْلِ مَيْلَ هائِمِ

وَعِشْ حِماراً تَعِشْ سَعيداً

فَالسَّعْدُ فِي طَالِعِ البَهائِمِ (١)

وأنا أشك في نسبة هذين البيتين للشيخ ؛ وذلك لأن شخصيته الورعة ، وشخصيته العلمية الجادة تأبى عليه التلفظ بمثل هذه الألفاظ ، فهو لم يدرس العلم للكسب المادي حتى يضيق كل هذا الضيق ، وهو رجل علم وتعلم سفّه من أمر الجهل في أول كتابه لذا يبعد أن تكون هذه أبياته ، أو لعله قالهما في أيام الشباب .

وهكذا نرى أن للشيخ عبد القاهر مكانة علمية لا يمكن الغض منها ومِنْ أحسن شهادة من معاصره الباخرزي الذي أثنى عليه الثناء الحسن فقال عنه :

" اتفقت على إمامته الألسنة وتجملت بمكانه وزمانه الأمكنة والأزمنة ، وأثنى عليه طيب العناصر ، وثنيت به عقود الخناصر ، فهو فردٌ في علمه الغزير ، لا بل هو العلم الفَرد في الأئمة المشاهير ، وقد أفادني الشيخ أبو عامر مما ألقاه بحر الفضل على لسانه ، مانطق لسان الدّهر باستحسانه ، ولست فيما فاتني من كريم مُشاهدته واشتيار لذيذ الشهد من مذاكرته ، أيام أسعدتني الأيام منه بدنو الدار ، ولف أطناب الخيمتين قُرْبُ الجوار إلّا كمن ودّع الماء والخضرة وتدرع الشعثة والغبرة ، وواصل الغربة وفارق الوطن . . . " (٢)

---

(١) فوات الوفيات : ١ / ٦١٣ ، طبقات الشافعية للسبكي : ٥ / ١٥٠ ، مفتاح السعادة : ١ / ١٥٨ .

(٢) دمية القصر : ٢ / ١٢ .

كما أشـاد السكاكي في كتابه المفتاح بفضل عبد القاهر، فقال عند حديثه عـن الاسـتعارة :

" . . . ومدار ترديد الإمام عبد القاهر قدّس الله روحـه لهذا النوع بين اللغوي تارة ، وبين العقلي أخرى على هذين الوجهين جزاه الله أفضل الجـزاء، فهو الذي لا يزال ينـور القلوب في مستودعات لطائف نظره لا يألو تعليما وإرشاداً"(١).

كما أشاد بفضله عند حديثه عن الذوق فقال :

" وها هو الإمام عبد القاهر قدّس الله روحه في دلائـل الإعجاز كم يعيد هذا"(٢).

واعتبره صاحب الطراز واضع علم البلاغة ، ومؤسسها الأول قال في فاتحة كتابـه :

" وأول من أسّس من هذا العلم قواعده ، وأوضح براهينَـهُ ، وأظهر فوائده ، ورتّب أفانينه ، الشيخ العالم النحرير علَـم المحققين عبد القاهر الجرجاني ، فلقد فكّ قيد الغرائـب بالتقييد . وهدّ من سُور المشكلات بالتسوير المشيد . وفتـح أزهارَهُ من أكمامها . وفَتق أزْرارَهُ بعد استغلاقها ، واستبهامها فجزاهُ الله عن الإسلام أفضل الجزاء . وجعل نصيبه من ثوابـهِ أوفر النصيب والإجزاء . ولهُ من المصنفات فيه كتابان ، أحدهما لقّبهُ " بدلائل الإعجاز " والآخر لقّبهُ " بأسرار البلاغة"(٣).

ولقد تطرق الدارسون قديماً(٤)، وحديثاً لهذه الشخصية الكبيرة الفذة، إلّا أنّ أهم ما يميز الدراستين أنّ القدماء أبرزوها شخصية نحوية ، ولم يشر معظمهم إلـى مكانتها البلاغية ، وكانت دراستهم موجزة متشابهة . ومما يستغرب له إغفال ياقـوت

---

(١) المفتاح : ١٥٧.

(٢) المفتاح : ٧٤.

(٣) الطراز: ١ / ٤.

(٤) لقد ذكرت الكتب التي ترجمت له قديماً في هامش الصفحة الأولى من ترجمة الشيخ . انظر ص : ٢.

الحموي للشيخ في كتابه معجم البلدان ، فهو لم يذكره حين ذكر جرجان ، وكذلك أغفله في كتابه معجم الأدباء ، فلم يتطرق إلى ترجمته إنما أشار إلى اسمه عند ترجمة أحمد بن عبد الله الضرير تلميذ عبد القاهر.(١)

كذلك أهمله ابن خلدون فلم يذكره في مقدمته الشهيرة ، وكذلك لم يترجم له ابن خلكان في وفيات الأعيان .

أما الدراسات الحديثة فأبرزت شخصية الشيخ شخصية بلاغية نقدية فذة وامتازت دراستهم بالتفصيل والتعمق ، وهذا يدل على أن لهذه الشخصية قدماً راسخة في كلا المجالين النحوي والبلاغي . فمن الدراسات الحديثة التي أفردت الشيخ بالدراسة :

١- عبد القاهر والبلاغة العربية للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ، وهو من القطع الصغير ويقع في اثنتين وأربعين ومائة صفحة .

٢- عبد القاهر الجرجاني للدكتور أحمد أحمد بدوي " ضمن سلسلة أعلام العرب " وهو من الحجم الصغير ، ويقع في تسع وعشرين وأربعمائة صفحة .

٣- عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده للدكتور أحمد مطلوب وهو من الحجم المتوسط ، ويقع في سبع وأربعين وثلاثمائة صفحة .

٤- تربية الذوق البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني للدكتور عبد العزيز عبد المعطي عرفة ، وهو من القطع المتوسط ، ويقع في أربع وستين وستمائة صفحة .

٥- النقد التحليلي عند عبد القاهر الجرجاني " دراسة مقارنة " للدكتور أحمد عبد السيد الصاوي ، وهو من القطع المتوسط ويقع في ست عشرة وأربعمائة صفحة .

٦- التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر للدكتور عبد الفتاح لاشين وهو من القطع المتوسط ويقع في إحدى وستين ومائتي صفحة .

٧- مفهوم الجمال عند عبد القاهر الجرجاني للدكتور أحمد عبد السيد الصاوى وهو من القطع المتوسط ، و يقع في ثلاث وتسعين صفحه .

---

(١) معجم الأدباء : ٣ / ٢١٩ .

٨ - نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني للدكتور وليد محمد مراد .

٩ - نظرية العلاقات بين عبد القاهر والنقد الغربي للأستاذ محمد نايل .

١٠ - نظرية عبد القاهر في النظم للدكتور درويش الجندي .

١١ - النظم في دلائل الإعجاز للدكتور مصطفى ناصف وهو ضمن حوليات كلية الآداب بجامعة عين شمس يناير سنة ١٩٥٥م .

١٢ - المقاييس الجمالية عند عبد القاهر الجرجاني وهو رسالة ماجستير لسيد حجاب ، وهو في جامعة الأزهر كلية اللغة العربية .

أما عن الكتب التي أفردت له بعض الفصول فهي كثيرة نذكر منها :-

١٣ - قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث للدكتور محمد زكي العشماوي ذكره تحت عنوان :

" نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني " من ص (٣٠٢-٣٧٢) ثم ذكره عند حديثه عن منهج الآمدي في الموازنة بعنوان :

" عبد القاهر والسرقة الشعرية " .

١٤ - أثر النحاة في البحث البلاغي للدكتور عبد القادر حسين .

وقد أفرد له الباب الرابع من الكتاب ، تحت عنوان :

"البلاغة في القرن الخامس الهجري " وذلك من ص (٣٥٨-٤٠٩) .

هذا عدا كثير من الإشارات المتكررة في كل موضع من الكتاب تقريباً .

١٥ - من الوجهة النفسية للدكتور محمد خلف الله أحمد .

تحدث عن الشيخ من ص : (٣٢-٣٣) تحت عنوان :

" عبد القاهر الجرجاني ونظريته النفسية " ، ثم أفرد له الفصل الرابع بعنوان :

" المنزع النفسي في بحث أسرار البلاغة " من ص (٩٩-١٥٤) .

١٦ - البلاغة تطور وتاريخ للدكتور شوقي ضيف تحدث عنه في الفصل الثالث تحت عنوان :-

" ازدهار الدراسات البلاغية " من ص (١٦٠-٢١٩) .

١٧ - في الميزان الجديد للدكتور محمد مندور

تحدث عن الشيخ من ص : (١٧٣-١٨٨) تحت العناوين التاليـــة :-

" نظرية عبد القاهر الجرجاني " .

" النظم عند الجرجاني " .

" الذوق عند الجرجاني " .

١٨ - مقالات في تاريخ النقد العربي للدكتور " داود سلوم " أفرد له الفصل السادس تحت عنوان :

" عبد القاهر الجرجاني وكتابه دلائل الإعجاز " من ص (٣٧٤-٣٨٧) .

١٩ - " البلاغة عند السكاكي " للدكتور أحمد مطلوب ذكره في الفصل الأول تحت عنـوان :

" أثر عبد القاهر " من ص : (٢٠٧-٢٣٣) .

٢٠ - " من قضايا النقد والبلاغة " للدكتور: توفيق الفيل أفرد له الفصل الثاني تحت عنوان :

" التصوير الفني " من ص : (٦٩-١١٤) ثم ذكره من ص: (٢٠٨-٢١٥) .

٢١ - " النقد الأدبي الحديث " للدكتور محمد غنيمي هلال ذكره في الفصـــل السادس تحت عنوان :

" اللفظ والمعنى " من ص : (٢٦٨-٢٩١) .

٢٢ - " نظرية المعنى في النقد العربي " للدكتور مصطفى ناصف ، ذكره فـــي الفصل الأول تحت عنوان : " نظام الكلمات " من ص (١٠- ٣٥) ، ثـــم ذكره في الفصل الثاني تحت عنوان : " الصورة العادية والصورة المنمقة " من ص (٤٣-٥٢) ومن ص : (٥٩-٦٥) إلى غير ذلك من الإشـــارات المتناثرة في ثنايا الكتاب .

٢٣ - " تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية " للدكتور : مهدي صـــالح السامرائي ذكره في الفصل الثاني تحت عنوان :

" نظرية عبد القاهر في وجهها العلمي " من ص : (٩٢ - ١٠٧) .

ونذكره في فصل المجاز من ص : (١٢١-١٢٤-١٣٦) .

ثم ذكره في الفصل الثالث عند حديثه عن التعليل من ص : (١٦١-١٦٢)

ثم أفرده بالحديث في الفصل الثالث من الباب الثاني تحت عنوان :

" الإعجاز البياني في نظرية عبد القاهر " من ص : (٢٤٩-٢٥٧) .

٢٤ - " دراسات في النقد الأدبي " للدكتور : وليد قصّاب ذكره عند حديثه عن " فكرة النظم وأثرها في حل مشكلات النقد العربي " من ص: (٧١-٨٤).

٢٥ - " من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي القديم " للدكتور: عثمان موافي ، أشار إليه في الفصل الرابع عند حديثه عن اللغة وارتباط الألفاظ بعضها ببعض من ص : (١٠١- ١١٩) .

٢٦ - " أساليب بلاغية " للدكتور أحمد مطلوب ، ذكره في الفصل الأول تحت عنوان : " الفصاحة والبلاغة " ، وتحدث عنه من ص : (٣١-٣٧) ، ثم ذكره ص ٥٧ هذا مع الإشارات المتفرقة في الكتاب .

٢٧ - " النقد المنهجي عند العرب " للدكتور محمد مندور ، ذكره في الفصل السابع وعنوانه " تحول النقد إلى بلاغة " وتحدث عنه من ص: (٣٣٢-٣٣٩).

٢٨ - " آراء الجاحظ البلاغية وتأثيرها في البلاغيين العرب حتى القرن الخامس الهجرى " للدكتور أحمد أحمد فشل ، ذكره في الفصل الثاني من الباب الثالث عند ذكره قضية اللفظ والمعنى .

٢٩ - التفكير البلاغي عند العرب للدكتور حمادي صمود ذكر الشيخ في موضعين :

١- في الفصل الأول من القسم الأول من : ص ٨٠-٨٣ عند حديثه عن المؤثرات الأجنبية ، وتكلم عن مدى تأثر الشيخ بالبلاغة الأجنبية .

٢- في القسم الثالث تحت عنوان " أهم قضايا التفكير البلاغي إلى القرن السادس " تحدث عن نظرية النظم في الدلائل والأسرار من ص : ٤٩٧-٥٢٩ .

هذا إلى جانب كثير من الكتب التي لا يمكن حصرها في هذا الموضع وهي مثبتة في ثنايا البحث .

ب ـ دراسة موجزة عن كتاب ـ

* دلائل الاعجاز *

لقد آثرت أن أضيف إلى خطة البحث هذا المبحث ، لأنني وجدت أن الآراء قد تضاربت في طريقة ومنهج كتاب الدلائل ، وأيهما أسبق الدلائل أو الأسرار ، كما أن بعض الألسن أخذت تدين أصالته ، فرأيت أنه من الضروري أن أتطرق لهذا الموضوع ، لاسيما أنني أعايش هذا الكتاب ، وأعالج موضوعاته من حيث الشواهد ، فكل ما قيل فيه من آراء ، ودار حوله من نقاش يمس موضوعي أيَّ مساس.

وسأتوخى في هذه الدراسة الإيجاز الذي يلقي الضوء على الحقائق .

لقد حاول كثير من المحدثين البحث عن أى الكتابين أسبق في التأليف ، ولم يصلوا في ذلك إلى نتيجة حتمية إذ أنَّ الشيخ عبد القاهر لم يُصَرِّح في كتابيه بأسبقية أحد الكتابين فليس هناك دليل قاطع يحتج به .

وممن رأى أن الدلائل أسبق :

الدكتور شوقي ضيف[١] ، محمد خلف الله أحمد[٢] ، أحمد مطلوب[٣] ، أحمد أحمد بدوي[٤] ، وحجتهم في ذلك أن موضوع الدلائل موضوع ذو أهمية كبيرة عند المؤلف ، فقد عُني فيه بالدلالة على إعجاز القرآن ، وكان هذا شغله الشاغل ، فهو كتاب عام في النظرية الأدبية ومدى اتصالها بإعجاز القرآن الكريم .

أما كتاب الأسرار فهو بحث خاص في البيان ، وهو أدق وأوضح من الدلائل ، كما أنه يحتوى على آراء نفسية لم تعرف طريقها في الدلائل ، وهذا يدل على تطور الفكر عند الشيخ .

وممن ذهب إلى أن الأسرار أسبق :

والدكتور محمد عبد المنعم خفاجي[٥] ، حفني محمد شرف الذي قطع وجزم بأن دلائل الإعجاز أُلِّف بعد أسرار البلاغة[٦] .

---

(١) البلاغة تطور وتاريخ : ١٩٠-١٩١-٢٠٤ .

(٢) من الوجهة النفسية : ١٠١

(٣) عبد القاهر ، أحمد مطلوب : ٣٣ .

(٤) عبد القاهر أحمد أحمد بدوي : ٦٦ .

(٥) عبد القاهر والبلاغة العربية ، محمد عبد المنعم خفاجي : ٣٥ .
دلائل الإعجاز ، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي : ٥ ، ٦ .

(٦) مقدمة بديع القرآن : ٢٧ .

وحجة هذا الفـريق :-

أن في الدلائل إشارات من ألفاظ وجمل تحيل على كتاب سابق في البلاغـة قد يكون هو كتاب " الأسـرار " إلى غير ذلك من الحجج التي لا يمكن القطع والجزم عن طريقها بأسبقية أحد الكتابين .

وللدكتور الفاضل : " على محمد العماري " أدلة يرى أنها تكاد تكون حاسمة في أن " أسرار البلاغة " كان سابقاً للدلائل .

ومن هذه الأدلة أن الشيخ عبد القاهر روى عن الآمدي - في الأسرار - أنه وازن بين بيتين أحدهما للبحتري وهو :

فَصَاغَ مَاصَاغَ مِنْ تِبْرٍ وَمِنْ وَرِقٍ ∴ وَحَاكَ مَاحَاكَ مِنْ وَشْيٍ وَدِيبَـاجِ

والآخر لأبي تمام ، وهو:

إِذَا الغَيْثُ غَادَى نَسْجَهُ خِلْتَ أَنَّهُ ∴ خَلَتْ حِقَبٌ حرس له وَهْوَ حَائِكُ

وقوله في بيت البحتري : " صوغ الغيث ، وحوكه النبات ليس باستعارة ، بل هـو حقيقة ، وقوله في بيت أبي تمام : " إن لفظة حائك خاصة في غاية الركاكة، إذا أخرج على ما أخرجه عليه أبو تمام في قوله . . .

وهذا قبيح جداً ، والذي قاله البحتري " وَحَاكَ مَاحَاكَ " حسن مستعمل ، فانظـر ما بين الكلامين لتعلم ما بين الرجلين .

قال الشيخ عبد القاهر:

" قد كتبت هذا الفصل على وجهه ، والمقصود منه أن تطلـق الاستعارة على الصَّوغِ والحَوكِ ، وقد جعلا فعلاً للربيع ، واستدلاله على ذلك بامتناع أن يقال : وكأنه صائغ ، وكأنه حائك ، اعلم أن هـذا الاستدلال كأحسن ما يكون ، إلَّا أن الفائدة تتم بأن تبين جهتـه ، ومن أين كان كذلك "(١).

---

(١) أسرار البلاغة : - هـ ، ريتر - ٣٥٢-٣٥٣ .

ثم يبين الشيخ عبد القاهر جهة استدلال الآمدي ، ومعنى ذلك أنه مؤمن بقوله بل معجب به غاية الإعجاب .

ثم نراه في الدلائل يذكر نفس الفصل ، ولكنه يخطيء " الآمدي " بل يعجب من نفسه أنه ظل زمناً يعتقد صحة ماقاله هذا الناقد ،

قال عبد القاهر :

" ومن ذلك أنك ترى من العلماء من قد تأول في الشيء تأويلا ، وقضى فيه بأمر، فتعتقده اتباعاً له ، ولا ترتاب أنه على ماقضى وتأوّل ، وتبقى على ذلك الاعتقاد الزّمان الطويل ، ثم يلوح لك ماتعلم به أن الأمر على خلاف ماقدّر "(١)

ثم يذكر البيتين ، وقول الآمدي فيهما على نحو مافي الأسرار ، ثم يذكر ماذهب إليه الآمدى ، ويعقب عليه بوجهة نظره الجديدة المخالفة للآمدي، فعبد القاهر كان يعتقد رأي الآمدي ولا يرتاب في قضائه بالنسبة لبيت أبي تمام ، وقد مضى عليه في ذلك الاعتقاد الزمان الطويل ، ثم تبين له أن الآمدي وقع في سهو حين قضى بما قضى به .

ومعنى ذلك أن عبد القاهر ألف الأسرار أولا ، ثم مضى على ذلك زمن طويل انتهى فيه من تأليف الدلائل ، فمن العجيب أن القصة ذكرت في آخر كل من الكتابين.(٢)

ومن الأدلة التي أشار إليها الدكتور العماري أن في الدلائل مايشعر بأن الشيخ ألف الكتاب في زمن متأخر من حياته ، فهو يقول في " المدخل " :

" وقد دخلت بآخرة في كلام(٣) من أصفى إليه وتدبره تدبر ذي دين ، وفتوة دعاه إلى النظر في الكتاب الذي وضعناه ، وبعثه على طلب ماد ّوّناه "(٤)

---

(١) الدلائل ، رضا : ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، خفاجي : ٥٠٣ ، شاكر : ٥٥٣ .

(٢) قضية اللفظ والمعنى - مخطوطة بكلية اللغة العربية - جامعة الأزهر : ١١١-١١٢ .

(٣) في الدلائل تحقيق شاكر : " وقد وصلت بآخرة إلى كلام " .

(٤) الدلائل ، رضا : غ ، خفاجي : ٤٥ ، شاكر : ٣-٤ .

ويقول في آخره :

" وإنك لتنظر في البيت دهراً طويلاً ، وتفسره ، ولا ترى أن فيه شيئاً لم تعلمه ، ثم يبدو لك فيه أمر خفي لم تكن قد علمته ، مثال ذلك بيت المتنبي :

عَجباً لَهُ حَفِظَ العِنانَ بِأَنْمُلٍ .·. ما حِفْظُها الأَشْيَاءَ مِنْ عَادَاتِها

مضى الدهر الطويل ، ونحن نقرؤه فلا ننكر منه شيئاً ، ولا يقع لنا أن فيه خطأ ، ثم بان بآخرة أنه قد أخطأ " (١)

فيستنبط الدكتور العماري أن الدهر الطويل ، والزمان الطويل ، وإدراكه الشيء بآخرة " كل ذلك يدل على أن عبد القاهر ألّف الدلائل في زمن متأخر ربما كان في آخر حياته .

ومما يرجح الدكتور أنه دليل على أسبقية الأسرار قول الشيخ في الدلائل :

" وأما المجاز فقد عول الناس في حده على حديث النقل وأن كل لفظ نقل عن موضعه فهو مجاز ، والكلام في ذلك يطول ، وقد ذكرت ما هو الصحيح من ذلك في موضع آخر " (٢)

وقد ذكر الأستاذ رشيد رضا في هامش الكتاب :

" لعله يريد بالموضع الآخر كتاب " أسرار البلاغة " (٣).

وقد أيد الدكتور العماري ما ذهب إليه الأستاذ رشيد رضا ورجحه بدليلين :

الأول : لأنه لم يتقدم في الدلائل ، على هذه الكلمة ذكر المجاز ، وقد قال : " ذكرت " ، فدل على أنه ذكره في كتاب آخر .

الثاني : أنه حقيقة ذكر حديث نقل المجاز في " الأسرار " وأطال فيه ، وصحح أنه مجاز لغوي .

---

(١) الدلائل : رضا : ٤٢٤ ، خفاجي ٥٠٢ ، شاكر : ٥٥١ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٥٣ .

(٣) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

ومن الأدلة المرجحة - أيضا - أن عبد القاهر ، وهو يُعلي من شأن النحو، قال :
" وضربوا له المَثَل بالملح - كما عرفتَ "(١).

وكأنه يشير إلى عرضه هذا المثل في " الأسرار " والإطالة في شرحه ، وتصحيح وجه الشبه فيه(٢)، والتعبير بالفعل الماضي يرجح هذه الإشارة .

ولو كان يريد بـ" عرفت " كلام العرب لعبر بالمضارع وقال : كما - تعرف "، لأن هذا المقام - حينئذ - له(٣).

هذا عن أسبقية أحد الكتابين - ولقد أطلت الحديث عن أدلة الدكتور العماري - لعلها تضيء جانبا جديداً في هذا الموضوع .

أما عن موضوع الدلائل : فهو قائم على إثبات نظرية النظم للإرشاد إلى إعجاز القرآن ، فالبلاغة ليست في اللفظ في حال آنفراده وآنقطاعه عما يليه ، بل البلاغة تكمن في تلك العلاقات التي تربط كل لفظة بالتي تليها بحيث يأخذ بعض الألفاظ برقاب بعض ، وتكون كل لفظة سبباً في التي تليها .

وليس النظم عنده هو ضم الشيء إلى الشيء على أي حال وكيفما اتفق بل النظم في ترتيب الألفاظ بحسب ترتيب المعاني في النفس مع توخي معاني النحو.

وسار الشيخ في كتابه الدلائل يبرهن ويدلل على صحة ماذهب إليه . وساقه حماسه لهذه الفكرة إلى التكرار وعدم تنسيق أبواب الكتاب .

أما عن منهج الشيخ ، وتناوله للموضوعات وأسلوبه في الكتابة فقد تضاربت الآراء ، ووجهات النظر في ذلك ، فمن قائل بأنه نهج أسلوب المتكلمين والفلاسفة ، ومن قائل بأن أسلوبه أدبي محض لا تعقيد فيه - وسأرجيء التفصيل في هذا الموضوع إلى الفصل الثاني " الذوق " من الباب الثاني .

أما عن مصادر الشيخ ، فقد اختلف الباحثون في منبعها ، هل هي ذات جذور

---

(١) الدلائل ، رضا : ٦ ، خفاجي : ٥٩ ، شاكر : ٨.

(٢) الأسرار : - هـ ، ريتر - : ٦٥.

(٣) قضية اللفظ والمعنى : ٢٤٣ - ٢٤٤.

عربية أصيلة ، أو أنه استقاها من روافد أجنبية .

وهذه النقطة يصعب عليَّ تتبعها في هذه العجالة ، لأنها تحتاج إلى بحث متقصٍ يتتبع آراء عبد القاهر مع مقارنتها بآراء كل من سبقوه ، ومقارنتها أيضا بالكتب المترجمة في عصره . وهذا بحث قائم بذاته .

ولكنني أستطيع أن أشير إلى مارآه الباحثون في هذا المضمار .

فمنهم من يجزم بتأثره بالثقافة اليونانية في كثير من أفكاره ، وزعيم هذا الرأي الدكتور طه حسين الذي رأى أن الشيخ عبد القاهر قد استطاع أن يوفق بين البلاغتين العربية واليونانية ، وأنه متأثر في كتابه أسرار البلاغة بما عربه ابن سينا في " العبارة " في كتاب الخطابة لأرسطو ، واعترف بأنه شارح جيد لبلاغة أرسطو ، ورأى كذلك أنه قد تأثر بأرسطو في فصل الحقيقة والمجاز المرسل ، أما المجاز العقلي فنراه يسلم بأنه من ابتكار عبد القاهر .

قال في المقدمة التي قدم بها كتاب نقد النثر عند تحقيقه :

" . . . لم يكن عبد القاهر الجرجاني عندما وضع في القرن الخامس كتاب " أسرار البلاغة " المعتبر غرة كتب البيان العربي إلا فيلسوفاً يجيد شرح أرسطو والتعليق عليه " .

وقال في موضع آخر :

" على أن مجهود ابن سينا لم يكن ليذهب عبثًا ، لقد عرب كتاب " الخطابة " إذا صح هذا التعبير ، وجعله في متناول الفكر العربي ، وبذلك هيأ أسباب التوفيق بين البيانين اللذين عاشا متجاورين دون أن يتلاقيا ويتآلفا .

وقد تحقق هذا التوفيق في القرن الخامس على يد عبد القاهر الجرجاني الذي سبق ذكره . صنف عبد القاهر كتابين يعتبران بحق أنفس ماكتب في البيان العربي . هما " أسرار البلاغة " و " دلائل الاعجاز " فعندما نقرأ أولهما نكاد نجزم بأن المؤلف قرأ الفصل الذي عقده ابن سينا " للعبارة "

---

(١) نقد النثر " تمهيد في البيان العربي " : ١٤ .

وانه فكرفيه كثيرا وحاول ان يدرسه دراسة نقد وتمحيص ٠٠٠ فمجاز ارسطو هذا هو مايسميه عبد القاهر " مجازا مرسلا" (١) واما المجاز الذى يقوم على التشبيه والذى يسميه ارسطو "صورة" فيسميه عبد القاهر" استعارة " وهو لفظ كان القدماء يطلقونه على المجاز بكافة انواعه ٠٠ اما المجاز العقلي " فهو من ابتكار عبد القاهر ٠٠٠"(٢)

وكذلك رأى الاستاذ محمد خلف الله أن عبد القاهر تأثر بأرسطو في المنزع النفساني العام وفي بعض الأسرار التي اهتدى اليها ٠ قال :

" ٠٠٠ ان عبد القاهر تأثر ـ على نحو ما ـ بالبحوث الاغريقية المترجمة ، وانتفع بها انتفاعا ظاهرا في دراسته لآثار البلاغة ، وهذا التأثر اظهر مايكون في النواحي التفريعية والتحقيقية ٠٠ ولكنه باد ايضا في المنزع النفساني العام عند عبدالقاهر وفي بعض الأسرار التي اهتدى اليها في كتابه " (٣) ٠

وبعد ان اثبت هذا التأثر حاول أن يثبت أصالة الشيخ عبد القاهر ، وأن هذا التأثر لاينفي عنه صفة العالم المبتكر ٠ (٤)

وممن جزم بهذا التأثر ايضا الدكتور احمد مطلوب ، فبعد أن قلب آراء الباحثين في تأثر عبد القاهر بأرسطو قال :

" لقد حاولنا أن نربط بين عبد القاهر وسابقيه ، وقد اتضح أنه أفاد مما كتب العرب وانه لابد قد اطلع على ما كتب ابن سينا في الخطابة ، ولكن ليس معنى ذلك أنه صدر فيما كتب عن أرسطو ، لأن الفرق بين الرجلين عظيم " (٥) ٠

وممن ذهب الى هذا الرأى الأستاذ أمين الخولي (٦) الذي استدل على هذا التأثر

---

(١) في الحقيقة ان عبدالقاهر لم يسم المجاز مجازا مرسلا ، ولكن الذى حصل انه وجد في اواخر كتابه اسرار البلاغة تحقيق" رشيد رضا" فصلا تحت عنوان" هذا كلام في ذكر المجاز وفي بيان معناه وحقيقته وفيه بيان المنقول والمشترك والمجاز المرسل وعلاقته " وهذا العنوان يوحي بأن عبدالقاهر هو الذى وضع المصطلح اذ لم توجد هذه التسمية قبله وبالبحث تحت هذا العنوان نجد مادة هذا المجاز ومعناه ، ولكنه لم يسمه في اثناء الشرح ، والراجح ان محقق الكتاب هو الذى سماه لما رآه مناسبا للمضمون ٠

(٢) نقد النثر ـ سابقا ـ : ٣٨ـ ٣٩ ٠

(٣) من الوجهة النفسية : ١٥٢ ٠

(٤) المرجع السابق نفس الصفحة ٠

(٥) عبد القاهر الجرجاني ، احمد مطلوب : ٣٠٥ ٠

(٦) مناهج تجديد : ١٥٤/ ١٥٥ ٠

بإشـــارة عبدالقاهر إلى أهل الخطابة ونقد الشـــعر.

قلت : وقد ذكر الشيخ عبدالقاهر أهل الخطابة ونقد الشعر في موضعين : الأول عند حديثه عن المجاز حيث قال :

" ولهذا الموضع تحقيق لا يتم إلا بأن يوضع له فصل مفرد ، والمقصـــود الآن غير ذلك ، لأن قصدي في هذا الفصل أن أبين أنّ المجاز أعم مـــن الاستعارة ، وأن الصحيح من القضية في ذلك أن كل استعارة مجـــاز ، وليس كل مجاز استعارة ، وذلك أنّا نرى كلام العارفين بهذا الشأن ، أعني علم الخطابة ، ونقد الشعر ، والذين وضعوا الكتب في أقسام البديع " .(١)

فقوله الأخير " والذين وضعوا الكتب في أقسام البديع " ، وهو يريد به العارفين بهذا الشأن يدل دلالة قاطعة على أنه لا يريد فلاسفة اليونان ، لأنه لا يُعرف أن هؤلاء وضعوا الكتب في أقسام البديع .

والموضع الثاني عندما تحدث عن صنيع ابن دريد ، وكلامه عن الاستعارة حيث قال :

" فالوجه في هذا الذي رأوه من إطلاق الاستعارة على ما هو تشبيه كما هو شرط أهل العلم بالشعر ، وعلى ما ليس من التشبيه في شيء " .(٢)

وفي الرد على الأستاذ أمين الخولي ومن سار في إثره يقول الدكتور حمادي صمود :

" فأمين الخولي ، ومن لفّ لفه حاول لإثبات التأثر ، الوقوف في مؤلفـــات الرجل - يعني عبدالقاهر - على الدليل المادي ، فرأى أن إشارته مرتـــين متتاليتين إلى " أهل الخطابة ونقد الشعر " دليل على أنّه ينسب الطريقـــة البلاغية لأهل الخطابة " ويعتبرهم العارفين بهذا الشأن " ، وليس فـــي هذه الإشارة ما يدل على أن المَعْنِيَّ كتاب أرسطو .

والقصد من السياقين المذكورين التفريقُ بين منهجين في دراسة الاستعارة ، منهج الأدباء والعالمين بالشعر ، ومنهج اللغويين ، مع أنّنا لا نعدم فـــي

---

(١) أسرار البلاغة - هـ ، ريتر - : ٣٦٨ .

(٢) المصدر السابق : ٣٦٩ .

التراث السابق واللاحق عند الحديث عن أصناف المتعاملين مع النص الأدبي إشارات من هذا القبيل[١] ..

ثم ذكر الدكتور حمادي صمود في الهامش أن المبرد في " الكامل " استعمل في موضعين قوله : " العلم بجواهر الكلام "[٢].

وكذلك ذكر الآمدي في الموازنة : " أهل المعاني ومن يميل إلى التدقيق وفلسفي الكلام "[٣].

أضف إلى ذلك قول قدامة :

" والغلو عندي أجود المذهبين ، وهو ماذهب إليه أهل الفهم بالشعر والشعراء قديماً ، وقد بلغني عن بعضهم أنه قال :

" أحسن الشعر أكذبه " .

وكذا يرى فلاسفة اليونان في الشعر على مذهب لغتهم "[٤].

ويبدو لي أن المراد بأهل الفهم في هذا الكلام هم غير فلاسفة اليونان بدليلين :

الأول : عطف فلاسفة اليونان عليهم ، والعطف يقتضي المغايرة .

الثاني : أن الثعالبي ذكر في بعض كتبه[٥] أن أول من قال :-

" أحسن الشعر أكذَبه " هو حجر بن عمرو الكندي والد امرئ القيس ، ولعل هذا ماعناه قدامة بقوله " بعضهم " .

وممن استند إلى رأي الخولي - السابق - الدكتور شكري عياد[٦] ، والدكتور شوقي ضيف[٧].

---

(١) التفكير البلاغي عند العرب : ٨١

(٢) الكامل - مكتبة المعارف - : ١/ ٢١ ، ١٠٦ .

(٣) الموازنة : محمد محيى الدين عبد الحميد : ١٠ .

(٤) نقد الشعر : ٢٦ .

(٥) ذكر ذلك فى كتابه " الإعجاز والإيجاز " : ٦٣ .

(٦) كتاب أرسطو طاليس في الشعر : ٢٤١ .

(٧) البلاغة تطور وتاريخ : ١٩١ .

أما الدكتور أحمد بدوي فإني أراه شديد التحفظ عند الإدلاء برأيه ، فهو لم يصرح بنفي هذا التأثر نفياً قاطعاً ، فعبارته التي صاغ بها رأيه ، وقوله : بأنه يقف موقف الشاك لا يوضح رأيه تماماً ، ثم إن قوله بأن صمت عبد القاهر يثير فيه الريب في أن الشيخ قد نقل نقلاً مباشراً ، يُفهم منه أنه لا يمانع في أن الشيخ نقل من أرسطو نقلاً غير مباشر . قال :

" إن صمت عبد القاهر عن الحديث عن آراء أرسطو يثير فيّ الريب في أن صاحب الدلائل والأسرار قد نقل نقلاً مباشراً عن الفيلسوف الإغريقي ، فإنه حتى في فكرة النظم التي وقف عليها كتابه دلائل الإعجاز قد نقل عن العلماء مايؤيدها ، كما نقل عن العلماء كثيراً مما يؤيد أفكاره التي كتبها في أسرار البلاغة فإذا كان قد نقل عن أرسطو ، فلم يكن الفيلسوف اليوناني بمن يستر عبد القاهر الأخذ عنه ، ولذلك أقف في ريبة من أمر دراسة عبد القاهر للثقافة الإغريقية المرتبطة بالبلاغة والنقد الأدبي "(١).

أما الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي فإنه يرى أن الشيخ عبد القاهر قد تأثر بطريق غير مباشر ببلاغة اليونان قال :

" ويظهر في الأسرار والدلائل أثر بلاغة اليونان المترجمة في الخطابة والشعر لأرسطو الذين ترجمهما ابن سينا في الشفاء ، وترجمهما غيره ، وقد اقتبس عبد القاهر من هذه الترجمات وتأثر بها "(٢).

أما عن تأثره بمن سبقه من النقاد العرب ، فهذا أمر لم يرفضه أحد من الدارسين ، لأن عبد القاهر نفسه قد صرَّح بهذا الأخذ ، وذلك بذكر أسمائهم في كثير من المواضع ، فنراه يصرِّح بأخذه من سيبويه (ت : ١٨٠هـ) في باب التقديم والتأخير ، وباب الحذف(٣) ، كما تأثر بالجاحظ (ت : ٢٥٥هـ) ونقل عنه كثيراً من آرائه وأقواله ، ووافقه

---

(١) عبد القاهر الجرجاني ، أحمد بدوي : ٣١٢ .

(٢) عبد القاهر والبلاغة العربية ، محمد عبد المنعم خفاجي : ٤٦ .

(٣) الدلائل ، رضا : ٨٤ ، ١١١ ، ١١٢ ، ٢٤٧ .

فى بعضها ورد عليه البعض الآخر ، ونقل كلامه في اللفظ والمعنى ، وأخذ ببعض شواهده.[١]

ونقل عن ابن قتيبة " ت : ٢٧٦هـ" تقسيمه الشعر إلى أربعة أضرب[٢]، ولكنه لم يصرح بهذا النقل .

كما تأثر الشيخ عبد القاهر بالقاضي الجرجاني صاحب الوساطة في مواضع كثيرة من كتابه ، وأخذ عنه بعض شواهده ، وقد تأثر به أيضاً في باب السرقات ، وقوله بأن المعاني المشتركة المتفقة في الغرض وعموم الدلالة لا تعد سرقة[٣]، وكذلك نقل عبد القاهر عن الآمدي(ت: ٣٧٠هـ) كلمته في بيتي الطائيين ، واستدل بها في الأسرار[٤]، ثم نقدها في الدلائل.[٥]

أما نظرية النظم التي بنى عليها كتابه الدلائل فقد أشار إليها كثير من العلماء الذين سبقوا الشيخ من أمثال :

عبد الله محمد بن يزيد الواسطي (ت : ٣٠٦هـ) في كتابه " إعجاز القرآن في نظمه وتأليفه " وخاصة أن الشيخ أهتم به اهتمامًا خاصاً فشرحه مرتين.[٦]

وممن أشار إلى قضية النظم أبو الحسن علي بن عيسي الرماني (ت : ٣٨٦هـ)[٧] وأبو سليمان الخطابي (ت : ٣٨٨هـ)[٨]، والباقلاني (ت : ٤٠٣هـ)[٩] كما تأثر

---

(١) الدلائل ، رضا : ٤٦، ٧٦، ١٩٧، ٢٢٦، ٢٤٥، ٣٨٩.

(٢) الدلائل ، رضا : ٢٧٩ ، وانظر الشعر والشعراء : ١/ ٧٠-٧٥.

(٣) الدلائل رضا : ٣٩٠ ، الأسرار هـ - ريتر - : ٣١٣-٣١٤ ، الوساطة: ٢٠٥.

(٤) الأسرار : هـ - ريتر -: ٣٥٢.

(٥) الدلائل : رضا : ٤٢٥.

(٦) أثر القرآن في تطور النقد العربي : ٢٣٤.

(٧) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن : " النكت في إعجاز القرآن " : ١٠٧.

(٨) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن " بيان إعجاز القرآن " : ٢٩.

(٩) إعجاز القرآن للباقلاني : ١٦٨ ومابعدها .

الشيخ بما كتبه القاضي أبو الحسن عبد الجبار الأسدآبادي (ت : ٤١٥هـ) في كتابه " المغني في أبواب التوحيد والعدل "[1].

واستبعد الدكتور مهدي السامرائي تأثر الشيخ عبد القاهر بالقاضي عبد الجبار بل ذهب إلى أبعد من ذلك فرأى أن القاضي عبد الجبار لم يرمِ إلى النظم، ولم يقصده ،بل هو يدفعه ويأباه ،يقول بعد أن عرض عدة نصوص من كتاب المغني :

" يبدو من مجموعة هذه النصوص أن القاضي عبد الجبار لا يعول على النظم وهو يدفعه ويأباه بكل ما يستطيع ، وهو في ذلك يهدف إلى تقويض فكرة النظم التي فشت في بيئة الأشاعرة ، إن أساس نظرية عبد القاهر مستمدة من بيئة الأشاعرة ، وإن الإمام عبد القاهر وسع مدلولها وأثراها بمواهبه العقلية "[2].

فهو إذاً يرى أن هناك فرقاً وبوناً شاسعاً بين نظرة عبد القاهر للنظم وبين نظرة القاضي عبد الجبار ، فنظرية عبد القاهر تنطلق من مبدأ الكلام النفسي - المعاني - الذي يؤكده الأشاعرة ، أما القاضي عبد الجبار فينطلق من مبدأ الألفاظ الذي يؤكده المعتزلة[3].

ويرفض الدكتور عبد القادر حسين فكرة تأثر عبد القاهر المطلق بالجاحظ ، أو الآمدي أو الجرجاني بحجة أنه أشار إليهم في غير موضع من كتابه ، أو لأنه نسج على منوال القاضي الجرجاني ، أو أنه تأثر بالخطابي ، لأنه سبقه إلى الحديث عن النظم أو أنه تأثر بالواسطي ؛ لأنه شرح إعجاز القرآن قبله .

فإن كان القصد أنه انتفع بجهودهم ، وأنهم كانوا أشعة أضاءت له الطريق ، فهذا أمر لا يتطرق إليه الشك ، فما من نظرية تُخلق من العدم ، أو تُبنى في الهواء ، أما إن كان المراد أنه تأثر بهم تأثراً واضحاً ، فهذا رأي مردود ؛ لأن ما أتى به

---

(١) المغني : ١٦ / ١٩٩ .

(٢) تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية : ٩٨ .

(٣) المرجع السابق : ٩٦ .

السابقون هو مجرد إشارات بسيطة ، وأضواء خافتة لا تحدد المعالم، فلا تعتبر عملاً مدروساً[1] .

وأيّاً ما كان فإن العلماء يأخذ بعضهم عن بعض ، والثقافات تتفاعل ، وتبقى لكل عالم أصالته .

فإن ما ذهب إليه الدكتور عبد القادر حسين أمر صحيح يحفظ للشيخ مكانته ، ويعطيه حقه ، وينصفه ممن قد يطعن في أصالته البلاغية بنفي صفة الابتكار عنه ، وينظر إليه على أنه مجرد عارض مجيد لآراء علماء العربية والبيان قبله .

---

(١) أثر النحاة في البحث البلاغي : ٣٦٦ - ٣٦٧ .

جـ - معنى كلمة شاهد في اللغة والاصطلاح .

لما كان موضوع هذا البحث دراسة الشواهد كان من الضروري أن أوضح ما المقصود بكلمة شاهد ؟ وأُبَيِّن معناها في اللغة والاصطلاح .

ومن المعلوم أن الاستشهاد بالشواهد الشعرية نهج سار عليه علماء العربية في جميع فروعها ، لتسليمهم بأهميته في ترسيخ القواعد وتوضيحها ، والاحتجاج لصحة المفردات والتراكيب .

وهنا يطرأ علينا سؤال :

ما الفرق بين الشاهد النحوي والشاهد البلاغي ؟

وفي هذا البحث أوضحت بعض الفروق التي ظهرت لي من خلال دراستي لأقوال العلماء فيما يصح الاستشهاد به .

معنى الشاهد في اللغة :-

الشاهد مصدره شهادة ، وهي الخبر القاطع .

- وشَهِدَ كَعَلِمَ وَكَرُمَ - يقال شَهِدَ الرجل على كذا ، وربما يقال : شَهْدَ الرجلُ بسكون الهاء للتخفيف ، وورد هذا عن الأخفش ، وقولهم أشْهَدُ بكذا أي أحْلِف ، وشَهِدَ بكذا يتعدى بالباء ؛ لأنه بمعنى أخبر به .

وتأتي الشهادة أيضا بمعنى البيان والوضوح ، قال أبو عبيدة : معنى شَهِدَ الله[١] قَضَى الله أنه لا اله إلاّ هو . وحقيقته عَلِمَ الله وَبَيَّنَ الله ؛ لأن الشاهد هو العالم الذي يبين ماعلمه ، وقال أبو العباس :

شَهِدَ الله بَيَّنَ الله وَأَظْهَر ، وشَهِدَ الشاهد عند الحاكم أي بَيَّنَ مايعلمه وَأَظْهَرَه[٢] .

ومن هذا التعريف اللغوي نستطيع أن نقول إن الشاهد البلاغي في الاصطلاح : هو كل ما يستشهد به البلاغيون من آيات قرآنية ، وأحاديث نبوية ، وأقوال نثرية أو شعرية لتوضيح ، وبيان قاعدة بلاغية .

ومما تجدر الإشارة إليه أن هناك فرقاً بين الشاهد النحوي ، والشاهد البلاغي .

فالشاهد النحوي يُؤْتى به لا من أجل توضيح ، وبيان قاعدة ما ، بل للتقعيد والاحتجاج على قاعدة من القواعد النحوية إطراداً أو شذوذاً .

---

(١) مشيراً إلى قوله تعالى في سورة آل عمران ، آية (١٨) :
" شَهِدَ الله أنَّهُ لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط . . . " .

(٢) انظر:
الصحاح : " شهد " : ٢/٤٩٤ ، لسان العرب : " شهد " : ٢/٢٣٩ ، مختار الصحاح : باب الشين : ٣٤٩ ، المصباح المنير : " شهد " ١/٣٤٩ ، القاموس المحيط : " شهد " : ١/٣٥٩ ، ٣٦٠ ، تاج العروس : " شهد " : ٢/٣٩٢ .

وهناك فرق آخر :

وهو أن الشاهد النحوي محدد بزمن معين ، فليس كل الشعراء يُحْتَجّ بأشعارهم.

فالقائلون للشعر أربع طبقات[١] :

الطبقة الأولى :

الجاهليون : وهم الذين لم يدركوا الإسلام كامرئ القيس والأعشى .

الطبقة الثانية :

المخضرمون : وهم الذين قضوا فترة من حياتهم في الجاهلية، ثم أدركوا الإسلام كلبيد وحسّان .

الطبقة الثالثة :

المتقدمون : ويقال لهم الإسلاميون ، وهم الذين كانوا في صدر الإسلام كجرير، والفرزدق .

الطبقة الرابعة :

المولّدون : ويقال لهم المُحْدَثون ، وهم من بعد الطبقة الثالثة إلى زماننا هذا كبشار بن برد وأبي نواس .

فالطبقة الأولى والثانية يستشهد بشعرهما في جميع علوم الأدب من لغة وصرف ونحو، ومعانٍ وبيانٍ وبديعٍ وغيرها . وذلك بإجماع العلماء .

أما الثالثة وهي طبقة الإسلاميين فقد اختلف العلماء في الاستشهاد بكلامها ، والصحيح صحة الاستشهاد به .

---

(١) انظر هذا التقسيم في :
العمدة : ١ / ١١٣ ، المزهر : ٢ / ٤٨٩ ، الخزانة للبغدادي : " تحقيق عبد السلام هارون " : ١/٥ ، ٦

وكان أبو عمرو بن العلاء[١]، وعبد الله بن أبي إسحاق[٢]، والحسن البصري[٣]، وعبد الله بن شبرمة[٤]، يلحنون الفرزدق والكُميت، وذا الرُّمة، وأضرابهم، وكانوا يعدونهم من المولدين، لأنهم كانوا في عصرهم، والمعاصرة حجاب[٥].

قال ابن رشيق في العمدة :

" كل قديم من الشعراء فهو مُحْدَثٌ في زمانه بالإضافة إلى من كان قبله ".

وكان أبو عمرو بن العلاء يقول :

---

(١) هو أبو عمرو زَبَّان بن العلاء المازني من القُرَّاء السبعة وإمام البصرة في اللغة والنحو (ت : ١٥٤هـ) / انظر ترجمته :
نزهة الألباء : ٣٠ - ٣٥، إنباه الرواة : ٤ / ١٣١ - ١٣٩، النجوم الزاهرة : ٢ / ٢٢، بغية الوعاة : ٢ / ٢٣١، ٢٣٢، المزهر : ٢/٤١٨، شذرات الذهب : ١ / ٢٣٧، مراتب النحويين : ٣٣ .

(٢) هو أبو بحر عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، كان قيما بالعربية والقراءة، إماما فيها . (ت : ١١٧هـ، وقيل ١٢٧هـ) / انظر : نزهة الألباء : ١٨-٢٠، إنباه الرواة : ٢ / ١٠٤، بغية الوعاة : ٢/٤٠، أخبار النحويين البصريين : ٤٢ - ٤٥، طبقات النحويين واللغويين : ٣١ .

(٣) هو الحسن بن يسار البصري التابعي الأنصاري، إمام أهل البصرة في القراءة (ت : ١١٠هـ) / وستأتي ترجمته فيما بعد :
انظر: المعارف لابن قتيبة : ٤٤٠/٤٤١، غاية النهاية: ١/٢٣٥، أسماء التابعين للدارقطني رقم (١٨٨) : ١/١٠١ .

(٤) هو عبد الله بن شبرمة الضبي، قاضي الكوفة، وشاعرها (ت: ١٤٤هـ)/ انظر :
أسماء التابعين رقم (٦٠٤) : ٢/١٣٤ .

(٥) خزانة الأدب للبغدادي : - تحقيق عبد السلام هارون - : ١/٦ .

" لقد أحسن هذا المولد حتى هممتُ أن آمر صبياننا بروايته،-يعني بذلك شعر جرير والفرزدق-، فجعله مولداً بالإضافة إلى شعر الجاهلية والمخضرمين ، وكان لا يعد الشعر إلا ماكان للمتقدمين .

قال الأصمعي : جلست إليه ثماني حجج فما سمعته يحتج ببيت إسلامي "(١).

الطبقة الرابعة : والصحيح عدم الاستشهاد بكلامها مطلقاً . قال السيوطي :

"أن يكون النقل عمّن قولُه حجة في أصل اللغة ،كالعرب العاربة ، مثل قحطان ومعدّ وعدنان ،فأما إذا نقلوا عمّن بعدهم بعد فساد لسانهم،واختلاف المولّدين فلا"(٢).

وذهب بعضهم إلى إمكانية الاستشهاد بكلام من يوثق به منهم(٣)، وهذا الرأي الأخير اختاره الزمخشري(٤)، وتبعه المحقق الرضي(٥).

فقد استشهد الزمخشري في كشافه ببعض أبيات لأبي تمام ، وذلك

---

(١) العمدة : ١/ ٩٠ ، وانظر : المزهر للسيوطي : ٢/ ٤٨٨ .

(٢) المزهر : ١/ ٥٨ .

(٣) خزانة الأدب للبغدادي : " تحقيق عبد السلام هارون " : ١/ ٦

(٤) هو أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الإمام الكبير في التفسير والحديث والنحو واللغة .من كتبه : " المحاجاة بالمسائل النحوية" " المفرد والمركب " وهو صاحب تفسير الكشاف المشهور،كان معتزلي الاعتقاد متظاهراً به ولد سنة ٤٦٧ هـ بزمخشر، وتوفي سنة ٥٣٨ هـ — بجرجانية خوارزم . / انظر:
نزهة الألباء : ٣٩١-٣٩٣ ،إنباه الرواة : ٣/ ٢٦٥ ، وفيات الأعيان : ٥/ ١٦٨ ، ١٧٣ ،بغية الوعاة : ٢/ ٢٧٩ ،إيضاح المكنون: ٣/ ١/ ٦٧ ، ٤/ ٢/ ٨٦ .

(٥) هو محمد بن الحسن نجم الملة والدين الإستراباذي صاحب كتاب شرح الكافية ، وكتاب الشافية - لابن الحاجب - (ت : ٦٨٦هـ) / انظر : بغية الوعاة : ١/ ٥٦٧ ، مقدمة خزانة الأدب للبغدادي - دار صادر - : ١/ ١٢ ، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة : ٢٠٧ .

عند تفسيره أوائل سورة البقرة[1].

قال :

" هو وإن كان مُحْدَثا ، لا يُستشهد بشعره في اللغة ، فهو من علماء العربية ، فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه ألا ترى إلى قول العلماء :

" والدليل عليه بيت الحماسة " فيقتنعون بذلك لوثوقهم بروايته وإتقانه"[2].

واعتُرِض عليه بأن قبول الرواية مبني على الضبط والوثوق ، واعتبار القول مبني على معرفة أوضاع اللغة العربية وقوانينها .

ومن الواضح أن إتقان الرواية لا يوجب إتقان الدراية[3].

جاء في الاقتراح للسيوطي :

" أجمعوا على أنه لا يحتج بكلام المولدين والمحدثين في اللغة والعربية ، وفي الكشاف ما يقتضي تخصيص ذلك بغير أئمة اللغة ورواتها ، فإنه استشهد على مسألة بقول حبيب بن أوس"[4].

وكذلك قال الزركشي :

" ووقع في كلام الزمخشري وغيره الاستشهاد بشعر أبي تمام ، بل في الإيضاح للفارسي ووجّه بأن الاستشهاد بتقرير النَّقلة كلامَهم ، وأنه لم يخرج عن قوانين العرب"[5].

---

(١) استشهد الزمخشري في تفسيره بأقوال أبي تمام في المواضع التالية :-
١/ ٢٠٥ ، ١/ ٢٢٠ ، ١/ ٢٦٣ .

(٢) الكشاف : ١/ ٢٢٠ ، وذلك عند تفسيره للآية رقم (٢٠) من سورة البقرة وهي قوله تعالى : ﴿ وإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِم قَامُوا ﴾ ، استشهد ببيت أبي تمام :
هُمَا أَظْلَمَا حَالَيَّ ثُمَّتَ أَجْلَيَا ∴ ظَلَامَيْهِمَا عَنْ وَجْهِ أَمْرَدَ أَشْيَبِ
استشهد به على أن " أَظْلَمَ " قد يكون متعدياً منقولاً من ظلم الليل ، ثم ذكر بعد ذلك قوله : " وهو وإن كان محدثاً لا يستشهد بشعره . . . "

(٣) خزانة الأدب للبغدادي - تحقيق عبد السلام هارون - ١/ ٥-٧ .

(٤) الاقتراح : ٣٧ .

(٥) المزهر : ١ / ٥٨ .

وكذلك احتج الأخفش[١] وسيبويه[٢] بشعر بشار بن برد[٣] - وهو أول الشعراء المحدثين - تقربًا إليه لأنه كان قد هجاهما لتركهما الاحتجاج بشعره[٤]، ونقل ثعلب[٥] عن الأصمعي[٦] أنه قال :

" خُتِم الشعر بإبراهيم[٧] بن هرمة وهو آخر الحجج " .

فالشاهد النحوي إذاً يرتبط بزمن معين، وهو زمن الجاهليين، والمخضرمين والإسلاميين ، أما زمن المولَّدين والمحدثين، فقد اختلف فيه، والصحيح عدم الاستشهاد بهم .

---

(١) هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي البلخي البصري، وهو المعروف بالأخفش الأوسط، والأخفش أسن من شيخه سيبوية، فقد ولد قبله، ومات بعده، واختلف في سنة وفاته فقيل أنها سنة (٢١٠هـ أو ٢١١هـ أو ٢١٥هـ أو ٢٢١هـ" / انظر ترجمته :
المعارف : ٥٤٥-٥٤٦، بغية الوعاة : ١/ ٥٩٠، المزهر : ٢ / ٤٦٣ ، طبقات النحويين واللغويين : ٧٢ - ٧٤ .

(٢) هو عمرو بن عثمان بن قَنبر، فارسي الأصل ينتمي بالولاء إلى الحارث بن كعب بن أدد وهو إمام النحاة " ت : ١٦١هـ/ انظر ترجمته :
المعارف : ٥٤٤، نزهة الألباء : ٥٤، مراتب النحويين : ١٠٦ .

(٣) هو بشار بن برد بن بهمن ولد ونشأ بالبصرة " ٩٦هـ-١٦٨هـ"/ انظر ترجمته :
الأغاني : ٣ / ١٣٥-٢٥٠، مقدمة شرح ديوانه للطاهر بن عاشور : ١/ ٨-٤٩ .

(٤) الموشح : ٢٢٤، الاقتراح : ٣٨ .

(٥) هو أبو العباس أحمد بن يحيى بن سيّار المشهور بثعلب إمام الكوفيين في النحو واللغة " ٢٠٠هـ - ٢٩١هـ " / انظر ترجمته :
نزهة الألباء : ١٧٣ - ١٧٤، إنباه الرواة : ١ / ١٣٨، مراتب النحويين : ١٥١ ، بغية الوعاة : ١ / ٣٩٦، المزهر : ٢ / ٤٦٤ .

(٦) هو عبد الملك بن قريب بن باهلة من ولد أصمع وهو من أشهر الرواة العرب ولد سنة ٢٢٣ هـ وعُمِّر نيفاً وتسعين سنة/ انظر ترجمته ؛
المعارف : ٥٤٣-٥٤٤ .

(٧) هو أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن هرمة القرشي " ت : ١٧٦هـ" انظر ترجمته :
طبقات ابن المعتز : ٢٠، الشعر والشعراء : ٧٥٧، الأغاني : ٤/ ٣٦٧ ،
وستأتي ترجمته فيما بعد .

(٨) العمدة : ٩٠، الاقتراح : ٣٨ .

أما الشاهد البياني ، فلا يرتبط بزمن معين بل يصح الاستشهاد بكلام المولّدين، وغيرهم من المتأخرين إلى زماننا هذا .

قال ابن جني :

" يُستشهد بشعر العرب المولّدين في المعاني كما يستشهد بشعر العرب في الألفاظ "(١).

وأيد ابن رشيق ابن جني فيما ذكره ، وعلل صحة الاستشهاد بكلام المحدثين في علوم البلاغة ، بأن علوم البلاغة تعتمد على المعاني والمولدون قد حضروا الحواضر، وتغننوا في المشارب والمطاعم ، فاتسع الخيال ، وتولدت المعاني .

قال ابن رشيق :

" قال أبو الفتح عثمان بن جني : المولدون يستشهد بهم في المعاني كما يستشهد بالقدماء في الألفاظ، والذي ذكره أبو الفتح صحيح بَيِّن ؛ لأن المعاني إنما اتسعت لاتساع الناس في الدنيا ، وانتشار العرب بالإسلام في أقطار الأرض ، فمصّروا الأمصار ، وحضّروا الحواضر، وتأنقوا في المطاعم والملابس ، وعرفوا بالعيان عاقبة ما دلتهم عليه بَداهة العقول من فضل التشبيه وغيره . . . ومن هنا حكي عن ابن الرومي أن لائماً لامه فقال :

لم لا تشبه تشبيه ابن المعتز وأنت أشعر منه ؟ قال : أنشدني شيئاً من قوله الذي استعجزتني في مثله ، فأنشده في صفة الهلال :(٢)

فَانْظُرْ إِلَيْهِ كَزَوْرَقٍ مِنْ فِضَّـةٍ ∴ قَدْ أَثْقَلَتْهُ حُمولَةٌ مِنْ عَـنْبَرِ(٣)

---

(١) العمدة : ٢ / ٢٣٦ ، المزهر: ١/ ٥٩ .

ولقد استشهد ابن جني بشعر المولدين في كتابيه الخصائص والمنصف :

انظر: الخصائص : ١/ ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٠ ، ٤٠ ، المنصف : ٢/ ١٩٨ .

(٢) رواية الديوان: " وانظر " .

(٣) ديوان ابن المعتز : ٢٤٧ .

فقال : زدني ، فأنشده :

كأنَّ آذَرْيُونَتَهَا (١) ∴ والشَّمْسُ فِيهِ كَالِيَةْ

مَدَاهِنٌ مِنْ ذَهَبٍ ∴ فِيهَا بَقَايَا غَالِيَةْ (٢)

فصاح واغوثاه ، يالله ، لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ذلك إنما يصف ماعون بيته ، لأنه ابن الخلفاء ، وأنا أي شيء أصف ؟ .. (٣)

و كذلك ذكر الحموي في خزانته أن الاستشهاد بأشعار المحدثين في البديع لا نقص فيه ثم استشهد على ذلك برأي ابن جني وابن رشيق السابقين. قال :

" وهنا بحث لطيف، وهو أن الاستشهاد بكلام المولدين، وغيرهم من المتأخرين ليس فيه نقص ، لأن البديع أحد علوم الأدب الستة ؛ وذلك أنك إذا نظرت في الكلام العربي إما أن تبحث عن المعنى الذي وضع له اللفظ، وهو علم اللغة ، وإما أن تبحث عن ذات اللفظ بحسب مايعتريه ، وهو علم التصريف ، وإما أن تبحث عن المعنى الذي يفهم من الكلام المركب بحسب اختلاف أواخر الكلم ، وهو علم العربية ، وإما أن تبحث عن مطابقة الكلام لمقتضى الحال بحسب الوضع اللغوي وهو علم المعاني ، وإما أن تبحث عن طرق دلالة الكلام إيضاحاً، وخفاء بحسب الدلالة العقلية ، وهو علم البيان ، وإما أن تبحث عن وجوه تحسين الكلام ، وهو علم البديع ، فالعلوم الثلاثة الأول يستشهد عليها بكلام العرب نظماً ونثراً ؛ لأن المعتبر فيها ضبط ألفاظهم ، والعلوم الثلاثة الأخيرة يستشهد عليها بكلام العرب وغيرهم ؛ لأنها راجعة إلى المعاني ، ولا فرق في ذلك بين العرب ، وغيرهم إذا كان الرجوع إلى العقل ... " (٤) ثم ذكر رأى ابن جني ، وابن رشيق المشار إليهما سابقاً .

---

(١) آذَرْيُونَتَهَا : الآذَرْيَون : زهر أصفر في وسطه خمل أسود تعريب آذَرْكَون واصل معناه شبه النار ، وآذريون لغة فيه بالفارسية . /معجم الألفاظ الفارسية- - آدي شير : ٨ .

(٢) لم أجده في ديوانه . (٣) العمدة - دار بيروت- : ٢ / ٢٣٦-٢٣٧ .

(٤) خزانة الأدب للحموي : ٥ .

د ـ بعض الدراسات التي قامت حول الشواهد قديمها وحديثها .

إن دراسة الشاهد أمر ضروري في ترسيخ الأصول والقواعد، وهذه الدراسة تجعل الدارس يقف على كل جوانب القضية وملابساتها مما يساعد على فهمها وثباتها في الأذهان .

وقد تفطّن العلماء قديماً إلى أهمية دراسة الشواهد - وبخاصة علماء النحو الذين عكفوا على أهم الكتب النحوية يشرحونها تارة، ويدرسون شواهدها تارة أخرى، ومن أهم الكتب التي عكفوا عليها كتاب سيبويه الذي بلغت شروح أبياته ما يقرب من أربعة عشر شرحاً، فممن قام بشرح أبياته :-

١- أبو العباس المبرد (ت : ٢٨٥هـ) .

٢- أبو إسحاق الزجاج (ت : ٣١٠ هـ أو ٣١٦ هـ) .

٣- أبو جعفر النحاس (ت : ٣٣٨ هـ) .

٤- محمد بن علي الملقب بمبرمان النحوي البصري (ت : ٣٤٥هـ)

٥- أبو سعيد السيرافي (ت : ٣٦٨هـ)

٦- هارون بن موسى القرطبي (ت : ٤٠١ هـ) .

٧- أبو عبد الله محمد بن عبد الله الإسكافي (ت : ٤٢١هـ)

٨- الأعلم الشنتمري (ت : ٤٧٦هـ)

٩- جار الله أبو القاسم محمود الزمخشري (ت : ٥٣٨هـ)

١٠- ابن هشام محمد بن أحمد اللخمي (ت : ٥٧٠هـ)

١١- أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت : ٦١٦هـ)

١٢- محمد بن علي الشلوبين الصغير (ت : ٦٦٠هـ)

١٣- عفيف الدين ربيع بن محمد بن منصور الكوفي (ت : ٦٨٢هـ)

١٤- أبو بكر محمد بن علي المراغي . (١)

وقد اطلعت على اثنين منها وهما :

---

(١) كشف الظنون : ٢ / ١٤٢٧، ١٤٢٨، وانظر كذلك : مقدمة محقق كتاب " شرح أبيات سيبويه " لابن السيرافي ÷ تحقيق محمد علي سلطاني .

١- شرح أبيات سيبوية لأبي جعفر النحاس (ت : ٣٣٨هـ) شرح فيه ثلاثة وأربعين وسبعمائة شاهد منها سبعون غير موجودة في كتاب سيبويه .

٢- شرح أبيات سيبويه لأبي سعيد السيرافي ، ويبلغ عدد شواهده سبعة وعشرين وستمائة شاهد . وقد توصل إلى معرفة الشاعر في تسعة وعشرين ومائة موضع ، وصحح النسبة عند سيبويه في واحد وثلاثين موضعاً .

ودراسة الشواهد في هذين الكتابين فيها بعض أوجه القصور منها عدم الاهتمام بالناحية العروضية ، عدم الترجمة للشاعر ، عدم الاهتمام بالأبيات السابقة، واللاحقة، والتي تساعد على تصور معنى البيت ، شرح الأبيات شرحًا موجزاً مختصراً .

وهناك كثير من الكتب التي اهتمت بشرح الشواهد النحوية في غير كتاب سيبويه منها :-

١- شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح لابن مالك ، (٦٠٠هـ - ٦٧٢هـ) .

٢- شرح الشواهد للعيني (٧٩٢هـ - ٨٥٥هـ) .

٣- شرح شواهد المغني لجلال الدين السيوطي (٨٤٩هـ - ٩١١هـ) . ويبلغ عدد شواهد الكتاب تسعة وسبعين وثمانمائة شاهد .

٤- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر بن عمر البغدادي (١٠٣٠هـ - ١٠٩٣هـ) .

ولقد سار في كتابه الخزانة على منهج جعله أعلى وأضخم موسوعة عربية في علوم اللغة العربية، وآدابها إلى كونه كتاب تراجم يضم ترجمة الكثير من الشخصيات ، كما جمع كثيراً من النصوص النادرة ، وحفظ فيه كثيراً من أسماء المؤلفات الضائعة .

٥- شرح شواهد الشافية لابن الحاجب لعبد القادر بن عمر البغدادي.
وعدد شواهده تسعة وأربعون ومائتي شاهد .
وإن ذكر هو أنها مائة وستة وتسعون بيتاً ، وهو كتاب مختصر في شرح الشواهد ، نهج فيه نهجاً مماثلاً للخزانة مع انتفاعه بالإحالة إلى ماسبق تفصيل له في الخزانة .

٦- شرح شواهد ابن عقيل ، للشيخ عبد المنعم عوض الجرجاوي (ت: ١١٩٥هـ)
اهتم الشيخ الجرجاوي أكثر ما اهتم بإعراب الشاهد ، ونسبته إلى قائله ما أمكن .

٧- فتح الجليل بشرح شواهد ابن عقيل .
للعلامة محمد قطة العدوي (ت : ١٢٨١هـ) .
وهو موجود على هامش شرح الشيخ عبد المنعم الجرجاوي على شواهد ابن عقيل .

هذا عرض سريع للكتب التى أُلِّفَت في شرح الأبيات النحوية، والذي ساقني لهذا العرض مالاحظته من اهتمام علماء النحو بهذا الجانب من الدراسة ، على عكس علماء البلاغة ، فلم تحظ الشواهد البلاغية عندهم بذلك الاهتمام ، حيث لم يتعرض لدراستها إلا القليل منهم - على حسب علمي - ، ولا أعلم السر في اهتمامهم بشرح أبيات الإيضاح ، والتلخيص ، والمطول ، وانصرافهم عن الكتاب الأم " الدلائل " والذي هو المصدر الأساسي لجميع من كتب بعده ، وأن معظم الشواهد التي جاءت في الكتب اللاحقة مستقاة منه ، وهو كتاب لا يقل أهمية في البلاغة عن كتاب سيبويه في النحو . ؟ !

وفيما يلي عرض لبعض الدراسات التي اهتمت بالشواهد البلاغية مع دراسة موجزة لمنهج كل دراسة .

١- شرح أبيات الإيضاح :

لفخر الدين الخوارزمي[(١)] .

وهو مخطوط في المكتبة الأزهرية تحت رقم "٤٣" بلاغة وهناك نسخة أخرى في دار الكتب المصرية تحت رقم ١٢م كما توجد نسخة ثالثة في تركيا في مكتبة فيض الله " ملت " باستانبول تحت رقم ١٨١٦ .

ويبلغ عدد شواهد المخطوط خمسةً وعشرين وستمائة شاهد .

أما عن منهجه في تناول الشواهد فهو كالآتي :

١- كان يكتفي بنسبة البيت من غير تعريف بقائله .

كما أنه لم يهتم بنسبة جميع الشواهد إلى قائليها .

٢- شرح المفردات معتمداً في أغلب الأحيان على أساس البلاغة ، والصحاح .

٣- شرح الأبيات شرحاً مجملاً ، وكثيراً مايكتفي بشرح المرزوقي للشاهد -إن كان قد ورد في الحماسة - وأحيانا يستغني بشرح المفردات عن شرح البيت .

٤- يلجأ أحيانا إلى الإحالة على الإيضاح إن كان هناك تفصيل للبيت .

٥- كثيراً مايأتي بأبيات المفتاح التي تناسب الموضوع .

٦- نادراً مايورد الأبيات التي قبل الشاهد وبعده .

٧- لم يهتم بالمعارف العروضية .

٨- لم يورد خلاف العلماء في الشاهد إن كان هناك خلاف دائر بينهم .

٩- لا يذكر موضع الشاهد البلاغي .

٢- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص .

للشيخ : عبد الرحيم بن أحمد العباسي (٨٦٧هـ - ٩٦٣هـ)[(٢)]

---

(١) لم أقف على ترجمته .

(٢) هو عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد أبو الفتح العباسي عالم بالأدب من المشتغلين بالحديث ، ولد بمصر ورحل إلى القسطنطينية مرتين وتوفي بها من كتبه : " نظم الوشاح على شواهد تلخيص المفتاح " / انظر ترجمته : =====

حققه وعلق حواشيه وصنع فهارسه : محمد محيي الدين عبد الحميد ، وهو يقع في أربعة أجزاء ، والكتاب يحوي أربعة وعشرين ومائتي شاهد .

أما منهجه في معالجة الشاهد فهو :

١- إيراد الشاهد ونسبته إلى قائلة مع الترجمة للشاعر ترجمة موجزة.

٢- الاهتمام بالوزن العروضي .

٣- ذكر موضع الشاهد البلاغي .

٤- إيراد مطلع القصيدة في الكثير الغالب ، وأحيانا يلجأ إلى ذكرها بكاملها ، وأحيانا يذكر المشهور من أبياتها .

٥- وضع بيت الشاهد ضمن إطار من الأبيات السابقة،واللاحقة التي تزيد المعنى وضوحاً .

٦- ذكر ما يناسب كل شاهد من النظائر الأدبية كلما أمكن ذلك .

وقد وضح هو منهجه فقال :

" ... وسلكت فيه منهج الاختصار، ومدرج الاقتصار وتصيت (١) على أبحر تلك الشواهد العروضية ، ووضعت في كل شاهد منها ما يناسبه من نظائره الأدبية ، وذكرت ترجمة قائله إلا مالم اطلع عليه بعد التفتيش في كتب الأدب والتحرّي والاستقصاء في الطلب ، ومَزجت فيه الجدَّ بالهزل ، والحَزْن بالسهل ، وسميته بـ" معاهد التنصيص على شواهد التلخيص" (٢).

ثم يذكر أن فيه كثيراً من الفضول الذي قد يمل إلّا أنه اعتذر لنفسه بأن هذا الفضول فيه فوائد فريدة . فقال :

"... وهو وإن كان من جنس الفضول الذي ربما يستمل ،أو هو بقول الحسود داخل في قسم المهمل فهو أمنية كان الخاطر يتمناها ، وحاجة

==== الشقائق النعمانية : ٢٤٦-٢٤٧ ،معاهد التنصيص : ٤/ ٢٧٤ ، وفيه نسبه كما كتبه هو، كشف الظنون : ١/ ٤٧٧ ، هدية العارفين : ١/ ٥٦٣ ، الأعلام : ٣ / ٣٤٥ .

(١) أصله : " نصصت ". (٢) معاهد التنصيص : ١ / ٢-٣ .

في نفس يعقوب قضاها ، على أنه لا يخلو من فائدة فريدة ، ونكتة عن مواطنها شريدة ، ودُرَّة مستخرجة من قاع البحور، وشذرة تزين بها قلائد النحور (١).

٣- شواهد المطول المسمى :

" عقود الدُّرر في حل أبيات المطول والمختصر "

لحسين بن شهاب الدين العاملي " ١٠١٢هـ - ١٠٧٦هـ (٢)

وهو مخطوط بالمكتبة الأزهرية تحت رقم (٥٤٦) ١١١٥٤ ، ويقع في ثلاثة وثمانين لوحة ، تشتمل كل صفحة على ثلاثة وعشرين سطراً ماعدا الصفحة الأولى فتشمل خمسة عشر سطراً .

وفي جامعة أم القرى جزء من مخطوط مجهول المؤلف تحت عنوان :

" شرح شواهد كتاب في البلاغة "

مخطوط (ق ١- ١٢) رقم ١٣٠٥ .

وهي اثنتا عشرة لوحة تحوي كل لوحة اثنين وثلاثين سطراً ، ويبدو أنها جزء من المخطوط الأم لشواهد المطول لحسين بن شهاب الدين العاملي ، وذلك بمقارنتها بمخطوط المكتبة الأزهرية .

---

(١) معاهد التنصيص : ١ / ٣ .

(٢) هو حسين بن شهاب الدين بن حسين بن جاندار البقاعي الكركي العاملي ، وعرّفه الحُر العاملي في كتابه " أمل الآمل " بالحكيم العاملي وقال في نسبه هو :
" حسين بن شهاب الدين بن حسين بن محمد بن حسين بن حيدر العاملي الكركي الحكيم " كان شاعراً أديباً من الشعراء العلماء ، وكان متكلماً حكيماً ، وكان شعره جيداً سكن أصفهان ، وانتقل إلى حيدر آباد ، وأقام فيها إلى أن توفي (١٠٧٦هـ) . من كتبه :
" شرح نهج البلاغة " ، " هداية الأبرار في أصول الدين " / انظر ترجمته : أمل الآمل : ١ / ٧٠-٧٤ ، هدية العارفين : ١ / ٣٢٣ ، الأعلام : ٢ / ٢٣٥ .

ويبلغ عدد الشواهد فيه بعد إسقاط المكررات أحد عشر وستمائة شاهد، منها في المطول ثمانية وتسعون وخمسمائة شاهد، والباقي مع بعض مافيه في غيره .

وقد أشار المؤلف إلى ذلك فقال :

" . . . واعلم أن المذكور في الشرحين والحاشية الشريفة صريحاً، وإشارة من الأبيات التامة، والمصاريع المفردة يبلغ بعد إسقاط المكررات ستمائة وأحد عشر، منها في المطول خمس مائة وثمانية وتسعون ، والباقي مع بعض مافيه في غيره ، والله أعلم "(١) .

أما عن منهج المخطوط في تناول الشاهد، فيمكن تلخيصه في النقاط التالية :-

١- الاهتمام بنسبة الشواهد إلى قائليها مع إيراد الاختلافات في ذلك إن وردت .

٢- ذكر بعض الأبيات السابقة واللاحقة لبيت الشاهد إن توقف فهم المعنى عليها .

٣- ذكر عروض الشاهد .

٤- إعراب الشاهد .

٥- شرح المفردات .

٦- شرح الشاهد شرحاً أدبياً .

٧- بيان موضع الشاهد .

٨- استخلاص مايرد في الشاهد من وجوه بلاغية أخرى .

ولقد أشار المؤلف إلى منهجه هذا في مقدمة المخطوط فقال :

" اعلم أنّي التزمت في كثير من الأبيات أن أذكر الشاهد أولاً، وبعده اسم ناظمه وعروضه ، وماقبله ومابعده ، إن توقف فهمه عليه ، ثم أذكر اللغة والإعراب والمعنى ومحل الشاهد ، ثم أُشير إلى بعض مافيه من البلاغة ،

---

(١) عقود الدرر في حل أبيات المطول والمختصر، لوحة ٨٢ب-٨٣أ .

ليكون تخريجا للمبتدي ، وتذكرة للمنتهي ، ولم ألتزم ذلك في كُلِّ الأبيات خوفاً من الإكثار والتكلف حتى لا أكون كحاطب ليل وطالب رَجْل وخَيْل ، وربما خالفت الشرّاح في بعض الأماكن مصرحاً بالخلاف تارة ، ومقتصراً على مااخترته أخرى ، إذ ليس شأني شين أحد ، بل بيان الصّواب ، فتأمل الكلامين ؛ ليظهر لك الحق بلا مين ، وعلى الله سبحانه الاعتماد ، ومنه طلب السداد "(١).

وهذا مخطوط قيم في الشواهد يخدم علم البلاغة خدمة جليلة ؛ لذا أنوي - بإذن الله تعالى - تحقيقه مستقبلاً هو ومخطوط شرح أبيات الإيضاح - السابق الذكر - ليستفيد منهما طلاب العلم - أسأل الله العون والثبات ..

٤- القول الجيد في :

" شرح أبيات التلخيص وشرحيه وحاشية السيد "

لمحمد ذهني " ١٢٦٢ هـ - ١٣٢٩هـ "(٢).

وهو مطبوع بإستانبول سنة ١٣٠٤هـ ، ومكتوب باللغة التركية ذات حروف عربية.

عدد شواهده التي أوردها ستة وعشرون وستمائة شاهد ،

ويتلخص منهجه في النقاط التالية :-

١- نسبة الشاهد لقائله مع الإشارة إلى مناسبة القصيدة .

٢- الاهتمام بالناحية العروضية .

٣- الإتيان بمطلع القصيدة .

٤- إيراد أبيات قبل وبعد الشاهد .

٥- الاهتمام بإعراب البيت وشرح مفرداته ، وهو كتاب يميل إلى الاختصار والإيجاز.

---

(١) عقود الدرر : لوحة : ٢م .

(٢) هو محمد ذهني بن محمد رشيد الرومي الإستامبولي فقيه حنفي ، أديب بالعربية ، رومي " تركي " من أهل إستانبول كان من أعضاء مجلس المعارف العثماني ومن المدرسين بالمكتب السلطاني ، له كتب منها :
" الألغاز الفقيه - ط" و"الحقائق - ط" في الحديث. / انظر ترجمته : هدية العارفين : ٦ / ٤٠٠ ، الأعلام : ٥ / ١٢٣ .

وهناك كتاب في شرح شواهد التلخيص أشار إليه البغدادي في هدية العارفين - لم يقع تحت يدي - واسمه :

" شرح أبيات تلخيص المفتاح " للسيوطي (١) .

٥- معجم شواهد العربية :

للأستاذ : عبدالسلام هارون .

وهو معجم لا يختص بشواهد البلاغة فقط، بل يهتم بشواهد العربية عامة من نحو وصرف وبلاغة ، وقد آثرت ذكره لتطرقه لشواهد البلاغة .

وهو كتاب يقع في مجلد واحد ، رتب صاحبه الشواهد على الحروف الأبجدية ويقتصر عمله على :

١- نسبة الشاهد ما أمكن .

٢- الاهتمام بالناحية العروضية .

توثيق الشاهد من كتب العربية .

---

(١) هدية العارفين : ٥ / ٥٤٠ .

البَـاب الأَوَلْ

شَـواهِد دلائِل الإعجَـاز الشَـعريه

الفصل الأول

أ- أبيات المدخل .

ب- شواهد تحقيق القول في البلاغة والفصاحة

* أبيـــــات المدخـــل *

لقد آثـرت أن أطلق على هذا الفصل عنـوان :-

*** أبيـات المدخـل ***

لأن الشيخ لم يسمه تمهيداً ولا مقدمة . وأطلقت لفظ " أبيـات " بـدلاً من " شواهد " على الأشعار الواردة فيه ، إذ الشاهد يرتبـط في الأذهان بالقاعدة ، والشيخ أتى بهذه الأبيات ليس لتوضيح قاعـدة بلاغية ، وإنما ساقها في معرض دفاعه عن الشعر والنحو ، إذ هما لبنتان أساسيتان في توضيح فكرة النظم التى بنى عليها الكتاب ويبلغ عـدد أبيات هذا الفصل : -

أربعـة عشـر بيتـاً .

* الكـــلام في الشـــعر *

البيت الأول : * (الكامل)

اليَوْمَ عِنْدَكَ دَلُّها وَحَدِيثُها ∴ وَغداً لِغَيْرِكَ كَفُّها وَالمِعْصَمُ (١)

لم يذكر الشيخ قائله ، وإنما ذكر أن الحسن البصري (٢) كان يتمثل به ، وكان من أوجع الأبيات عنده .

والشاهد من أبيات في مذمة النساء ، وقبله :

إِنَّ النِّسَاءَ وَإِنْ ذُكِرْنَ بِعِفَّةٍ ∴ فِيمَا يُظَاهَرُ في الأُمُورِ وَيُكْتَمُ

لَحْمٌ أَطَافَ بِهِ سِبَاعٌ جُوَّعٌ ∴ مَالاَ يُذَادُ فَإِنَّهُ يُتَقَسَّمُ

لاَ تَأْمَنَنْ أُنْثَى حَيَاتَكَ (٤) وَاعْلَمَنْ ∴ إِنَّ النِّسَاءَ وَمَالَهُنَّ مُقَسَّمُ

وبعدها البيت وبعده :-

كَالخَانِ تَسْكُنُهُ وَتُصْبِحُ (٥) غَادِياً ∴ وَيَحُلُّ بَعْدَكَ فِيهِ مَنْ لاَ تَعْلَمُ

(*) الدلائل ، رضا : ١٠ ، خفاجي : ٦٥ ، شاكر : ١٣ .

(١) انظر البيت في :
أمالي المرتضى : ١ / ١٦٠ ، بهجة المجالس وأنس المجالس : ٣ / ٥٢ ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٣ / ١٤٩ .

(٢) لم أعثر على قائله فيما اطلعت عليه من مصادر .

(٣) هو الحسن بن يسار البصري ، أبو سعيد تابعي ، كان إمام أهل البصرة ، وحبر الأمة في زمنه ، وهو أحد العلماء الفقهاء النسّاك ، ولد بالمدينة (٢١هـ) ، وشبّ في كنف علي بن أبي طالب ، واستكتبه الربيع بن زياد والي خراسان في عهد معاوية ، وسكن البصرة ، وعظمت هيبته في قلوب العامة والخاصة ، توفي (١١٠هـ) . / انظر ترجمته :
تهذيب التهذيب : ٢ / ٢٥٧-٢٧٦ ، وفيات الأعيان : ٢ / ٦٩ ، ميزان الاعتدال : ١ / ٥٢٧ ، حلية الأولياء : ٢ / ١٣١-١٦١ ، أمالي المرتضي : ١ / ١٥٢-١٥٧ .

(٤) رواية بهجة المجالس : " حبتك بودها " .

(٥) رواية شرح ديوان الحماسة للتبريزي : " وترحل " .

ذكر البيت الأول والثالث والرابع والخامس في شرح ديوان الحماسة للتبريزي ====

ذكر الشيخ البيت في الرد على من زعم أن قول الشعر مرفوض برمته ، وأن رواية الشعر أيّاً كان فعل مذموم ، وعمل مردود ينتقص من قدر قائله ، ويحط من مكانة راويه ، فرد هذا الزعم محتجاً بأن الراوي هو مجرد حاكٍ ، وليس على الحاكي وزر إن لم يقصد بروايته نصرة الباطل ، واحتج لذلك بأن الله سبحانه وتعالى قد حكى كلام الكفار في كتابه الكريم .

وها هو ذا الحسن البصري - وهو رجل مشهود له بالتقوى والوقار والزهد - قد تمثل بهذا البيت من الشعر ، فاستعان بالباطل في الحق ، فقد نقله من غرضه الذي جاء به الشاعر إلى غرض آخر هو أحق به وأكرم له عند العبّاد الصالحين ، فالبيت في الأصل من الأبيات الحكيمة التي جاءت في مذمة بعض النساء اللواتي لا يؤمن جانبهن ، الا أن الحسن البصري جاء به للوعظ والإرشاد ، فبه ذكّر الإنسان بقضية الموت ومفارقة الأحبة ، وأنه لا وفيّ لابن آدم غير عمله الصالح .

وتذكير الإنسان بمفارقة زوجه ومايجده من متعة في دلها وحديثها ، وأنها قد تكون بعد وفاته لغيره من أشد الأمور إيلاما للنفس ، والغرض من إثارة هذا الألم حث النفس على ترك ملاهي الدنيا ، وعدم الاغترار بمفاتنها الزائلة ، والعمل الصادق للآخرة .

فلو أن في رواية الشعر حرجاً لكان الحسن البصري أبعد الناس عنه . قال الشيخ :

" هذا وراوي الشعر حَاكٍ ، وليس على الحاكي عَيبٌ ، ولا عليه تَبِعة ، إذا هو لم يَقْصِد بحكايته أن ينْصُرَ باطلاً ، أو يسوءَ مُسْلِماً ، وقد حكى الله تعالى كلامَ الكفار . فانظر إلى الغَرَض الذي له رُوِيَ الشعر ، ومن أجله أريد ، وله دُوِّنَ ، تعلم أنك قد زُغْتَ عن المنهج ، وأنك مُسِيءٌ في هذه العداوة ، وهي العصبية منك على الشعر . وقد استشهد العلماءُ لغريب القرآن وإعرابه بالأبيات فيها الفُحش ، وفيها ذِكرُ الفعل القبيح ، ثم لم يَعِبْهُم ذلك ، إذ كانوا لم يَقصِدوا إلى ذلك الفحش ولم يُريدوه ، ولم يَرْوُوا الشعر من أجله "[1]

=== ٣ / ١٤٩ ، وذكر البيت الثالث والرابع في بهجة المجالس : ٣ / ٥٢ ، وذكر البيت الرابع في أمالي المرتضي : ١ / ١٦٠ .

(١) الدلائل ، رضا : ١٠ ، خفاجي : ٦٥ ، شاكر : ١٢ .

البيت الثاني :(*) (الطويل)

قول عُمارة بن الوليد(١) :

أَسَرَّكِ لَمَّا صَرَّعَ القَوْمَ نَشْوَةٌ(٢) .·. خُروجِي(٣) مِنْهَا سَالِماً غَيْرَ غَارِمِ

بَرِيئاً(٤) كَأَنِّي قَبْلُ(٥) لَمْ أَكُ مِنْهُمُ .·. وَلَيْسَ الخِدَاعُ مُرْتَضًى(٦) فِي التَّنَادُمِ(٧)

وقبل البيتين :

وَلَسْنَا(٨) بِشَرْبٍ أُمَّ عَمْرٍو(٩) إِذَا انْتَشَوْا .·. ثِيَابُ النَّدَامَى عِنْدَهُمْ(١٠) كَالْغَنَائِمِ

وَلَكِنَّنَا يَا أُمَّ عَمْرٍو نَدِيمُنَا .·. بِمَنْزِلَةِ الرَّيَّانِ لَيْسَ بِعَائِمِ(١١)(١٢)

(*) الدلائل ، رضا : ١١ ، خفاجي : ٦٦-٦٧ ، شاكر : ١٣-١٤ .

(١) هو عمارة بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم بن يقظة بن مُرَّة ابن كعب بن لؤي بن غالب ، وهو أحد أزواد الركب وهم : مسافر بن أبي عمرو ، وزمعة بن الأسود ، وأبو أمية بن المغيرة ، وعمارة بن الوليد . يقال له الوحيد ، وكان أزواد الركب لا يُمَرُّ عليهم أحد إلا قروه ، وأحسنوا ضيافته ، وزودوه ما يحتاج إليه . / انظر ترجمته : الأغاني : ١٨ / ١٢٣-١٢٦ ، الدلائل ، رضا : ١١ ، خفاجي : ٦٦ ، شاكر : ١٤ .

(٢) رواية معجم الشعراء : " وانتشوا " .

(٣) رواية الأغاني ، " أن أخرج منها " .

(٤) رواية الأغاني ومعجم الشعراء : " خليّاً " .

(٥) رواية معجم الشعراء : " من تصافي " .

(٦) ذكر محقق الأغاني أنه جاء في إحدى مخطوطاته : " مرتضى في الترانم "

(٧) رواية الأغاني : " كأني لم أكن كنت فيهم " .

(٨) رواية معجم الشعراء : " ولست " .

(٩) ذكر محقق الأغاني أنه ذكر في إحدى مخطوطاته : " أم عوف " .

(١٠) رواية معجم الشعراء : " بينهم " .

(١١) رواية معجم الشعراء " بِعَارِمِ " ، وعائم من العَيْمة وهي شهوة اللبن ، عام الرجل إلى اللبن يَعامُ ويَعِيمُ عَيْماً وعَيْمة : اشتهاه ، والعيمة شدة الشهوة للبن حتى لا يصبر عنه ، فإذا اشتهى الرجل اللبن قيل قد اشتهى فلان اللبن فإذا أفرطت شهوته جداً قيل عام إلى اللبن .

(١٢) انظر الأبيات في : الأغاني : ١٨ / ١٢٣ ، معجم الشعراء للمرزباني : ٢٤٦ .

والشاهد فيه كسابقه ، فالمتمثل هنا بالشعر هو عمر بن الخطاب ، وهو ثاني الخلفاء الراشدين ، وقد عُرف بتقواه ، وورعه ، وخوفه من الله ، ولم يمنعه هذا من التمثل بقول عمارة بن الوليد ، وهو رجل صاحب خمر مغرم بها ، وأبياته هذه مبنية على ذكر الخمر وتعاطيها ، والانتشاء بها .

فهو هنا يخاطب زوجه التي عاتبته في شرب الخمر (١) قائلاً لها :

هل يسرك ويرضيك إذا تنادم القوم وانتشوا أن لا أشاركهم في هذا الانتشاء ، وقد كنت من قبل واحدا منهم ، فإني إن فعلت ذلك ، فأنا مخادع ، وخداع الأحبة والأصحاب أمر مذموم غير مرتضى .

فعمر بن الخطاب تمثل بهذه الأبيات تنبيهاً لزيد بن حارثة - الذي أراد أن يأخذ أجود الحلل لابن زوجه ، محمد بن حاطب ، دون صحبه - إلى أن خداع الأحبة والأصحاب أمر قبيح ، فشبه حالة زيد هذه بحالة الشاعر مع صحبه .

جاء في الدلائل : " أُتِيَ عمر رضوان الله عليه بحلل من اليمن ، فأتاه محمد بن جعفر بن أبي طالب ، ومحمد بن أبي بكر الصديق ، ومحمد بن طلحة بن عبيد الله ، ومحمد بن حاطب ، فدخل عليه زيد بن ثابت رضي الله عنه ، فقال : ياأمير المؤمنين ، هؤلاء المحمدون بالباب يطلبون الكسوة ، فقال : إئذن لهم ياغلام ، فدعا بحلل ، فأخذ زيد أجودها حلة ، وقال هذه لمحمد بن حاطب ، وكانت أمه عنده ، وهو من بني لؤى ، فقال عمر رضي الله عنه : أيهات أيهات ! وتمثل بشعر عمارة بن الوليد ... (٢) "

---

(١) انظر القصة :
الدلائل ، رضا : ١١ ، خفاجي : ٦٦ ، شاكر : ١٤ .

(٢) المصدر السابق ، رضا : ١٠ ، خفاجي ٦٥ ، شاكر : ١٣ .

البيـــت الثالث :-(*) (الكامل)

قول أبي تمــــام(١) :

(٢)والله قدْ ضَرَبَ الأقلَّ لِنـُــــورِهِ ∴ مَثَلاً مِنَ المِشْكَاةِ والنّـــبْرَاسِ(٣)

والشاهد من قصيدة يمدح بها أحمد بن المعتصم(٤)، ومطلعها :

(٥)مَافِي وُقوفِكَ سَاعَةً مِنْ بَـــاسِ ∴ نَقْضِي ذِمامَ الأَرْبُعِ الأَدْرَاسِ

(*) الدلائل ، رضا : ١١ ، خفاجي : ٦٧ ، شاكر : ١٤ .

(١) هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، ولد في قرية جاسم وهي من قرى دمشق ، ونشأ بمصر، وكان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة للعرب غير المقاطيع والقصائد ولد سنة (١٨٨هـ) ، وتوفي سنة (٢٣١هـ) وقيل ٢٣٢هـ وقيل ٢٢٨هـ ، وقيل ٢٢٩هـ . / انظر ترجمته :
طبقات ابن المعتز : ٢٨٢-٢٨٦ ، نزهة الألباء : ١٢٣-١٢٤ ، وفيات الأعيان ٢/ ١١-٢٦ ، تاريخ بغداد : ٨/ ٢٤٨-٢٥٤ ، تهذيب ابن عساكر : ٤/ ٢١-٣٠ ، الأعلام : ٢/ ١٦٥ .

(٢) رواية تحرير التحبير ووفيات الأعيان، والمنصف في نقد الشعر : " فاللـــه "

(٣) انظر البيت في :
ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي : ٢ / ٢٥٠ .
ديوان أبي تمام - دار صعب - : ١٥٢ ، البيان والتبيين : ٤/ ٧٩ ، الموشح : ٢٩٣ ، أخبار أبي تمام للصولي : ٢٣١ ، المنصف في نقد الشعر : ١٥٧ ، العمدة : ١/ ١٩٢ ، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب : ١/ ٩٢ ، تحرير التحبير : ٢/ ٥٠٧ ، شرح شافيه ابن الحاجب : ٤ / ٢٩٧ ، وفيـــات الأعيان : ٢/ ١٥ .

(٤) جاء في شرح شافية ابن الحاجب أنه مدح بها أحمد بن المأمون بن هارون الرشيد ، وذكر ابن خلكان قصة لهذا الشاهد ذكر فيها أنه مدح بـــه الخليفة ، وأنكر ابن خلكان ذلك ، وأورد أنه مدح به أحمد بن المعتصـــم ، أو أحمد بن المأمون ، قال :
" إن هذه القصيدة ما هي في أحد من الخلفاء، بل مدح بها أحمد بن المعتصم ، وقيل أحمد بن المأمون ، ولم يلِ واحد منهما الخلافة " الوفيات : ٢ / ١٦ .

(٥) ذكر محقق ديوان أبي تمام بشرح الخطيب أنه روى في إحدى مخطوطات الكتاب : " هل في وقوفي " .

وقبل الشاهد :

أَبْلَيْتَ هَذا المَجْدَ أَبْعَدَ غَايَةٍ ∴ فِيهِ وَأَكْرَمَ شِيمَةٍ وَنِحَاسِ (١)
إِقْدَامَ عَمْرٍو (٢) في سَمَاحَةِ حَاتِمٍ (٣) ∴ في حِلْمِ أَحْنَفَ (٤) في ذَكَاءِ إِيَاسِ (٥)
لا تُنْكِرُوا ضَرْبِي لَهُ مَنْ دُونَهُ ∴ مَثَلاً شَرُوداً فِي النَّدَى وَالبَاسِ

---

(١) النِّحاس : بضم النون وكسرها الطبيعة والأصل . / اللسان " نحس " : ٦ / ٢٢٧ .

(٢) يقصد بعمرو هنا عمرو بن معدي كرب بن ربيعة بن عبد الله الزبيدي ، فارس اليمن ، وفد على المدينة سنة (٩ هـ) في عشرة من بني زبيد ، فأسلم وأسلموا ، ثم عادوا إلى اليمن ، ولما توفيَ النبي صلى الله عليه وسلم ارتد عمرو ثم رجع إلى الإسلام ، وشهد اليرموك والقادسية ، وكان شجاعاً أبياً / انظر ترجمته :
المبهج : ٢٠ ، الشعر والشعراء : ١ / ٣٧٩-٣٨٣ ، الأغاني : ١٥ / ٢٠٨-٢٢٩ ، المؤتلف والمختلف : ١٥٦ ، معجم الشعراء للمرزباني : ٢٠٨ ، سمط اللآلي : ٦٣ ، ٦٤ ، الإصابة : ٣ / ١٨ ، رقم (٥٩٧٢) خزانة البغدادي : ٢ / ٤٤٤ ، ٤٤٦ .

(٣) ويقصد بحاتم هنا حاتماً الطائي ، وهو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي القحطاني أبو عَدِيّ ، فارس ، شاعر ، جواد ، جاهلي يُضرب به المثل في الجود ، كان من أهل نجد ، زار الشام ، وتزوج ماويّة بنت حجر الغسانية ، ومات في عوارض جبل طيء / انظر ترجمته :
الشعر والشعراء : ١ / ٢٤٧ ، تهذيب ابن عساكر : ٣ / ٤٢٤-٤٣٢ ، الخزانة للبغدادي - مكتبة الخانجي - : ٣ / ١٢٧ ، الأعلام : ٢ / ١٥١ ، الجليس الصالح : ١ / ٣٢٠-٣٢١ .

(٤) هو الأحنف بن قيس بن معاوية بن حُصين المرّي السعدي المِنْقري التميمي (٣ ق - ٧٢ هـ) أحد العظماء الدهاة ، يضرب به المثل في الحلم ، ولد في البصرة ، وأدرك النبي - صلى الله عليه وسلم - ولم يره ، كان صديقاً لمصعب بن الزبير / انظر ترجمته :
نهاية الأرب : ٦ / ٥٠ ، الأعلام : ١ / ٢٧٦-٢٧٧ .

(٥) ويقصد بإياس هنا إياس بن معاوية بن قرة المزني أبو واثلة ، قاضي البصرة وأحد أعاجيب الدهر في الفطنة والذكاء ، يضرب المثل بذكائه . قال الجاحظ " إياس من مفاخر مضر ومن مقدمي القضاة ، كان صادق الحدس نقاباً عجيب الفراسة ، ملهماً ، وجيهاً عند الخلفاء ، توفي بواسط (١٢٢ هـ) / .

=====

وبعدهاالبيت وبعده :

إِنْ تَحْوِ خَصْلَ الْمَجْدِ فِي أَنْفِ الصِّبَا .·. يابْنَ الْخَلِيفَةِ يَاأَبَا الْعَبَّاسِ

فَلَرُبَّ نَارٍ مِنْكُمُ قَدْ أُنْتِجَتْ .·. فِي اللَّيْلِ مِنْ قَبَسٍ مِنَ الأَقْبَاسِ

والبيت ذكره الشيخ ؛ ليوضح أن الشعر وإن كان خسيساً ، فقد يتوصل به إلى معنى شريف ، فالله سبحانه وتعالى قد شبه نوره العظيم بما هو أقل منه ، إذ كان المشبه من أبلغ ما يعرفه الناس ضوءاً ، فقال تعالى :

" اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ . . ."(١)

قال الشيخ عبد القاهر :

" فإذن رُبَّ هزلٍ صار أداة في جدٍّ وكلامٍ جرى في باطل ثمَّ استُعين به على حق ، كما أنه رُبَّ شيءٍ خسيس تُوُصِّل به إلى شريف ، بأن ضُرِب مثلاً فيه ، وجعل مثالاً له"(٢).

والبيت أورده المرزباني ، وابن رشيق شاهداً على سرعة البديهة(٣)، فيحكى أن أبا تمام كان ينشد أحمد بن المعتصم قصيدته هذه ، فلما بلغ إلى قوله :

إِقْدَامُ عَمْرٍو فِي سَمَاحَةِ حَاتِمٍ .·. فِي حِلْمِ أَحْنَفَ فِي ذَكَاءِ إِيَاسِ

=== انظر ترجمته في : البيان والتبيين : ١/ ٩٨ ، ١٠١ ، ٢٧٥ - ٢/ ١٩٥-٣١٥ - ٤/ ٩١ ، وفيات الأعيان : ١/ ٢٤٧ ، ٢٥٠ ، ثمار القلوب : ١/ ٩٢ ، ميزان الاعتدال : ١/ ٢٨٣ ، حلية الأولياء : ٣/ ١٢٣ ، ١٢٥ ، الجليس الصالح : ١/ ٥٥٢ ، كتاب الأذكياء : ٦٤-٦٥ ، الأعلام : ٢/ ٣٣ .

(١) النور : ٣٥ .

(٢) الدلائل ، رضا : ١١ ، خفاجي : ٦٧ ، شاكر : ١٤ .

(٣) البديهة : هي أن يفكر الشاعر يسيراً ، ويكتب سريعاً إن حضرت آلة ، إلّا أنه غير بطيء ولا مُتَرَاخٍ ، فإن أطال حتى يفرط أو قام من مجلسه لم يُعَدّ بديهاً / انظر : العمدة : ١/ ١٩٢ .

قال له الكندي - وهو أحد فلاسفة العرب ، وكان حاضراً ، وأراد الطعن عليه - الأمير فوق ما وصفت ، فأطرق أبو تمام قليلاً ، ثم زاد في القصيدة بيتين لم يكونا فيها ، وهي قوله :

لا تُنْكِرُوا ضَـرْبِي لَهُ .... البيت.(١)

وعلق ابن رشيق على بديهة أبي تمام فقال :

" ... فهذا أيضا وماشاكله هو البديهة ، وإن أعجب ماكان البديهة ، من أبي تمام ، لأنه رجل متصنع لا يحب أن يكون هذا في طبعه ، وقد قيل : إن الكندي لما خرج أبو تمام قال :

هذا الفتى قليل العمر ؛ لأنه ينحت من قلبه ، وسيموت قريباً ، فكان كذلك (٢)"

ذكر ابن وكيع أن بيت أبي تمام أفضل من قول المتنبي :

تمثلوا حَاتِماً وَلَوْ عَقَلُـوا ∴ لَكُنْتَ فِي الجُودِ غَايَـةَ المَثَـلِ

وذلك لأن المتنبي اقتصر في التشبيه على حاتم في معنى واحد من المدح . ورأى أن أبا تمام أشعر منه ؛ لأنه أتى في ذلك بأربع صفات حيث ذكر أن الممدوح يساوي من فوقه ، ثم لم يَرْضَ بذلك حتى استدرك ذلك بأن قال :

لا تُنْكِرُوا ضَـرْبِي لَهُ مَنْ دُونَه ....

فاللَّهُ قَدْ ضَرَبَ الأَقَلَّ لِنُـورِهِ ....

وعلق ابن وكيع على بيتي أبي تمام بقوله :

" فهذا كلام فائق ، ومعنى رائق يقع كلام أبي الطيب معه بعيداً ، ورجحانه لا خفاء به (٣)"

---

(١) انظر:
الموشح : ٢٩٣ ، العمدة : ١ / ١٩٢ .

(٢) العمدة : " باب في البديهة والارتجال " : ١ / ١٩٢ .

(٣) المنصف في نقد الشعر : ١٥٧ .

البيت الرابع :(*) (الكامل)

قول كعب بن مالك :(١)

زَعَمَتْ سَخِينَةُ(٢) أَنْ سَتَغْلِبُ(٣) رَبَّهَا .'. وَلَيُغْلَبَنَّ مُغَالِبُ(٤) الغَلَّابِ(٥)

(*) الدلائل ، رضا : ١٤ ، خفاجي : ٧٠ ، شاكر : ١٧ .

(١) نسبه في العقد الفريد لحسّان بن ثابت . جاء في العقد :

" قال النبي صلى الله عليه وسلّم لحسّان بن ثابت : لقد شكر الله لك قولك حيث تقول :

زَعَمَتْ سَخِينَةُ أَنْ سَتَغْلِبُ رَبَّهَا ... " / انظر :

العقد : دار الفكر : ٦ / ١١١ .

وجاء في طبقات فحول الشعراء أنّ هذا القول وجهه النبي صلى الله عليه وسلم لكعب بن مالك، وليس لحسّان ، وذكر البيت غير منسوب في : التمثيل والمحاضرة ، وذكر في بقية المراجع لكعب بن مالك .

فالراجح أن البيت لكعب وهو :

كعب بن مالك بن عمرو بن القين الأنصاري السلمي الخزرجي ، صحابي من أكابر الشعراء من أهل المدينة اشتهر في الجاهلية ، وكان في الإسلام من شعراء النبي صلى الله عليه وسلم ، وشهد أكثر الوقائع ثم كان من أصحاب عثمان ، وأنجده يوم الثورة ، وحرّض الأنصار على نصرته ، ولما قتل عثمان قعد عن نصرة علي ، وعمي في آخر عمره ، وعاش سبعاً وسبعين سنة/ انظر ترجمته :

الأغاني : ١٦ / ٢٢٦-٢٤٠ ، الاستيعاب " ضمن الإصابة " : ٣ / ٢٧٤ ، الإصابة : ٣ / ٢٨٥ رقم (٧٤٣٥) ، نكت الهميان : ٢٣١-٢٣٣ ، معجم الشعراء : ٣٤٢ ، خزانة البغدادي - الخانجي - : ١ / ٤١٧-٤١٨ ، الأعلام : ٢٢٨ .

(٢) كان هذا الاسم مما سميت به قريش قديماً ، ذكروا أن قصياً كان إذا ذبحت ذبيحة أو نحيزة بمكة أتى بعجزها ، فصنع منه خزيرة ، وهو لحم يطبخ ببر فيطعمه الناس ، فسميت قريش بها سخينة ، وقيل : إن العرب كانوا إذا أسنتوا أكلوا العلهز ، وهو الوبر والدم ، وتأكل قريش الخزيرة والفتة ، فنفست عليهم ذلك فلقبوهم : سخينة ، ولم تكن قريش تكره هذا اللقب ، ولو كرهته ما استجاز كعب أن يذكره ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - منهم ، ولَتَرَكَهُ أدباً مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ كان قرشياً ، ولقد استنشد عبد الملك بن مروان ما قاله الهوازني في قريش :

=====

....

=== يلشدةُ ماشددْنا غيرَ كاذِبـةٍ ∴ على سَخِينةَ لولا الليلُ والحَرَمُ

فقال : مازاد هذا على أن استثنى ، ولم يكره سماع التلقيب بسخينة ، فدل هذا على أن هذا اللقب لم يكن مكروهاً عندهم ، ولا كان فيه تعبير لهم بشيء ./ الروض الأنف : ٣/ ٣٠٠ .

وجاء في اللسان أنّ السخينة طعام يصنع من الدقيق دون العصيدة في الرقة وفوق الحساء ، وكانت تأكل منها في شدة الدهر وغلاء السعر ، وعجف المال ، أو هي دقيق يُلقى على ماء أو لبن فيطبخ ، ثم يؤكل بتمر أو يُحسى ، وقيل إنّها تعمل من دقيق وسمن ، وكانت قريش تكثر من أكلها فعُيِّرت بها حتى سُمّوا سخينة./ اللسان : " سخن " : ١٣/ ٢٠٦

وهذا هو الظاهر من بيت كعب ، فهو يقصد التهكم من أن تزعم هذه التي تأكل السخينة أن تغلب ربها ، وقوله " زعمت " يدل على الاستصغار والتحقير .

(٣) رواية الديوان والسيرة : خزانة البغدادي :

جاءتْ سَخِينَةُ كي تُغالِبَ ربَّها ∴ فليُغْلَبَنَّ مُغالِبُ الغَلّابِ

ورواية اللسان :

(همّتْ سَخِينَةُ أنْ تُغالِبَ ربَّها)

(٤) غَلَبَه يغْلِبُه غَلْباً وغَلَباً ، وغَلَبَةً ومَغْلَباً ومَغْلَبَةً : قهره / اللسان " غلب " ١/ ٦٥١ .

(٥) انظر البيت في :

ديوان كعب بن مالك : ١٨٢ ، السيرة النبوية لابن هشام : ٣ / ١٦١ ، طبقات فحول الشعراء : ١/ ٢٢٢ ، العقد الفريد ، " دار الفكر " ٦ / ١١١ ، نثر الدر الآبي لمنصور الآبي : ٢/ ١٣٧ ، التمثيل والمحاضرة : ٨ ، الاستيعاب - ضمن الإصابة - ٣/ ٢٧٤ ، الروض الأنف : ٣/ ٣٠٠ ، لسان العرب : " غلب " : (١/ ٦٥١) ، خزانة الأدب للبغدادي - مكتبة الخانجي - : ١/ ٤١٧ .

والبيت لكعب بن مالك يرد فيها على عبدالله بن الزِّبَعْرى الذي قال يوم الخندق :

حَتى الدِّيارُ مَحا معَارِفَ رَسْمِهَا .·. طُولُ البِلَى وَتَرَاوُحُ الأَحْقَابِ

فَكَأَنَّمَا كَتَبَ اليَهُودُ رُسُومَهَا .·. إِلاَّ الكَنِيفَ وَمَعْقِدَ الأَطْنَابِ (١)

فأجابه حسّان ، ثم أجابه كعب بن مالك ، فقال :

أَبْقَى لَنَا حَدَثُ الحُرُوبِ بَقِيَّةً .·. مِنْ خَيرِ نِحْلَةِ رَبِّنَا الوَهَّابِ (٢)

وقبل الشاهد :

وَمَوَاعِظٌ مِنْ رَبِّنَا نُهْدَي بِهَا .·. بِلِسَانِ أَزْهَرَ طَيِّبِ الأَثْوَابِ

عُرِضَتْ عَلَيْنَا فَاشْتَهَيْنَا ذِكْرَهَا .·. مِنْ بَعْدِ مَا عُرِضَتْ عَلَى الأَحْزَابِ

حِكَماً يَرَاهَا المُجْرِمُونَ بِزَعْمِهِمْ .·. حَرَجاً وَيَفْهَمُهَا ذَوو الأَلْبَابِ (٣)

وبعد ها البيت وهو آخر بيت في القصيدة .

والبيت ساقه الشيخ ليثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يطلب من أصحابه قول الشعر وسماعه ، فهو هنا قد استشهد أبا بكر قول كعب في مذمة كفار قريش ، إذ أن بيت كعب هذا فيه انتصار للإسلام ، وانتقاص من قدر كفار قريش ، فهو يتهكم بقريش التي زعمت أنها تستطيع مغالبة ربها ، والانتصار عليه بمعاداة نبيه ، وإنكار كتابه ، فرد كعب على هذا الزعم بروح إسلامية قوية تولد عنها أسلوب قوي مؤكد ، فأتى بلام القسم ونون التوكيد الثقيلة " وليُغْلَبَنَّ " واختار من صفات المولى عز وجل صفة " الغَلاَّب " على صيغة المبالغة زيادة في التوكيد ، وإلقاء الرهبة في القلوب .

---

(١) شعر عبدالله بن الزِّبَعْرى : ٢٩ .

(٢) ديوانه : ١٧٨ .

(٣) انظر الأبيات في : ديوانه : ١٨١ ، السيرة النبوية : ٣ / ١٦٠ ، ١٦١ .

البيت الخامس : (*) (الطويل)

قول أبي طالب : (١)

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الغَمَامُ بِوَجْهِهِ ∴ ثِمَالُ (٢) اليَتَامَى عِصْمَةٌ (٣) لِلأَرَامِلِ

يَطِيفُ بِهِ (٤) الهُلَّاكُ (٥) مِنْ آلِ هَاشِمٍ ∴ فَهُمْ عِنْدَهُ فِي نِعْمَةٍ (٦) وَفَوَاضِلِ (٧)

(*) اللآلئ ، رضا : ١٤ ، خفاجي : ٧٠ ، شاكر : ١٨ .

(١) أبو طالب هو عم الرسول صلى الله عليه وسلم اسمه عبد مناف وقيل شيبة بن عبد المطلب بن هاشم ، قال ابن عساكر في تاريخه قيل أنه : أسلم ولكن لا يصح إسلامه . مات في السنة العاشرة من البعثة، وكان عمره بضعاً وثمانين سنة . وأخرج الزُّبير بن بكّار وابن عساكر عن إسحاق بن عيسى قال : سمعت بعض المشيخة يقول : لم يكن أحد يسود في الجاهلية إلّا بمال ، إلا أبو طالب وعتبة بن ربيعة ، وكان أبو طالب شفيقاً على النبى صلى الله عليه وسلم كفله بعد وفاة جده عبد المطلب ، وكان من مشركي قريش ، وكان أبو طالب شاعراً جيد الكلام ، ومن أبرع ما قال قصيدته التي منها البيت . ومن الغريب ما ذكره ابن عساكر حيث ذكر أنّ أبا طالب مات ولم يعقب وقد ذكر هو نفسه ص : ٢٥٨ أن أبا طالب كان يحب الرسول صلى الله عليه وسلم أكثر من أولاده ؟ والصحيح أنه عقب أولاداً منهم : علي بن أبي طالب ، وعقيل ، وأم طالب ، وطالب الذي كني به أبو طالب ، وغيرهم . / انظر ترجمته :
تهذيب تاريخ ابن عساكر : ١/ ٢٨٥-٢٩١ ، إنسان العيون : ١/ ١٢٥ ، الإصابة : ٤/ ١١٥ ، خزانة الأدب للبغدادي : ٢/ ٧٥ ، من الضائع من معجم الشعراء للمرزباني : ٧٩ .

(٢) رواية طبقات فحول الشعراء : " ربيع اليتامى " ومعنى ثمال اليتامى : المتولي أمرهم القائم به .

(٣) عصمة للأرامل : أي منعة لهن يمنعهن ويحفظهن . / المصباح المنير " العين مع الصاد وما يثلثهما " : ٢ / ٦٤ .

(٤) رواية السيرة : " يلوذ به الهلّاف من آل هاشم " .

(٥) الهلاك : جمع هالك وهو الفقير المعدم . / اللسان " هلك " : ١٠ / ٥٠٤ .

(٦) رواية السيرة : " في رحمة " .

(٧) انظر البيتين في :
السيرة النبوية لابن هشام : ١/ ٢٤٨ ، طبقات فحول الشعراء : ١/ ٢٤٤ ، ====

والبيتان من قصيدة [١] قالها في معاداة خصومه. [٢]

ومطلعها :

وَلَمَّا رَأَيْتُ القَوْمَ لا وُدَّ فِيهِمُ ∴ وَقَدْ قَطَعُوا كُلَّ العُرَى وَالوَسَائِلِ

وقبل الشاهد :

وَمَا تَرْكُ قَوْمٍ لَا أَبَا لَكَ سَيِّداً ∴ يَحُوطُ الذِّمَارَ غَيْرَ ذَرْبٍ مُوَاكِلِ

ولقد امتدح ابن سلام هذه القصيدة ، ورأى أنها أبرع ماقال .

قال ابن سلام :

" وكان أبوطالب شاعراً جَيِّدَ الكلام أبرعُ ماقال قصيدته التي مدح فيها النبي صلى الله عليه وسلم ". [٣]

=== دلائل النبوة : ١/ ٢٢٣ ، حماسة ابن الشجري : ١٨ ، الإصابة : ٤/ ١١٥ ، مغني اللبيب : ١/ ١٣٥ ، شرح شواهد المغني : ١/ ٢٩٦ ، خزانة الأدب للبغدادي : - الخانجي - : ٢/ ٦٧ .

(١) ذكر ابن سلّام أن هذه القصيدة قد زيد فيها وطولت حتى لا يُعرف منتهاها قال :

" وقد زِيدَ فيها وطُوِّلت . ورأيتُ في كتاب يُوسُف بن سَعْدٍ صاحبنا مُنْذُ أكثر من مائة سنة ، وقد علمتُ أن قد زاد النَّاس فيها ، ولا أدري أين منتهاها ؟ وسألني الأصمعي عنها ، فقلتُ صحيحةٌ جيدةٌ ! قال : أتدري أين منتهاها ؟ قلتُ : لا . / طبقات ابن سلام : ١/ ٢٤٤ - ٢٤٥ .

(٢) ذكر ابن هشَّام في سيرته :

" فلما خشي أبو طالب دهماء العرب أن يركبوه مع قومه ، قال قصيدته التي تعوَّذ فيها بحرم مكة وبمكانه منها وتودد فيها أشراف قومه ، وهو على ذلك يخبرهم وغيرهم في ذلك من شعره أنه غير مُسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا تاركه لشيء أبداً حتى يهلك دونه " /

السيرة : ١ / ٢٤٥ .

(٣) طبقات ابن سلام : ١/ ٢٤٤ .

البيـــت السادس : (*)　　　(الطويل)

قول أبي طالـــب :

كَذَبْتُم (١) وَبَيْتِ اللَّهِ إِنْ جَدَّ مَا أَرَى ∴ لَتَلْتَبِسَنْ أَسْيَافُنَا بِالْأَنَامِـــلِ (٢)

وَيَنْهَضَ قَوْمٌ فِي الدُّرُوعِ (٣) إِلَيْهِـــمُ (٤) ∴ نُهُوضَ الرَّوَايَا (٥) فِي طَرِيقٍ (٦) حُلَاحِلِ (٧)

البيتان من قصيدته المشار إليها في البيت السابق

الأبيات بحسب ترتيب السيرة مع ذكر ما قبل البيتين وما بعدهما :

كَذَبْتُمْ وَبَيْتِ اللَّهِ نَبْزِي مُحَمَّـــدًا ∴ وَلَمَّا نُطَاعِنْ دُونَهُ وَنُنَاضِـــلِ

وَنُسْلِمُهُ حَتَّى نُصَرَّعَ حَـــوْلَهُ ∴ وَنَذْهَلُ عَنْ أَبْنَائِنَا وَالحَلَائِـــلِ

(*) الدلائل ، رضا : ١٥ ، خفاجي : ٧١ ، شاكر : ١٨ .

(١) رواية السيرة :

" وإما لعمر الله " .

والبيت الذي فيه كذبتم هو قوله :

" كذبتم وبيت الله نترك مكة "

وقوله : " " كذبتم وبيت الله نَبْزِي محمداً "

(٢) رواية السيرة : " بالأماثل "

والبيت الذي فيه بالأنامل هو قوله :

وقد حَالَفُوا قوماً عَلَينا أَظِنَّــةً ∴ يَعَضُّونَ غيظاً خَلْفَنَا بِالأَنَامِـــلِ

(٣) رواية السيرة وخزانة الأدب : " في الحديد " .

(٤) رواية السيرة : " إليكم " .

(٥) الرَّوَايا : جمع راوية وهو ما يستقي عليه من بعير وغيره ، / اللسان " روى " : ١٤ / ٣٤٧ .

(٦) رواية السيرة : " تحت ذات الصلاصل " ، والصلاصل : بقية الماء . / اللسان " صلل " : ١١ / ٣٨٤ .

والبيت الذي فيه كلمة حلاحل :

وَسَائِطُ كَانَتْ فِي لُؤَيِّ بْنِ غَالِـــبِ ∴ نَفَاهُم إِلَينَا كُلُّ صَقْرٍ حُلَاحِـــلِ

(٧) انظر : السيرة النبوية لابن هشام : ١ / ٢٤٧ ، خزانة الأدب للبغدادي - الخانجي : ٢ / ٦٣ - ٦٤ .

وَيَنْهَضُ قَوْمٌ فِي الحَدِيدِ إِلَيْكُمْ ∴ نُهُوضَ الرَّوَايَا تَحْتَ ذَاتِ الصَّلَاصِلِ

وَحَتَّى تَرَى ذَا الضِّغْنِ يَرْكَبُ رَدْعَهُ ∴ مِنَ الطَّعْنِ فِعْلَ الأَنْكَبِ المُتَحَامِلِ

وَإِنَّا لَعَمْرُ اللَّهِ إِنْ جَدَّ مَا أَرَى ∴ لَتَلْتَبِسَنْ أَسْيَافُنَا بِالأَنَامِلِ

بِكَفَّيْ فَتًى مِثْلِ الشِّهَابِ سَمَيْدَعٍ (١) ∴ أَخِي ثِقَةٍ حَامِي الحَقِيقَةِ بَاسِلِ

أورد الشيخ عبد القاهر قول أبي طالب الأول :

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الغَمَامُ بِوَجْهِهِ

وقول الثاني :

كَذَبْتُمْ وَبَيْتِ اللَّهِ إِنْ جَدَّ مَا أَرَى

مثالاً على استنشاد النبي صلى الله عليه وسلم للشعر فالقول الأول استنشده حين استسقى فسُقي ، والثاني استنشده حين نظر في يوم بدر إلى القتلى مُصَرَّعين فقال لأبي بكر لو أنّ أبا طالب حيّ لعلم أنّ أسيافنا قد أخذت بالأنامل .

---

(١) السَّمَيْدَع : بالفتح الكريم ، السَّيد الجميل الجسيم الموطأ الأكناف ، وقيل هو الشجاع ، ولا يقال سُميدع بالضم / اللسان " سمع - سمدع " : ٨/١٦٨ .

البيت السابع :(*) (السريع)

قول الأعشى :(١)

عَلْقَمُ ما أنْتَ إلى عَامِرٍ .·. النَّاقضِ الأوْتَارِ(٢) والوَاتِرِ(٣) (٤)

وهو من قصيدة قالها في هجاء علقمة بن علاثة ،(٥) ويمدح عامر

(*) الدلائل ، رضا : ١٦ ؛ خفاجي : ٧١ ؛ شاكر : ١٩ .

(١) الأعشى (٠٠ - ٧هـ) هو ميمون بن قيس بن جندل من بني قيس بن ثعلبة الوائلي ، كنيته أبو بصير ، ويعرف بأعشى قيس ، ويقال له أيضا الأعشى الكبير ، وأعشى بكر بن وائل ، ولد وتوفي في قرية منفوحة باليمامة ، وهو من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية ، وأحد أصحاب المعلقات ، كان كثير الوفود على ملوك العرب والفرس ، غزير الشعر لم يعرف أحد قبله أكثر شعراً منه ، وكان يغنّى بشعره فسمي " صناجة العرب " ، أدرك الإسلام ولم يسلم ./ انظر ترجمته :
جمهرة أشعار العرب : ١١٩-١٢٨ ، طبقات فحول الشعراء : ١ / ٦٥ ، الشعر والشعراء : ٢٦٣-٢٧٣ ، الأغاني : ٩/١٠٨-١٢٩ ، المؤتلف والمختلف : ١٢ ، معجم الشعراء للمرزباني : ٤٠١ ، النقائض : ١/٤٧٨ ، ٢/٦٤٤ ، معاهد التنصيص : ١/١٩٦-٢٠٢ ، خزانة البغدادي " دار صادر " : ١/٨٤-٨٦ ، شعراء النصرانية : ١/٣٥٧-٣٩٩ ، الأعلام : ٧/٣٤١ .

(٢) الأوتار : جمع وِتْر وهو الثأر . / اللسان " وتر " : ٥ / ٢٧٤ .

(٣) الواتر : الغالب الذي يترك ثأره في الأعداء ولا يستطيعون الأخذ به . / اللسان " وتر " : ٥ / ٢٧٤ .

(٤) انظر البيت في :
ديوانه - شرح وتعليق : محمد محمد حسين : ١٩١ قصيدة رقم ١٨ ، ديوانه - دار بيروت - : ٩٣ ، العمدة : ١ / ٥٣ ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد : ١/١٦٦ شرح شواهد المغني : ٢/ ٩٠٦

(٥) هو علقمة بن علاثة بن عوف الكلابي العامري ، وهو صحابي جليل من بني عامر ابن صعصعة ، كان في الجاهلية من أشراف قومه ، وفد على قيصر ، ثم أسلم وارتد في أيام أبي بكر ، فانصرف إلى الشام ، فبعث إليه أبو بكر القعقاع ابن عمرو ، ففر علقمة منه ، ثم عاد إلى الإسلام ، وولّاه عمر بن الخطاب حوران فنزلها إلى أن مات ، ولقد كان جواداً كريماً ، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثاً واحداً ، توفي سنة (٢٠هـ) / انظر ترجمته :

======

ابن الطفيل (١) في المنافرة التي جرت بينهما وأولها :

شاقتْكَ مِنْ قَتْلَةَ أَطْلَالُهَا .·. بِالشَّطِّ فَالْوِتْرِ إِلَى حَاجِرِ

وقبل الشاهد :

دَعْهَا فَقَدْ أَعْذَرْتَ فِي حُبِّهَا .·. وَاذْكُرْ خَنَا عَلْقَمَةَ الفَاجِرِ

وبعده الشاهد وبعده :

وَاللَّابِسِ الخَيْلَ بِخَيْلٍ إِذَا .·. ثَارَ غُبَارُ الكَبَّةِ (٢) الثَّائِرِ

سُدْتَ بَنِي الأَحْوَصِ لَمْ تَعْدُهُمْ .·. وَعَامِرٌ سَادَ بَنِي عَامِرِ

والبيت جاء به الشيخ دليلاً على أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يَنْهَ أصحابه عن قول الشعر وإنشاده ، وإنما أراد تعليمهم المبادئ والقيم الفاضلة التي لا بد أن يتحلوا بها حتى في قولهم الشعر ، فللشعر أخلاق ومُثل وآداب يجب الالتزام بها

=== الإصابة : ٣/٤٩٦ رقم (٥٦٧٧) ، الأعلام : ٤/٢٤٧-٢٤٨ .

(١) هو عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر العامري من بني عامر بن صعصعة ولد سنة (٧٠) قبل الهجرة ، وتوفي سنة (١١ هـ) ، وكان فارس قومه ، وأحد فتّاك العرب وشعرائهم ، وكنيته أبو علي ، ولد ونشأ بنجد ، أدرك الإسلام شيخاً ، ووفد على الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة بعد فتح مكة ، وكان يريد الغدر به ، فدعاه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام ، فطلب من الرسول أن يجعل الأمر له من بعده ، فرده فعاد حنقاً ، ومات في طريقه قبل أن يبلغ قومه مصاباً بالطاعون في عنقه ، وكان أعور أصيبت عينه في إحدى الوقائع ، عقيماً لا يولد له ، وهو ابن عم لبيد الشاعر ، وله ديوان شعر من رواية أبي بكر الأنباري . / انظر ترجمته : الشعر والشعراء : ١/٣٤١ ، معجم الشعراء للمرزباني : ١٥٤-٢٢٢ ، الإصابة : ٣/١٢٥ (٦٥٥٨) ، خزانة الأدب للبغدادي : تحقيق عبد السلام هارون - ٣/ ٨٠ ، الأعلام : ٣ / ٢٥٢ .

(٢) الدفعة والجماعة من الخيل / اللسان " كبب " : ١ / ٦٩٦ .

حتى في باب الهجاء الذي يجد الشاعر فيه متنفساً للنيل ممن يريد ، فالرسول صلى الله عليه وسلم نهى أصحابه عن إنشاد الشعر الذي فيه نيل وطعن فيمن كان كريم الأخلاق ، وإن كان مشركاً ، فعلقمة بن عُلاثة الذي هجاه الأعشى ، وحط من قدره - بقوله : إنك ياعلقمة لا يمكن أن تقاس بعامر ، فأنت لا تدانيه منزلة وشرفاً فهو الآخذ ثأره من الخصم لا يتركه أبداً ، وهو التارك الثأر فيهم لا يستطيعون الأخذ به - ، كان كريم الخلق حيث أحسن القول في النبي صلى الله عليه وسلم حين ذُكر عند قيصر.

جاء في الدلائل :

" . . . كنّا يوماً عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال لحسّان بن ثابت : أنشدني قصيدة من شعر الجاهلية ، فإن الله تعالى قد وضع عنّا آثامها في شعرها وروايته ، فأنشده قصيدة للأعشى هجا بها علقمة بن عُلاثة . . .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم :

ياحسّان لا تعد تنشدني هذه القصيدة بعد مجلسك هذا ، فقال :

يارسول الله تنهاني عن رجل مشرك مقيم عند قيصر ؟

فقال النبي صلى الله عليه وسلم :

" ياحسّان أشكَرُ الناس للناس أشكرهم لله تعالى ، وإن قيصر سأل أباسفيان ابن حرب عني فتناول مني وفي خبر آخر فَشَعَّث [1] مني ، وانه سأل هذا عني فأحسن القول ، فشكره رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك [2] ".

---

(١) أي عاب وانتقص . / اللسان " شعث " : ٢ / ١٦١ .

(٢) الدلائل ، رضا : ١٦ ، خفاجي : ٧١-٧٢ ، شاكر: ١٩ .

البيـت الثامـن : (*) (الكامل)

ارْفَـعْ[1] ضَعِيفَكَ لا يَحُرْ[2] بِكَ ضَعْفُهُ .·. يوماً فَتُدْرِكُهُ العَوَاقِبُ[3] قد نَمَى[4]

يَجْزِيكَ أَوْ يُثْنِي عَلَيْكَ وإِنَّ[5] مَنْ .·. أَثْنَى[6] عَلَيْكَ بِمَا فَعَلْتَ[7] فَقَدْ[8] جَزَى[9]

والبيتان ذكرهما الشيخ من غير نسبة وهما لغريض اليهودي[10] .

(*) الدلائل ، رضا : ١٦ ، خفاجي ، ٧٢ ، شاكر : ١٩ .

(١) رواية الطبراني : " ادفع " .

(٢) أي لا يثنيك ويرجعك ضعفه عن تقديم المساعدة له .

(٣) رواية العقد الفريد ، " فتدركه عواقب مَا جَنَى " .

(٤) رواية ابن عساكر : " مَاجَنا " .

(٥) رواية العقد الفريد : " فإن " بالفاء بدل الواو .

(٦) رواية الوحشيات : " يُثْنِي " .

(٧) رواية مجموعة المعاني : " بما صنعت " .

(٨) رواية عيون الأخبار والعقد الفريد والطبراني : " كمن جَزَى " .

(٩) انظر البيتين في :

الوحشيات : ١١٠ ، عيون الأخبار : ٣ / ٨ / ١٦٢ ، العقد الفريد : ١ / ١٩٢ ، الأغاني : ٣ / ١١٤-١١٧-١١٨ ، سمط اللآلي : ١ / ٢٠٦ ، المعجم الصغير للطبراني : ١ / ١٦٣ ، تاريخ ابن عساكر : ٥ / ٣٩٠ ، مجموعة المعاني : ١٢٨ .

(١٠) والبيتان في الوحشيات ورد منسوباً لسعية بن غُريض اليهودي ، وفي العقد الفريد وتاريخ ابن عساكر لزهير بن جَنَاب وهو شاعر جاهلي من سادات كلب ، وفي الأغاني والسمط ذُكر أنهما لورقة بن نوفل ، وجاء في الأغاني : " الشعر لغُريض اليهودي ، وهو السموأل بن عَادِيَاء ، وقيل إنه لابنه سعية بن غَرِيض ، وقيل إنه لزيد بن عمرو بن نُفيل ، وقيل إنه لورقة بن نَوفل ، وقيل إنه لزُهير بن جناب ، وقيل إنه لعامر بن المجنون الجَرْمي الذي يقال له مَدْ رَجُ الريح ، والصحيح أنه لغَرِيض أو لابنه " / انظر : الأغاني : ٣ / ١١٥

وغريض اليهودي من ولد الكاهن بن هارون بن عِمران ، وذُكر في الوحشيات أنه رجل من أهل وادي القُرى يهودي ، وذُكر في الأغاني =====

والبيتان من قصيدة أولها :

وإذا رأيت مُغمَّراً فتعلَّمَنْ .·. أنْ سوف تُدرِكُه الخُطوبُ فيُبْتلى (١)

وقبل البيتين :

إنَّ الكريمَ إذا أردتُ إخاءَهُ .·. لمْ تُلْفِ حَبْلي واهِياً رَثَّ القُوى

أرْعَى أمانتَهُ وأحفَظُ عَهْدَهُ .·. عِنْدي ويأتي بعْدَ ذلكَ ما أتى (٢)

والبيتان ساقهما الشيخ مثالاً على أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يهيب بالمسلم أن يتحلى بالأخلاق الفاضلة ، وأنه كان يحب سماع الأبيات التي تحث على مكارم الأخلاق وتنطوي على معانٍ سامية . فكان كثيراً ما يطلب من عائشة رضي الله عنها إنشاده هذين البيتين لما فيهما من الحث على رفع الضعيف ، والأخذ بيده ، ومساعدته ، وعدم التقاعس عن نصرته لضعفه وقلة حيلته ، فقد تدور الأيام ويعلو شأنه ، ويرتفع قدره ، فينال المساعد منه الشكر والجزاء ، فإنَّ من شكر واعترف بالجميل ، فقد وفىَّ وجزى ، فأشكر الناس للناس أشكرهم لله .

والبيتان دليل على حرصه صلى الله عليه وسلم على أن يعلم نساءه التمثل بالشعر الجيد الذي يُقَوِّم الأخلاق ، ويربي النفس .

جاء في الدلائل :

" . . . ومن المعروف في ذلك خبر عائشة رضوان الله عليها أنها قالت :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يقول : " أبياتَكِ "

فأقول :

=== أنه السموأل ، - والمذكور في ترجمة السموأل أنه السموأل بن عُريض بن عاديا بن حياء ، وبعضهم يقول هو السموأل بن عاديا من غير ذكر عُريض - وهو صاحب الحصن المعروف بالأبلق بتيماء المشهور بالوفاء ، وقيل : بل هو ولد الكاهن بن هارون بن عمران ، وكان هذا الحصن لجده عاديا احتفر فيه بئراً رَوِيَّةً عذبة / انظر :
الوحشيات : ١١٠ ، الأغاني : ٢٢/١١٧ - ٣/١١٥ .

(١) ذكر في الأغاني أن أول القصيدة :
رَحلَتْ قُتيلةُ عِيرَها قبلَ الضحَى .·. وأخالُ أن شَحَطَتْ بجارتِكِ النَّوى

(٢) الوحشيات : ١١٠ .

ارفع ضعيفك لا يَحُرْ . . .

قالت فيقول عليه السلام : " يقول الله تبارك وتعالى لعبد من عبيده : صنع إليك عبدي معروفا فهل شكرته عليه ؟ فيقول : يا رب علمت أنه منك فشكرتك عليه . قال فيقول الله عز وجل : لم تشكرني إذا لم تشكر من أجريته على يده (١) ".

البيت التاسع : - (*) (الطويل)

وهو لقيس بن مَعْدان الكُلَيبي (٢) :

فَحَالِفْ وَلاَ وَاللَّهِ (٣) تَهْبِطُ تَلْعَةً (٤) . . مِنَ الأَرْضِ إِلاَّ أَنْتَ لِلذُّلِ عَارِفُ

أَلاَ مَنْ رَأَى العَبْدَيْنِ أَوْ ذَكِرًا لَهُ (٥) . . عَدِيٌّ وَتَيْمٌ (٦) تَبْتَغِي مَنْ تُحَالِفُ (٧) (٨)

---

(١) الدلائل ، رضا : ١٧ ، خفاجي : ٧٢ ، شاكر : ٢٠ .

(*) الدلائل ، رضا : ١٧ ، خفاجي : ٧٣ ، شاكر : ٢٠ .
لم أقف عليه بهذا اللفظ ، جاء في مسند الإمام أحمد :
عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من لم يشكر الناس لم يشكر الله عز وجل " . / انظر :
مسند الإمام أحمد : ٢/٢٥٨ ، ٢٩٥ ، ٣٠٢ ، ٣٨٨ ، ٤٦١ ، ٤٩٢ ؛ ٣/٣٢ .

(٢) ذكر البيتان في طبعة رشيد رضا وطبعة خفاجي غير منسوبين ، وذكرا منسوبين لقيس بن مَعْدان الكُلَيبي في طبعة شاكر . ولم أقف لقيس هذا على ترجمة .

(٣) رواية فرحة الأديب والمخصص : " فلا والله " .

(٤) التلعة من الأضداد يقال لما انحدر من الأرض ولما ارتفع منها . / اللسان " تلع " : ٨/٣٦ .

(٥) رواية فرحة الأديب : " إذ ذكرا لَهُ " .

(٦) عدي وتيم ابنا عبد مناة بن أد بن طابخة / جمهرة أنساب العرب : ١٩٨ - ١٩٩ - ٢٠٠ ، الأعلام : ٢/٩٥ ، ٤/٢٢١ .

(٧) ويريد بحالف " الحيّ " لذلك ذكّر وأفرد .

(٨) ذُكر البيتان في شرح أبيات سيبويه للسيرافي : ٢/١٣٣ مع جعل البيت الأول هو الثاني ، والثاني هو الأول .
وذكر البيت الثاني فقط في : الكتاب : ٣/١٠٥ ، شرح أبيات سيبويه للنحاس : ٢٢٩ ، رقم (٦٢٧) ، المخصص : ٥/١٧ ، ٦٤ ، ٦٥ ، فرحة الأديب : ٧٧ .

وقيل هو للقيط بن زُرارة .(١)

وذكر الأسود الغندجاني بيتاً ثالثا هو :

وَضَبَّةَ عَبْدٌ ثَالِثٌ لا أَخَالُـهُ ∴ كَمَا زَيَّفَ النَّمِّيَّ بِالكفِ صَارِفُ(٢)

والبيتان ذكرهما الشيخ ليبين أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان خبيراً بالشعر عالماً بدقيق معانيه ، فحين أنشدت سودة(٣) الشطر الأخير من البيت الثاني ظنت عائشة وحفصة رضي الله عنهما أنَّها عرَّضت بهما ، وجرى بينهن كلام ، فبلغ الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك ، فدخل عليهن ، وقال : " يا ويلكُن ليس في عديِّكن ولا تَيْمِكن قيل هذا ، وإنَّما قيل هذا في عَدِيٍّ تيم وتيم تيم ".(٤)

فالبيتان فيهما انتقاص من قدر وهيبة وشجاعة عديّ وتيم فالمعنى : حالف من تعتز وتفتخر بحلفه ، وإلاّ عرفت الذُّل والضيم حيث توجهت من الأرض ، وعدي وتيم

---

(١) نُسب البيتان في شرح أبيات سيبويه للسيرافي ، والمخصص ، وفرحة الأديب للقيط بن زُرارة ، ووردا في الكتاب لسيبويه ، وشرح أبيات سيبويه للنحاس من غير نسبة .

ولقيط هو : لقيط بن زُرارة بن عَدَس من تميم وكنيته أبو دَختنوس وأبو نهشل وهو شاعر جاهلي فارس مقدام من أشراف تميم قتل يوم جبلة عام مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان يرأس قومه / انظر ترجمته :

الشعر والشعراء : ٢ / ٧١٤ ، المؤتلف والمختلف : ١٧٥ .

(٢) فرحة الأديب : ٧٧ .

(٣) هي أم المؤمنين سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس من لؤي ، من قريش ، كانت في الجاهلية زوجة السكران بن عمرو بن عبد شمس ، وأسلمت ثم أسلم زوجها ، وهاجرا معاً إلى الحبشة في الهجرة الثانية ، ثم عادا إلى مكة وتوفي السكران ، فتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم بعد السيدة خديجة ، وتوفيت في المدينة المنورة في آخر زمان عمر بن الخطاب / انظر ترجمتها :

الطبقات الكبرى لابن سعد : ٨ / ٥٢-٥٧ ، الإصابة : ٤ / ٣٣٠ رقم (٦٠٦) ، الأعلام : ٣ / ١٤٥ .

(٤) الدلائل ، رضا : ١٧ ، خفاجي : ٧٣ ، شاكر : ٢٠ .

ابنا عبد مناة بن أُد جعلهما بمنزلة العبدين لا يتغائهما من يحالفهما ، وأفرد " تبتغي " ،لأنه رجع إلى جملة القبيلة ،فعدي وتيم تبتغي من يعاهدها ويناصرها ويعينها إن قصدها قوم.(١)

البيت العاشر : (*) (الكامل)

يَاأَيُّهَا الرَّجُلُ المُحَوِّلُ رَحْلَهُ .·. هَلاَّ نَزَلْتَ بِآلِ عَبْدِ الدَّارِ(٢)

والصحيح :

يَاأَيُّهَا الرَّجُلُ المُحَوِّلُ رَحْلَهُ .·. هَلاَّ سَأَلْتَ(٣) عَنَ الِ عَبْدِ مَنَافِ(٤)

والبيت ذكره الشيخ من غير عزو، وهو لمطرود بن كعب الخزاعي(٥) ، في

---

(١) شرح أبيات سيبويه للسيرافي : ٢ / ١٣٣.

(*) الوردة، رضا : ١٧ ، خفاجي : ٧٣ ، شب لر : ٢١.

(٢) سمط اللآلئ : ١ / ٥٤٧.

(٣) رواية أمالي المرتضى : " ألّا نزلت " ورواية معجم الشعراء : " هلّا حللت "

(٤) انظر البيت في :

السيرة النبوية لابن هشام : ١/ ١٦٣ ،أمالي القالي : ١ / ٢٤١ ،الروض الأُنف : ١ / ٢٠٣ ،أمالي المرتضى : ٢ / ٢٦٨ ، ٨/٢ ، معجم الشعراء للمرزباني : ٣٧٥ ،سمط اللآلئ : ٥٤٧ ،أنباء نجباء الأبناء : ٦٣ ،اللسان : باب الفاء فصل الجيم (٩/ ١١٣).

(٥) مطرود بن كعب الخزاعي شاعر جاهلي فحل لجأ إلى عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف لجناية كانت منه فحماه،وأحسن إليه ، فأكثر مدحه ومدح أهله ، ويقال انه صاحب هذه الأبيات .

وينسب بعض أبيات هذه القصيدة لعبد الله بن الزبعرى كما في اللسان ، وهو قوله :

كَانَتْ قُرَيْشٌ بَيْضَةً فَتَفَلَّقَتْ .·. فَالمح خَالِصَهَا لِعَبْدِ مَنَافِ

اللسان " مح " : ٥٨٩/٢ / انظر ترجمة مطرود في :

معجم الشعراء للمرزباني : ٣٧٥ ،أنباء نجباء الأبناء : ٦٣- ٦٥ ،الأعلام : ٧/ ٢٥١.

رثاء عبد المطلب، وبني عبد منـــاف.(١)

وبعد البيت :

هَبَلَتْكَ أُمُّكَ لَوْ حَلَلْتَ(٢) بِدَارِهِمْ(٣) ∴ ضَمِنُوكَ(٤) مِنْ جُرْمٍ(٥) وَمِنْ إِقْـــرَافِ(٦)

الخَالِطِينَ غَنِيَّهم بِفَقِيرِهِـــــمْ ∴ حَتَّى يَعُودَ فَقِيرُهُمْ كَالْكَافِـــي(٧)

والبيت كسابقه ساقه الشيخ مثالاً على خبرته صلى الله عليه وسلم ومعرفتـــه بالشعر، فحين سمع الرجل يروى البيت على غير وجهه سأل أبا بكر سؤال المســـتنكر لِمَا سَمِعَ طالباً منه تصحيح البيت ، وإزالة مالَحِقَه من خطأ في الرواية .

قال الشيخ :

" وروى الزبير بن بكّار قال : مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعـــه أبو بكر رضي الله عنه برجل يقول في بعض أزقة مكة :

يَاأَيُّهَا الرَّجُلُ المُحَـــوِّلُ رَحْـلَهُ ∴ هَلاَّ نَزَلْتَ بِآلِ عَبْدِ الـــــدَّارِ

فقال النبي صلى الله عليه وسلم ياأبا بكر ، أهكذا قال الشاعر؟

قال : لا يارسول الله ، ولكنه قال :

---

(١) هذا ماجاء في ســيرة ابن هشام :
" رثاء مطرود الخزاعي لعبد المطلب . قال ابن اسحاق : وقـــال مطرود بن كعب الخزاعي يبكي عبد المطلب وبني عبد مناف "./ ١/ ١٦٣ وكذلك جاء في اللسان أنها في رثاء عبد المطلب ./ ٩ /١١٣ .

(٢) رواية أمالي القالي وأنباء نجباء الأبناء : " لو نزلت " .

(٣) رواية أنباء نجباء الأبناء : " إليهم " .

(٤) رواية أمالي القالي : " منعوك " .

(٥) رواية أمالي القالي : " من عدم " ورواية أنباء نجباء الأبناء " من جـــوع " .

(٦) إحدى روايات أمالي القالي : " ومن اقتار " .

(٧) رواية أمالي المرتضى " الخالطون " ، وذكر المرتضى في أماليه أبياتـــاً عدة قبل هذا البيت .

يَاأَيُّهَا الرَّجُلُ المُحَوِّلُ رَحْلَهُ ∴ هَلاَّ سَأَلْتَ عَنَ الِ عَبْدِ مَنَــافِ

فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : هكذا كنا نسمعها[(١)].

البيت الحادي عشر : (*) (الطويل)

قول النابغة الجعدي[(٢)]:

بَلَغْنَا السَّمَاءَ مَجْدُنَا وجُدُودُنَا[(٣)] ∴ وَإِنَّا لَنَرْجُو[(٤)] فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَــرا

( ) الدلائل ، رضا : ١٧ ، خفاجي : ٧٣ ، شاكر : ٢١ .

( ) الدلائل رضا : ١٨ ، خفاجي : ٧٤ ، شاكر : ٢١ .

وانظر الخبر في : أمالي القالي : ١/ ٢٤١ .

والهاء في قوله " نسمعها " يعود إلى الرواية ، والظاهر " نسمعه " عــودا على البيت .

(٢) هو الصحابي قيس بن عبد الله بن عمرو بن عدس بن ربيعة بن جعدة وقد اختُلف في اسمه فقيل (قيس) وقيل " حبان " ، وهو شاعر مشهور عاش في الجاهلية والإسلام وحسن إسلامه ، وقيل أنه عُمِّر مائتين وعشرين سنة ، ومات بأصبهان ، وهو أحد نُعَّات الخيل ، وهو الذي دعا له الرســول صلى الله عليه وسلم بأن لا يفضض الله فاه ، فبلغ عشرين ومائة سنة لــم تسقط له سن / انظر ترجمته :

الاستيعاب : ٣ / ١٢٩٧ ، ٤/ ١٥١٤-١٥٢١ ، الإصابة : ٣/ ٥٠٨ ، رقم (٨٦٤١) ، طبقات فحول الشعراء : ١٢٣ - ١٢٥ ، معجم الشعراء : ٣٢١ .

(٣) رواية الديوان ورسائل الجاحظ والصناعتين وشرح الأشموني :

" بَلَغْنَا السَّمَاءَ مَجْدُنَا وَسَـنَاؤُنَا " .

ورواية جمهرة أشعار العرب :

" بَلَغْنَا السَّمَا مَجْداً وَجُوداً وَسُودداً "

ورواية عيار الشــعر :

" بَلَغْنَا السَّمَاءَ نَجْدَةً وتَكَــرُّما "

(٤) رواية رسائل الجاحظ : " وإِنَّا لَنَبْغِي " .

وَلَا خَيْرَ[1] فِي حِلْمٍ إِذَا لَمْ تَكُنْ[2] لَهُ ∴ بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكَدَّرَا

وَلَا خَيْرَ فِي جَهْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ ∴ حَلِيمٌ إِذَا مَا أَوْرَدَ الأَمْرَ أَصْدَرَا[3]

والأبيات من قصيدة مطلعها :

خَلِيلَيَّ عُوجَا سَاعَةً وَتَهَجَّرَا ∴ وَلُومَا عَلَى مَا أَحْدَثَ الدَّهْرُ أَوْ ذَرَا

وقبل الأبيات :

أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ إِذْ جَاءَ بِالْهُدَى ∴ وَيَتْلُو كِتَاباً كَالمَجَرَّةِ نَيِّرَا[4]

---

(١) رواية معجم الشعراء : "فَلَا خَيْرَ" .

(٢) رواية الاستيعاب : "إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ" بالياء وليس بالتاء .

(٣) انظر الأبيات في :

ديوان النابغة الجعدي : ٧٣ ، جمهرة أشعار العرب : ٢٨٠ - ٢٨١ ، رسائل الجاحظ : ١ / ٣٦٣ - ٣٦٤ ، عيون الأخبار : ١ / ٢٨٥ ، عيار الشعر : ٥١ ، معجم الشعراء للمرزباني : ٣٢١ ، الصناعتين : ٩٤ "البيت الأول فقط" ، بهجة المجالس : ٢ / ٦٠٨ ، البيتان الثاني والثالث ، الاستيعاب - تحقيق البيجاوي - : ٤ / ١٥١٤ - ١٥٢١ ، العمدة : ١ / ٥٣ ، سمط اللآلي : ٢ / ٧٧٢ ، نهاية الأرب : ٦ / ٥٦ ، شرح الأشموني مع الشواهد للعيني : ٢ / ١٣٢ ، خزانة الأدب للبغدادي - دار صادر - : ١ / ٥١٣ - ٥١٤ ، الإبانة عن سرقات المتنبي : ١٩٦ .

(٤) جاء في جمهرة العرب قبل البيت الأول :

وَنَحْنُ أُنَاسٌ لا نُعَوِّدُ خَيْلَنَا ∴ إِذَا مَا الْتَقَيْنَا أَنْ تَحِيدَ وَتَنْفُرَا

وَمَا كَانَ مَعْرُوفاً لَنَا أَنْ نَرُدَّهَا ∴ صِحَاحاً ولا مُسْتَنْكَراً أَنْ تُعَقَّرَا

وبعده :

وَكُلُّ مَعَدٍّ قَدْ أَحَلَّتْ سُيُوفُنَا ∴ جَوَانِبَ بَحْرٍ ذِي غَوَارِبَ أَخْضَرَا

ثم ذكر بعده عدة أبيات ثم أتي بالبيتين الآخرين وقبلهما :

وَحَيَّ أَبِي بَكْرٍ وَلَا حَيَّ مِثْلُهُم ∴ إِذَا بَلَغَ الأَمْرُ العِمَاسَ المدَمَّرَا

وبعده البيتان وبعدهما :

إِذَا افتَخَرَ الأَزْدِيُّ يَوْماً فَقُلْ لَهُ ∴ تَأَخَّرْ فَلَمْ يَجْعَلْ لَكَ اللَّهُ مَفْخَرَا

وبعد ، الأبيات .

والأبيات ذكرها الشيخ مثالاً على استحسان الرسول صلى الله عليه وسلم وارتياحه للجيد من الشعر ، فحين أنشد النابغة البيت الأول قال له النبي صلى الله عليه وسلم أين المظهر يا أبا ليلى ، فقال النابغة الجنة يارسول الله ، فقال أجل إن شاء الله ، ولمّا أنشده البيتين الآخرين استحسنهما صلى الله عليه وسلم بقوله : " أجدت " ، ثم دعا له بقوله : " لا يفضض الله فاك "(١) .

الأبيات الثانية عشرة : (*) (البسيط)

وأنشد كعب بن زهير:(٢)

بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي اليَوْمَ مَتْبُولُ ∴ مُتَيَّمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُفْدَ(٣) مَغْلُولُ

وَمَا سُعَادُ غَدَاةَ البَيْنِ إِذْ رَحَلَتْ(٤) ∴ إِلاَّ أَغَنُّ(٥) غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ

تَجْلُو عَوَارِضَ(٦) ذِي ظَلْمٍ إِذَا ابْتَسَمَتْ ∴ كَأَنَّهُ مُنْهَلٌ(٧) بِالرَّاحِ مَعْلُولُ(٨)

(*) الدلائل ، رضا : ١٨ ، خفاجي : ٧٤ ، شاكر : ٢٢ .

(١) الدلائل ، رضا : ١٩ ، خفاجي : ٧٥ ، شاكر : ٢٢ - ٢٣ .

(٢) هو كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني ، أبو المضرّب ، وهو شاعر مجيد من أهل نجد ، وكان ممن اشتهر في الجاهلية ، ولما ظهر الإسلام هجا النبي صلى الله عليه وسلم ، وشبب بنساء المسلمين فأهدر النبي صلى الله عليه وسلم دمه ، فأسلم وطلب الأمان من الرسول صلى الله عليه وسلم وأنشد بين يديه لاميته المشهورة التي مطلعها :
" بانت سعاد . . . " فخلع عليه الرسول صلى الله عليه وسلم بردته . توفي سنة ٢٦هـ/ انظر ترجمته :
طبقات فحول الشعراء : ١/ ٩٩-١٠٣ ، الشعر والشعراء : ١٦٠-١٦٢ ، سمط اللآلي : ١٦٠-١٦٢ ، عيون الأثر : ٢/ ٢٠٨-٢١٥ ، خزانة الأدب للبغدادي :
- دار صادر - : ٤/ ١١-١٢ .

(٣) رواية الديوان : " لم يجز مكبول " . (٤) رواية الديوان : " إذ رحلوا " .

(٥) الأغن : الذي في صوته غنّة . / اللسان " غنن " : ١٣/ ٣١٤ .
وغضيض الطرف : فاتر الطرف . / اللسان " غضض " : ٧/ ١٩٧ .

(٦) العوارض : الأسنان وهي مابين الثنية والضرس ، والظلم ماء الأسنان . / اللسان " عرض " : ٧/ ١٨٠ .

(٧) منهل : النهل أول الشرب . / اللسان " نهل " : ١١/ ٦٨٠-٦٨١ .

(٨) والعلل : الشرب الثاني . / اللسان " علل " : ١١/ ٤٦٧ .

سَحَّ السُّقاةُ عَلَيْها مَاءَ مَحْنِيَةٍ ∴ مِنْ مَاءِ أَبْطَحَ أَضْحَى وَهُوَ مَشْمُولُ [1]

وَيْلُمِّها [2] خُلَّةً لَوْ أَنَّها صَدَقَتْ ∴ مَوْعُودَها أَوْ لَوَ أَنَّ النُّصْحَ مَقْبُولُ

إِنَّ الرَّسُولَ لَسَيْفٌ [3] يُسْتَضَاءُ بِهِ ∴ مُهَنَّدٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ مَسْلُولُ

فِي فِتْيَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ ∴ بِبَطْنِ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا زُولُوا

زَالُوا فَمَا زَالَ أَنْكَاسٌ وَلَا كُشُفٌ ∴ عِنْدَ اللِّقَاءِ وَلَا مِيلٌ مَعَازِيلُ

لَا يَقَعُ الطَّعْنُ إِلَّا فِي نُحُورِهِمُ ∴ وَمَا بِهِمْ عَنْ حِيَاضِ المَوْتِ تَهْلِيلُ

شُمُّ العَرَانِينِ أَبْطَالٌ لَبُوسُهُمُ ∴ مِنْ نَسْجِ دَاوُدَ فِي الهَيْجَا سَرَابِيلُ [4]

والأبيات ساقها الشيخ لإثبات استحسانه صلى الله عليه وسلم وارتياحه للشعر الجيد ، فقد بلغ من استحسانه لهذه الأبيات أن ألقى على كعب بردته .

كما أن في إشارته صلى الله عليه وسلم إلى حلق أصحابه بأن اسمعوا دليل على سلامة هذه الأبيات وحسنها .

---

(١) رواية الديوان :

شُجَّتْ بِذِي شَبَمٍ مِنْ مَاءِ مَحْنِيَةٍ ∴ صَافٍ بِأَبْطَحَ أَضْحَى وَهْوَ مَشْمُولُ

(٢) بداية الديوان :

يَا وَيْحَهَا خُلَّةً لَوْ أَنَّهَا صَدَقَتْ ∴ مَا وَعَدَتْ أَوْ لَوَ أَنَّ النُّصْحَ مَقْبُولُ

(٣) رواية جمهرة أشعار العرب ، وعيون الأثر ، والسيرة لابن هشام ، وشرح شواهد المغني "لنورٌ" .

(٤) وبعض هذه الأبيات في :-

شرح ديوان كعب للسكري : ٦ - ٢٥ ، جمهرة أشعار العرب : ٢٨٢-٢٨٧ ، طبقات فحول الشعراء : ١ / ٩٩-١٠٣ ، الشعر والشعراء : ١٦٠-١٦٢ ، مجالس ثعلب : ٢/٨/٣٤٢ ، المصون : ١٩٥-١٩٧ ، سمط اللآلي : ٤٢١ ، أراجيز العرب : ٥٠ ، حماسة ابن الشجري : ٩٧ ، عيون الأثر: ٢ / ٢٠٨ - ٢١٥ ، السيرة لابن هشام : ٤ / ١٠٩ - ١١٦ ، مغني اللبيب : ٢ / ٤١١ - ٤٣٨ ، شرح قصيدة كعب بن زهير : ٢٣ - ٢٨ ، شرح شواهد المغني : ٢ / ٥٢٥ ، خزانة الأدب للبغدادي : - دار صادر - : ٤ / ١١-١٢ .

جاء في الدلائل :-

"... روى أن كعباً وأخاه بُجيراً خرجا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغا أبرق العزاف فقال كعب لبجير: الْقَ هذا الرجل، وأنا مقيم ههنا، فانظر مايقول، وقدم بجير على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض عليه الإسلام فأسلم، وبلغ ذلك كعباً فقال في ذلك شعراً، فأهدر النبي صلى الله عليه وسلم دمه، فكتب إليه بُجير يأمره أن يسلم، ويقبل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ويقول: إن من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قَبِلَ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسقط ماكان قبل ذلك، فقدم كعب وأنشد النبي صلى الله عليه وسلم قصيدته المعروفة ..." فأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحلق أن اسمعوا. قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون من أصحابه مكان المائدة من القوم يتحلقون حلقة دون حلقة، فيلتفت إلى هؤلاء وإلى هؤلاء"(١)

الكلام في النحو:-

البيت الثالث عشر: (*) (الوافر)

وَإِلَّا فَاعْلَمُوا أَنَّا وَأَنْتُم ∴ بُغَاةٌ(١) مَابَقِينَا فِي شِقَاقِ (٢)

( ) الدلائل، رضا: ١٨-١٩، خفاجي: ٧٤-٧٦، شاكر: ٢٢-٢٣.

( ) الدلائل رضا: ٢٦، خفاجي: ٨٣، شاكر: ٣٢.

وانظر الخبر في:

طبقات فحول الشعراء: ٩٩-١٠٣، الشعر والشعراء: ١/١٦٠-١٦٢، عيون الأثر: ٢٠٨-٢١٢، السيرة لابن هشام: ٤/١٠٧-١١٨، خزانة الأدب للبغدادي- مكتبة الخانجي -: ٤/١٢.

(٢) رواية الديوان ومعاني القرآن للفراء: "ماحَيِينَا".

(٣) انظر البيت في:

ديوانه: ١٦٥، الكتاب: ٢/١٥٦، شرح الكافية: ١/٥١٣، شرح المفصل: ٢/٨/٦٩، الإنصاف: ١٩٠، شرح التصريح على التوضيح: ١/٢٨٨، معاني القرآن: ١/٣١١، غير منسوب. خزانة الأدب للبغدادي - دار صادر -: ٤/٣١٥.

ذكره الشيخ من غير عزو ، وهو لبشر بن أبي خازم الأسدي[1] ، من قصيدة مطلعها :

أَهَمَّتْ مِنْكَ سَلْمَى بِانْطِلَاقِ .·. وَلَيْسَ وِصَالُ غَانِيَةٍ بِبَاقِي[2]

وقبله :

فَإِنْ جُزَّتْ[3] نَوَاصِي آلِ بَدْرٍ .·. فَأَدُّوهَا وَأَسْرِي فِي الوِثَاقِ(٤)

والبيت أورده الشيخ في معرض رده على من زهد في النحو، واحتقره ، وصغر أمره ، وتهاون به ، فهو علم يحتاج العلماء لفهم آيات القرآن الكريم ، فكلمة " الصابئون " من قوله تعالى :

" إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا والصَّابِئُونَ والنصارى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ، وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ[5] " .

---

(١) هو شاعر من بني أسد جاهلي قديم ، شهد حرب أسد وطيء، وشهد هو وابنه نوفل بن بشر الحِلْف بينهما ، وكان بشر في أول أمره يهجو أوس بن حارثة الطائي ، فأسَرَته بنو نَبْهَان من طيء، فركب أوس إليهم فاستوهبه منهم ، وكان قد نذر ليحرقَنَّه إن قَدَرَ عليه ، فوهبوه له ، فقالت له أمه سُعْدَى : قبح الله رأيك أكرم الرجل وخلِّ عنه ، فإنه لا يمحو ماقال غيرُ لسانه ففعل ، فجعل بشر مكان كل قصيدة هجاء قصيدة مدح ، وقد جعله ابن سلام فى الطبقة الثانية من فحول الشعراء الجاهليين ./ انظر :
الشعر والشعراء : ١ / ٢٧٧ ، طبقات فحول الشعراء : ١ / ٩٧ .

(٢) ديوانه : ١٦١ ، خزانة الأدب - دار صادر - : ٤ / ٣١٦ .

(٣) رواية خزانة الأدب :
" فَإِنْ حُزَّتْ " .

(٤) ديوانه : ١٦٥ .

(٥) المائدة : ٦٩ .

جاءت مرفوعة ، ولا يمكن معرفة وجه الرفع فيها إلا عن طريق علم النحو، فهو علم يخدم القرآن أولاً وأخيراً ، فوجه الرفع فيها أنها عطفت على محل الذين آمنوا قبل استكمال الخبر، وهو قوله تعالى : " مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ والْيَوْمِ الآخِرِ " وساق الشيخ البيت الشعري الذي نحن بصدده تنظيراً لوجه الرفع في الآية ، فالبيت فيه عطف " أنتم " وهو ضمير مرفوع على محل ضمير المتكلم المعظم نفسه، أو المشارك لغيره قبل استكمال الخبر.

وأصل الكلام : وإلَّا فاعلموا أنا بغاة وأنتم بغاة .

وحذف خبر الثاني لدلالة الأول عليه (١).

البيت الرابع عشر : (*) (الطويل)

يَقُولُونَ أَقْوَالاً وَلاَ يَعْلَمُونَهَا (٢) .·. وَلَوْ قِيلَ (٣) هَاتُوا حَقِّقُوا لَمْ يُحَقِّقُوا (٤)

ذكره الشيخ من غير نسبة وهو لأبي الأسود الدؤلي (٥).

---

(١) شرح التصريح على التوضيح : ١/ ٢٢٧ - ٢٢٨، وانظر : الكتاب : ٢/ ١٥٦ ، خزانة البغدادي - دار صادر - : ٤/ ٣١٥.

(*) الدلدل ، رضا : ٣٣ ، خفاجي : ٩٠ ، شاكر : ٤٠ .

(٢) رواية الديوان والأغاني ومعجم البلدان : " بظن وشبهة " .
ورواية زهر الآداب : " بظن وتهمة " ، ورواية العقد الفريد : " ولا يحكمونها " ، ورواية الحيوان : " ولا يَعرِفُونَها " .

(٣) رواية الديوان : " فإن قيل " ، ورواية الشعر والشعراء : " وإن قيل ".

(٤) انظر البيت في :
ديوان أبي الأسود : ١١٨ ، الحيوان : ٣/ ١١٦ ، عيون الأخبار: ١/ ٥٩ ، الشعر والشعراء: ٢/ ٧٤٢ ، الكامل - المعارف - : ١/ ١٨٥ ، العقد الفريد : ٢/ ٣٧٤ ، الأغاني : ٨/ ٤٠٦ ، أمالي المرتضى : ١/ ٣٨٥ ، زهر الآداب : ٤/ ٩٨٦ ، معجم البلدان : ٣/ ٢١٤.

(٥) نُسب البيت لأبي الأسود الدؤلي في :
ديوانه ، العقد الفريد ، الأغاني ، زهر الآداب ، معجم البلدان ، ونسب في بقية المراجع لأنس بن أبي أناس .
وأبو الأسود هو ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل ، وقيل هو ظالم بن عمرو =====

وينسب أيضا لأنس بن أُنيس الدؤلي[(١)]، والبيت أحد أبيات قيلت في حارثة ابن بدر الغُدّاني[(٢)] حين وُلّي كورة "سُرَّق" من أعمال الأهواز، وأول الأبيات:

أَحَارِ بنَ بَدْرٍ قَدْ وَلِيتَ ولايةً[(٣)] .·. فَكُنْ جُرَذاً فِيهَا تَخُونُ وَتَسْرِقُ

وقبل الشاهد :

فَلاَ تَحْقِرَنْ[(٤)] يَا حَارِ شَيئاً تُصِيبُهُ[(٥)] .·. فَحَظُّكَ مِنْ مُلْكِ العِرَاقَينِ سُرَّقُ

=== ابن جندل بن سفيان (١ ق هـ - ٦٩ هـ) يعد من شعراء الطبقة الأولى من تابعي البصرة، ويعد أيضا من المحدثين والبخلاء، والمفاليج، والعُرج، وهو يعَد من أول النحويين لأنه أول من عمل في النحو كتاباً، وقد أمره زياد بن أبيه بتنقيط المصحف فنقطه، أخذ حدود النحو من علي بن أبي طالب وشهد معه صفين وولي البصرة، توفي سنة تسع وستين وله خمس وثمانون سنة / انظر ترجمته :

طبقات ابن سعد : ٧/ ٩٩، المعارف : ٤٣٤-٤٣٥، الشعر والشعراء : ٢/ ٧٣٣، الأغاني : ١٢/ ٢٩٧-٣٣٤، الأنساب للسمعاني : ٥/ ٣٦٤-٣٦٧ معجم الأدباء : ١٢ : ٣٤-٣٨، نزهة الألباء : ١٨-٢٤، إنباه الرواة : ١/ ٤٨-٥٨، النجوم الزاهرة : ١/ ١٨٤، تهذيب التهذيب : ٥/ ٣٧، بغية الوعاة : ٢/ ٢٢-٢٣، المزهر : ٢ / ٣٩٧، ٤١٨، ٤٦١، الإصابة: ٢/ ٢٣٢-٢٣٣ رقم (٤٣٢٩)، والضائع من معجم الشعراء للمرزباني : ٨٣ .

(١) - هو أنس بن أبي أناس ويقال "إياس" ويقال "أنيس" بن زُنيم الكناني الدؤلي، وهو من رهط أبي الأسود الدؤلي، وكان أعور، وأبوه أبو أناس شاعر شريف، وأخو أنس سارية بن زنيم الذي قال له عمر بن الخطاب يا سارية الجبل الجبل ./ انظر: الإصابة : ١/ ٨٢-٨٣، الخزانة : ٣/ ١١٩-١٢٢.

(٢) وكان حارثة ذا بيان وجهارة وأدب، وكان شاعراً عالماً بالأخبار، والأنساب، وكان متهوماً في الشراب./ انظر :

الأغاني : ٨/ ٣٨٤-٤٢٥، زهر الآداب : ٤ / ٩٨٥.

(٣) رواية الشعر والشعراء والكامل والأغاني وأمالي المرتضى "إمارة".

(٤) رواية الحيوان، وعيون الأخبار، والكامل، والأغاني، وأمالي المرتضى "وَلاَ تَحْقِرَنْ".

(٥) رواية الحيوان "مَلَكْتَهُ"، ورواية الشعر والشعراء : "أَصَبْتَهُ"، ورواية الكامل وأمالي المرتضى : "وَجَدْتَهُ".

=====

فَإِنَّ جَمِيعَ النَّاسِ إِمَّا مُكَذِّبٌ (١) ∴ يَقُولُ بِمَا يَهْوَىٰ وَإِمَّا مُصَدِّقُ

وبعد الشاهد :

وَلَا تَعْجَزَنْ فَالعَجْزُ أَخْبَثُ مَرْكَبٍ ∴ فَمَا كُلُّ مَدْفُوعٍ إِلَىٰ الرِّزْقِ يُرْزَقُ (٢)

وَبَارِزْ (٣) تَمِيماً بِالفَتَى إِنَّ لِلْفَتَى ∴ لِسَاناً بِهِ المَرْءُ (٤) الهَيُوبَةُ يَنْطِقُ

وقد أورده الشيخ في معرض حديثه عن إعجاز القرآن ، وأنه من المحتم على المرء أن يبحث عن أسرار الإعجاز ويبحث عن الطرق والخصائص التي تكشف له هذه الأسرار ، فإن اكتفى بظاهر الكلام من غير فحص ولا تمحيص ، كان كمن يردد القول وهو يجهل المراد به ، فلو طلب منه الدليل والحجة على ما يقول عجز عن ذلك .

قال الشيخ :

" . . . فبنا أن ننظر أيُّ أشبهُ بالفتى في عقله ودينه ، وأزيد له في علمه ويقينه ، أأن يقلّد في ذلك ، ويحفظ متن الدليل وظاهر لفظه ، ولا يبحث عن تفسير المزايا والخصائص ما هي ؟ ومن أين كثرت الكثرة العظيمة ، واتسعت الاتساع المجاوز لوسع الخلق وطاقة البشر ؟ وكيف يكون أن تظهر في ألفاظٍ محصورة ، وكلمٍ معدودة معلومة ، بأن يؤتى ببعضها في إثر بعض ، لطائف لا يحصرها العدد ، ولا ينتهي بها الأمد ؟ أم أن يبحث عن ذلك كلّه ، ويستقصي النظر في جميعه ، ويتتبعه شيئاً فشيئاً ، ويستقصيه باباً فباباً ، حتى يعرف كُلّاً منه بشاهده ودليله ، ويعلمه بتفسيره وتأويله ويُوثّق بتصويره وتمثيله ، ولا يكون كمن قيل فيه :

يَقُولُونَ أَقْوَالاً وَلَا يَعْلَمُونَهَا ∴ وَلَو قِيلَ هَاتُوا حَقِّقُوا لَمْ يُحَقِّقُوا (٥)

=== وروى البيت في العقد الفريد : " فدع عنك ما قالوا ولا تكثرت بهم " .
ورواية زهر الآداب : " ولا تدعن الناس شيئا تصيبه " .

(١) رواية العقد : " وَمَا النَّاسُ إِلَّا اثْنَانِ إِمَّا مُكَذِّبٌ " .
ورواية زهر الآداب : " فَمَا النَّاسُ إِلَّا قَائِلٌ فَمُكَذِّبٌ " .

(٢) رواية الأغاني : ولا تحقرن يا حار شيئاً تُصيبه ∴ فحظُّك من مُلك العراقين سُرَّق

(٣) رواية الحيوان والشعر والشعراء والكامل والعقد : " وَبَاهِ " . ورواية عيون الأخبار " وَبَارِ " . ورواية الأغاني : " وَكَاثِرْ " ،
وهذا البيت ذكروه بعد قوله : " أَحَارِ بنَ بَدْرٍ قَدْ وَلِيتَ . . . "
وذكروا خمسة أبيات فقط ولم يذكروا قوله ـ ماعدا الأغاني ـ :
" وَلَا تَعْجَزَنْ فَالعَجْزُ أَخْبَثُ مَرْكَبٍ . . . "

(٤) رواية الأغاني : " به يَشْطُو العَيُّ " ، ورواية أمالي المرتضى : " العَيُّ " .

(٥) الدلائل ، رضا : ٣٣ ، خفاجي : ٩٠ ، شاكر : ٤٠ .

ب ـ شواهد تحقيق القول في الفصاحة والبلاغة .

الشاهد الأول [*]: (الطويل)

تَلَفَّتُّ نَحْوَ الحَيِّ حَتَّى وَجَدْتُنِي .·. وَجِعْتُ [١] مِنَ الإِصْغَاءِ لِيتاً [٢] وَأَخْدَعَا [٣] [٤]

لم يذكر الإمام عبد القاهر قائل هذا البيت ، وإنما ذكر أن البيت من أبيات الحماسة ، ووجدت - فيما رجعت إليه من مصادر - أن البيت - في المشهور - للصمة ابن عبد الله القشيري [٥].

(*) الدلائل ، رضا : ٣٨ ، خفاجي : ٩٦ ، شاكر : ٤٧ .

(١) رواية الأشباه والنظائر:
" تشكيت للإصغاء ليتًا وأخدعا " ، وذكر المحقق أنه جاء في نسخة " تنكبت " وأن الرواية " رجعت من الإصغاء " .

(٢) اللِّيْتُ بالكسر: صفحة العُنُق : وقيل الليتان صفحتا العُنُق ، وقيل : أدنى صفحتي العُنُق من الرأس عليهما ينحدر القُرطان ./اللسان " ليت " : ٢ / ٨٧ .

(٣) الأخدع : عِرق في موضع المحجمتين ، وهما أخدعان .
والأخدعان : عِرقان خفيّان في موضع الحجامة من العُنُق . / اللسان " خدع " : ٨ / ٦٦ .

(٤) وفي رواية الأغاني التي ذكر فيها أن مطلع القصيدة :
أَمِنْ ذِكْرِ دَارٍ بِالرَّقَاشِينِ أَصْبَحَتْ .·. بِهَا عَاصِفَاتُ الصَّيفِ بِدْءًا وَرُجَّعَا
لم يذكر ضمن الأبيات بيت الشاهد ، وكذلك في بهجة المجالس ذكر بعض أبيات القصيدة دون ذكر بيت الشاهد / ٢ / ٨٢٦ ، وكذلك العقد الفريد ذكر ثلاثة أبيات لم تتضمن بيت الشاهد ، انظر البيت في :
الحماسة - تحقيق عبد الرحيم عسيلان : ٢ / ٤ رقم ٤٦٠ ، الأمالي لليزيدي : ١٤٩ ، الأمالي لأبي علي القالي : ١ / ١٩٠-١٩١ ، الأغاني - دار الكتب : ٦ / ٢٠٨٥ ، الأشباه والنظائر : ٢ / ٢٨ ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ٣ / ١٢١٦ ، سمط اللآلي : ١ / ٤٦٢ ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٤ / ١١٤ ، المثل السائر : ١ / ٣٨٤ ، الطرائف الأدبية : ٧٦ ، ٧٧ .

(٥) لقد نسبت بعض أبيات قصيدة الصمة إلى قيس بن ذريح ، وللمجنون ، ونسبت في وفيات الأعيان : ٥ / ٤١٣ ، وفي مصارع العشاق : ٧٨ م ٣ لابن الطثرية ، ونسبت بعض الأبيات في العقد الفريد لابن الدمينة .
جاء في الأغاني : " وهذه الأبيات التي أولها " حننت إلى ريا " تروى ====

والشاهد من قصيدة مطلعها :

حَنَنْتَ إلى رَيَّا وَنفْسُكَ بَاعَـــدَتْ ∴ مَزَارَكَ مِنْ رَيَّا وَشَعْبَاكُمَا مَعَـــا (١)

وقبل الشاهد :

وَلمَّا رأيتُ البِشْرَ (٢) أعْرَضَ (٣) دُونَنَـــا ∴ وَحَالَتْ (٤) بَنَاتُ الشَّوقِ يَحْنِنَّ نُزَّعَا

=== لقيس بن ذريح في أخباره ، وشعره بأسانيد قد ذُكرت في مواضعها ، ويروى بعضها للمجنون في أخباره بأسانيد قد ذُكرت أيضا في أخباره . . . "
٦/٢٠٨٥ - ٢٠٨٦ .
وجاء في بهجة المجالس : " ومنهم من ينسبها إلى قيس بن ذريح ، وللمجنون أيضا تنسب ، والأكثر أنها للصمة : ٢/١/٨٢٦ .
والصمة القشيري هو الصمة بن عبد الله بن طفيل بن مرة بن هبيرة بن عامـــر ابن سلمة الخير بن قشـــير بن كعب ، شاعر غزل ، وهو شاعر إسلامي بـــدوي مقل من شعـراء الدولة الأموية ، ولجده مُرَّة بن هبيرة صحبة بالنـــــبي صلى الله عليه وسلم ، وهو أحد وفود العرب الوافدين عليه صلى الله عليه وسلم ، وتوفي الصمة في بلاد طبرستان ، وقد ذكر التبريزي أنه كان أعوص/
انظر ترجمته :
الأغانـــــي : ٦ / ١ - ٩ ، المؤتلف والمختلـــف : ١٤٤ - ١٤٥ ،
جمهـــــــــرة أنساب العرب : ٢٨٩ ، سمط اللآلي : ١/٤٦١ ، ٤٦٢ ،
شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٣ / ١١٢ - ١١٤ .

(١) ذكر صاحب الطرائف الأدبية أن أول القصيدة :
أَرَبَّتْ بِهَا الأرْوَاحُ حَتَّى تَنَسَّفَتْ ∴ مَعَارِفَهَا إلَّا الصَّفِيحَ المُوَضَّعَـــا
انظر الطرائف : ٧٧ ، وذكر اليزيدي في أماليه : ١٤٩ ، أن مطلع القصـــيدة :
أَمِنْ أَجْلِ دَارٍ بِالرقاشين أَصْبَحَـــتْ ∴ بِهَا بَارِحَاتُ الصَّيفِ بَدْءاً وَرُجَّعَــــا
وكذلك ذكر في الأغاني في إحدى الروايات (٦/٢٠٨٧) أن مطلع القصيدة :
أَمِنْ ذِكْرِ دَارٍ بِالرَّقَاشين أَصْبَحَتْ ∴ بِهَا عَاصِفَاتُ الصَّيفِ بَدْءاً وَرُجَّعَـــا
(٢) البشر : جبل في أطـراف نجد من جهة الشام ./معجم البلدان : " بشر " : ١/٤٢٧ .
(٣) وفي الأغاني : ٦/ ٥ : " وَلَمَّا رَأَيْتُ البِشْرَ قَدْ حَالَ بَيْنَنَا " .
(٤) رواية الأغاني : " وجالت " وكذلك رواية الأمالي .

بَكَتْ عَيْنِيَ الْيُمْنَى فَلَمَّا زَجَرْتُهَا ∴ عَنِ الجَهْلِ بَعْدَ الحِلمِ أَسْبَلَتَا مَعَا

وبعد الشاهد (٢) :

وَأَذكُرُ أيَّامَ الحِمَى (٣) ثُمَّ أَنْثَنِي ∴ عَلَى كَبِدِي مِنْ خَشْيَةٍ أَنْ تَصَدَّعَا

---

(١) ذكر في الأغاني روايتين (بكت عيني اليمنى . بكت عيني اليسرى " وذكر في أمالي اليزيدي : ١٤٩ ، ومعاني أبيات الحماسة : ١٦٣ ، وبهجة المجالس : ١ / ٢ / ٨٢٦ ، وشرح الحماسة للتبريزي : ٣ / ١١٤ ، " بكت عيني اليسرى " ، قال البكري قال ابن القزاز العين اليسرى أضعف وأقل إمساكاً من اليمنى ، فلذلك صارت أسرع بالدمع ، وكذلك الميامن أقوى من المياسر في كل شيء إلا في اللمس خاصة ، فإن اليد اليسرى فيه أقوى حاسّة ، والقول الصحيح الصادع في معناه أن الصمة قائل البيت كان أعور العين اليمنى والدليل على عوره قوله :

تَوَاهَسَ أَصْحَابِي حَدِيثاً لَقِيتُهُ ∴ خَفِيّاً وَأَعْضَادُ المَطِيِّ حَوَانِ

كَأَنَّ قَذًى بِالعَيْنِ قَدْ مُرِجَتْ بِهِ ∴ وَمَا حَاجَةُ الأُخْرَى إِلَى المَرَجَانِ

عَذَرْتُكِ يَا عَيْنِي الصَّحِيحَةَ بِالبُكَا ∴ فَمَا أَوْلَعَ العَوْرَاءَ بِالهَمَلَانِ .

انظر هامش سمط اللآلي : ١ / ٤٦٢ .

(٢) ذكر صاحب الطرائف الأدبية أن القصيدة ستون بيتاً ، وذكر فيها أبياتاً لم تذكرها المراجع الأخرى ، وذكر قبل الشاهد :

وَسِرْبٌ بَدَتْ لِي فِيهِ بِيضٌ نَوَاهِدٌ ∴ إِذَا سُمْتُهُن الوَصْلَ أَمْسَيْنَ قُطَّعَا

وذكر بعد الشاهد :

فَإِنْ كُنْتُمُ تَرْجُونَ أَنْ يَذْهَبَ الهَوَى ∴ يَقِيناً وَتَرْوَى بِالشَّرَابِ فَتَنْقَعَا

وفي الأمالي لليزيدي ذكر قبل الشاهد :

لِمُغْتَصَبٍ قَدْ عَزَّهُ القَوْمُ أَمْرَهُ ∴ يُسِرُّ حَيَاءً عَبْرَةً أَنْ تَطَلَّعَا

وذكر البكري بيتين بعد الشاهد ، وأشاد بحسنهما ، وأنه لا ينبغي أن يحذفا لجودتهما ، وانتظام الكلام بهما وهي :

أَلَا يَا خَلِيلَيَّ اللَّذَانِ تَوَاصَيَا ∴ بِلَوْمِيَ إِلَّا أَنْ أُطِيعَ وَأَسْمَعَا

قِفَا وَدِّعَا نَجْداً وَمَنْ حَلَّ بِالحِمَى ∴ وَقَلَّ لِنَجْدٍ عِنْدَنَا أَنْ يُوَدَّعَا

(٣) الحمى : موضع فيه ماء وكلأ يُمنع منه الناس ، ويقال : أحميت المكان إذا جعلته حمى . / اللسان " حما " : ١٤ / ١٩٩ .

ومناسبة القصيدة التي منها البيت أن الصمة هوى ابنة عم له يقال لها العامرية[1] بنت غطيف بن حبيب بن قرة[2] بن هبيرة، فخطبها من أبيها، فرفض أن يزوجه إياها، وزوّجها من عامر بن بشر بن براء، فلما بنى بها زوجها وجد الصمة بها وجداً شديداً، فزوجه أهله امرأة منهم يقال لها جبرة بنت وحشي بن الطفيل، فمكث معها مدة قصيرة ثم رحل إلى الشام.[3]

ولقد شرح المرزوقي بيت الشاهد بقوله:

" يقول: أخذت في مسيرى لمَّا أبصرت حال نفسي في تأثير الصبابة فيها ملتفتاً إلى ما خلَّفته من الحيِّ وأرض نجدٍ، حتى وجدتني وجع الليت - وهو عرق فيها - لطول أصغائي، ودوام التفاتي كلّ ذلك تحسّرا في إثر الفائت من أحبابي وديارها، وتذكراً لطيب أوقاتي معهم فيها، وقد قيل فيه: إنَّ من رموزهم أن من خَرَج من بلد، فالتفت وراءه رجع إلى ذلك البلد، وأنشد فيه أبيات منها قوله:

عِيلَ صَبْرِي بالثَّعْلَبيَّةِ لَمَّا .·. طَالَ لَيلِي وَقَلَّنِي قُرَنَائِي

كلَّمَا سارَتْ المَطَايَا بِنَامِي .·. لاَ تَنَفَّسْتُ والتَفتُ وَرَائِي

قالوا التفت لكي يُقضَى له الرجوع، لكونه عاشقا".[4]

---

(١) وفي الأمالي لليزيدي أن اسمها " رَيَّا " وهو الاسم المذكور في مطلع القصيدة، ولعل العامرية لقب لها.

(٢) يروى في معجم الشعراء: " مُرَّة ".

(٣) انظر: الأغاني: ٦ / ٢، وذُكرت القصة في شرح الحماسة التبريزي برواية أخرى ربما تكون مكملة لهذه الرواية: ٣/١١٣، وكذلك في الأمالي لليزيدي: ١٤٨ - ١٤٩، وكذلك رواية أخرى في الأغاني: ٦ / ٧.

(٤) شرح الحماسة للمرزوقي: ٣ / ١٢١٨ - ١٢١٩.

ويبدو لي أن هذا الشرح لم يبرز لنا عاطفة الشاعر على حقيقتها ، ولم يكشف لنا عن ذلك الشوق الذي يعصف في جنبات نفسه ، وإنني لألمح وراء هذا البيت معانيَ غزيرة وأسراراً لطيفة، فالقصيدة من بدايتها يشيع فيها الحنين الصادق ، والتألم المحرق من كثرة الشوق ، وبيت الشاهد صور لنا لونا من ألوان هذا الحنين، الذي يضطرم في نفس المحب ، وقد نجح الشاعر في تصوير هذا الإحساس تصويراً حركياً دقيقاً ، فهو عندما رأى جبل " البشر " قد اعترض طريقه ازداد إحساسه بألم الفراق ، وصاحت نوازع الشوق توقظ كوامن إحساسه وتفزع ما تبقى في نفسه من الصبر، حتى أن عينه العوراء قد خرجت عن نطاق العُرف والعادة ، فأخذت تشارك أختها الصحيحة في البكاء ، وأخذ الحنين يُسَيِّر أعضاء جسمه ، فأخذ أخدعه يتلفت ويطيل التلفت من غير أن يشعر فلما طال تلفته استيقظ على ألم في ليته وأُخدعه . . فقوله : " حتى وجدتني " يُظهر أنه أثناء تلفته لم يكن يشعر بوخز ألم التلفت لشدة وجده ، وأن تلفته هذا جاء تبعاً لشعوره ، ورغماً عن إرادته ، فقد كان مسلوب الإرادة يتحكم فيه شوقه وحنينه .

ولقد كان الشاعر دقيقاً في انتقاء عباراته ، انظر كيف اختار لفظ " تلفت " بدلاً من " التفت " ، وذلك لأن التلفت يدل على كثرة واستمرار الحركة ، فهو أعمق دلالة على الشوق . جاء في اللسان :

" لَفَتَ وَجْهَه عَنِ القَومِ : صَرَفَه ، والْتَفَتَ التِفَاتا ، والتَّلَفُّتُ أكْثَرُ مِنْه .
وتَلَفَّتَ إلى الشيء والْتَفَتَ إليه : صَرَفَ وَجْهَه إلَيْهِ ".(1)

ثم إنه قال : " حتى وجدتني وجعت من الإصغاء "(2) ولم يقل من التلفت وهي

---

(1) اللسان : " لفت " : ٢ / ٢٨٤ .

(2) صَفَا إليه يَصْفي وَيَصْفُو صَفْوا وَصُفُوّاً وَصَفَاً : مال ، وكذلك صَغِيَ بالكسر يَصْغِي صَغىً وصُغِياً .
قال ابن السكيت : صَغَيْتُ إلى الشيء أَصْغى صُغْياً إذا ملت .
وأَصْغَتْ النَّاقَةُ تُصْغِي إذَا أَمَالَتْ رَأْسَهَا الى الرجل كأنَّهَا تستمع شيئاً حين يشد عليها الرحل . / اللسان : " صفا " : ١٤ / ٤٦٠-٤٦١ .

اللفظة التي ابتدأ بها البيت ، ولعل السر في ذلك أن الشاعر يريد أن يقول أنه كان لا ينظر النظرة العابرة ، يدير وجهه، ثم يعود بسرعة إلى حالته الطبيعية ، وإنما كان يتلفت ثم يظل على هذا الوضع زمنًا طويلاً يتسمع فيه بأذنه ، ويصغي بقلبه ، علّه يسمع خبرًا من الحي ، أو يرد عليه مايهدئ من لوعته ، ويخفف من حنينه وشوقه ، وهذا الوضع هو الذي ينشأ عنه الوجع الشديد .

وكأن الإصغاء عنده يكون بالقلب ، فهو أشد من التلفت دلالة على التلهف والحنين ، فلفظ " الإصغاء " في هذا الموقف كان له وحيٌ خاص ، فقد دلّ على التطور الشعوري عند الشاعر ، وأنه قد بلغ مداه .

وقد ورد معنى الإصغاء هذا في قول الشاعر :

مَنْ لِي بِإِنْسَانٍ إِذَا أَغْضَبْتُهُ ∴ وَجَهِلْتُ كَانَ الحِلْمُ رَدَّ جَوَابِهِ

وإذا اصبَوتَ إلى المَدَامِ شَرِبْتُ مِنْ ∴ أخلاقِهِ وَرَوِيتُ مِنْ آدابِهِ

وَتَرَاهُ يُصْغِي للحَدِيثِ بِسَمْعِهِ ∴ وبِقَلْبِهِ ولَعَلَّهُ أَدْرَى بِهِ (١)

وقد ورد لفظ الإصغاء في القرآن مع " القلب " قال تعالى : * وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ * (٢)

أي ولتميل إليه (٣).

وقال تعالى : * فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا * (٤)

وإذا صح هذا كان معنى الصمة هذا مصدرًا لمعنى الشريف الرضي الذي أعجب به النقاد في قوله :

وَلَقَدْ مَرَرْتُ عَلَى دِيَارِهِمُ ∴ وَطُلُولُهَا بِيَدِ البِلَى نَهْبُ

---

(١) لم أقف على قائله .

(٢) الأنعام : ١١٣.

(٣) اللسان : " لفت " : ٢ / ٢٨٤.

(٤) التحريم : ٤ .

فوقفتُ حتى ضجّ من لَغَبٍ .·. نِضْوى ولجّ بِعَذْلي الرَّكْبُ
وتلفّتتْ عَيْني فمُذْ خفيتْ .·. عَنْها الطُّلُولُ تلفّتَ القَلْبُ (١)

فتلفت القلب هذا - وهو معنى رائع حقاً - هو الإصغاء بالقلب في بيت الصمة.

....

الشاهد الثاني :(*) (الطويل)

بيت البحتري (٢) :

وإنّي وإنْ بلّغتني شرفَ الغِنى (٣) .·. وأعتقتَ منْ رِقّ (٤) المَطامِع (٥) أخْدعي (٦)

---

(١) ديوانه : دار صادر - : ١ / ١٨١.

(*) الدلائل ، رضا : ٣٨ ، خفاجي : ٩٦ ، شاكر : ٤٧.

(٢) هو الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي ، أبو عبادة (٢٠٦هـ - ٢٨٤هـ) ، شاعر كبير ، يقال لشعره " سلاسل الذهب " وهو أحد الثلاثة الذين كانوا أشعر أبناء عصرهم : المتنبي ، وأبو تمام والبحتري ، ولد بمنبج ، ورحل إلى العراق ، فاتصل بجماعة من الخلفاء أولهم المتوكل ، ثم عاد إلى الشام وتوفي بمنبج ، له كتاب " الحماسة " و " عبث الوليد " ، / انظر ترجمته :
أخبار البحتري للصولي ، الأغاني : ٢١ / ٣٧ - ٥٣ ، تاريخ بغداد : ١٣ / ٤٧٦-٤٨١ ، معجم الأدباء : ١٩ / ٢٤٨-٢٥٨ ، عبر الذهبي : ١ / ٤٠٩ ، وفيات الأعيان : ٦ / ٢١-٣٦ ، الشذرات : ٢ / ١٨٦ ، الأعلام : ٨ / ١٢١ ، سير أعلام النبلاء : ١٣ / ٤٨٦.

(٣) رواية الديوان : " شرف العُلى " ، ورواية الغنى هي الأنسب لما بعدها " وأعتقت من رق المطامع " ، فالشاعر يتحدث عن العطاء والنوال الذي يكون بهما الإنسان غنياً .

(٤) رواية الموازنة وإعجاز القرآن للباقلاني : " من ذلّ " .

(٥) الأخدع : عرق بالعنق ، وهنا أراد العنق كله ، فاستعمل الجزء في الكل .

(٦) انظر البيت في :-
ديوانه : ١ / ١٠٦ ، الموازنة : ٢٣٩ ، إعجاز القرآن للباقلاني : ٢٣٦ ، المثل السائر : ١ / ٣٨٤.

وهو من قصيدة يمدح فيها الفتح بن خاقان،[(١)] ومطلعها :

سُقيتِ الفُؤادي مِنْ طَلَلٍ وأَرْبُعٍ .·. وحُيِّيتِ مِنْ دارٍ لأسْماءَ بَلْقَعِ[(٢)]

وقبل الشاهد :

لَكَ الخيرُ إنّي لاحِقٌ بِكَ فاتَّئِدْ .·. عَليَّ وإنّي قائِلٌ لَكَ فاسْمَعِ

مَكانِيَ مِنْ نُعْماكَ غيرُ مُؤَخَّرٍ .·. وحَظِّيَ مِنْ جَدْواكَ غيرُ مُضَيَّعِ[(٣)]

وبعد الشاهد :

فَما أَنا بِالمَغْضُوضِ[(٤)] عَمّا أَتَيْتَهُ .·. إلَيَّ ولا المَوْضُوعِ في غَيرِ مَوْضِعِي[(٥)]

جاء بيت الشاهد ضمن قصيدة مدح تشيع في نفس صاحبها السعادة والحبور والولاء ، وقد ابتدأها بمطلع غزلي على عادة الشعراء في ذلك العهد يدعو فيه لديار محبوبته وأطلالها بالسقيا .

---

(١) هو الفتح بن خاقان بن أحمد بن غرطوج ،أبو محمد (٠٠ - ٢٤٧هـ) فارسي الأصل من أبناء الملوك اتخذه المتوكل أخاً له واستوزره وجعل له إمارة الشام على أن ينيب عنه ، وكان يفضله على جميع أهله وولده ، وهو شاعر ، أديب ، فصيح ، فطن ذكي ، جمع خزانة كتب تعد من أعظم الخزائن وألف عدة كتب منها :-
" اختلاف الملوك " ،" الصيد والجوارح " ، " الروضة والزهر " ،
قتل مع المتوكل ./ انظر ترجمته :
الفهرست : ١ / ١٦٩ - ١٧٠ ، معجم الشعراء للمرزباني : ٣١٨ ،
فوات الوفيات : ٣ / ١٧٧ ، معجم الأدباء : ١٦ / ١٧٤ - ١٨٦ ،
الأعلام : ٥ / ١٣٣ .

(٢) الديوان : ١ / ١٠٣ .

(٣) الديوان : ١ / ١٠٥ - ١٠٦ .

(٤) المغضوض : وهو من غضّ الشيء يَغُضُّه أي وضع ونَقَص من قدره ، ولا أغُضُّك درهماً أي لا أنقصك . / اللسان :" غضض" :٧/ ١٩٨ .

(٥) الديوان : ١/ ١٠٦ .

ونرى الشاعر في قصيدته متفائلاً فرحاً واثقاً من مكانته لدى الممدوح ، وأنه المقدم عنده في العطاء المذكور دائماً في النوال ، ثم يؤكد للممدوح ولاءه التام بقولـــه :

وَإِنِّي وَإِنْ أَبْلَغْتَنِي شَرَفَ الغِنَى .·. وَأَعْتَقْتَ مِنْ رِقِّ المَطَامِعِ أَخْدَعِـي .

حيث استعمل " إن " التي هي للتوكيد ، وجاء بصورة : " الطمع والرق والعتق " فصور مايفعله الطمع في الإنسان ، فهو يمتلك لبه وتفكيره ، ويجعله دائب العمل للحصول على مايريده لا يكفيه القليل ولا يرضيه الكثير ، باذلاً في ذلك كرامته ، مريقاً ماء وجهه ، فيكون بذلك عبداً مملوكاً للدرهم والدينار .

وقوله " اعتقت " اعتراف من الشاعر لممدوحه بالولاء الكامل ، لأنه رفعه عن تلك النقائص ، وكفاه مشقة الطلب ، ببذله العطاء من غير منة ولا إذلال ، وهذا هو الكرم الحقيقي .

ثم يذكر له أنه مهما بلغ من الغنى والدرجات العلى - وهما من حباء الممدوح وفضله - فلن يكون له غنى عن ممدوحه ، ولن يتخطاه في الفضل والمكانة ، فمكانة كل منهما معروفة واضحة .

ويبدو لي أن هناك ارتباطاً قوياً بين موضوع القصيدة ، وبين مطلعها الذي ابتُدِيء بالدعاء بالسقيا ، وبين قوله : " وإني وإن أبلغتني . . " فكأنه يشير إلى أن فضله عليه في إغداق العطاء مثل فضل تلك السحب على الطلول والأربع .

وفي البيت عيب عند علماء البديع يسمونه التضمين.(1)

فقد فصل أداة وفعل الشرط عن الجواب فذكر الأداة والفعل في البيت الأول ، ثم جاء بالجواب في البيت الثاني .

---

(1) التضمين في الشعر : هو أن يتعلق معنى البيت بالذي قبله تعلقاً لا يصح إلا به ./ كتاب التعريفات : ٦٠ .

الشاهد الثالث : (*)　　　　(المنسرح)

بيت أبي تمام[1] :

يَادَهْرُ قَوِّمْ مِنْ أَخْدَعيْك فَقَدْ ∴ أَضْجَجْتَ هَذَا الأَنَامَ مِنْ خُرُقِكْ[2][3]

والشاهد من قصيدة قالها في مدح أبي الحسين محمد بن الهيثم بن شُبَانَة[4]

ويهنيه بالعافية ، ومطلعها :

كَانَتْ صُرُوفُ الزَّمَانِ مِنْ فَرَقِكْ[5] ∴ وَاكْتَنَّ[6] أَهْلُ الإِعْدَامِ فِي وَرَقِكْ

وبعده بيت قبل الشاهد :

مَا السَّبْقُ إِلاَّ سَبْقٌ يُحَازُ عَلَى[7] ∴ جَوَادِ قَوْمٍ لَمْ يَجْرِ فِي طَلَقِكْ

وبعد بيت الشاهد :

سَائِلْ لَيَالِيكَ فَهْيَ عَالِمَةٌ ∴ أَيُّ كَرِيمٍ أَرْسَغْنَ[8] فِي حَلَقِكْ[9]

(*) الدلائل ، رضا : ٣٩ ، خفاجي : ٩٦ ، شاكر : ٤٧ .

(١) سبقت ترجمته : ص : ٥٥ .

(٢) الخُرْق : بالضم الجهل والحمق ، وعدم إحسان العمل ./ اللسان " خرق " : ١٠ / ٧٥ .

(٣) انظر البيت في : ديوانه بشرح الخطيب التبريزي : ٢ / ٤٠٥ ، ديوانه - دار صادر - : ١٨٦ ، الوساطة : ٤٠ ، ٤١ ، ٤٣٢ ، الموازنة : ٢٢٨ - ٢٤٠ ، الصناعتين : ٧٥ ، سر الفصاحة : ١١٦ ، المثل السائر : ١ / ٣٨٤ .

(٤) ستأتي ترجمته : ١٠٢٣ .

(٥) رواية الديوان - دار صادر - :
" قَدْ مَاتَ مَحْلُ الزَّمَانِ مِنْ فَرَقِكْ " .

(٦) اكتن : استتر / اللسان " كنن " : ١٣ / ٣٦٠ .

(٧) ذكر التبريزي أن هناك رواية أجود وهي :
" السَّتْرُ إِلاَّ سِتْرٌ يُحَازُ عَلَى " وذكر أنه يروى أيضا " يُمَدُّ عَلَى " وأن المعنى : أن جياد القوم وعتاقهم إذا طلبوا شأو هذا الممدوح وجروا في ميدانه افتضحوا .

(٨) أرسغن : قيدن . / اللسان " رسغ " ٩ / ١١٨ .

(٩) وجاء في الديوان طبعة - دار صادر - بعد الشاهد :
لا بحرُهُ في النَّدى إلى رَنَقِك ∴ ولا ضُحَى شَمْسِهِ إِلَى شَفَقِكْ
والمقصود " بالرنق " : الكدر .

اِقْبِضْ يَدًا عَنْ أَبِي الحُسَيْنِ تَجِدْ ∴ جَدِيدَهُ عَائِداً عَلَى خَلَقِكْ

يُلمح أن أبا تمام في هذا البيت ذو نفسية غاضبة ، فقد ضج من الدهر وأيامه التي مالقي فيها إلا العناء والتعب ، لذا ابتدأ البيت بياء النداء للزجر واللوم ، ونكر لفظ الدهر تحقيرًا له ، ثم غَلَظ في مخاطبته حيث خاطبه مخاطبة الآمر المتضجر بأن يستقيم ، ويصلح حاله مع الناس ، فاستعمل لفظ " قوّم " وفي هذا كله جعله وكأنه شخص يسمع ويعي ، فاستعار له لفظ الأَخْدَعين ، ثم بين له أن ضجر الناس منه ، ومن جهله أمر محققّ ، فاستعمل " الفاء " مع حرف التحقيق " فقد " .

وهذه الأبيات الثلاثة استشهد بها الإمام عبد القاهر ، لإثبات أن الكلمات المفردة لا تتفاضل من حيث هي كلم مفردة ، وألفاظ مجردة ، وإنما تكون لها الفضيلة وخلافها بحسب وضعها في الجملة ، وملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها . قال :

" . . . إن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ، ولا من حيث هي كلم مفردة ، وأن الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها ، في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها ، وما أشبه ذلك ، مما لا تعلق له بصريح اللفظ .

ومما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع ، ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر كلفظ " الأخدع " في بيت الحماسة :

تَلَفَّتُّ نَحْوَ الحَيِّ حَتَّى وَجَدْتُنِي ∴ وَجِعْتُ مِنَ الإِصْغَاءِ لِيتًا وَأَخْدَعَا

وبيت البحتري :

وَإِنِّي وَإِنْ بَلَّغْتَنِي شَرَفَ الغِنَى ∴ وأعتقت مِنْ رِقِّ المَطَامِعِ أَخْدَعِي

فإن لها في هذين المكانين مالا يخفى من الحسن ، ثم إنك تتأملها في بيت أبي تمام :

يا دَهْرُ قَوِّمْ مِنْ أَخْدَعَيْكَ فَقَدْ ∴ أَضْجَجْتَ هَذَا الأَنَامَ مِنْ خُرُقِكْ

فتجد لها من الثقل على النفس ، ومن التنغيص والتكدير أضعاف ما وجدت هناك من الروح والخفة . والإيناس والبهجة[1] "[2] .

---

(١) وفي الدلائل ، تحقيق شاكر : " ومن الإيناس والبهجة " .
(٢) الدلائل ، رضا : ٤٦ ، خفاجي : ٩٦ ، شاكر : ٤٧ .

ومن نص الإمام عبد القاهر يتضح أنه استحسن لفظ الأَخْدَع في بيت الصمة القشيري ، وفي بيت البحتري ، واستهجنه في بيت أبي تمام ، ولكنه لم يبين سبب الاستحسان والاستهجان ، وإنما اكتفى بقوله في الاستحسان :

" فإن لها في هذين المكانين مالا يخفى من الحسن " .

وقال في استهجان لفظ أبي تمام " أَخْدَعيكَ " :

" فتجد لها من الثقل على النفس ، ومن التنغيص والتكدير أضعاف ما وجدت هناك من الروح والخفة ، والإيناس والبهجة " .

فقد اعتمد على ما يظهر على الذوق الشخصي ، والشعور النفسي بدليل قوله : " فتجد لها من الثقل على النفس " .

هذا هو رأى الشيخ في الأبيات الثلاثة، فماذا عن رأى علماء البلاغة فيها ؟

ذهب القاضي الجرجاني إلى القول بقبح الاستعارة في بيت أبي تمام ، قال :

"وإذا سمعت بقول أبي تمام :

يَادَهْرُ قَوِّمْ مِنْ أَخْدَعَيْكَ فَقَدْ .:. أَضْجَجْتَ هَذَا الأَنَامَ مِنْ خُرُقِكْ

فاسدد مسامعك ، واستغش ثيابك ، وإياك والإصغاء إليه ، واحذر الالتفات نحوه ، فإنه مما يصدئ القلب ويعميه ، ويطمس البصيرة ، ويكد القريحة"(١) .

ثم ذكر أنه ربما حدا بأبي تمام إلى استعارة الأخدع أنه جارى القدماء في ذلك ، وهذا خطأ منه ، لأن مجاراة القدماء لا تصح إلا فيما قرب وعُرِف وظهر ووضح . قال :

" وإذا قال أبو تمام :

" يَادَهْرُ قَوِّمْ مِنْ أَخْدَعَيْكَ "

فإنما يريد : اعدل ولا تجُر ، وانصف ولا تَحِفْ ، لكنه لما رآهم قد استجازوا أن ينسُبوا إليه الجور والميل ، وأن يقذفوه بالعَسْفِ والظلم ، والخُرْق والعنف ، وقالوا :

---

(١) الوساطة بين المتنبي وخصومه : ٤٠ - ٤١ .

قد أعرض عَنَّا ، وأقبل على فلان ، وقد جَفانا وواصل غيرنا ، وكان الميل والإعراض إنما وقع بانحراف الأخدع وَزْوِرَارِ المنكِب ، استحسن أن يجعل له أخدعا ، وأن يأمُر بتقويمه ، وهذه أمور متى حُمِلت على التحقيق ، وطلب فيها محض التقويم أُخرجت عن طريقة الشعر ، ومتى اتبع فيها الرخص ، وأُجْرِيت على المسامحة ، أدت إلى فساد اللغة ، واختلاط الكلام ، وإنما القصد فيها التوسط والاجتزاء بما قَرُب وعُرِف ، والاقتصار على ما ظَهَر ووضح (١) ".

وإلى تقبيح الاستعارة في بيت أبي تمام ذهب الآمدي ، فذكرها في مرذول ألفاظ أبي تمام وقبيح استعاراته ، وعلل سبب القبح أن أبا تمام استخدم لفظ " الأخدع " على سبيل الاستعارة ، ولم يأت به على الحقيقة كما فعل البحتري ، وليست هناك ضرورة تدعوه إلى استخدام هذه اللفظة ، فكان بإمكانه أن يقول " قوم من اعوجاجك ".

قال الآمدي :

" فقد تراه كيف يخلط الحسن بالقبيح ، والجيد بالرديء ، وإنما قبح الأخادع لما جاء به مستعاراً للدهر ، ولو جاء في غير هذا الموضع أو أتى به حقيقة ، ووضعه في موضعه ما قبح ، نحو قول البحتري :

" وَأَعْتَقْتَ مِنْ ذُلِّ المَطَامِعِ أَخْدَعِي "

ثم قال :

" ... أيُّ ضرورة دعته إلى الأَخْدَعَين ؟ وكان يمكنه أن يقول : " من أعوجاجك " أو " قَوِّم ما تَعَوَّج من صنعك " أي : يادهر أحسن بنا الصنيع ؛ لأن الأَخْرَق هو الذي لا يُحْسِن العملَ ، وضده الصَّنَعُ (٢) ".

وذهب إلى ماذهب إليه القاضي الجرجاني من أن أبا تمام رأى في بعض أشعار القدماء شيئاً من بعيد الاستعارة ، فاحتذاها ، واشتط في ذلك ، قال :

---

(١) الوساطة بين المتنبي وخصومه : ٤٣٢ .

(٢) الموازنة - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - : ٢٣٩ - ٢٤٠ .

" وإنما رأى أبو تمام أشياء يسيرة من بعيد الاستعارات متفرقة في أشعار القدماء... لا تنتهي في البعد إلى هذه المنزلة، فاحتذاها، وأحب الإبداع، وأغرق في إيراد أمثالها، واحتطب، واستكثر منها"(١).

وكذلك كره وعاب أبو هلال العسكري لفظة " الأخدع " في بيت أبي تمام، فذكر في باب " تمييز الكلام جيده من رديئه ونادره من بارده " أن أحسن الشعر ما تلاءم نسجه وحسن لفظه، ولم يستعمل فيه الغليظ من اللفظ، ودلل على قوله هذا بكلمة " الأَخْدَع " لأبي تمام، قال:

" والشعر كلام منسوج، ولفظ منظوم، وأحسنه ما تلاءم نسجه ولم يسخف، وحسن لفظه ولم يهجن، ولم يستعمل فيه الغليظ من الكلام، فيكون جلفاً بغيضاً، ولا السوقي من الألفاظ، فيكون مهلهلاً دوناً... فالبغيض كقول أبي تمام:

جعلْ(٢) القَنا الدَّرَجاتِ لِلكَذَجاتِ(٣) ذا :. تِ الغَيْلِ(٤) والحَرَجاتِ(٥) والأَدْحالِ(٦) (٧)

مَنْ(٨) كانَ حَزْنُ الخَطْبِ في أَحْزانِه :. فَدَعاهُ داعِي الحَيْنِ للإِسْهالِ(٩)

---

(١) الموازنة - محمد محيي الدين عبد الحميد -: ٢٤٠.

(٢) رواية الديوان - دار صادر -: " جعلوا " وكذلك رواية الديوان بشرح الخطيب التبريزي.

(٣) الكذجات: جمع الكذج وهو المأوى / اللسان " كذج ": ٢/ ٣٥١،

(٤) الغيل: كل موضع فيه ماء من واد ونحوه / اللسان " غيل ": ١١/ ٥١٢،

(٥) الحرجات: مجتمع الشجر / اللسان: " حرج ": ٢/ ٢٣٤ - ٢٣٥،

(٦) الأدحال: جمع دحل وهو نقب ضيق الفم وأسفله واسع يجتمع فيه الماء/ اللسان " دحل ": ١١ / ٢٣٧.

(٧) ديوانه بشرح الخطيب التبريزي: ٣ / ١٣٨. ديوانه - دار صادر -: ٢٣٢.

(٨) رواية الديوان: - دار صادر -: " قد كان ". وكذلك رواية الديوان بشرح الخطيب التبريزي.

(٩) ديوانه: - دار صادر -: ٢٣١، ديوانه بشرح الخطيب التبريزي: ٣ / ١٣٧.

وقوله :

يَادَهْرُ قَوِّمْ مِنْ أَخْدَعَيْكَ فَقَدْ ∴ أَضْجَجْتَ هَذَا الأَنَامَ مِنْ خُرُقِـــكْ

ولا خير في المعاني إذا استكرهت قهراً ، والألفاظ إذا اجترت قسـراً ، ولا خير فيما أُجيد لفظه إذا سخف معناه ، ولا في غرابة المعنى إلا إذا شـرُفَ لفظه مع وضوح المغزى، وظهور المقصد ، وقد غلب الجهل على قوم فصاروا يستجيدون الكلام إذا لم يقفوا على معناه إلا بكدٍّ ، ويستفصحونه إذا وجدوا ألفاظه كزّة غليظة ، وجاسية غريبة ، ويستخفون الكلام إذا رأوه سلساً عذباً ، وسهلاً حلواً ، ولم يعلموا أن السهل أمنع جانباً ، وأعز مطلباً ، وهو أحسن موقعاً ، وأعذب مستمعاً ، ولهذا قيل أجود الكلام السهل الممتنع (١) .

فيظهر أن أبا هلال العسكري قد عاب بيت أبي تمام ليس من أجل استعارة لفظ الأخدع للدهر فقط بل لأنه رأى أن هذه اللفظة كزّة غليظة في ذاتها .

وتبعه الباقلاني من حيث استهجان لفظة " الأخدع " من حيث هي لفظة ، فعابها في بيت البحتري ، مخالفا بذلك الآمدي ، والإمام عبد القاهر اللذين استحسنا لفظة " الأخدع " في بيت البحتري وامتدحا موضعها .

وذكر أن الذي حدا بالبحتري إلى استخدامها ولوعه باتباع أبي تمام . قال :

" . . . كما عيب على أبي تمام قوله :

فَضَرَبْتُ الشِّتَاءَ فِي أَخْدَعَيْـهِ ∴ ضَرْبَةً غَادَرَتْهُ عَوْداً رَكُوبَـــا

وقالوا : يستحق بهذه الاستعارة أن يصفع في أخدعيه، وقد اتبعه البحتري في استعارة الأخدع ، ولوعا باتباعه، فقال في الفتح بن خاقان :

وَإِنِّي وَإِنْ أَبْلَغْتَنِي شَـرَفَ العُلاَ ∴ وَأَعْتَقْتَ مِنْ ذُلِّ المَطَامِعِ أَخْدَعِـي

إن شيطانه حيث زيّن له هذه الكلمة ، وتابعه حين حسن عنده هذه اللفظة لخبيث مارد ، وردِيء معانِد ، أراد أن يطلق أعِنة الذم فيه ، ويُسَرّح جيوش العتب إليه . . . (٢) .

---

(١) الصناعتين : ٧٤ - ٧٥ .

(٢) إعجاز القرآن : ٢٣٦ .

وكذلك ذهب ابن سنان الخفاجي إلى القول بقبح الاستعارة في بيت أبي تمام لما فيها من بُعد وإغراب ، لأنه لابد لكل استعارة من حقيقة يُرجع إليها ويكون بينهما شبه ظاهر وتعلق وكيد (١) .

قال :

يَادَهْرُ قَوِّمْ مِنْ أَخْدَعَيكَ فَقَدْ ... أَضْجَجْتَ هَذَا الأَنَامَ مِنْ خُرُقِكْ

وقوله :

فَضَرَبْتَ الشِّتَاءَ فِي أَخْدَعَيهِ ... ضَرْبَةً غَادَرَتْهُ عَوْدًا (٢) رَكُوبًا (٣) (٤)

وقوله :

سَأَشْكُرُ فُرْجَةَ اللَّبَبِ (٥) الرَّخِيِّ ... وَلِينَ أَخَادِعِ الدَّهْرِ (٦) الأَبِيِّ (٧)

فإن أخادع الدهر والشتاء من أقبح الاستعارات ، وأبعدها مما استعيرت له ، وليس بقبح ذلك خفاء ، ولا يعرف أبو تمام الوجه الذي لأجله جعل للشتاء والدهر أخادع إلا سوء التوفيق في بعض المواضع (٨) .

ولقد استحسن ابن الأثير بيت الصمة القشيري (٩) ، واستهجن بيت أبي تمام ،

---

(١) سر الفصاحة : ١٢٤ .

(٢) العَود : المسن من الإبل / اللسان " عود " : ٣ / ٣٢١ .

(٣) الرَّكُوب من الابل السهل المنقاد / اللسان " ركب " : ١ / ٤٣٢ .

(٤) ديوانه : - دار صادر - : ٣٠ ، شرح ديوان أبي تمام - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - : ٦٧ .

(٥) رواية الديوان - دار صادر - : " الليت " ، والفرجة ما انفرج بين الشيئين واتسع / اللسان " فرج " : ٢ / ٣٤١ ، ٣٤٢ .

(٦) رواية الديوان - دار صادر - : " الزمن " .

(٧) ديوانه - دار صادر - : ٣٠٦ .

(٨) سر الفصاحة : ١١٦ .

(٩) وهو الشاهد الأول :

تَلَفَّتُّ نَحْوَ الحَيِّ حَتَّى وَجَدتُنِي ... البيت .

وذكر أن العلة في مجيء كلمة " الأخدع " مستحسنة في بيت الصمة، مستهجنة في بيت أبي تمام، إنما ترجع لتركيب اللفظة فقد جاءت موحدة في بيت الصمة، مثناة في بيت أبي تمام.

قال عند حديثه عن أنواع تأليف الألفاظ - " النوع السادس " - وفي اختلاف صيغ الألفاظ واتفاقها " :

" وهاهنا فلينعم الخائضون في هذا الفن نظرهم، ويعلموا أن في الزوايا خبايا، وإذا أنعموا الفكر في أسرار الألفاظ عند الاستعمال، وأغرقوا في الاعتبار والكشف، وجدوا غرائب وعجائب.

ومن هذا النوع لفظة " الأخدع " فإنها وردت في بيتين من الشعر وهي في أحدهما حسنة رائقة، وفي الآخر ثقيلة مستكرهة، كقول الصمة بن عبد الله من شعراء الحماسة :

تَلَفَّتُّ نَحْوَ الحَيِّ حَتَّى وَجَدْتُنِي ∴ وَجِعْتُ مِنَ الإِصْغَاءِ لِيتاً وَأَخْدَعَا

وكقول أبي تمام :

يَا دَهْرُ قَوِّمْ مِنْ أَخْدَعَيْكَ فَقَدْ ∴ أَضْجَجْتَ هَذَا الأَنَامَ مِنْ خُرُقِكْ

ألا ترى أنه وجد لهذه اللفظة في بيت أبي تمام من الثقل على السمع، والكراهة في النفس أضعاف ما وجد لها في بيت الصمة بن عبد الله من الروح والخفة، والإيناس والبهجة ؟ وليس سبب ذلك إلا أنها جاءت موحدة في أحدهما مثناة في الآخر، وكانت حسنة في حالة الإفراد مستكرهة في حالة التثنية، وإلا فاللفظة واحدة، وإنما اختلاف صيغتها فعل بها ما ترى [١].

ويلاحظ أن ابن الأثير متأثر بالشيخ عبد القاهر ناقل عنه تعليقه على البيتين مستعملاً أكثر ألفاظه، وما زاده عليه هو تعليله الثقل والخفة الذي أرجعه إلى صياغة اللفظة.

ويظهر مما سبق أن سبب استحسان بيت الصمة وبيت البحتري، واستهجان بيت أبي تمام يرجع كما أشار عبد القاهر إلى الذوق الشخصي، والشعور النفسي.

---

(١) المثل السائر : ١ / ٣٨٤.

ويرجع أيضا - كما أشار ابن الأثير - إلى صياغة اللفظ فحيث جاء مفرداً كان مستحسناً ، وحيث جاء مثنى كان مستهجناً .

ويبدو لي أنه يرجع أيضاً إلى غرض القصيدة ، وماله من تأثير في اختيار الألفاظ.

فحين كان الغرض " الغزل " ، وشاع في جو القصيدة وألفاظها التحسر والألم والحنين رقت الألفاظ ، فكانت موسيقى البيت كلها في رتابة واحدة ، ومن ثم استُعذبت لفظة " الأخدع " .

وعندما كان الغرض المدح كما في بيت البحتري خفت الألفاظ أيضا ورقّت فاستحسن لفظ " الأخدع " .

ولما كان الغرض الزجر والذم ثقلت ألفاظ البيت وموسيقاه على النفس، فكأنك تسمع لها جلبة ورنيناً شاع في ألفاظ البيت كله حيث استعمل أبو تمام ألفاظاً غليظة مثل :

" اخدعيك - أضججت - خرقك "

وهناك وجه آخر للحسن والقبح يظهر في أثر الحقيقة في البيتين الأول والثاني وأثر الاستعارة في بيت أبي تمام فلا شك أن لكل من الحقيقة والاستعارة أثره في نفس السامع ولكن بشرط أن تكون حسنة لطيفة ، وأن يكون هناك ارتباط وثيق وواضح بين المستعار منه والمستعار له ، فإذا تم لها ذلك كانت أوكد للنفس وأطرب ، وإن كان وجه الشبه بعيداً بحيث يكد العقل في إدراكه ، كانت الحقيقة آنس للنفس ، وأقرب للعقل، وأوكد فبيت أبي تمام أفقد القارئ لذة الاستعارة ، لأنه أغرب فيها فليس هناك وجه شبه ظاهر بين الدهر والأخدع .

ومن هنا كان استعمال اللفظة على حقيقتها في بيت الصمة والبحتري ألطف وأعذب.

ثم إن في بيت أبي تمام قضية عقائدية ينبغي الإشارة إليها ، وهي أنه لا يجوز لوم الدهر ، ولا زجره ولا سبه ، لأن الله هو الدهر.

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

" لَا يَسُبُّ أَحَدُكُم الدَّهْرَ فَإِنَّ اللَّهَ هُو الدَّهْرُ ، وَلا يَقُولُ أَحَدُكُمْ لِلْعِنَبِ

الكَرْمَ ، فإنَّ الكَرْمَ هُوَ الرَّجُـلُ المُسْلِمُ(١) .

. . . .

الشـاهد الرابع : (*) (الطويل)

قول عُمَر بن أبي رَبيعَةَ المَخْزُومي(٢) :

ومِنْ(٣) مالِيءِ عَيْنَيْهِ مِنْ شَيءٍ(٤) غَيْرِهِ .·. إذا رَاحَ نَحْوَ الجَمْرَةِ البِيضُ كالدُّمَى(٥)

---

(١) انظر الحديث في :
مسند الإمام أحمد بن حنبل : ٢ / ٢٣٨ ، ٢٧٢ ، صحيح مسلم " كتـاب الألفاظ " باب النهي عن سب الدهر " : ٤ / ١٧٦٣ .

(*) الدلائل : رضا ، ٣٩ ، خفاجي : ٩٦ ، شاكر : ٤٧ .

(٢) هو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة ، واسم أبي ربيعة حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم (٢٣هـ - ٩٣هـ) ويُكنى عمر بن أبي ربيعـة ، " أبا الخطاب " ، أرق شعراء عصره من طبقة جرير والفرزدق ، ولم يكن في قريش أشعر منه ، كان كثير التشبيب بالنساء ، وقد بلغ ذلك عمر بن عبد العزيز فنفاه ، ثم غزا في البحر ، فاحترقت السفينة به وبمن معه فمات فيها غرقـاً . /
انظر ترجمته :
الشعر والشعراء : ٢ / ٥٥٧-٥٦٢ ، الأغاني : ١ / ٦١-٢٤٨ ، ١١ / ١٦٩ - ١٧٥ ، الموشح : ١٨٢-١٨٧ ، زهر الآداب : ١ / ١٠٢-١٢١ ، وفيـات الأعيان : ٣ / ٤٣٦-٤٣٩ ، شرح شواهد المغني : ١ / ٣٩-٤٢ ، شـذرات الذهب : ١ / ١٠١ ، خزانة البغدادي - دار صادر - : ١ / ٢٤٠ ، الأعلام : ٥ / ٥٢ .

(٣) وفي رواية الكامل والموشح للمرزباني ، والجمل للزجاجي :
" وكم مالىءٍ عينيـه من شيءٍ غيره "

(٤) وذكر محقق الأغاني أنه ورد في إحدى المخطوطات " من سيءٍ عـبرة " يريد : من فيض عبرة : ١ / ١٤٥ ، ويبدو لي أنه تصحيف .

(٥) ذكر الدكتور عبد السلام هارون في معجم شواهد العربية : ص ٣٣٠ أن البيت غير موجود في ديوان عُمر بن أبي ربيعة - طبعة دار صادر - ، وقد وجدت القصيدة فيه . / انظر البيت في :
ديوانه - دار صادر - : ١٨ ، الكتاب : ١ / ١٦٥ ، شرح أبيات سيبويه للنحاس : ١٠٠ ، رقم الشاهد (٢٠٩) ، الكامل - دار الفكر - : ٢ / ١٦٧ ، الجمـل للزجاجي : ٨٧ ، الأغاني : ١ / ١٤٥ ، الموشح : ١٨٤ .

ومطلع القصيدة التي منها البيت :

وَكَمْ مِنْ قَتِيلٍ لا يُبَاءُ(١)(٢) بِهِ دَمٌ ∴ ومِنْ غَلِقٍ(٣) رَهناً إِذا ضَمَّهُ(٤) مِنَى

وبعده بيت الشاهد وبعده :

يُسَحِّبْنَ أَذْيَالَ المُرُوطِ(٥) بأَسْؤُقٍ(٦) ∴ خِدالٍ(٧) وأعجازٍ مآكِمُهَا(٨) رِوَى(٩)

أَوانِسُ يَسْلُبْنَ الحَلِيمَ فُؤادَهُ ∴ فَيَا طُولَ ماشَوقٍ وَيَا حُسْنَ مُجْتَلَى

مع اللّيلِ قَصْراً(١٠) رَمْيُهَا بِأَكُفِّهَا ∴ ثلاثَ أَسَابِيعٍ تُعَدُّ مِنَ الحَصَى

فَلَمْ أَرَ كَالتَّجْمِيرِ مَنْظَرَ نَاظِرٍ ∴ وَلاَ كَلَيَالِي الحَجِّ أَفْتَنَّ(١١) ذَا هَوَى

---

(١) رواية الأغاني : " فكم من قتيل مايباء به دم " .

(٢) باء فلان بفلان بواء ، وأباءه ، وباوأه : إذا قُتل به ، وصار دمه بدمه ، وباءه : قتله به . والمراد هنا : فكم من قتيل ذهب دمه ، ولم يؤخذ له بثأر / اللسان : " باء " : ١ / ٣٨ .

(٣) غلق الرهن في يد المرتهن يغلق غلقا : لم يقدر الراهن على افتكاكه في الوقت المشروط ، والمعنى هنا : وكم من قلوب اسيرة مرهونة لم يقدر أصحابها على افتكاكها . / اللسان " غلق " : ١٠ / ٢٩٢ - ٢٩٣ .

(٤) رواية الأغاني : " إذا لفه " .

(٥) المُرُوط : جمع مرط وهو كساء من خز أو صوف أو كتان ، وقيل هو الثوب الأخضر / اللسان " مرط " : ٧ / ٤٠١ .

(٦) الأسوق : جمع ساق . / اللسان " سوق " : ١٠ / ١٦٨ .

(٧) الخَدْل : العظيم الممتلىء ، والخدلة من النساء الغليظة الساق ، وخدلاء ممتلئة الساقين والذراعين / اللسان " خدل " : ١١ / ٢٠١ .

(٨) المآكم جمع مأكمة ، والمأكمتان هما لحمتان وصلتا مابين العجز ، والمتنين ، وقيل هما اللحمتان على رؤوس الوركين . / اللسان " أكم " ، ١٢ / ٢٠ - ٢١ .

(٩) روى : أي فيها ري كثير . / اللسان : " روى " : ١٤ / ٣٤٦ .

(١٠) قصرا : حبساً / اللسان (قصر) : ٥ / ٩٩ .

(١١) رواية الموشح : " أقتن " .

عُرف الشاعر عمر بن أبي ربيعة بتعرضه للنساء في الحج ، فكان يقدم فيعتمر في ذي القعدة ، ويحل ويلبس الحلل والوشي ، ويركب النجائب المخضوبة بالحناء ، عليها القطوع والديباج ويُسبل لمتَّه ، ويلقى العراقيات فيما بينه وبين ذات عرق محرمات ، ويتلقى المدنيات إلى مَرٍّ ويتلقى الشاميات إلى الكديد [١].

وهذه الأبيات التي منها بيت الشاهد قالها - فيما يبدو - في عائشة بنت طلحة [٢] حين رآها وهي ترمي الجمار حاسرة الوجه، وقد كانت تحرص كل الحرص على أن لا يراها

---

(١) الأغاني : ١ / ٢٢١.

(٢) ذكر الدكتور جبرائيل جبور في كتابه "عمر بن أبي ربيعة" رواية فهم منها أن الأبيات قيلت في "فاطمة بنت مروان بن عبد الملك"، فذكر أنه لما حج سليمان بن عبد الملك أرسل وراء عمر وقال له : ألست القائل :

وَكَمْ مِنْ قَتِيلٍ لَا يُبَاءُ بِهِ دَمٌ ∴ وَمِنْ غَلِقٍ رَهْنًا إِذَا ضَمَّهُ مِنَى

والله لا تحج مع الناس هذا العام، وأخرجه إلى الطائف حتى قضى الناس حجتهم. / الموشح : ١٨٤.

ثم ذكر في الهامش أن هناك رواية أخرى في الأغاني تذهب إلى أن عمر بن عبد العزيز هو الذي أنّبه على قوله هذا، وأن الشعر في امرأة هي فاطمة بنت مروان.

ولقد بحثت طويلا في الأغاني عن هذه الرواية الأخيرة، فلم أعثر عليها، ولعله يقصد بالرواية الأخيرة ما جاء في الأغاني أنه "لما قدمت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان مكة جعل عمر بن أبي ربيعة يدور حولها، ويقول فيها الشعر، ولا يذكرها باسمها فرقاً من عبد الملك بن مروان، ومن الحجّاج، لأنه كان كتب إليه يتوعده إن ذكرها أو عرّض باسمها".

ويبدو لي أن الأبيات قد قيلت في عائشة بنت طلحة، لأن هناك رواية في الأغاني توافق وتساير معاني الأبيات، فمما جاء فيها :

" ولم يزل عمر ينسِّب بعائشة أيام الحج، ويطوف حولها ويتعرض لها، وهي تكره أن يرى وجهها حتى وافقها وهي ترمي الجمار سافرة، فنظر إليها فقالت :

أما والله لقد كنت لهذا منك كارهة يا فاسق" / انظر الأغاني : ١ / ١٩٥، ٢٠٠ =====

عمربن أبي ربيعة فيشبب بها ، فلما صدف ورآها ، وفاز بمبتغاه انتشت نفسه سروراً وغبطة ، فأخذ يصور ذلك الموقف وروعته ، وأثره في نفسه ، فهو كثيراً مايتمتع برؤية الأوانس البيض اللواتي هن مثل الدمى في بياضهن وجمالهن إذا وقف عند الجمار ، هذا على رواية " من ماليء " أما على رواية " كم ماليء " فإن الشاعر شعر بحُرمة هذا الموقف ، فأراد أن يعتذر لنفسه ، بأنه ليس وحده الذي يتخذ من موسم الحج مرتعاً للهوه وتغزله وتعرضه للحرائر ، فالكثرة الكاثرة من الحجيج يملئون عيونهم من نساء غيرهم ، وهذه مسألة معروفة في علم النفس ، فكل من كان على خلق يحب أو يحاول أن يثبت أن كل الناس على هذا الخلق .

ولم يشر الشيخ عبد القاهر إلى سر استحسان لفظة " شيء " في بيت عمر بن أبي ربيعة ، ويبدو لي أنها جاءت هنا حسنة مقبولة ، لأنه كنّى ورمز بها إلى " المرأة " وأضافها إلى لفظ " غيره " ليدل على أن المتحدَّث عنه من " الحُرُمات " ، وأن التحدث عنه صراحة فيه تعدٍ على هذه الحُرمة .

أو أنها حَسُنت هنا ، لأن المقام الذي جاء فيه الحديث عن المرأة مقام عبادة - وهو الحج - وهو مقام لا يجوز فيه التشبيب بالنساء والتغزل بهن ، فكان لابد من التحفظ في الألفاظ تأدباً مع الموقف . وهذا له تأثيره في نفس السامع .

وربما حَسُن هذا اللفظ ، لأن الشعر شعر غزل فأراد الشاعر أن يلف المتغزل به في ثوب من الغموض ليحرك في النفوس الشوق إليه .

=== وانظر كذلك : عمر بن أبي ربيعة جبرائيل جبور : ٣ / ١٤١ .

وذكر المبرد في الكامل أن الأبيات قيلت في أم عمر بنت مروان بن الحكم قال : " وقال عمر بن أبي ربيعة ونظر إلى أم عمر بنت مروان بن الحكم وكانت صارت إليه متنكرة فرأته وقضت من محادثته وطراً ثم انصرفت فلما رجعت من منى عرفها ، فعلمت ذلك، فبعثت إليه لا ترفع بي صوتاً ، وأهدت له ألف دينار فاشترى بها عطراً وبزاً وأهداه لها فأبت أن تقبله فقال : إذاً والله أنهبه فيكون أذيع له فقبلته وفي ذلك يقول :

وَكَمْ مِنْ قَتيلٍ لا يُبَاءُ بِـهِ دَمٌ .·. وَمِنْ غَلِقٍ رَهْناً إذَا ضَـمَّهُ مِـنَى

=====

الشاهد الخامس :(*) (الطويل)

قول أبي حيـة (١) :

إذا ما تقاضى المرءَ يومٌ وليلةٌ ∴ تقاضاهُ شيءٌ (٢) لا يَمَلُّ التقاضيا (٣)

ومطلع القصيدة :

ألا حيِّ مِنْ أجْلِ الحبيبِ المغانيا (٤) ∴ لبِسْنَ البِلَى (٥) مِمّا لبِسْنَ اللياليا

=== وكم مالِيءٍ عَيْنيهِ مِنْ شيءِ غيرِهِ ∴ إذا راحَ نحوَ الجمْرةِ البيضِ كالدُّمى

(*) الكامل ـ دار الفكر: ٢ / ١٦٦ - ١٦٧.
الذلاءِ على ، رضا : ٣٩ ، خفاجي : ٩٧ ، شاكر : ٤٨.

(١) هو أبو حية النميري ، واسمه الهيثم بن الربيع بن زرارة بن كبير بن جناب بن مالك بن عامر بن نمير ، ويقال : هو أحد بني عبد الله بن الحارث ابن نمير ، جاء في المبهج في تفسير كنيته :
أنه يجوز أن يكون كُنّي بواحدة الحيات ، ويجوز أن يكون كُنّي بحية تأنيث حي من قولهم رجل وامرأة حية في هذا كعائشة ، وحي منه كمعمر ويحيى اسمي رجلين ، وجاء في العقد الفريد أنه كان من الشعراء المجانين ، وكان من أشعر الناس / انظر ترجمته في :
المبهج في تفسير أسماء شعراء ديوان الحماسة : ٥٧ ، العقد الفريد ـ دار الفكر ـ : ٧/١٥٧ ، المؤتلف والمختلف : ١٠٣.

(٢) وفي رواية العقد الفريد : " تقاضاه أمر "

(٣) انظر البيت في :
البيان والتبيين : ٢/٢٢٩ ، الكامل ـ دار الفكر ـ: ١/١٤٨ ، العقد الفريد ـ دار الفكر ـ : ٧/١٥٧ ، أمالي القالي : ٢/١٨٥ ، المؤتلف والمختلف : ١٠٣ ، زهر الآداب : ١ / ٢٦٧ ، الحماسة البصرية : ٢ / ٤٢٤ .

(٤) هذه رواية الحماسة والكامل ، أما رواية البيان والتبيين ، والعقد الفريد :
" ألا حيِّ أطلال الرسوم البواليا " .
والمغاني جمع مغنى ، وهو المنزل الذي غني به أهله ثم ظعنوا عنه ، أو هو المنزل عامة ./ اللسان " غنا " : ١٥/ ١٣٩.

(٥) رواية الأمالي :
" لبِسْنَ البِلَى لمّا لبِسْنَ اللياليا " .

وبعده أبيات قبل الشاهد :

فَإِنْ أَكُ وَدَّعْتُ الشَّبَابَ فَلَمْ أَكُنْ ∴ عَلَيْهِ مَعَاذَ اللَّهِ ذَلِكَ زَارِيَا

حَنَتْنِي[1] اللَّيَالِي بَعْدَ مَاكُنْتُ مَرَّةً ∴ قَوِيمَ العَصَا لَوْكُنَّ يُبْقِينَ بَاقِيَا

وبعدها الشاهد وبعده :

وَإِنِّي لَيَنْهَانِي عَنِ الجَهْلِ أَنَّنِي ∴ أَرَى وَضَحًا مِنْ لِمَّتِي قَدْ بَدَا لِيَا

وَطُولُ تَجَارِيبِ الأُمُورِ وَلَا أَرَى ∴ لِذِي نَهْيَةٍ مِثْلَ التَّجَارِيبِ نَاهِيًا (٢)

لم تشر المراجع التي رجعت إليها في تخريج البيت إلى استهجان البيت أو استحسانه ؛ إلا مايفهم من قول ابن عبد ربه - " وهو القائل " - قبل ذكره بيت الشاهد ، والذي صاغه بأسلوب القصر عن طريق تعريف الطرفين فدلت العبارة بهذا الأسلوب على نوع من الاستحسان .

جاء في العقد الفريد : تحت عنوان " شعراء المجانين " :

" منهم أبو ياسين الحاسب ، وجعيفران ، وجرنفش ، وأبو حية النميري . . .

وكان أبو حية أجن الناس وأشعر الناس ، وهو القائل :

أَلا حَيِّ أَطْلَالَ الرُّسُومِ البَوَالِيَا ∴ لَبِسْنَ البِلَى مِمَّا لَبِسْنَ اللَّيَالِيَا

إِذَا مَاتَقَاضَى المَرْءَ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ ∴ تَقَاضَاهُ أَمْرٌ لَا يَمَلُّ التَّقَاضِيَا (٣) "

الشاعر في هذا البيت يتألم ، ويتحسر على عمر الإنسان الذي يفني ويبلى من شدة مايلقاه من عنت الأيام ، وعسف الليالي ، فإذا كانت الأيام والليالي هي التي

---

(١) رواية الأمالي وزهر الآداب :
حَنَتْكَ اللَّيَالِي بَعْدَ مَاكُنْتَ مَرَّةً ∴ سَوِيَّ العَصَا لَوْكُنَّ يبقين بَاقِيَا .

(٢) هذه الأبيات بهذا الترتيب انفرد بها صاحب الحماسة البصرية : ٢ / ٤٢٤ ، وبقية المراجع التي أشرت إليها في تخريج البيت لم تذكر سوى بيتين وهما مطلع القصيدة وبيت الشاهد ، مع اختلاف في رواية صدر البيت الأول - كما أشرت - وفي التمثيل والمحاضرة لم يذكر سوى بيت الشاهد .

(٣) العقد الفريد - دار الفكر - : ٧ / ١٥٧ ، كذلك انظر الخبر في البيان والتبيين : ٢ / ٢٢٩ .

تقاضيه ، فلن تمل حتى تفنيه ، ولن يعيقها شيء حتى تفتك به ، والشاعر قد قـال قصيدته هذه ، وقد ودّع الشباب وحنته الليالي ، وظهر الشيب في لِمّته ، وقـد كان شبابه محموداً لديه، وهذا هو مصدر الحسرة في البيت .

وبين الشاهد ، ومطلع القصيدة مناسبة قوية حيث جعل فناء الأطلال رمزاً لفنـاء الإنسان .

وقوله : " لبسن البلى مما لبسن اللياليا " استعارتان رائعتان تصوران سـرعة فناء الإنسان ، فقوله " لبسن البلى " يدل على أن الفناء قريب من الإنسان لاصق بـه ، وكأنه إزار يلاصق جسده ، وجعل الليالي كاللباس دليل على سرعة انصرام تلك الليالي ، فهي دائما ماتغطي تلك المغاني ، وكأنها لباس لها دائم .

ويبدو أنه خص الليالي بالذكر وأنها سبب الفناء ؛ لأن لليالي معنىً خاصاً فـي نفس الشاعر ، فهي تثير فيه ذكريات الشباب كيف لا وهي مرتع لهوه وتصابيه .

ثم انظر إلى قيمة التنكير في قوله : " يوم وليلة " حيث أراد به " الشدة " أي يـوم شديد ، وليلة قاسية ، ثم إنه لم يقل " الزمن " بل قال يوم وليلة ؛ ليدل على التتابع ، وعلى أن الإنسان يقاسي في كليهما من الشدائد مايعجل بفنائه .

وقد روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال في هذا المعنى :

" كَفَى بِالسَّـلَامَةِ دَاءً "(١)

وقال عمرو بن قميئة(٢) في هذا المعنى :

---

(١) لم أقف عليه ، وأعتقد أنه مثل وليس بحديث .

(٢) هو شاعر جاهلي ، نشأ يتيمًا ، وأقام في الحيرة مدة، ثم خرج مـع امرئ القيس حين توجه إلى قيصـر ، فمات في الطريق ؛ ولذا سـمته العرب " عمرا الضائع " / انظر ترجمته :
الشعر والشعراء : ١ / ٣٨٣ - ٣٨٥ ، المؤتلف والمختلف : ١٦٨ ، معجم الشعراء : ٢٠٠ ، الأعلام : ٥ / ٨٣ ، ونُسب البيتان في مجموعـة المعاني لعبد الرحمن بن سويد المرّي .

كَانَتْ قَنَاتِي (١) لاَ تَلِينُ لِغَامِزٍ (٢) .·. فَأَلاَنَها الإِصْبَاحُ والإِمْسَاءُ

وَدَعَوتُ رَبِّي فِي السَّلاَمَةِ جَاهِداً .·. لِيُصِحَّنِي فَإِذَا السَّلاَمَةُ دَاءُ

وقال النَّمِرُ بنَ تولَب (٣) :

يَسُرُّ (٤) الفَتَى طُولُ السَّلاَمَةِ وَالبَقَا .·. فَكَيْفَ يَرَى طُولَ السَّلاَمَةِ يَفْعَلُ

يَرُدُّ (٥) الفَتَى بَعْدَ اعْتِدَالٍ (٦) وَصِحَّةٍ .·. يَنُوءُ إِذَا رَامَ القِيَامَ وَيُحْمَلُ (٧)

قال حميد بنَ ثور (٨) :

أَرَى بَصَرِي قَدْ رَابَنِي بَعْدَ صِحَّةٍ .·. وَحَسْبُكَ دَاءً أَنْ تَصِحَّ وَتَسْلَمَا

وَلَنْ يَلْبَثَ العَصْرَانِ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ .·. إِذَا طَلَبَا أَنْ يُدْرِكَا مَا تَيَمَّمَا (٩)

• • • • • • •

الشاهد السادس : * (الطويل)

بيت المتنبي (١٠) :

---

(١) يريد جميع جسمه .

(٢) الغمز : العصر والكبس باليد ./ " غمز " : ٥/٣٨٩ .

(٣) شاعر مخضرم من شعراء الطبقة الثانية في الجاهلية . أدرك الإسلام وهو كبير السن ،كان جواداً واسع القرى./ انظر ترجمته : الشعر والشعراء : ١ / ٣١٥ - ٣١٧ ، خزانة البغدادي - دار صادر : ١/١٥٦ .

(٤) رواية زهر الآداب : " يود الفتى " .

(٥) رواية زهر الآداب : " يعود الفتى " .

(٦) رواية زهر الآداب : " بعد حسن " .

(٧) انظر: الكامل - دار الفكر: ١ /١٤٨ ، زهر الآداب : ١ / ٢٦٨ ، مجموعة المعاني : ٧ .

(٨) هو شاعر مخضرم أدرك عمر بن الخطاب ، وقال الشعر في أيامه / ستأتي ترجمته فيما بعد : ص ٤٥٧ .

(٩) الكامل - دار الفكر - : ١ /١٤٨ ، زهر الآداب : ١ / ٢٦٨ - ٢٦٩ .

(*) الدلائل ، رضا : ٣٩ ، خفاجي : ٩٧ ، شاكر : ٤٨ .

(١٠) هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي الكندي (٣٠٣هـ - ٣٥٤هـ) الشاعر الحكيم المعروف وهو أحد مفاخر الأدب العربي قال الشعر صبياً ، وتنبأ وتبعه خلق كثيرون حتى خرج إليه أمير حمص فأسره =====

لَوِ الفَلَكَ[1] الدَّوَّار أَبْغَضْتَ سَعْيَهُ ∴ لَعَوَّقَهُ شَيْءٌ عَنِ الدَّوَرَانِ[2]

والشاهد من قصيدة قالها يذكر فيها خروج شبيب العقيلي[3] على كافور الأخشيدي[4]، ومطلع القصيدة :

عَدُوُّكَ مَذْمُومٌ بِكُلِّ لِسَانِ ∴ وَلَوْ كَانَ مِنْ أَعْدَائِكَ القَمَرَانِ[5]

=== وسجنه حتى تاب ، مدح سيف الدولة الحمداني، وكذلك مدح "كافورا الإخشيدي ./ انظر ترجمته :

تاريخ بغداد : ٤ / ١٠٢ - ١٠٥ ، وفيات الأعيان : ١ / ١٢٠-١٢٥، لسان الميزان : ١ / ١٥٩ ، معاهد التنصيص : ١ / ٢٧ - ٣٣ ، الأعلام ١ / ١١٥.

(١) يروى الفلك " بالرفع والنصب " ، والنصب أجود . / شرح العكبري : ٤ / ٢٤٢.

(٢) انظر البيت في :-

ديوانه بشرح العكبري : ٤ / ٢٤٧ ، العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب : ٤ / ٦٠٣ ، الوساطة : ١٨١ ، يتيمة الدهر : ١ / ١٧٤ .

(٣) هو شبيب بن جرير العقيلي من قوم كانوا من القرامطة ، وكانوا مع سيف الدولة ، ولي شبيب معرة النعمان دهراً طويلاً، واجتمع إليه جماعة من العرب ، فوق عشرة آلاف ، فأراد أن يخرج على كافور، فقصد دمشق فحاصرها ، ويقال أن امرأة ألقت عليه رحا فصرعته، فانهزم من كان معه لما مات ، ويقال أنه حدث به صرع من شرب الخمر ، فحدث به تلك الساعة مصرع ، فتركه أصحابه ومضوا ، فأخذه أهل دمشق فقتلوه / انظر : شرح ديوان أبي الطيب للعكبري : ٤ / ٢٤٣.

(٤) كنيته أبو المسك وهو صاحب مصر، تقدم عند مولاه الأخشيد، وساد لرأيه وحزمه وشجاعته ، فصيَّره من كبار قواده ، كان مهيباً ، سائساً ، جواداً ، وقوراً ، توفي سنة ست وخمسين وثلاث مائة./ انظر ترجمته : الكامل لابن الأثير: ٧ / ٢٥ ، العبر : ٢ / ٩٨ -٩٩ ، وفيات الأعيان : ٤ / ٩٩ - ١٠٥ ، النجوم الزاهرة : ٤ / ١ - ٢٠ شذرات الذهب : ٣ / ٢١ - ٢٢ ، سير أعلام النبلاء : ١٦ / ١٩٠ - ١٩٣.

(٥) القمران المقصود بهما الشمس والقمر، تغليباً لأحدهما على الآخر كقولهم : العمران أبو بكر وعمر بن الخطاب / شرح العكبري : ٤ / ٢٤٢.

والشاهد آخر بيت في القصيدة وقبله :

قَضَى اللهُ يَاكَافُورُ أَنَّكَ أَوَّلٌ .·. وَلَيْسَ بِقَاضٍ أَنْ يُرَى لَكَ ثَانِي

فَمَا لَكَ تَخْتَارُ القِسِيَّ وَإِنَّمَا .·. عَنْ السَّعْدِ يَرْمِي دُونَكَ الثَّقَلانِ

وَمَالَكَ تُعْنَى بِالأَسِنَّةِ وَالقَنَا .·. وَجَدُّكَ طَعَّانٌ بِغَيْرِ سِنَانِ

وَلِمْ تَحْمِلِ السَّيْفَ الطَّوِيلَ نِجَادُهُ .·. وَأَنْتَ غَنِيٌّ عَنْهُ بِالْحَدَثَانِ (١)

أَرِدْ لِي جَمِيلاً جُدْتَ أَوْلَمْ تَجُدْ بِهِ .·. فَإِنَّكَ مَاأَحْبَبْتَ فِيَّ أَتَانِي (٢)

ومعنى الشاهد :لو أنك كرهت دوران الفلك لحدث له شيء يمنعه عن الدوران ،

وهذه مبالغة في قوة سعده وطالعه ، ومؤاتاة الأقدار لمراده ورغباته ، وهذا المعنى هو الذى بنى عليه أكثر أبيات قصيدته (٣).

والشواهد الثلاثة " الرابع ـ الخامس ـ السادس " استشهد بها الإمام عبد القاهر ـ أيضاً ـ على أن الكلم لا تتفاضل من حيث هي كلم مفردة ، فقد نرى الكلمة حسنة في موضع مستكرهة في موضع آخر، قال :

ومن أعجب ذلك لفظة " الشيء " فإنك تراها مقبولة حسنة في موضع، وضعيفة مستكرهة في موضع ، وإن أردت أن تعرف ذلك ، فانظر إلى قول عمر بن أبى ربيعة المخزومي :

وَمِنْ مَالِيءٍ عَيْنَيْهِ مِنْ شَيءٍ غَيْرِهِ .·. إِذَا رَاحَ نَحْوَ الجَمْرَةِ البِيضُ كَالدُّمَى

وقول أبي حية :

إِذَا مَاتَقَاضَى المَرْءَ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ .·. تَقَاضَاهُ شَيءٌ لا يَمَلُّ التَّقَاضِيَا

فإنك تعرف حسنها ومكانها من القبول ، ثم انظر إليها في بيت المتنبي :

لَوِ الفَلَكُ الدَّوَّارُ أَبْغَضْتَ سَعْيَهُ .·. لَعَوَّقَهُ شَيءٌ عَنِ الدَّوَرَانِ

فإنك تراها تقل وتضؤل ، بحسب نبلها وحسنها فيما تقدم (٤).

---

(١) الحدثان : حدثان الدهر وحوادثه : نُوَبُهُ ، وما يحدث منه ، واحدها : حادِث ، وكذلك أحداثه واحدها حَدَث .

(٢) انظر الأبيات في : ديوانه بشرح العكبري : ٤ / ٢٤٦-٢٤٧ ، العرف الطيب : ٤ / ٦٠٢-٦٠٣ .

(٣) شرح العكبري : ٤ / ٢٤٧ ، العرف الطيب : ٤ / ٦٠٣ .

(٤) الدلائل ، رضا : ٤٧-٤٨ ، خفاجي : ٩٧ ، شاكر : ٤٧ - ٤٨ .

وفي هذه الأبيات - أيضا - لم يعلل الإمام عبد القاهر سبب استحسانه لكلمة " شيء " في بيت عمر بن أبي ربيعة ، وبيت أبي حية ، وسبب استنكاره لها في بيت المتنبي ، وكأنه اعتمد أيضا على الذوق والأريحية .

ولم يتكلم النقاد قبل عبد القاهر أو بعده - فيما رجعت إليه من مصادر - عن سبب استحسان هذه اللفظة أو استهجانها سوى ماذكره القاضي الجرجاني في الوساطة من أن هذا البيت من عيون الشعر وقلائده لولا ضعف لفظة " شيء " ومافيها من المبالغة ، ولأجل ذلك ذكر أنه من المعنى العامي .

قال :

" وهذا البيت من قلائده ، إلا أنك تعلم مافي قوله " شيء " من الضعف الذي يجتنبه الفحول ، ولا يرضاه النقاد ، وهو وأشباه هذا مما لم نُرد استقصاءه ، وإنما دللناك على منهاجه ، وأريناك بابه ، وقد قدّمنا مااسترذلناه من شعره " (١)

ورأى الاستاذ محمود شاكر في تحقيقه لدلائل الإعجاز غير مارآه الإمام عبد القاهر ، والقاضي الجرجاني ، إذ أنها مستحسنة عنده ؛ لأنها تكشف عن دخيلة نفس المتنبي ، وأنه ماذكرها هنا إلا قاصداً متعنياً ، فهو يريد بها التنفيس عما في صدره من الغيظ على كافور واستهانته به . قال :

" . . . وهو من القصيدة التي قالها في سنة ٣٤٨ هـ ، والتي قال فيها أيضا قصيدته الميمية حين ركبته الحمى ، والتي عرّض فيها بالرحيل عن كافور ، وهي قصيدة مدح ، ولكني أرى أنه كان ينفثُ في بعضها عمّا في صدره من الغيظ على كافور ، واستهانته به ، ولذلك فأنا أعدُّ لفظ " شيء " هنا مايكشف عن هذه الاستهانة بكافور ، ولو لحظ الشيخ عبد القاهر هذا الملحظ ، لما عدّها قليلة ضيئلة ، بل كبيرة موحية بما في نفسه " (٢) .

---

(١) الوساطة : ١٨١ .

(٢) الدلائل ، شاكر : ٤٨ .

وهذا من الأستاذ شاكر مجرد افتراض ، والمبالغة واضحة ظاهرة ، فلا يترك الظاهر لمجرد الافتراض ، فقد تجاوز المتنبي بهذه المبالغة حد الاعتدال حيث نكر لفظ شيء ليظهر أن الذي يوقف دوران الفلك لو كره الممدوح ذلك ليس بالشيء العظيم ، إنما هو شيء حقير بجانب رغبة الممدوح ، فجعل إدارة الفلك رهن رغبة الممدوح .

إضافة إلى ذلك فقد كان المتنبي شديد الرغبة في أن يوليه كافور ولاية ، فهو حين يمدحه لا يعرض به خشية أن يفطن كافور لذلك ، والمتنبي لم يبغض كافورا ألا بعد أن يئس .

ثم إن ثقل هذه اللفظة ليس فقط لمجرد المبالغة ، وإنما هو لقطع الكلمة وعدم وصلها بشيء ، وعدم دلالتها على معنى يلتفت إليه الذهن كما هي في بيت عمر ، فإن المراد بها " المرأة " وفي بيت النميري فإن المراد بها " اليوم والليلة " ، ولدلالة الكلمة على معنى معين وقعٌ في النفس لا يكون لها إذا لم يرجع الذهن إلى معنى محدد . وهذا في الإثبات لأن المراد بها شيء أي شيء ، أما في النفي فإنها تكون حسنة كما في قوله تعالى :

﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ (١)

لأن المراد عموم النفي ، على أن سبق " مِنْ " لها حماها من الانفراد ، ووحشة الوحدة .

وفي نهاية هذه الشواهد الستة ذكر الإمام عبد القاهر بأن باب المفاضلة بين اللفظ الواحد بحسب موضعه في التأليف باب واسع قد يرفع أشخاصاً إلى السماك ، ويلصق آخرين بالحضيض قال :

" وهذا باب واسع ، فإنك تجد متى شئت الرجلين قد استعملا كلماً بأعيانها ثم ترى هذا قد فَرَع السماك ، وترى ذاك قد لصق بالحضيض ، فلو كانت الكلمة إذا حَسُنت حَسُنت من حيث هي لفظ ، وإذا استحقت المزيّة والشرف استحقت ذلك في ذاتها وعلى انفرادها ، دون أن يكون السبب في ذلك

---

(١) الأنعام : ٣٨ .

حال لها مع أخواتها المجاورة لها في النظم ، لما اختلفت بها الحال ، ولكانت إمّا أن تَحْسُن أبداً ، أو لا تحسن أبداً ، ولم تر قولاً يضطرب على قائله حتى لا يدري كيف يُعبّر ، وكيف يورد ويُصوّر ، كهذا القول . بل إن أردت الحق ، فإنه من جنس الشيء يُجْري به الرجل لسانه ويُطْلقه ، فإذا فَتّش نفسه ، وجدها تعلم بُطلانه ، وتنطوي على خِلافه ، ذاك لأنه مما لا يقوم بالحقيقة في اعتقاد ، ولا يكون له صورة في فؤاد.(١)

الشاهد السابع : (*) (رجز)

وقَبْرُ حَرْبٍ بِمَكَانٍ(٢) قَفْرِ .·. ولَيْسَ(٣) قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ (٤)

---

(١) الدلائل ، رضا : ٤٨ ، خفاجي : ٩٧ ، شاكر : ٤٨ .

(*) الدلائل ، رضا : ٤٦ ، خفاجي : ١٠٣ ، شاكر : ٥٧ .

(٢) رواية العمدة " وقبرُ حَرْبٍ في مَكانٍ قفرِ " ، ويروى أيضا " بِمَكانٍ قَفْرُ " بالضم كما في شرح البرقوقي للتلخيص .

(٣) وذكر في معاهد التنصيص أن العجز رُوي :

" وَمَا بِقُرْبِ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ "

وكذلك أشار محقق البيان والتبيين " عبد السلام هارون " إلى رواية معاهد التنصيص هذه .

وذكر عجز البيت في الدلائل تحقيق شاكر ناقصا :

" وَلَيْسَ قُرْبَ حَرِبٍ قَبْرُ " ، واعتقد أنه خطأ مطبعي .

(٤) انظر البيت في :-

الحيوان : ٦ / ٢٠٨ ، البيان والتبيين : ١ / ٦٥ ، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن " رسالة الرماني " : ٩٥ ، إعجاز القرآن للباقلاني : ٢٦٩ ، العمدة : ١ / ٢٦١ ، سر الفصاحة : ٨٨ ، نهاية الإيجاز : ٢٦ ، المثل السائر : - مكتبة نهضة مصر - : ١ / ٤٠١ ، الفلك الدائر : - مكتبة نهضة مصر - : ٤ / ١٧٧ ، شرح شافية ابن الحاجب : ٤ / ٤٨٧ ، التلخيص في علوم البلاغة - شرح البرقوقي - : ٢٦ ، الإيضاح : ١ / ٧٥ ، شروح التلخيص : ١ / ٩٩ ، شرح أبيات الإيضاح : ١ / ٦ ، البداية والنهاية : ٢ / ٢٢٧ ، معاهد التنصيص : ١ / ٣٤ ، شاهد رقم (٥) ، الطراز : ١ / ١٠٤ .

البيت كما هو مشهور - مجهول القائل - ولصعوبة التلفظ به نسبوه إلى الجـــن .

وقد ذكر الرواة أنه قيل في حرب بن أمية بن عبد شمس،(١) ولذلك قصة طويـــلة ذكرها الجاحظ في الحيوان،(٢) وابن كثير في البداية والنهاية(٣) وغيرها من كتـــب الأدب.(٤)

وملخص القصة : أن الجن قتلوا حرب بن أمية بثأر حية منهم ، ثم دفنه أصحابه ببادية بعيدة حيث لا أهل ولا دار .

وقد أجمع النقاد على قُبح هذا البيت ورداءته ، فذكر الجاحظ أن ســـبب استكراه هذا البيت هو تنافر ألفاظه فقال :

" .. ومن ألفاظ العرب ألفاظ " تتنافر ، وإن(٥) كانت مجموعة في بيت شـــعر لم يستطع المنشد إنشادها إلا ببعض الاستكراه فمن ذلك قول الشاعر:

وَقَبْرُ حَرْبٍ بِمَكَـــانٍ قَفْـــرٍ ∴ وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَـــرْبٍ قَبْرُ

ولما رأى من لا علم له أن أحداً لا يستطيع أن يُنشد هذا البيت ثلاث مـــرات في نسق واحد فلا يتعتع ولا يتلجلج ، وقيل لهم إن ذلك إنما آعتراه إذ كان من أشعار الجن . صدَّقوا بذلك(٦).

وذكر الرماني أن التأليف على ثلاثة أضـــرب :-

---

(١) هو حرب بن أمية بن عبد شمس - والد أبي سفيان - من قريش كنيته أبو عمرو من قضاة العرب في الجاهلية ، ومن سادات قومه ، وهو جد معاوية بن أبي سفيان بن حرب كان معاصراً لعبد المطلب بن هاشم ، شهد حرب الفجـــار وتوفي (.. - ٣٦ ق هـ) / انظر: الأعلام : ٢/ ١٧٢ .

(٢) ٦ /٢٠٦ - ٢٠٧ .

(٣) ٢ / ٢٢٧ .

(٤) انظر أيضا معاهد التنصيص : ١ / ٣٤ - ٣٥ رقم الشاهد (٥) ، شروح التلخيص " مختصر السعد " : ١ / ١٠٠ ، حاشية الدسوقي : ١/ ١٠٠ .

(٥) في البيان والتبيين " وان كان مجموعة في بيت شعر، واعتقد أنه خطأ مطبعي .

(٦) البيان والتبيين ، وكذلك انظر: الحيوان : ٦ / ٢٠٦ ، ٢٠٨ .

- متنافــر .
- متلائــم في الطبقة الوسطى .
- متلائم في الطبقة العليا .

وجعل من المتنافر البيت الذي نحن بصدده . قال :

" التلاؤم نقيض التنافر، والتلاؤم تعديل الحروف في التأليف ، والتأليف على ثلاثة أوجه : -

متنافر، ومتلائم في الطبقة الوسطى ، ومتلائم في الطبقة العليا ، فالتأليف المتنافر كقول الشاعر :

وَقَبْرُ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفْرُ ∴ وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ

وذكروا أن هذا من أشعار الجن ، لأنه لا يتهيأ لأحد أن ينشده ثلاث مرات فلا يتتعتع ، وإنما السبب في ذلك ما ذكرنا من تنافر الحروف ".(١)

وهو بذلك يذهب إلى ماذهب إليه الجاحظ

وكرر الباقلاني ماقاله الرماني ، فقال :

" وأما التلاؤم ، فهو تعديل الحروف في التأليف ، وهو نقيض التنافر الذي هو كقول الشاعر :

وَقَبْرُ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفْرِ ∴ وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ

قالوا : وهو من شعر الجن ، وحروفه متنافرة ، لا يمكن إنشاده إلا بتتعتع فيه ، والتلاؤم على ضربين ...".(٢)

وإلى مثل هذا ذهب ابن رشيق(٣) ، وابن سنان(٤) ، وابن الأثير(٥) والإمام العلوي إلّا أن هذا الأخير أضاف:

---

(١) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن " الرماني " : ٩٤، ٩٥.

(٢) إعجاز القرآن للباقلاني : ٢٦٩.

(٣) العمدة : ١/ ٢٦١.

(٤) سر الفصاحة : ٨٦ - ٨٧.

(٥) المثل السائر : ١ / ٤٠١.

" .. إن الألفاظ في سهولة تركيبها ، وعُثورته وسلاسته ووعورته بمنزلة الأصوات في طنينها ، ولذّة سماعها ، ولهذا فإنّه يُستلذ بصوت " القُمري " ويكره صوت "الغراب " ويُستظرف صهيل "الفرس" ، ويُستنكر نهيق " الحمار" فإذا تمهدت هذه القاعدة ،فاعلم - أن مقصودنا من الفصاحة يحصل بالبحث عن أسرارها (١).

وكذلك ذكره الخطيب القزويني مثلاً على تنافر الكلمات (٢)

ومعنى الشاهد : أن قبر هذا الرجل " حرب " بمكان موحش لم يدفن فيه أحد غيره ، وظاهر البيت إخبار ، ولكن المعنى تأسف وتحسر وتوجع على كون قبر حرب في ذلك المكان البعيد النائي حيث لا أهل ولا ديار، والذي يدل على لزوم التوجع ، وضع الظاهر موضع المضمر، فقوله " قرب قبر حرب " وقع خبراً لقوله "ليس"فكان من حقه أن يقول قرب قبره (٣).

....

الشاهد الثامن : (*) (الخفيف)

قول ابن يسير: (٤)

---

(١) الطراز: ١ / ١٠٤ - ١٠٥. (٢) الإيضاح : ١ / ٧٢ - ٧٥.

(٣) شرح أبيات الإيضاح :- فيض الله - : ورقة (٣ ب).

(*) الدلائل ، رضا : ٣٦ ، خفاجي : ١٠٣ ، شاكر: ٥٧.

(٤) هو محمد بن يسير الرّياشي مولى بني أسد ،كان شاعراً مقلاً من الشعراء المحدثين ،لم يفارق البصرة، ولم يفد إلى خليفة ولا شريف منتجعاً ، ولا جاوز بلده ، وكان ماجناً هجاء خبيثاً ، وكان من بخلاء الناس، عاصر أبا نواس، وعُمّر بعده حيناً ، وقد اختلفت المصادر في نسبته ،فذكر بعضها أن اسمه محمد بن بشير الرّياشي ، وقيل إن اسمه محمد بن يسير الحميري، وقيل محمد بن بشير الخارجي ، وقيل محمد بن بشير العدواني / انظر ترجمته :
الشعر والشعراء : ٢ / ٨٨٣-٨٨٤ ، طبقات الشعراء لابن المعتز: ٢٧٩ - ٢٨٢ ، الورقة : ١١٢ ، الأغاني : ١٤ / ١٧ - ٥٠ ، معجم الشعراء للمرزباني : ٤٥٨ ، المحمدون من الشعراء : ٢٢٨-٢٤١ ، القاموس المحيط : . " يسر " : ٢ / ١٦٩.

لا أُذِيلُ[١] الآمَالَ بَعْدَكَ إنِّـــــي ∴ بَعْدَها بالآمَالِ جِدُّ[٢] بَخِيـــلِ
كَمْ لَهَا مَوقِفاً بِبَـابِ صَدِيـــــقٍ[٣] ∴ رَجَعَتْ مِنْ نَدَاه بِالتَّعْطِيـــلِ
لَمْ يَضِرْهَا وَالْحَمْدُ لِلّهِ شَـــــيءٌ ∴ وَانْثَنَتْ نَحْوَ عَزْفِ نَفْسٍ ذَهُولِ[٤][٥]

وموضع الشاهد عجز البيت الثالث .

وهذه الأبيات من قصيدة قالها ابن يسير في أحمد بن يوسف[٦] حين استبطأه وهي :

هَلْ مُعِينٌ على البُكَا وَالعَوِيـــلِ ∴ أَمْ مُعَزٍّ على المُصَـابِ الجليـلِ
مَيِّتٌ مَاتَ وَهوفي وَرَقِ العَيْــشِ (م) مقيمٌ بِــهِ وظِـلٍّ ظَلِيـــلِ
في عِدَادِ المَوتَى وفي عامِرِي الدُّنْ ∴ يَا أَبُو جعفرٍ أَخِي وَخَلِيلِـــي
لَمْ يَمُتْ مِيتَةَ الوَفَاةِ وَلَكِـــنْ ∴ مَاتَ عَنْ كُلِّ صَالِحٍ وَجَمِيـــلِ[٧]

---

(١) لا أُذِيلُ : لا أُسهل ، طريق مذلل إذا كان موطوءاً سهلاً ./ اللسان " ذلل " : ١١ / ٢٥٨ .

(٢) رواية البيان والتبيين : " حقٌّ بخيل " .

(٣) رواية البيان والتبيين :
" كَمْ لَهَا وَقْفَةً بِبَابِ كَرِيمٍ "

(٤) الذَّهْل تركك الشيء تناساه على عَمْد أو يشغلك عنه شُغل ، ذَهَل الشيء وذَهَل عنه وذَهِلَه وذَهِل - بالكسر - عنه يَذهل فيهما ذهلاً وذُهولاً تركه على عَمْد أو غفل عنه أو نسيه . / اللسان : " ذهل " : ١١ / ٢٥٩ .

(٥) انظر الأبيات في :-
البيان والتبيين : ١ / ٦٥ ، ٦٦ ، المصون : ٧ ، العمدة : ١ / ٢٦١ ، سر الفصاحة : ٨٨ .

(٦) هو أبو جعفر أحمد بن يوسف بن صبيح الكاتب (ت : ٢١٣ هـ) ، كان في زمن المأمون كاتباً لديوان الرسائل ، وكان فصيح اللسان ، قال الشعر في الغـزل والمديح والهجاء ./ انظر أخباره في :
العقد الفريد : - دار الفكر - : ١ / ١٤٥ ، ٢ / ١٧ ، ٣ / ١٢٩ ، ٤ / ١١٦ ، ١١٨ ، ٢٢٤ ، ٢٤٨ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٩ ، ٥ / ٣٤٣ ، ٧ / ٢٧٥ ،
الوزراء والكتاب : ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، نصوص ضائعة من كتاب الوزراء والكتاب : ٤٨ .

(٧) هذه الأبيات من رواية البيان والتبيين : ١ / ٦٥ ، ٦٦ .

وبعدها الأبيات الثلاثة التي ذكرها الشيخ .

ولقد علق الجاحظ على بيت الشاهد بقوله :

" فتفقد النصف الأخير من هذا البيت ، فإنك ستجد بعض ألفاظه يتبرأ من بعض " (١) .

وذكر أن جودة الشعر تكون بتلاحم أجزائه ، وسهولة مخارجه ، فقال :

" أجودُ الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء ، سهل المخارج ، كأنه قد سُبك سبكاً واحداً ، وأُفْرِغ إفراغاً واحداً ، فهو يجري على اللسان كما يجري فرسُ الرهان ، وحتى تراها متفقة مُلساً ، ولينة المعاطف سهلة ، فإذا رأيتها متخلعة متباينة ، ومتنافرة مستكرهة تشقُّ على اللسان ، وتكُدُّه ، ورأيت غيرها سهلة لينة رطبة متواتية ، سلسة في النظام ، حتى كأن البيت بأسره كلمة واحدة ، وحتى كأن الكلمة بأسرها حرف واحد " (٢) .

وذكر ابن رشيق أن العيب في البيت مرده إلى الثقل الناتج عن قرب الحاء من العين ، وقرب الزاي من السين . قال :

" ومن الشعر ما تتقارب حروفه أو تتكرر ، فتثقل على اللسان ، نحو قول ابن بشير :

لَمْ يَضِرْهَا وَالحمدُ للّهِ شيءٌ .·. وَانْثَنَتْ نَحْوَ عَزْفِ نَفْسٍ ذَهُولِ

فإن القسيم الآخر من هذا البيت ثقيل ؛ لقرب الحاء من العين ، وقرب الزاي من السين " (٣) .

وإلى مثل هذا ذهب ابن سنان الخفاجي فقال :

" فإن المصراع الثاني من هذا البيت يثقل التلفظ به ، وسماعه ؛ لما فيه من تكرر حروف الحلق " (٤) .

---

(١) البيان والتبيين : ١ / ٦٦ .

(٢) المصدر السابق : ١/ ٦٧ .

(٣) العمدة : ١ / ٢٦١ .

(٤) سر الفصاحة : ٨٦ - ٨٧ .

الشاهد التاسع : * (الطويل)

بيت أبي تمام :

كَرِيمٌ مَتَى أَمْدَحْهُ أَمْدَحْهُ والورَى ∴ مَعِي وَإِذَا[1] مَالُمْتُهُ لُمْتُهُ وَحْدِي(٢)

والبيت من قصيدة يمدح بها أبا المغيث موسى بن إبراهيم الرافقي[٣]، ويعتذر له عما نُسب إليه من هجائه له ، وأولها :

شَهِدْتُ لَقَدْ أَقْوَتْ مَغَانِيكُمُ[٤] بَعْدِي ∴ وَمَحَّتْ كَمَا مَحَّتْ وَشَائِعُ مِنْ بُرْدِ

وَأَنْجَدْتُمْ مِنْ بَعْدِ إِتْهَامِ دَارِكُمْ ∴ فَيَادَمْعُ أَنْجِدْنِي عَلَى سَاكِنِي نَجْدِ

(*) الدلائل ، رضا : ٤٦ ، خفاجي : ١٠٣ ، شاكر: ٥٨ .

(١) رواية الديوان والوساطة ، وإعجاز القرآن للباقلاني ، والمثل السائر:

" مَتَى مَالُمْتُهُ لُمْتُهُ وَحْدِي "

(٢) رواية الدلائل تحقيق شاكر لعجز البيت :

" جَمِيعاً وَمَهْمَا لُمْتُهُ لُمْتُهُ وَحْدِي "

وذكر الخطيب أن هناك من يروى العجز :

" وَمَتَى مَاذِمْتُهُ ذِمْتُهُ وَحْدِي "

وهي رواية غير صحيحة ، لأن أبا تمام لم يقصد أن يكون بإزاء المدح ضده ، قال :

" من روى " ومتى ماذِمْتُهُ ذِمتُهُ وَحْدِي " ليكون بازاء المدح الذَّيْمُ ، الذي هو بمعنى الذَّم ، فقد هَذَى ، لأن أبا تمام لم يقصد أن يكون بازاء المدح ضدَّه ، وإنما أراد أني إن لُمتُهُ لم يساعدني عليه أحد " / الديوان بشرح الخطيب : ١١٦/٢ . انظر البيت في :

ديوانه بشرح الخطيب : ١١٦/٢ ، شرح ديوانه لمحمد محيي الدين عبد الحميد ٣٨٦ ، ديوانه - دار صعب - : ١١٤ ، الوساطة : ٦٥ ، إعجاز القرآن للباقلاني : ٢٢٦ ، سر الفصاحة : ٩١ ، الإيضاح : ٧٥/١ ، التلخيص : ١٠٠/١ ، شرح أبيات الإيضاح : ٣ ب ، شروح التلخيص : ١ / ١٠٠ ، معاهد التنصيص : ١ / ٣٧ ، رقم الشاهد (٦) .

(٣) ستأتي ترجمته : ص ١٠٧٩ .

(٤) رواية المعاهد : " معالمكم " .

وقبل الشاهد :

أَأَلْبِسُ(١) هُجْرَ(٢) القَولِ مَنْ لَوْ هَجَوْتُهُ ∴ إذاً لَهَجَانِي عَنْهُ مَعْرُوفُهُ عِنْدِي(٣)

وبعد الشاهد :

وَلَوْلَمْ يَزَعْنِي عَنْكَ غَيْرُكَ وازِعٌ ∴ لأَعْدَيتَنِي بِالْحِلْمِ إِنَّ العُلَىٰ تُعْدِي(٤)

ذكر القاضي الجرجاني في الوساطة عند حديثه عن تفاوت شعر أبي تمام أن هذا البيت من رديء شعره ، وأنه ارتفع ببعض شعره إلى درجات العلى ، وانحط ببعضها - ومنها هذا البيت - إلى الحضيض . ولكنه لم يبين سبب الانحطاط والرداءة في هذا البيت .

قـال :

" . . . فيترقى في هذه الدرجات العالية ، ويتصرف هذا التصرف المعجز ، ثم ينحط إلى الحضيض ويلصق بالتراب(٥) .

وعند حديثه عن السرقة ذكر أن ابن أبي طاهر سرق هذا البيت سرقة لطيفة جاءت على وجه القلب ، وقصد به النقض .

قـال :

" ومن لطيف السرق ما جاء به على وجه القلب ، وقُصِد به النقض . . .

---

(١) رواية شرح الديوان لمحمد محيي الدين ، ومعاهد التنصيص :
" أَسَرْ بِلُ هُجْرَ القَولِ "
ورواية الوساطة : " أَأَمْنَحُ "

(٢) رواية شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية - :
" أَأَلْبِسُ فُحْشَ القَولِ " .

(٣) ذكر في شروح التلخيص - حاشية الدسوقي - أن قبل بيت الشاهد :
أَتَانِي مَعَ الرُّكْبَانِ ظَنٌّ ظَنَنتهُ ∴ نَكَسْتُ لَهُ رَأْسِي حَيَاءً مِنَ المَجْدِ
وَهَتَّكْتُ بِالْقَولِ الخَنَا حُرْمَةَ العُلَا ∴ وَأَسْلَكْتُ حُرَّ الشِّعْرِ فِي مَسْلَكِ العَبْدِ

(٤) وذكر في الوساطة أن بعد الشاهد :
أَرُدُّ يَدِي عَنْ عِرْضِ حُرٍّ وَمَنْطِقِي ∴ وَأَمْلَؤُهَا مِنْ لِبْدَةِ الأَسَدِ الوَرْدِ

(٥) الوساطة : ٦٧ .

وقول ابن أبي طاهر:

يَشْتَرِكُ العَالَمُ في ذَمّه ∴ لَكِنَّني أَمْدَحُهُ وَحْدِي

إنما هو عكس قول أبي تمام:

كَرِيمٌ متى أَمْدَحْهُ أَمْدَحْهُ وَالوَرَى ∴ مَعِي وَإِذَا مَالُمْتُهُ لُمْتُهُ وَحْدِي

وهذا باب يحتاج إلى إنعام الفكر وشدة البحث ...(١)

وذكر الباقلاني أن الصاحب بن عبّاد قد جارى أبا الفضل بن العميد في محاسن هذه القصيدة ، حتى انتهى إلى هذا البيت ، فذكر له أن قوله : " أَمْدَحْهُ أَمْدَحْهُ " معيب ؛ لثقله من جهة تدارك حروف الحلق .

ورأى أن المتقدمين قد تكلموا في هذه النكته ، فعلم أن ذلك شيء عند أهل الصنعة معروف(٢).

ورأى ابن سنان الخفاجي أن بعض العلماء بالشعر يعيب في قول أبي تمام تكرار حروف الحلق على سلامة المعنى واختيار الألفاظ.(٣)

وقسم الخطيب القزويني تنافر الكلمات إلى أعلى وأدنى ، فالتنافر المتناهي في الثقل كالبيت الذي أنشده الجاحظ :

وَقَبْرُ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفْرٍ ....

والأدنى من ذلك في الثقل قول أبي تمام = بيت الشاهد = وعلق عليه بقوله : " فإن في قوله " أَمْدَحْهُ " ثقلا ما ، لما بين الحاء والهاء من تنافر "(٤).

وعلق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي على تعليقه هذا رافضاً إياه ؛ بأن مثل هذا التعليل يُقبل لو كان يتحدث عن تنافر الحروف ، ولكنه بصدد الحديث عن تنافر الكلمات .

---

(١) الوساطة : ٢٠٦ - ٢٠٨ .

(٢) إعجاز القرآن للباقلاني : ٢٢٦ .

(٣) سر الفصاحة : ٩١ .

(٤) الإيضاح : ١ / ٧٥ .

ويبدو لي أن تعليقه هذا منقول عن ابن السبكي في عروس الأفراح حيث قال :

" واعترض عليه أيضا بأن الكلام إنما هو في تنافر الكلمات وهذا من تنافر الحروف "(١).

ورأى ابن يعقوب أن تكرار الحاء والهاء ، وحده ليس بسبب يوجب الثقل ، وإنما الثقل والتنافر ناتج من تكرار " أَمْدَحْهُ " مع اجتماع الحاء والهاء ، أما اجتماع الحاء والهاء بدون تكرار ، فلا يوجب ثقلاً يخل بالفصاحة ، فإنه قد جاء في التنزيل المنزه قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ ﴾(٢).

وأوضح الدسوقي أن مراد الشيخ(٣) القزويني أن في " أَمْدَحْهُ " شيء من الثقل والتنافر ، فإذا انضم إليه " أَمْدَحْهُ " الثاني تضاعف ذلك الثقل ، وحصل التنافر المخل بالفصاحة ، وليس مراده أن الجمع بين الحاء والهاء موجب وحده للتنافر المخل بالفصاحة ، وذلك لوروده في القرآن الكريم . قال :

" فقول المصنف في الإيضاح موجهاً لما في البيت من تنافر الكلمات ، فإن في " أَمْدَحْهُ " ثقلاً لما بين الحاء والهاء من القرب . مراده أن فيه شيئاً من الثقل والتنافر ، فإذا انضم إليه أَمْدَحْهُ الثاني تضاعف ذلك الثقل ، وحصل التنافر المخل بالفصاحة ، وليس مراده أن مجرد الجمع بين الحاء والهاء موجب للتنافر المخل بالفصاحة لوروده في القرآن "(٤).

ولقد استحسن ابن يعقوب البيت من وجه آخر ، ورأى أنه عبر باللوم في مقابلة المدح - الذي هو في الأصل يقابل الذم - تأدباً مع الممدوح ، وأنه استعمل " إذا " التي تستعمل في التحقيق إيهاما لوجود تحقق الدعوى ، وهو وجود اللوم مع عدم مساعد . قال :

---

(١) شرح التلخيص : ١ / ١٠١ .

(٢) الطور : ٤٩ .

(٣) شروح التلخيص - مواهب الفتاح - : ١ / ١٠٠ .

(٤) المصدر السابق - حاشية الدسوقي - : ١ / ١٠١ .

" وعبَّر باللوم في مقابلة المدح مع أنه إنما يقابل بالذم تأدباً مع الممدوح، وللإيماء إلى أن ذمه إنَّما هو لوم وعتاب على نحو تفضيل الغير على اللَّائم وإلا فلا ذم... وعبَّر بإذا التي تستعمل في التحقيق إيهاماً لوجود تحقق الدعوى، وهو وجود اللوم مع عدم مساعد "(١)

ولم يستحسن الصاحب بن عبَّاد هذه المقابلة، ورأى أن من الهجنة مقابلة المدح باللوم، وذكر له هذا الرأي السعد في مختصره، فقال:

" ذكر الصاحب اسماعيل بن عباد أنه أنشد هذه القصيدة بحضرة الأستاذ ابن العميد، فلما بلغ هذا البيت قال له الأستاذ هل تعرف فيه شيئاً من الهجنة قال نعم مقابلة المدح باللوم، وإنَّما يقابل بالذم أو الهجاء... "(٢)

وكذلك اعترض الدسوقي في حاشيته على كلام ابن يعقوب، ورأى أن الأولى للشاعر أن يأتي " بأن، والمضارع " الدالين على عدم تحقق الحصول؛ لأن " إن " للشك دون " إذا " والماضي الدالين على تحقق الوقوع، وفيه شائبة تقصير في مقام الممدوح(٣).

ومعنى الشاهد: أراد أبو تمام وصف كرم أخلاق ممدوحه، فذكر أن الخَلْقَ جميعاً يشهدون له بكرم هذه الأخلاق، فإذا ما مدحه هب الناس لمدحه، ووافقوه، وناصروه، وإذا أراد لومه أنثنى عنه الناس، ولم يوافقوه على فعله، فتركه منفرداً في حالة اللوم كأنه تقريع له وذم، للومه شخصاً يتصف بكرم الأخلاق - إذا همَّ بذلك - وهذا يدل على سعة كرم الممدوح، وأنه شمل الناس جميعاً، فحفظوا له معروفه.

جاء في شرح أبيات الإيضاح:

"... قوله والورى معي جملة في محل النصب على الحال، وقوله " وحدي "

---

(١) شروح التلخيص - مواهب الفتاح -: ١/ ١٠٠.

(٢) المصدر السابق - مواهب الفتاح -: ١/ ١٠٠

(٣) المصدر السابق - حاشية الدسوقي: ١/ ١٠٢.

حال أي منفرداً ، والمعنى هو كريم إذا مدحته وافقني الناس على مدحه ، فيمدحونه كما أمدحه، لأنه كما يحسنُ إليّ يُحْسِنُ إليهم بمثله ، وقيل لا أمدحه بشيء إلا صدقني الناس فيه ، أو أن الناس اتفقوا معي على أنَّ ما يوجب المدح للإنسان من معاني الكمال موجود فيه ، فيمدحونه كما أمدحه ، وإذا لمته لمته منفرداً لا يوافقني في لومه أحد ، ولا يصدقني فيما ألومه عليه ، لأنه ليس فيه ما يقتضي لومه ، والقصد في هذا أن يروي براءة ساحة الممدوح عما يلام به الناس لا أن يثبت لنفسه أن يلومه وحده ، أو لأنه يؤثرني عليهم بمزيد الإحسان إليّ ، وزيادة الإنعام عليَّ فألومه وحدي ، وليس في هذا كثير مدحٍ أو يظن فيَّ دون الناس ما لم يخطر ببالي ، ويُصَدِّق الساعي بي إليه فيما يتهمني به عنده من الهجاء ، فألومه على ذلك وحدي "والذي ذكره في قوله " وإذا ما لمته لمته وحدي محتملاً نظر إلى اللفظ والمقام(١)(٢).

استشهد الإمام عبد القاهر بهذه الشواهد الثلاثة (السابع - الثامن - التاسع) للرد على من يقول بأن الفصاحة للفظ، وتلاؤم الحروف . قال :

" وهذه شبهة أخرى ضعيفة ، عسى أن يتعلق بها متعلق ممن يُقْدِم على القول من غير رويَّة : وهي أن يَدَّعي أن لا معنى للفصاحة سوى التلاؤم اللفظي وتعديل مِزاج الحروف حتى لا يتلاقىٰ في النطق حروف تثقل على اللسان كالذي أنشده الجاحظ من قول الشاعر :

وَقبْرُ حَرْبٍ بِمَكانٍ قَفْـــــرِ .·. وَلَيْسَ قُرْبَ قَـبْرِ حَرْبٍ قَـــبْرُ

وقول ابن يسير :

لَا أُذِيلُ الآمالَ بَعْدَكَ إِنِّـي .·. بَعْدَهَا بِالآمَالِ جِدُّ بَخِيــلِ

كَمْ لَهَا مَوقِفاً بِبَابِ صَدِيــقِ .·. رَجَعَتْ مِنْ نَدَاهُ بِالتَّعْطِيــلِ

---

(١) في النسخة الأزهرية :

"والذي ذكر في قوله وإذا ما لمته لمته وحدي محتمل نظراً إلى اللفظ والمعنى".

(٢) شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - : ٣ ب .

قال الجاحظ : " فتفقد النصف الأخير من هذا البيت ، فإنك ستجد بعض ألفاظه يتبرأ من بعض [١] ، ويزعم أن الكلام في ذلك على طبقات فمنه المتناهي في الثقل المفرط فيه ، كالذي مضى ، ومنه ما هو أخف منه كقول أبي تمام :

كَرِيمٌ مَتَى أَمْدَحْهُ أَمْدَحْهُ وَالوَرَى ∴ مَعِي وَإِذَا مَالُمْتُهُ لُمْتُهُ وَحْدِي

ومنه ما يكون فيه بعض الكلفة على اللسان إلَّا أنه لا يبلغ أن يعاب به صاحبه ، وَيُشَهَّرَ أمره في ذلك ويحفظ عليه ، ويزعم أن الكلام إذا سلم من ذلك وَصَفَا من شوبه ، كان الفصيح المُشَاد به والمُشَار إليه ، وأنَّ الصفاء أيضاً يكون على مراتب ، يعلو بعضها بعضاً ، وأن له غاية إذا انتهى إليها كان الإعجاز " [٢].

ورد عليهم بأنه لو قُصِرت الفصاحة على تلاؤم الحروف لزم إخراج الفصاحة من حيز البلاغة ، ومن أن تكون نظيرة لها ، وإذا فُعِل ذلك كنا أمام أحد أمرين :

إما أن يُجعل " تلاؤم الحروف " العمدة في المفاضلة بين العبارتين ، ولا يعرج على غيره ، وإما أن يجعل أحد ما يفاضل به ، ووجهاً من الوجوه التي تقتضي تقديم كلام على كلام ، فإذا أُخذ بالأمر الأول لزم أن تُقصر الفضيلة عليه حتى لا يكون الإعجاز إلَّا به ومنه ، وفي ذلك ما لا يخفى من الشناعة .

وإن أُخذ بالأمر الثاني ، وهو أن يكون تلاؤم الحروف وجهاً من وجوه الفضيلة ، وداخلاً في عداد ما يُفاضل به بين كلام وكلام على الجملة ، فلا خلاف ولا ضرر في ذلك [٣].

ولقد أسهبت في عرض آراء النقاد الذين سبقوا عبد القاهر ؛ لأبين أن علماء البلاغة لم يدر في خلدهم - فيما يبدو لي - أن يجعلوا كل البلاغة في تلاؤم الحروف ، وإنما جعلوها شرطاً ومزية فيها ، ومنشأ الخلاف بينهم وبين الشيخ ناتج عن أن الشيخ يجعل البلاغة والفصاحة بمعنى واحد ، وهم قد فصلوا بين الفصاحة والبلاغة .

---

(١) البيان والتبيين : ١ / ٦٦ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٥٢ - ٥٣ ، خفاجي : ١٠٣-١٠٤ ، شاكر : ٥٧-٥٨ .

(٣) انظر :
الدلائل ، رضا : ٥٣-٥٤ ، خفاجي : ١٠٤-١٠٥ ، شاكر : ٥٨-٥٩ .

تعليـــــق :-

وفي آخر هذا الفصل أود أن أشـــير إلى أنَّ الشيخ عبدالقاهر قد اعتمد علـــى الذوق والأريحية ،فلم يعلل نقده للأبيات ، بل كان يعتمد على ماتوحي بــــه الألفاظ من إحساس ، على الرغم من أنه يطالب مراراً وتكراراً ببيان وجه العلة ، فهـــو القائل :

" وجملة ماأردت أن أبينه لك أنه لابد لكل كلام تستحسنه ، ولفظ تستجيده ، من أن يكون لاستحسانك ذلك جهة معلومة ، وعلة معقولة ، وأن يكون لنـــا إلـى العبارة عن ذاك سبيل ، وعلى صحة ماادعيناه من ذلك دليل ، وهـــو باب من العلم ، إذا أنت فتحته اطلعت منه على فوائد جليلة ، ومعـــان شريفة ، ورأيت له أثراً في الدين عظيماً ، وفائدة جسيمة ، ووجدته سبباً إلـى حسم كثير من الفساد ، فيما يعود إلى التنزيل ، وإصلاح أنواع من الخـــلـل فيما يتعلق بالتأويل[(١)] ".

ومن اعتماده على الذوق استخدامه في تعليقاته ألفاظاً تصور الإحساس والشـــعور النفسي من انبساط أو انقباض من ذلك قوله :

" . . . أن الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللفظـــــة لمعنى التي تليها[(٢)] أو ماأشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ ، ومـمـــا يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع ، ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر[(٣)] ".

---

(١) الدلائل ، رضا : ٣٣ ، خفاجي : ٩١ ، شاكر: ٤١ .

(٢) ذكر الأستاذ شاكر أن الأجود في هذه العبارة ماأثبته في نسخة: " أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ، ولا من حيث هي كلم مفرده ، وأن الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللفظة لمعني التي تليها " .

(٣) الدلائل ، رضا : ٣٨ ، خفاجي : ٩٥ ، شاكر: ٤٦ .

وقوله في التعليق على بَيْتَيْ الصمة القشيري والبحتري :

" فإنَّ لها في هذين المكانين مالا يخفي من الحسن ." (١)

وقوله في التعليق على بيت أبي تمام : " يادَهْرُ قَوِّمْ مِنْ أَخْدَعَيك . . .

" فتجد لها من الثقل على النفس ومن التنغيص والتكدير أضعاف ماوجدت هناك من الروح والخفة ، ومن الإيناس والبهجة ." (٢)

إنَّ هذه المفاضلة بين الألفاظ، والمعتمدة على الذوق تَظهر لنا قدرة الشيخ عبدالقاهر الذوقية على الاستجابة لما توحي به الألفاظ من إحساس ، ومايضفيه عليها السياق من معانٍ .

وإذا تأملنا هذه الألفاظ التي استخدمها في التعليق تنبهنا إلى قضايا نقدية ذات بال . منها :

أن الإمام عبدالقاهر لم يُعنَ بأمر المترادفات في الألفاظ، فلا ترادف في الألفاظ التي تشملها اللوحة التصويرية اللغوية ، وبذلك يربط الإمام عبدالقاهر بين الصياغة من حيث هي صورة وبين معناها. (٣)

• وتعليقاته تلك تشير إلى حقيقة نقدية هامة ، وهي :

أن لكل لغة معانيها الثانوية ، فليس هناك معنى ثابت للكلمة ، وأن مانجده في المعاجم من معنى ليس هو كل شيء بل هو مجرد أساس ثابت ، ويتفرع من معنى المعجم عديد من المعاني الثانوية بحسب السياق الذي توضع فيه ، فلو كان للفظ معنى واحد ثابت لم يكن هناك وجه للمقارنة بين الكلمة الواحدة فيما استشهد به عبدالقاهر من أمثلة، ولتساوى الشعراء في قدرتهم على استغلال الكلمة. (٤)

---

(١) الدلائل : رضا : ٣٩ ، خفاجي : ٩٦ ، شاكر : ٤٧ .

(٢) الدلائل : رضا : ٣٩ ، خفاجي : ٩٦ ، شاكر : ٤٧ .

(٣) النقد التحليلي : ١٤٦ .

(٤) المرجع السابق : ١٤٧ .

إن الواحد لا يستطيع أن يفضل لفظة بحجة أنها شاعرية، أو يرفضها بحجة أنها غير شاعرية ، فكل مافي العمل الفني يخضع لقوانينه الفنية الخاصة.(١)

حدد لنا الشيخ عبد القاهر وظيفة الشاعر ماذا يفعل حتى يحيل عناصر اللغة ومفرداتها إلى عناصر فن ، فالشاعر يشكل ، ويصوغ ، ويختار ، ويجمع ، وينتقي ، ويربط ذلك كله بإلهامه وحسه ، وهذه العمليات كلها عمليات دقيقة تخلق من الأشياء العادية، ومن المعاني المجردة شيئاً خاصاً مستقلاً ، ومعاني ذات طاقات خاصة تبعث فينا أحاسيس تختلف اختلافاً جذرياً عن أحاسيسنا في الحياة ؛ لأن الشاعر استطاع أن يكسب لغته شكلاً فنياً ، ويستثمر طاقات عناصرها في مواقف مناسبة.(٢)

---

(١) النقد التحليلي : ١٤٧ .

(٢) المرجع السابق : ١٥٤ .

الفَصل الثَاني :

أ - شواهد الاستعارة .

ب - القول في نظم الكلام ومكان النحو منه .

أ- شواهد الاستعارة

الشاهد العاشر: (*) (الكامل)

قولـه:
إذْ أَصْبَحَتْ بِيَدِ الشَّمَالِ زِمَامُهَا * (١)

الشاهد الحادي عشر: (*) (الطويل)

قوله (٢):
* وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ المَطِيِّ الأَبَاطِحُ *
ذكر الشيخ عجز البيت فقط وصدره :
* أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الأَحَادِيثِ بَيْنَنَا *

(*) الدلائل ، رضا : ٥٣ ، خفاجي : ١١١ ، شاكر: ٦٧ .

(١) سيأتي الحديث عن هذا الشاهد بالتفصيل في الفصل الذي عقده للاستعارة في آخر الكتاب :ص ٨٧٤ . من البحث

(*) الدلائل ، رضا : ٥٩ ، خفاجي : ١١٧ ، شاكر : ٧٤ .

(٢) ذكر الشيخ عجز البيت الثالث ولم ينسبه، وكذلك في الإيضاح والتلخيص وريحانة الألبا .
وذكرت الأبيات الثلاثة الأولى (البيتان اللذان سبقا الشاهد مع بيت الشاهد) في أسرار البلاغة ، والشعر والشعراء ، وإعجاز القرآن للباقلاني ، وشرح أبيات الإيضاح ، ومصارع العشاق .
وذكر البيت الأول والثالث فقط في الخصائص ، واللسان ، وذكر البيت الأول فقط في أمالي المرتضى .
وهذه المصادر قد ذكرت تلك الأبيات من غير نسبة .
وذكر الشيخ محمد عبد المنعم خفاجي في تحقيقه لأسرار البلاغة أن ابن جني نسبهما في الخصائص لكثير عزة ، والصواب أن ابن جني أوردهما من غير نسبة .
وروي عن المرزباني بسنده - في أمالي المرتضى - أنه نسبها للمضرب عقبة ابن كعب .
وذكر البصري في حماسته الأبيات الثلاثة الأولى منسوبة أيضا للمضرب . وذكر القاضي الجرجاني أنها لابن الطثرية .
وفي هامش شرح الحماسة للمرزوقي ذكر المحقق أنها تنسب لكثير عزة أو يزيد بن الطثرية ، أو عقبة بن كعب بن زهير ، وكذلك في معجم شواهد العربية " عبد السلام هارون " ، ومعاهد التنصيص إلا أنه آثر كونها لكثير ، وكذلك أكد محقق كتاب " شعر يزيد بن الطثرية " ناصر بن سعد الرشيد أن الأبيات لكثير .

=====

وهو من قصيدة مطلعها :

لِعَزَّةَ هَاجَ الشَّوْقَ فَالدَّمْعُ سَافِحُ .·. مَغَانٍ وَرَسْمٌ قَدْ تَقَادَمَ مَاصِحُ

وقبل الشاهد :

وَلَمَّا قَضَينَا مِنْ مِنىً كُلَّ حَاجَةٍ (١) .·. وَمَسَّحَ بِالأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحُ

=== وكذلك وردت له في " زهر الآداب " ، ونُسبت في ذيل اللآلي لكثير أو للمضرب عقبة بن كعب ونُسبت لكعب بن زهير وهي موجودة في ديوانه .

وكثير هو: كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر الخزاعي (٠٠-١٠٥هـ) شاعر متيم مشهور من أهل المدينة أكثر إقامته بمصر وهو من شعراء الدولة الأمويه يكنى بأبي صخر. ويقال له أيضا " ابن أبي جمعة " ، و" المَلَحِي " نسبة إلى بني مُلَيح وهم قبيلته / انظر ترجمته :

طبقات فحول الشعراء : ٢ / ٥٤٠-٥٤٨ ، الشعر والشعراء : ١ / ٥١٠-٥٢٤ ، عيون الأخبار: ٢ / ١٤٤ ، الأغاني - دار إحياء التراث -: ٩ / ٣٩ ، المؤتلف والمختلف: ١٦٩ ، معجم الشعراء للمرزباني : ٣٥٠ ، السمط: ١ / ٦١-٦٢ ، وفيات الأعيان : ٤ / ١٠٦-١١٣ ، المعاهد : ٢ / ١٣٦-١٤٧ ، شذرات الذهب ١ / ١٣١ ، خزانة البغدادي :- دار صادر -: ٢ / ٣٨١-٣٨٣ ، الأعلام : ٥ / ٢١٩ ، سير أعلام النبلاء : ٥ / ١٥٢ ، ويزيد بن الطثرية سوف تأتي ترجمته .

والمضرَّب هو عقبة بن كعب بن زهير بن أبي سُلمى المزني ، ضبطه صاحب التاج في مستدرك (ضَرَبَ) بوزن" محدِّث " و " معظَّم " وضبطه في اللسان بالكسر فقط، والأولى الفتح اعتماداً على ما رواه ابن قتيبة في الشعر والشعراء من أنه كان لكعب ابن يقال له عقبة شبب بامرأة من بني أسد ،فضربه أخوها مائة ضربة بالسيف فلم يمت وأخذ الدِّية فسمي المضرَّب /انظر ترجمته : الشعر والشعراء : ١ / ١٤٨-١٤٩ ، المؤتلف والمختلف : ١٨٢ ، أمالي المرتضى : ١ / ٤٥٧ ، ذيل السمط : ٧٧ ، اللسان : (ضرب) التاج : مستدرك (ضرب) : ١ / ٣٥٠ .

(١) رواية مصارع العشاق والمعاهد :

" فَلَمَّا قَضَيْنَا " .

(١) (٢) (٣) (٤)
وَشُدَّتْ عَلَى حُدْبِ المَهَارِي رِحَالُنَا ∴ وَلَا يَعْلَمُ الغَادِي الَّذِي هُوَ رَائِحُ

وبعدهما الشاهد وبعده :

نَقَعْنَا قُلُوباً بِالأَحَادِيثِ وَاشْتَفَتْ ∴ بِذَاكَ صُدُورٌ مُنْضِجَاتٌ قَرَائِحُ

وَلَمْ تَخْشَ رَيْبَ الدَّهْرِ فِي كُلِّ حَالَةٍ ∴ وَلَا رَاعَنَا فِيهِ سَنِيحٌ وَبَارِحُ (٥)

---

(١) رواية نقد الشعر وأسرار البلاغة ، وشرح أبيات الإيضاح ، والكشكول ،ومواهب الفتاح ، وحاشية الدسوقي : " عَلَى دهمٍ " .
والحدب : الحدبة التي في الظهر والحَدَب : خروج الظهر ودخول البطن والصدر . /اللسان :" حدب " : ١ / ٣٠٠ .

(٢) رواية الحماسة البصرية : " عَلَى حُدْبِ المَطَايا " .

(٣) رواية نقد الشعر : " رِحَالُهَا " .

(٤) رواية نقد الشعر ، وأسرار البلاغة ، ومواهب الفتاح ، وحاشية الدسوقي ، والمعاهد : " وَلَمْ يَنْظُر " .
ورواية سائر المراجع المذكورة في تحقيق البيت :
" وَلَا يَنْظُر "

(٥) شرح ديوان كعب بن زهير: ٢٤٢ ،ديوان كثير عزة : تحقيق إحسان عباس - : ٥٢٥ ،شعر يزيد بن الطثرية - نصر بن سعد الرشيد -: ٤٠-٤١ ، الوحشيات : ١٨٧ ،الشعر والشعراء: ١ / ٧٢ ، الخصائص: ١/ ٢٨-٢١٨-٢١٩-٢٢٠ ،المحتسب : ١ / ٣٣٤ ،عيار الشعر : ٨٨ ،نقد الشعر: ٣٥ ،ذيل الأمالي : ١١٦ ،الوساطة : ٣٤ ،الصناعتين : ٤٢ ،إعجاز القرآن للباقلاني : ٢٢١ ،٢٢٢ ،شرح الحماسة للمرزوقي : ٢/ ٨٤ ٥ ،أمالي المرتضى : ١ / ٤٥٨ ،٢ / ٣٥٩ ،زهر الآداب : ٢/ ٤٠٤-٤٠٥ ، ذيل اللآلي : ٧٧ ، أسرار البلاغة - خفاجي - : ١/ ١١٤-١١٥ ،أسرار البلاغة -هـ.ريتر-: ٢١ - ٢٢ ،مصارع العشاق - دار صادر - : ٢/ ١٣٥ ، محاضرات الأدباء : ١ / ٩٤ ،اللسان : مادة (طرف) : ٩/ ٢١٨ ، المثل السائر: ٢/ ٦٦ ، الحماسة البصرية : ٢/ ١٠٣ ، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - : ٤٩ب ،معاهد التنصيص : ٢ / ١٣٥ ، ريحانة الألبا : ٢/ ٢٠٩ .

استشهد الشيخ بالبيت على أن الاستعارة هنا غريبة، وأن الغرابة ليست في الشبه نفسه، لأنه معروف ظاهر، وإنما الغرابة ناتجة عن حسن النظم والتركيب .

فالشيخ يرى أن الاستعارة تتفاوت، فمنها العامي المبتذل كقولنا : رأيت أسداً ، ووردت بحراً ، ومنها الخاصي النادر الذي لا يوجد إلا في كلام الفحول ، ولا يقوى عليه إلا أفراد الرجال ، ورأى أن هذا الشاهد قد وصل إلى درجة الحسن واللطف ، وعلو الطبقة ، وأن الغرابة فيه ليست في الشبه نفسه .

قـــال :

" اعلم أن من شأن هذه الأجناس أن تجري فيها الفضيلة، وأن تتفاوت التفاوت الشديد ، أفلا ترى في الاستعارة العامي المبتذل كقولنا : رأيت أسداً ، ووردت بحراً ، ولقيت بدراً ، والخاصيّ النادر الذي لا تجده إلّا في كلام الفحول ، ولا يقوىٰ عليه إلّا أفراد الرجال كقوله :

" وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ المَطِيِّ الأَبَاطِحُ " أراد أنها سارت سيراً حثيثاً في غاية السرعة ، وكانت سرعة في لين وسلاسة كأنها كانت سيولاً وقعت في تلك الأباطح فجرت بها . . وليست الغرابة في قوله : " وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ المَطِيِّ الأَبَاطِحُ " على هذه الجملة ؛ وذلك أنه لم يغرب لأن جعل المَطِيَّ في سرعة سيرها وسهولته كالماء يجرى في الأبطح ، فإن هذا شبه معروف ظاهر ، ولكن الدقة واللطف في خصوصية أفادها بأن جعل " سَالَ " فعلاً للأباطح ، ثم عداه بالباء ، ثم بأن أدخل الأعناق في البيت ، فقال : " بأعناق المَطِيِّ " ولم يقل بالمَطِيِّ ، ولو قال : سَالَتْ المَطِيّ فِي الأَبَاطِح ، لم يكن شيئا . ." (١)

فالشاهد يشمل ثلاثة مجازات :

---

(١) الدلائل : رضا : ٥٨ - ٦٠ ، خفاجي : ١١٧ - ١١٩ ، شاكر : ٧٤ - ٧٦ .

أحدها : مجاز بالاستعارة،وهو استعارة سيلان السيول الواقعة في الأباطح لسير الإبل سيراً سريعاً فيه لين وسلاسة، وهذه الاستعارة مبتذلة مطروقة .

المجاز الثاني : مجاز عقلي وهو إسناد السيل إلى الأباطح إسناد ما للحالّ إلى المحل ، وذلك للإعلام بالكثرة الواقعة في المحل ، فإن الواقع في المحل إنْ كَثُر أُسْنِد إلى ذلك الحل لكثرة تلبسه به حتى صار كأنه موصوفه .

والمجاز الثالث : عقلي تقديري ، وهو إسناد السير للأعناق وأَسْنَدَ السير لها تقديراً ، لأن سرعة السير وبطئه يظهران غالباً فيها ، فهي سبب في فهم سرعة السير وبطئه ، فلما كانت سبباً في فهم ذلك وإدراكه صارت كأنها سبب في وجود السير فهي إسناد الشيء إلى ما هو كالسبب فيه.(١)

وفيما يلي سأذكر آراء النقاد في بيت الشاهد وما يتعلق به من أبيات قبله وبعده؛ لارتباطها به ، ثم أختمها برأي الشيخ الذي ذكره في الأسرار.

يرى ابن قتيبة (٢٧٦هـ) أن أقسام الشعر أربعة :

- ضرب منه حسن لفظه،وجاد معناه .
- وضرب منه حسن لفظه وحلا ، فإذا فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى .
- وضرب منه جاد معناه وقصُرت ألفاظه عنه .
- وضرب منه تأخر معناه،وتأخر لفظه.(٢)

ورأى أن أبيات " كثير " من الضرب الثاني وهو ما حَسُن لفظه ، وقل معناه . وعلق عليه بقوله :

" هذه الألفاظ كما ترى ، أحسن شيء مخارج ، ومطالع، ومقاطع ، وإن نظرت إلى ما تحتها من المعنى وجدته : ولمّا قطعنا أيام مِنىً واستلمنا الأركان ،

---

(١) انظر: شروح التلخيص - مواهب الفتاح : ٤ /٨٩-٩٠ ، المصدر السابق - حاشية الدسوقي : ٤ /٩٠-٩١ .

(٢) الشعر والشعراء : ١ / ٧٠ - ٧٥ .

وعالينا إبلنا الأنضاء ، ومضى الناسُ لا ينتظر الغادي الرائح ، ابتدأنا في الحديث ، وسارت المَطيّ في الأبطح (١)

ومال قدامة بن جعفر إلى رأي ابن قتيبه ، فذكر الأبيات في نعت اللفظ ، وهو أن يكون سمحاً سهل مخارج الحروف من مواضعها ، عليه رونق الفصاحة مع الخلو من البشاعة (٢).

وإلى مثل هذا ذهب الباقلاني ، وهو فيما يبدو ناقل عن ابن قتيبة حيث قال قبل عرض الأبيات :

" وهذا من الشعر الحسن الذي يحلو لفظه ، وتقل فوائده " (٣)

وقال بعد عرضها :

" هذه ألفاظ بديعة المطالع والمقاطع ، حلوة المجاني والمواقع قليلة المعاني والفوائد " (٤).

والذي يبدو من التأمل الدقيق لهذه الأبيات أنها تحتوي على ألفاظ لها رونق وحلاوة ، وعذوبة وطلاوة ، وأن معانيها مثمرة موحية ، وقد نظر ابن جني في هذه الأبيات نظرة المتأمل البصير ، والمتذوق الخبير ، وردَّ بها على من قال بأن العرب تهتم بألفاظها دون معانيها واستدلوا بهذه الأبيات ، ورأوا أنها شريفة الألفاظ رفيعتها ، مشروفة المعاني خفيضتها . فقال في " باب الرد على من ادّعى على العرب عنايتها بالألفاظ وإغفالها المعاني " :

" . . . فإن قلت : فإنا نجد من ألفاظهم ما قد نمّقوه ، وزخرفوه ، ووشوه ، ودبّجوه ، ولسنا نجد مع ذلك تحته معنىً شريفاً ، بل لا نجده قصداً ولا مقارباً ، ألا ترى إلى قوله :

---

(١) الشعر والشعراء : ١ / ٧٢ .

(٢) نقد الشعر : ٢٨ .

(٣) إعجاز القرآن : ٢٢١ .

(٤) المصدر السابق : ٢٢٢ .

وَلَمّا قَضَيْنَا مِنْ مِنًى كُلَّ حَاجَةٍ ∴ وَمَسَّحَ بِالأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحُ
أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الأَحَادِيثِ بَيْنَنَا ∴ وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ المَطِيِّ الأَبَاطِحُ

فقد ترى إلى علو هذا اللفظ ومائه ، وصقاله وتلاحم أنحائه ، ومعناه مع هذا مايحسُّه وتراه إنما هو: لمّا فرغنا من الحج ركبنا الطريق راجعين ، وتحدثنا على ظهور الإبل ، ولهذا نظائر كثيرة شريفة الألفاظ رفيعتها ، مشروفة المعاني خفيضتها (١) .

ورأى ابن جني أن قولهم هذا مرجعه إلى جفاء الطبع ، وخفاء غرض الناطق عنهم ، ثم أخذ ينقب ويفتش عن لطائف وأسرار تختبيء في هذه الأبيات ، مستعيناً بسلامة ذوقه ، وحسن طبعه ، وسرعة إدراكه . قال :

" . . . ولا أرى مارأه القوم منه ، وإنما ذلك لجفاء طبع الناظر ، وخفاء غرض الناطق ؛ وذلك أن في قوله : " كل حاجة " مايفيد منه أهل النسيب والرّقة ، وذوو الأهواء والمِقَةِ مالا يفيده غيرهم ، ولا يشاركهم فيه من ليس منهم ، ألا ترى أن من حوائج (مِنًى) أشياء كثيرة غير ما الظاهر عليه ، والمعتاد فيه سواها ؛ لأن منها التلاقي ، ومنها التشاكي ، ومنها التخلي ، إلى غير ذلك مما هو تالٍ له ، ومعقود الكون به ، وكأنه صانع عن هذا الموضع الذي أومأ إليه ، وعقد غرضه عليه ، بقوله في آخر البيت :

" وَمَسَّحَ بِالأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحُ "

أي إنما كانت حوائجنا التي قضيناها ، وآرابنا التي أنضيناها من هذا النحو الذي هو مسح الأركان ، وما هو لاحق به ، وجارٍ في القُربةِ من الله مجراه ، أي لم يتعدَّ هذا القدر المذكور إلى مايحتمله أول البيت من التعريض الجاري مجرى التصريح .

وأما البيت الثاني فإن فيه :

" أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الحَدِيثِ بَيْنَنَا "

---

(١) الخصائص : ١ / ٢١٨ .

وفي هذا ماأذكره ؛ لتراه فتعجب ممن عجب منه ووضع من معناه ؛ وذلك أنه لو قال : أخذنا في أحاديثنا ، ونحو ذلك ؛ لكان فيه معنى يُكبِره أهل النسيب وتعنو له ميعة الماضي الصليب . وذلك أنهم قد شاع عنهم واتسع في محاوراتهم علوّ قدر الحديث بين الإلفين ، والفكاهة بجمع شمل المتواصلين ألا ترى إلى قول الهُذَلي[1] :

وإنَّ حَدِيثاً مِنْكِ -لَوْ تَعْلَمِينَهُ- .·. جَنَى النَّحْلِ في ألبَانِ عُوذٍ مطَافِلِ[2]

. . . فإذا كان قدر الحديث -مرسلاً- عندهم هذا ، على ماترى فكيف به إذا قيّده بقوله :

" بأَطْرافِ الأَحَادِيثِ " .

وذلك أن في قوله (أَطْرَافِ الأَحَادِيثِ) وحياً خفياً ، ورمزاً حلواً ، ألا ترى أنه يريد بأطرافها مايتعاطاه المحبُّون ، ويتفاوضه ذوو الصبابة المتيمون ، من التعريض ، والتلويح ، والإيماء دون التصريح ؛ وذلك أحلى وأدمث ، وأغزل وأنسب ، من أن يكون مشافهةً وكشفاً ، ومصارحةً وجهراً ، وإذا كان كذلك فمعنى هذين البيتين أعلى عندهم ، وأشدّ تقدّماً في نفوسهم ، من لفظهما وإن عذُب موقعه ، وأنِق له مستمعه .

نعم ، وفي قوله :

" وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ المَطِيِّ الأَبَاطِحُ "

من الفصاحة مالا خفاء به . والأمر في هذا أسْير وأَعْرَف وأشهر[3].

وعنه نقل ابن الأثير من غير أن يشير إلى هذا النقل[4]

---

(١) هو أبو ذؤيب ، انظر ديوان الهذليين : ١٤٠ .

(٢) المطافل : صغار الأولاد والواحدة مُطفِل ، يريد أن لبن الأبكار أطيب / ديوان الهذليين : ١٤٠ ، اللسان " طفل " : ١١/٤٠٢ .

(٣) الخصائص : ١/٢١٨ - ٢٢٠ .

(٤) انظر: المثل السائر: ٢ / ٦٧ - ٦٩ .

ورأى ابن طباطبا أن هذا الشعر قد استوفى معناه ، وجاء على قدر مراد الشاعر.
قـــال :

" هذا الشعر هو استشعار قائله لفرحة قفوله إلى بلده وسروره بالحاجـــة التي وصفها ، من قضاء حجه وأنسه برفقائه ، ومحادثتهم ووصفه سيل الأباطح بأعناق المَطِيّ كما تسيل بالمياه ، فهو معنى مستوفي على قدر مراد الشاعـر (١).

وكذلك استحسن القاضي الجرجاني في وساطته هذه الأبيات ، ورأى أنها مـــن الأبيات المحكمة الصنعة العذبة الألفاظ ، وقد ذكرها في الاستعارات الحســـنة .
قـــال :

" فإذا جاءتك الاستعارة كقول زهير :
" وَعُرِّيَ أَفْرَاسُ الصِّبَا وَرَوَاحِلُـهْ (٢)

وقول لبيـــد :
" إذْ أَصْبَحَتْ بِيَدِ الشَّـمَالِ زِمَامُهَا (٣)

وقول ابن الطثرية :
أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الأَحَادِيثِ بَيْنَنَا .·. وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ المَطِيِّ الأَبَاطِحُ

---

(١) عيار الشـــعر : ٨٨.

(٢) صدره : " صَحَا القَلْبُ عَنْ سَلْمَى وَأَقْصَرَ بَاطِلُهْ " / انظر البيت فـــي : شعر زهير - صنعة الأعلم - : ٤٥.
قال الأعلم : " هذا مثل ضربه ، أي ترك الصبا، وركوب الباطل ، وتقدير لفظهُ : وُعرِّي أفراس ورواحل كنت أركبها في الصبا ، وطلب اللهو" / شعر زهـــــير - صنعه الأعلم - : ٤٦.

(٣) وصدره : " وَغَدَاةِ رِيحٍ قَدْ وزعتُ وَقَـــرَّةٍ " .
والضمير في " أصبحت " يعود على الغداة ، أي أصبحت الغداة يغلـــب عليها الشمال، وهي أبرد الرياح .

فقد جاءك الحسن والإحسان ، وقد أصبت ما أردت من إحكام الصنعة وعذوبة اللفظ.[١]

ثم جاء الإمام عبد القاهر ، وفصَّل القول في هذه الأبيات ، ودلل على أسرار معانيها ، ودقيق ألفاظها وجودة سبكها ، فعاب من يَرُدُّ الاستحسان إلى اللفظ فقط فيصفه بالسلامة ، وينسبه إلى الدماثة ، ويقول إنه كالماء جرياناً ، والهواء لطفاً ، والرياض حسناً ، وكأنه النسيم مزاجه التسنيم ، وكأنه الديباج الخسرواني في مرامي الأبصار ، ووشي اليمن منشوراً على أذرع التجار.[٢]

ثم ذكر مثلا لذلك أبيات " كثير عزة " وطالب القارئ بأن لا يقف عند حدود ألفاظها ، بل عليه أن يسبر أغوارها ، ويتعدى حدودها إلى جاراتها ، ويبحث عن العلاقات والروابط بينها ، وأن يحسن التأمل ، ويدع التجوز في الرأي ، وأن لا يكتفي بإطلاق المصطلحات من غير تحليل .

جاء في أسرار البلاغة بعد ذكر أبيات كثير عزة :

" ثم راجع فكرتك ، واشحذ بصيرتك ، وأحسن التأمل ، ودع عنك التجوز في الرأي ، ثم انظر هل تجد لاستحسانهم ، وحمدهم ، وثنائهم ، ومدحهم منصرفاً إلَّا إلى استعارة وقعت موقعها ، وأصابت غرضها ، أو حسن ترتيب تكامل معه البيان حتى وصل المعنى إلى القلب مع وصول اللفظ إلى السمع ، واستقر في الفهم مع وقوع العبارة في الأذن ، وإلَّا إلى سلامة الكلام من الحشو غير المفيد ، والفضل الذي هو كالزيادة في التحديد . . ".[٣]

ثم شرع يحلل أبيات - كثير - ليبين للقارئ الطريقة التي يُدرك بها جمال العبارة ويتذوق بها محاسن القول .

قـال :

---

(١) الوساطة : ٣٤ .

(٢) أسرار البلاغة - ريتر - : ٢١ .

(٣) المصدر السابق : ٢٢ .

" أول ما يتلقاك من محاسن هذا الشعر أنه قال :

" وَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مِنًى كُلَّ حَاجَةٍ " ، فعبر عن قضاء المناسك بأجمعها والخروج من فروضها وسُننها من طريق أمكنه أن يقصِّر معه اللفظ ، وهو طريقة العموم ، ثم نبه بقوله :

" وَمَسَّحَ بِالأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحُ " على طواف الوداع الذي هو آخر الأمر ، ودليل المسير الذي هو مقصوده من الشعر ، ثم قال :

" أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الأَحَادِيثِ بَيْنَنَا " ، فوصل بذكر مسح الأركان ما يليه من زمِّ الركاب، وركوب الركبان ، ثم دلَّ بلفظة " الأطراف " على الصفة التي يختص بها الرفاق في السفر من التصرف في فنون القول ، وشجون الحديث، أو ما هو عادة المُتَطَرِّفين[1] من الإشارة والتلويح والرمز والإيماء ، وأنبأ بذلك عن طيب النفوس ، وقوة النشاط، وفضل الاغتباط كما توجبه ألفة الأصحاب وأُنسةُ الأحباب ، وكما يليق بحال من وُفِّق لقضاء العبادة الشريفة، ورجا حسن الإياب ، وتنسُّم روائح الأحِبَّة والأوطان ، واستماع التهاني والتحايا من الخُلاَّن والأخوان ، ثم زان ذلك كله باستعارة لطيفة طبَّق فيها مفصل التشبيه ، وأفاد كثيراً من الفوائد بلطف الوحي والتنبيه ، فصرَّح أولاً بما أومأ إليه في الأخذ بأطراف الأحاديث من أنهم تنازعوا أحاديثهم على ظهور الرواحل ، وفي حال التوجه إلى المنازل ، وأخبر بعد بسرعة السير ووطاءة الظهر، إذ جعل سلاسة سيرها بهم كالماء تسيل به الأباطح ، وكان في ذلك ما يؤكد ما قبله لأن الظهور إذا كانت وطيئة ، وكان سيرها السير السهل السريع زاد ذلك في نشاط الركبان ومع ازدياد النشاط يزداد الحديث طيبا . ثم قال : " بأعناق المَطِيِّ " ولم يقل " بالمَطِيِّ " ؛ لأن السرعة والبطء يظهران غالباً في أعناقها ، ويبين أمرهما من هواديها وصدورها ، وسائر أجزائها تستند إليها في الحركة ، وتتبعها في الثقل والخِفَّة ، ويعبر عن المرح والنشاط إذا كانا في أنفسها بأفاعيل لها خاصَّةٍ في العنق والرأس ويدل عليهما بشمائل

(١) وفي الأسرار تحقيق خفاجي « المتطرِّفين » . ويبدو لي أنها « المتطرِّفين » أي الذين يأخذون بأطراف الأحاديث .

مخصوصة في المقاديم (١)

ويبدو أن الشيخ قد تأثر في تحليله هذا بما كتبه ابن جني في هذه الأبيات ، إلا أن الشيخ كان أكثر تفصيلاً وتحليلاً خاصة عند تحليل قول الشاعر:

" وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ المَطِيِّ الأَبَاطِحُ " .

الشاهد الثاني عشر : * (البسيط)

قول الآخر :

سَالَتْ عَلَيهِ شِعَابُ (٢) الحَيِّ (٣) حِينَ دَعَا .·. أَنْصَارُهُ (٤) بِوُجُوهٍ (٥) كَالدَّنَانِيرِ (٦)

ذكر الشيخ البيت من غير نسبة (٧) .

---

(١) أسرار البلاغة : هـ ـ ريتر : ٢١ - ٢٣ .

(*) الدلائل ، رضا : ٥٩ ، خفاجي : ١١٨ ، شاكر : ٧٤ .

(٢) رواية الوحشيات : " براق الحي " .

ورواية الاقتضاب : " سالت عليه شِغاب " .

(٣) رواية الوحشيات " العِزِّ " .

ورواية الاقتضاب " المجد " .

(٤) رواية الوحشيات : " أصحابه " .

(٥) رواية الاقتضاب : " ووجوه " .

(٦) انظر البيت في :

الوحشيات : ٢٦٩ ، رقم (٤٥١) ، المؤتلف والمختلف : ١١٢ ، والاقتضاب في شرح أدب الكتاب : ٣٧٢ ، الإيضاح ـ خفاجي -: ٢ / ٤٢٤ ، شرح أبيات الإيضاح ـ النسخة الأزهرية ـ : رقم الشاهد : ٣٧٠ ، معاهد التنصيص : ٢ / ١٣٥ ، رقم الشاهد : ١٠٣ .

(٧) ذكر الشيخ البيت أيضا في فصل " النظم يتحد في الوضع ويدق فيه الصنع " ـ الدلائل رضا : ٧٨ ، خفاجي : ١٣٦ ، شاكر: ٩٩ - ويوهم كلامه هناك بأن البيت لابن المعتز ، فبعد أن ذكر أبياتاً لابن المعتز قال :

" وان أردت أعجب من ذلك فيما ذكرت لك فانظر إلى قوله ـ وقد تقدم إنشاده قبل ـ " سالت عليه شعاب الحي حين دعا . . . " .

ونسبه كذلك صاحب الإيضاح لابن المعتز وتابعه صاحب شرح أبيات =====

وهو لسبيع من الخطيم[١]، من قصيدة[٢] قالها لزيد الفوارس[٣] الضبي ، وقد كانت بنو ضبة أخذت إبله فاستنقذها زيد وردها عليه[٤].

وأول الأبيات - وهو البيت الذي قبل الشاهد - :

إنَّ ابْنَ آلِ ضِرارٍ حِينَ اندُبُهُ[٥] ∴ زيداً سَعَى لي سَعْياً غيرَ مَكْفُورِ(٦)

=== الإيضاح ، ومعاهد التنصيص ، ولعلهم توهموا ذلك من كلام الشيخ السابق ذكره .

وذُكر البيت من غير نسبة في الوحشيات ، والاقتضاب وعزاها الخالديان : ١٣٠ - لمحرز بن المكعبر ، ونسب الآمدي أحد أبيات القصيدة - غير بيت الشاهد - لدجاجة بن عبد قيس ، وتلا ذلك حاشية تذكر أن البيت مع أبيات أخر لسبيع بن الخطيم .

ونسبها أيضاً الآمدي : ١١٢ ، والخالديين (الاختيارين) برقم ٦٩ لسبيع بن الخطيم . .

(١) هو سبيع بن الخطيم التميمي تيم عبد مناة بن أد بن طابخة من بطن منهم يقال له بنو رفاعة ، وهو شاعر محسن ، فارس ، جاهلي ، عاصر بعض الإسلاميين . / انظر ترجمته :

المؤتلف والمختلف : ١١٢ ، الأعلام : ٣ / ٧٧ .

(٢) ذكر الآمدي ستة أبيات ، والبطليوسي " الاقتضاب " خمسة أبيات مع اختلاف في ترتيب الأبيات وبعض الألفاظ .

(٣) هو زيد بن حصين بن ضرار الضبي ، فارس - شاعر ، جاهلي ، أورد البغدادي قليلاً من أخباره ، وأبياتاً له ، وأورد له أبو تمام أبياتاً في حماسته /

انظر أخباره : شرح الحماسة للمرزوقي : ٥٥٧ ، ١٦٧٨ ، خزانة البغدادي - دار صادر - : ١/٥١٦ ، ٥١٧ ، ٤ / ٢١٨ ، ٢١٩ ، الأعلام : ٣/ ٥٨ .

(٤) المؤتلف والمختلف : ١١٢ - ١١٥ .

(٥) رواية الاقتضاب " حين أدركها " .

(٦) ذكر أبو تمام " الوحشيات " ، والبطليوسي قبل بيت الشاهد :

نبهتُ زيداً فلَمْ أفْزَع إلى وَكلٍ ∴ رَثِّ السِّلاحِ وَلا في الحَيِّ مَغْمُورُ

وبعده الشاهد وبعده :

لَيْسَ الهِجَانُ إِذَا مَاكُنْتَ مُفْتَحِلاً ∴ كَالورق تَنْظُرُ فِي أَلْوَانِهَا الحُورِ (١)

لَوْلاَ الإِلَهُ وَلَولاَ مَجْدُ طَالِبِهَا(٢) ∴ لَلَهْذَمُوهَا(٣) كَمَا نَالُوا مِنَ العِيرِ (٤)

استشهد الإمام عبد القاهر بهذا البيت في موضعين من كتابه " الدلائل ":

الموضع الأول : عند حديثه عن تفاوت الاستعارة ، ورأى أن هذا البيت من الاستعارة الحسنة اللطيفة العالية الطبقة ، فقال :

" . . . ومثل هذه الاستعارة (٥) في الحسن واللطف، وعلو الطبقة في هذه اللفظة بعينها قول الآخر :

سَالَتْ عَلَيهِ شِعَابُ الحَيِّ حِينَ دَعَا ∴ أَنْصَارَهُ بِوُجُوهٍ كَالدَّنَانِيرِ

أراد أنه مطاع في الحي ، وأنهم يسرعون إلى نصرته ، وأنه لا يدعوهم لحرب ، أو نازل خطب ، إلا أتوه وكثروا عليه ، وازدحموا حواليه ، حتى تجدهم كالسيول تجيء من ههنا وههنا ، وتنصَبُّ من هذا المسيل وذلك ، وحتى يَغَصَّ بها الوادي ويطفح منها (٦) ".

وقد زاد المسألة تفصيلاً في الموضع الثاني ، وهو :

" فصل النظم يتحد في الوضع ويدق فيه الصنع " ، فبين أن هذه اللفظة لبست ثوب الجمال، والحسن لمشاركة جاراتها لها في صياغة البيت وتركيبه ، فالجمال في البيت ليس في الاستعارة ، وإنما في طريقة تركيبها، وصياغتها . قال :

---

(١) لم يذكر البطليوسي هذا البيت ، وإنما ذكر قوله " إن ابن آل ضرار حين ..) بعد بيت الشاهد .

(٢) رواية الاقتضاب: " وَلَولاَ سَعْيُ صَاحِبِهَا " .

(٣) رواية الاقتضاب : " تلهوجوها " ، واللَّهْذم : القطع والأكل بسرعة .

(٤) وهذه الأبيات نقلاً عن الآمدي .

(٥) يقصد قول كثير السابق " وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ المَطِيِّ الأَبَاطِحُ " .

(٦) الدلائل ، رضا : ٦٢ ، خفاجي : ١١٨ ، شاكر: ٧٥ .

" فإنك ترى هذه الاستعارة على لطفها، وغرابتها، إنما تم لها الحسن وانتهى إلى حيث انتهى بما توخّي في وضع الكلام من التقديم والتأخير، وتجدها قد مَلُحت ولَطُفت بمعاونة ذلك، ومؤازرته لها، وإن شككت فاعمَد إلى الجارَّين، والظرف، فأزِلْ كُلاً منها عن مكانه الذي وضعه الشاعر فيه فقل: "سالت شعاب الحي بوجوه كالدنانير عليه حين دعا أنصاره" ثم انظر كيف يكون الحال، وكيف يذهب الحسن والحلاوة؟ وكيف تُعْدَم أرْيَحِيّتُك التي كانت؟ وكيف تذهب النشوة التي كنت تجدها؟ "(١).

وإذا تأملنا بيت الشاهد، وجدناه يحوي معانيَ شريفة، وينطوي على أسرار لطيفة، منها استعارة السيل لشعاب الحي، وهذه الاستعارة في ذاتها ليست بالأمر الخطير، ولا الشيء البديع، ولكن جمال الاستعارة في الصياغة، وحسن التركيب، وأنها وقعت موقعها وأصابت غرضها، حيث اختار الشاعر حرف الجر" على " مع الفعل " سَالَ" بدلا من " إليه " ثم عدّى الفعل " بالباء " فصور بهذين الحرفين سرعة وشدة توجههم إليه، وأنهم يتدفقون عليه دفعة واحدة، وكأنهم سيل ينصب من أعلى جبل، فلو أنه قال " سالت إليه " لم يتمكن الفعل " سَالَ " من اعطائنا صورة التدفق الشديد، لأن السيلان حين يكون من أعلى تكون صورته أشد، ثم إن الحرف (إلى) يدل على التباطؤ والتسلسل في هدوء.

ثم إن تقديم الجار والمجرور " عليه " على الظرف " حين دعا " يظهر لنا علو مكانة الممدوح عند قومه، وأن أمره مطاع بينهم، فإن صيحة واحدة منه قد فجرت عليه شعاب الحي، فأقبلت جموعهم تترى من كل صوب، فهو مطاع يسرعون لنصرته لا يدعوهم لحرب، أو نازل خطب إلّا أتوه وكثروا عليه، وازدحموا حواليه، حتى تجدهم كالسيول من هنا وهناك، وتنصب من هذا وذاك حتى يغص بها الوادي ويطفح منها.

---

(١) الدلائل، رضا: ٧٨، خفاجي: ١٣٦-١٣٧، شاكر: ٩٩.

ثم إنّ قوله : " بوجوه كالدنانير " أضفى على الاستعارة حُسنًا ومزية ، حيث وضح لنا أن تلبية الناس لدعوة ذلك الممدوح لم تكن عن قهر وجبر مصحوبة بالتخاذل والفتور، وإنما كانت تلبية نابعة من القلب وكان الإقبال نحوه نتيجة لاستجابة طبيعية لمشاعر التقدير، والحب المكنون في قلوبهم لهذا الزعيم ، وانعكس هذا الحب القلبي على وجوههم ، فظهرت عليها علامات الفرح والسرور ، فأشرقت، وأنارت ؛ وكأنها الدنانير في لمعانها.(١)

الشاهد الثالث عشر : (*) (الكامل)

قول يزيد بن مسلمة بن عبد الملك(٢) :

عَوَّدْتُهُ فِيمَا أَزُورُ حَبَائِبِي ∴ إِهْمَالَهُ وَكَذَاكَ كُلُّ مُخَاطِرِ

وَإِذَا(٣) ٱحْتَبَى(٤) قَرَبُوسَهُ(٥) بِعِنَانِهِ(٦) ∴ عَلَكَ(٧) الشَّكِيمَ(٨) إِلَى ٱنْصِرَافِ الزَّائِرِ(٩)

---

(١) انظر: الدلائل ، رضا : ٦٢ ، خفاجي : ١١٨ ، شاكر: ٧٥ ، النقد التحليلي عند عبد القاهر الجرجاني : ٢٥١-٢٥٢ .

(*) الدلائل ، رضا : ٥٩ ، خفاجي : ١١٨ ، شاكر: ٧٥ .

(٢) نسبه صاحب بهجة المجالس إلى محمد بن يزيد بن مسلمة . قال : " ما وُصف بِرْذَونٌ بأحسن من قول المسلمي من ولد مسلمة بن عبد الملك، واسمه محمد ابن يزيد "./ لم أجد ترجمته فيما رجعت إليه من مصادر ، وإنما انظر: جمهرة أنساب العرب : ١٠٣ فيها ذكر أن يزيد من ولد مسلمة بن عبد الملك .

(٣) رواية بهجة المجالس : " فإذا ٱحْتَبَى " .

(٤) ومعنى الاحتباء : احتبى الرجل جمع ظهره، وساقيه بثوب أو غيره ، وقد يحتبي بيديه . / المصباح المنير (كتاب الحاء) : ١ / ١٣٠ .

(٥) القَرَبُوس : حِنْوُ السَّرْج ، والقُرْبُوس لغة فيه حكاها أبو زيد وجمعه قرابيس، وللسرج قربوسان ، فأما القربوس المُقَدَّم ففيه العضدان ، وهما رجلا السَّرْج ، ويقال لهما حِنواه / اللسان : " فرس " / : ٦ / ١٧٢ .

(٦) العنان : وعِنَان اللجام : السير الذي تُمسَك بِه الدَّابة ، والجمع أَعِنَّة ، وعُنُنٌ ، وسُمي عِنَانُ اللجام عِنَانا ، لاعتراض سَيْرَيه على صفحتي عُنق الدَّابة من عن يمينه وشماله ./ اللسان : " عنن " : ١٣ / ٢٩٢ .

===========

. . . .

---

(٧) علك الفرس اللجام : لاكه ، وعلكته علكا من باب قتل " مضغته " / المصباح المنير" العين مع اللام وما يثلثهما " : ٢ / ٧٧ .

(٨) الشكيم والشكيمة في اللجام الحديدة المعترضة فى فم الفرس التي فيها الفأس والجمع شكائم / الصحاح " شكم " فصل الشين ، باب الكاف : ٥ / ١٩٦٠ .

ورواية الكامل : " علك اللجام " .

(٩) انظر البيت في :

الكامل : ٢ / ١٤٠ ، بهجة المجالس : ٢ / ٧١ ، الإيضاح : ٢ / ٤٢٤ ، التلخيص شرح البرقوقي : ٣١١ ، شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية - الشاهد رقم : (٣٦٨) ، معاهد التنصيص : ٢ / ١٢٩ ، حلية اللب المصون - أحمد الدمنهوري : ١٤١ ، حاشية العلامة مخلوف المنياوي على شرح اللب المصون : ١٤١ .

استشهد به الشيخ على الاستعارة الغريبة النادرة ، وأن الغرابة فيها في الشبه نفسه ، وليست الغرابة في التركيب والصياغة كالبيتين السابقين . قال :

" ومن بديع الاستعارة ونادرها - إلّا أن جهة الغرابة فيه غير جهتها في هذا - قول يزيد بن مسلمة بن عبد الملك يصف فرساً له،وأنه مؤدب ، وأنه إذا نزل عنه ، وألقى عنانه في قربوس سرجه ، وقف مكانه إلى أن يعود إليه" فالغرابة ههنا في الشبه نفسه ، وفي أن استدرك أن هيئة العنان في موقعه من قربوس السرج كالهيئة في موقع الثوب من ركبة المحتبي ، وليست الغرابة في قوله :

" وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ المَطِيِّ الأَبَاطِحُ " على هذه الجملة"(١)

فالغرابة في بيت يزيد بن مسلمة في استعارة الاحتباء لهيئة الفرس.

ويحتمل أن يكون قربوسه فاعل آحتبى ؛ وذلك بتنزيل القربوس منزلة الرجل المحتبي ، فكأن القربوس ضم فم الفرس إليه بالعِنان كما يضم الرجل ركبتيه إلى ظهره بثوب ، فينزل القربوس في هيئة التشبيه منزلة الظهر من المحتبي ، وفم الفرس منزلة الركبتين .

ويحتمل أن يكون قربوسه مفعول احتبى مضمناً معنى " جَمَع " فينزل القربوس في الهيئة منزلة الركبتين ، وفم الفرس منزلة الظهر .

والوجه الأول ، وهو كون القربوس فاعلاً ، وإن كان فيه مناسبة ما من جهة أن الركبتين فيهما شيئان كفكي الفرس مع التفاوت في المقدار والنسبة ، والقربوس متحدب كوسط الإنسان وخلفه كظهره إلّا أن فيه بعداً وغموضاً من جهة أن القربوس في الهيئة أعلى وكذا الركبتان والفم أسفل ، وكذا الظهر ، وحينئذٍ ، فالوجه الثاني بهذا الاعتبار أولى ؛ لأنه أدل ؛ ولأنه أشد في تحقيق التشابه فشبهت الهيئة الحاصلة من وقوع العنان في موضعه من قربوس السَّرْج بالهيئة الحاصلة

---

(١) الدلائل ، رضا : ٦٠ ، خفاجي : ١١٨ ، شاكر : ٧٥ .

من وقوع الثوب في موضعه من ركبتي المحتبي ، ووجه الشبه هو هيئة إحاطة شيء لشيئين ضاماً أحدهما إلى الآخر على أن أحدهما أعلى والآخر أسفل ، واستعير الاحتباء ، وهو ضم الرجل ظهره وساقيه بثوب وشبهه لوقوع العِنان في قربوس السَّرج لأجل ضم رأس الفرس إلى جهته واشتق من الاحتباء احتبى بمعنى وقع على طريق الاستعارة التصريحية التبعية (١).

الشاعر هنا يريد أن يصف فرسه بأنه مؤدب ، وأنه قد روض على موافقته وطاعته ، فاختار لفظ " إهماله " بدلاً من " تركه " مثلاً ليؤكد أن فرسه بلغ من الطاعة ما يجعله يثق فيه فهو لا يحتاج أبداً إلى مراقبته ، ولا يعاني مشقة المحافظة عليه .

وقوله : " وكذاك كل مخاطر " افتخار من الشاعر بقدرته على ذلك الترويض ؛ وأنه لا يستطيعه إلَّا كُلّ مخاطر يلقي بنفسه في الصعاب .

فيقول :

" جعلت إهمال الفرس وعدم محافظته في وقت زيارتي لحبائبي عادةً له ، وكذاك أي مثل ذاك الإهمال يفعل كل من يلقي نفسه في الأمور الصعبة (٢).

ثم يجسد لنا الشاعر صورة هذه الطاعة في صورة خيالية حية ، فصور لنا أنه بمجرد أن ينزل عن صهوة جواده يقوم الفرس بشد نفسه وتقييدها من غير أن يكلف صاحبه عناء تقييده .

الشاهد الرابع عشر : (*) (البسيط)

قول الشاعر (٣):

اليَوْمَ يَوْمَانِ مُذْ غُيِّبْتِ عَنْ بَصَرِي ∴ نَفْسِي فِدَاؤُكِ مَا ذَنْبِي فَأَعْتَذِرُ

---

(١) شروح التلخيص : مواهب الفتاح : ٤ / ٨٧-٨٨ ، حاشية الدسوقي : ٤ / ٨٦-٨٨ ، حلية اللب المصون : ١٤١ ، حاشية العلامة مخلوف المنياوي على اللب المصون : ١٤١ .

(٢) شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية - : شاهد رقم ٣٦٨ .

(*) الدلائل ، رضا : ٦٠ ، خفاجي : ١١٩ ، شاكر : ٧٦.

(٣) لم أقف عليه ولا على قائله .

أُمْسِي وَأُصْبِحُ لَا أَلْقَاكِ وَاحَـزَنَا ∴ لَقَدْ تَأَنَّقَ[١] فِي مَكْرُوهِيَ القَـدَرُ

ذكره الشيخ من غير نسبة .

والشاهد هنا في كون جهة الغرابة في الاستعارة في الكلمة نفسها " تأنَّـق " حيث استعار التأنُّق للقدر ، وهذا من بديع الاستعارة ونادرها .

ورأى الدكتور محمد زكي العشماوي أنّ الشاهد عند الشيخ هو أن الاستعارة هنا ليست غريبة في ذاتها بأن استعار التأنق للقدر بل إن روعتها ترجع لما في السياق كله من خصائص .

ويبدو لي أن الشيخ لم يذهب إلى هذا بل قصد كون الغرابة في استعارة التأنُّق للقدر . ويمكن أن نضيف بعد ذلك أنه إلى جانب كون الغرابة في اللفظة ذاتها فإن الصياغة أضافت لها أبعاداً جديدة ، وكستها لطائف وروائع أُخر .

قال :

" وقد استشهد عبد القاهر بهذين البيتين في الفصل الذي عقده عن بديع الاستعارة ونادرها ، وهو كذلك من الأمثلة التي أرجع فيها عبد القاهر روعة الاستعارة لما في السياق كله من خصائصه ، ففي استعارة التأنق للقدر هنا غرابة وطرافة حقيقية ، ولكن الأمر ليس أمر الغرابة التي تدهشك من استعارة التأنق للقدر ، ولكن الأمر هو في أن الاستعارة هنا صادفت مكانها اللائق بها ، وأنها جاءت لتمثل قمة التطور العاطفي عند الشاعر ، فعندها يتجمع ويتركز الانفعال حتى يبلغ أقصاه . والذي مهد لهذا التطور ماعرضه علينا الشاعر في البيتين من موقفه عقب هجر صاحبته لـه ، فهو منذ أن غابت في حال من القلق والاضطراب والأرق ، فلم تعد الحياة

---

(١) تأنق في الأمر إذا عمله بنيقة مثل تنوق ، وله إناقة ، وأناقة ولباقة ، وتأنَّـق في أموره : تجوَّد ، وجاء فيها بالعجب / اللسان : " أنق " : ١٠/١٠ .

تجري كما كانت ، بل أبطأت أيامها، وطالت لياليها ، والشاعر لا يدري سببًا لهذا كله ، ولا يعلم ماذا جنت يداه ، ويتمنى لو يبذل حياته كلها ثمناً لمعرفة السبب الذي من أجله هجرته صاحبته ، وانظر إلى اللهفة المشوبة بالحسرة في قوله : " نَفْسِي فِدَاؤُكِ " وفي الاستفهام الذي ختم به البيت الأول عندما قال : " مَاذَنْبِي فَأَعْتَذِرُ " ثم مواجهة الحقيقة المرة التي تشيع في قوله : " أُمسِي وَأُصْبِحُ لَا أَلْقَاكِ " ثم صيحة الألم العميقة في قوله : " واحزنا " ثم هذه السكتة القصيرة التي آمن بعدها بأن النحس لابد أن يكون قد تحالف عليه ، وأن القدر لابد أن يكون قد فكر كثيراً قبل أن يحيك له خيوط هذا الحظ التعيس ، فليس موقفاً عادياً هذا الذي يقفه ، بل لابد أن يكون القدر قد جلس من أجله جلسة خاصة أحكم له فيها خيوط هذه المؤامرة (١).

ولعله من الممكن أن نضيف أنه من أسرار الروعة في البيتين بناء الفعل للمجهول " غُيِّبْتِ " ولم يقل مثلا " مُذ أَنْ غِبْتِ " بالبناء للمعلوم ، ليدل على أنها لم تغب عنه برغبتها ، وإنَّما منعها أهلها أو مانع ما .

وخصص الغياب عن البصر " عن بصري " ليثبت أن محبتها قائمة في القلب ، وأنها لم تغب عن فؤاده ، فمحبتها لم تَزُل ولم تتغير ، ولم تنقص لمجرد الغياب عن البصر ، ثم أعقب ذلك بدعائه لتلك المحبوبة " نَفْسِي فِدَاؤُكِ " فإنه يفديها من حيث هي ، وكأنه يشعر أن هناك خطراً عليها هو الذي حال بينه وبينها على أن حالة القلق هذه جعلته غير مستقر الرأي ، فهو مع ما يشعر به من أن مانعاً منعها يتوقع أنها غابت عنه لذنب جناه .

وجاء " بالفاء " ليظهر رغبته السريعة في إنهاء هذا القلق ، وأنه لن يتوانى لحظة واحدة عن تقديم الاعتذار ".

---

(١) قضايا النقد الأدبي : ٣٦٨ - ٣٦٩ .

وقد يكون الاستفهام " ماذَنْبي " للاستبعاد، فهو يستبعد أن يكون وقع منه ذنب، فساق الاستفهام مساق الاستبعاد والتعجب .

ويبدو لي أن في تصوير طول أيامه وثقلها بقوله : " اليَوْمُ يَوْمَانِ " بأن جعل اليوم الواحد في الطول كاليومين – قصوراً في تصوير ذلك الثقل ، فكان الأجدر به أن يجعل اليوم دهراً مملاً .

الشاهد الخامس عشر : * (الوافر)

سوار بن المضرب (١) :

بِقَرْضٍ (٢) تَنُوفَةٍ لِلرِّيحِ فِيهَا .·. نَسِيمٌ (٣) لَا يَرُوعُ التُّرْبَ وَانٍ (٤)

* الدلائل ، رضا : ٦٠ ، خفاجي : ١١٩ ، شاكر : ٧٦

(١) هو سوار بن المضرب السعدي ، أحد بني ربيعة بن كلب بن زيد مناة بن تميم ، وقيل من سعد بني كلاب ، وهو فعال من سأر يسؤر صفة ، أي لا يسئر في قدحه فضلة من شرابه ، وهو قليل النظير لأنه ليس في الكلام أفعل فهو فعال إلا أحرف يسيرة هذا أحدها ، ومثله أدرك فهو درّاك ، وأجبر فهو جبّار ، وقصّر فهو قصّار .

والمضرَّب بفتح الراء أي ضرب مرة بعد مرة وسمي مضرَّباً لأنه شبب بامرأة ، فحلف أخوها ليضربنه بالسيف مائة ضربة ، فضربه فغشي عليه ثم أفاق . /

انظر ترجمته :

المبهج : ١٨ ، الكامل : – مكتبة المعارف – : ١ / ٣٠٠ ، المؤتلف والمختلف : ١٨٣ ، زهر الآداب : ٣ / ٧٣٩ ، شرح الحماسة للمرزوقي : ١٣٠ ، نوادر أبي زيد : ٤٥ – ٤٦ ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ١ / ١١٢ – ٣ / ١٦٩ .

ونُسب في زهر الآداب لسوار بن الصرير ، وذكر أنها تروى أيضا لمالك بن الريب .

(٢) ذكر الشيخ محمد رشيد رضا في تحقيقه للكتاب أنه ورد في نسخة أخرى " وظهر تنوفة " .

ورواية الأصمعيات : " بكل تنوفة " ، ورواية زهر الآداب :

وجَوًّا زَاهِرًا لِلرِّيحِ فِيهِ .·. نَسِيمٌ لَا يَرُوعُ التُّرْبَ وَانٍ .

(٣) رواية الأصمعيات : " حفيف " .

(٤) انظر البيت في : الأصمعيات : ٢٣٩ ، رقم (٩١) ، زهر الآداب : ٣ / ٧٤٠ ، الإيضاح : ٢ / ٤٢٣ .

والبيت من قصيدة للشاعر يصف اليمامة وطيب هوائها ، ومطلعها :

أَلَمْ تَرَنِي وَإِنْ أَنْبَأْتُ أَنِّي ∴ طَوَيْتُ الكَشْحَ عَنْ طَلَبِ الغَوَانِي (١)

وقبل الشاهد :

دَعَانِي مِنْ أَذَاتِكُمَا وَلَكِنْ ∴ بِذِكْرِ النَّدْ حَجِيَّةِ عَلَّلَانِي

فَإِنَّ هَوَايَ مَا عَلِمَتْ سُلَيْمَى ∴ يَمَانٍ إِنَّ مَنْزِلَهَا يَمَانِ (٢)

تَكِلُّ الرِّيحُ دُونَ بِلَادِ سَلْمَى ∴ وَسِرَّاتُ المُنَوَّقَةِ (٣) الهِجَانِ

وبعد الشاهد وبعده :

إِذَا مَا المُسْنِفَاتُ (٤) عَلَوْنَ مِنْهَا ∴ رَقَاقًا أَوْ سَمَاوَةَ صَحْصَحَانِ (٥)

يَخِدْنَ (٦) كَأَنَّهُنَّ بِكُلِّ خَرْقٍ ∴ وَإِغْشَاءُ (٧) الظَّلَامِ عَلَى رِهَانِ (٨)

---

(١) الأصمعيات : ٢٤٠ .

(٢) المصدر السابق : ٢٤٢ .

(٣) جمل منوق : ذلول قد أُحسنت رياضته ، وقيل هو الذي ذُلل حتى صُيِّر كالناقة ، وناقة مُنَوَّقَة عُلِّمت المشي /
اللسان : " نوق " : ١٠ /٣٦٢ : ١٠ / ٣٦٢ .

(٤) المسنفات : ناقة مِسْنَافٌ ومُسْنِفَةٌ : متقدمة في السير. المُسْنِفَاتُ بكسر النون المتقدمات في سيرها / اللسان : " سنف " : ٩/ ١٦٢ .

(٥) الصحصحان : الأرض المستوية الواسعة / اللسان " صحح " : ٢/ ٥٠٨ .

(٦) يخدن : التخويد سرعة السير، وقيل : سرعة سير البعير ، وخود البعير أسرع ورج بقوائمه ، وقيل هو أن يهتز كأنه يضطرب ، وقد يستعمل في الانسان / اللسان " خود " : ٣ / ١٦٦ .

(٧) غسا الليل يغسو غسوا وغسي يغسى وأغسى يغسى أظلم /
اللسان : " غسا " : ١٥/ ١٢٥ .

(٨) الأصمعيات : ٢٤٢ .

الشاهد في البيت هو استعارة لفظة الروع ، لإثارة الترب ، وهي استعارة غريبة نادرة .

فهذه الأبيات تمثل القمة في الشعور ، وشفافية الإحساس ، فالشاعر على الرغم من أنه طريد - لأن قصيدته هذه قالها فيما يبدو بعد هربه من الحَجَّاج ، فإنه يذكر في البيت التاسع أنه طريد - فذكرى أيام الصِّبا ، والأيام الخوالي ، وذكرى سلمى قد بعثتا في نفسه روح الأمل ، وبعثتا في روحه الهدوء والطمأنينة ، فامتلأ خياله بالصور الهادئة الحساسة ، فنراه عندما يغيض به الهوى يذكرها بلفظ التصفير فيقول : "سُليمى" بياناً لعظم مكانتها في نفسه .

وحين تتشرب نفسه الراحة لذكرها يرى كل شيء يحيط به هادئاً مطمئناً ، فالريح عندما تقترب من بلاد سلمى تكل وتتعب ، وتأبى إلَّا أن تمر بهدوء ، وكأن الريح تستحي أن تمر مسرعة بها حتى لا تزعجها ، ثم جاء بلفظة " الروع " واستعارها لإثارة الترب ، فأحدثت في البيت خيالاً حركياً ، فالنسيم نراه يطوف بديارها في هدوء ، وكأنه عندما رأى "سُليمى" وشعر بوجودها أحسَّ بالرغبة في مجاورتها ، والسكنى بقربها ، فأصابه التعب والإعياء حتى أنه لم يقو على تحريك الترب وإثارته .

الشاهد السادس عشر : (*) (الكامل)

بعض الأعراب[1] :

(*) الدلائل ، رضا : ٦١ ، خفاجي : ١١٩ ، شاكر : ٧٦ - ٧٧ .

(١) هو ثعلبة بن صعير بن خزاعي بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان من شعراء الجاهلية .

وذكر الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي في تحقيقه أنه ثعلبة بن صعير المازني من أصحاب رسول الله إلَّا أنَّ الأستاذ عبد السلام هارون ، والأستاذ أحمد محمد شاكر ذكرا في تحقيق المفضليات أن ثعلبة بن صعير صاحب هذه القصيدة ليس بصحابي ، ويشتبه ثعلبة هذا بثعلبة بن صعير ابن عمرو بن زيد بن سنان بن سلامان القضاعي العذري ، وهذا متأخر ، واختلف في هذا الأخير في كونه صحابياً .

(١)

وَلَرُبَّ خَصْمٍ جَاهِدِينَ ذَوِي شَذاً .·. تَقْذِي(٢) عُيونُهُمُ(٣) بِهِتْرٍ هَاتِرِ(٤)

لُدٍّ(٥) ظَأَرْتُهُمُ(٦) عَلَى مَاسَاءَهُمْ .·. وَخَسَأْتُ بَاطِلَهُمْ بِحَقٍّ ظَاهِرِ (٧)

---

(١) الشذا مقصورٌ: الأذى والشرُّ، وأشْذى الرجلُ: آذى، ومنه قيل آذيت وأشْذيتُ/ اللسان " شذا ": ١٤/٤٢٦.

(٢) القذى: مايَسْقُط في العين والشَّراب، و" قَذِيَتْ " عينه من باب صَدِيَ سقطت فيها " قَذاة " فهو " قَذِي " العين. على فَعِل، و(قَذَت) عينُه رقت بالقذى وبابه رمى و"أقذاها" غيره جعل فيها القذى. و"قذّاها تقذية" أخرج منها القذى/ مختار الصحاح باب القاف: ٥٢٦، اللسان " قذى ": ١٤/١٧٢-١٧٣.

(٣) رواية المفضليات ومنتهى الطلب: " صُدورُهم ".
وفي دلائل الإعجاز تحقيق شاكر ذكر أن هناك مخطوطتين للكتاب فيهما " تقذى عيونهم " وهو سهو يفسد الشعر.
وذكر البيت في تحقيقه على رواية المفضليات.

(٤) هاتر: قولٌ هِتْرٌ كذب، والهِتر بالكسر السَّقَطُ من الكلام والخطأ فيه، جاء في الصحاح: يقال هترٌ هاتر وهو توكيد له.
والهِتر أيضا العَجَبُ والداهية. يقال للرجل إذا كان داهياً: إنّه لهتر أهتارٍ/ الصحاح: باب الراء فصل الهاء: ٢/٨٥٠، اللسان " هتر ": ٥/٢٤٩.

(٥) رجل ألَدُّ: أي شديد الخصومة، والألد: الخَصِمُ الجَدِلُ الشحيح الذي لا يزيغ إلى الحق، وجمعه لُد ولِدادٌ/ الصحاح مادة "لَدَدَ" ٢/٥٣٥، اللسان مادة "لَدَدَ": ٣/٣٩٠-٣٩١.

(٦) الظِئْرُ بالكسر العاطفة على ولد غيرها المُرضعة له في الناس وغيرهم للذكر والأنثى وجمعه أظؤر، وأظآر، وظؤر وظؤرة، وظأرني على الأمر راودني وأكرهني/ انظر:
القاموس المحيط، باب الراء فصل الظاء: ٢/٨٣.

(٧) انظر البيت في:
منتهى الطلب: ورقة (٨٠أ)، المفضليات: ١٣١ رقم (٢٤).

والبيت من قصيدة مطلعها :

هَلْ عِنْدَ عَمْرَةَ مِنْ بَتَاتِ(١) مُسَافِرِ ∴ ذِي حَاجَةٍ مُتَرَوِّحٍ أَوْ بَاكِرِ

سَئِمَ الإِقَامَةَ بَعْدَ طُولِ ثَوَائِهِ ∴ وَقَضَى لُبَانَتَهُ فَلَيْسَ بِنَاظِرِ

وقبل الشاهد :

وَلَرُبَّ وَاضِحَةِ الجَبِينِ غَرِيرَةٍ ∴ مِثْلِ المَهَاةِ تَرُوقُ عَيْنَ النَّاظِرِ

قَدْ بِتُّ أَلْعَبُهَا وَأَقْصُرُ هَمَّهَا ∴ حَتَّى بَدَا وَضَحُ الصَّبَاحِ الجَاشِرِ

وبعد هما الشاهد وبعده :

بِمَقَالَةٍ مِنْ حَازِمٍ ذِي مِرَّةٍ(٢) ∴ يَدَأُ(٣) العَدُوَّ زَئِيرُهُ لِلزَّائِرِ

إذا تأملنا الشاهد،وجدناه يحوي ثلاث استعارات رائعة :

الأولى : في قوله : " تَقْذِي صدورهم " ولفظة تقذي هنا يختلف معناها باختلاف ضبط حركاتها ، فإذا كان المقصود " تَقْذِي " بمعنى سقطت فيها قذاة ، فهو " قذي " فقذيت عينه من باب صَدِيَ يكون المعنى أن صدورهم مليئة بالشر .

وإن كانت مأخوذة من " قَذَت عينه " رمت بالقذى ، وبابه رَمي . يكون المعنى : أن صدورهم رمته بالشّر والأذى .

والمناسب للمقام فيما يبدو الوجه الثاني .

والاستعارة هنا جاءت من تشبيه صدورهم بالعيون التي تحمل الأذى أو ترمي بالقذى،ثم حذف المشبه به،وأتى بشيء من لوازمه ، وهو القذى على سبيل الاستعارة المكنية .

---

(١) البتات : الزاد، والجهاز، والمتاع / اللسان : مادة (بتت) : ٢ / ٨ .

(٢) المرة : بكسر الميم الشِّدة ، ورجل ذو مرة : أي قوي / انظر : أساس البلاغة : (مرر) : ٤٢٥ .

(٣) يدأ الودأ الهلاك / اللسان : " ودأ " : ١ / ١٩٢ .

والاستعارة الثانية : في قوله : " لدّ ظأرتهم " استعار الظأر - الذي هو في الأصل للناقة التي تحنو على ولد غيرها ، فترضعه - لإلحاق الهزيمة بهم ، فكأنه أرضعهم الهزيمة وقهرهم عليها ، وفيها من التهكم والسخرية مافيها ، وجاءت الاستعارة هنا على سبيل الاستعارة التصريحية .

والاستعارة الثالثة : في قوله : " خسأت " حيث استعار " خسأ " التي هي بمعنى " زجر " للدفع على سبيل الاستعارة التصريحية .

فهذه الاستعارات الثلاث ممكنة في البيت .

وفي الدلائل تحقيق " رضا " و تحقيق " خفاجي " لم يحدد الشيخ عبدالقاهر موقع الاستعارة الرائعة ، فكأنه اعتبر الروعة والغرابة في الثلاث الاستعارات .

وفي الدلائل تحقيق " شاكر " زيادة " : " المقصود لفظ " خسأت "(١) .

فإذا كانت الزيادة من كلام الشيخ عبدالقاهر يكون لفظ " خسأت " هو المخصوص بالروعة والجمال ، وإذا كانت الزيادة من الناسخ يكون الشيخ قد اعتبر الاستعارات الثلاث .

ويبدو أن الشيخ قصد الاستعارات الثلاث بدون تخصيص ، لأن لفظ " خسأت " ليس أروع استعارة فيها بل إن استعارة الظأر آنق وأجمل .

بدأ الشاعر قصيدته هذه راجياً عمرة أن تنوله قبل سفره ، وذكر أنها أخلفت الوعد ، وعزا ذلك إلى طبع النساء ، ثم أعلن عزمه على قطعها بالرحلة على ناقة ، وصفها ، وشبهها بالنعامة ، فاستطرد في نعتها ، ثم فخر بسبائه الخمر ، ونحره الجزر لأصحابه وبشدة بأسه في لقاء العدو وبفرسه وسلاحه ، ثم تحدث عن استلابه قلوب الغواني ،(٢) ثم بعد ذلك جاء ببيتي الشاهد يفاخر فيهما بقدرته على مقارعة خصمه بالحجة الساطعة والقول الفصل ، ولكي يصور لنا قوته وبراعته أعلى من شأن خصمه ، فذكر أنهم قوم جاهدون لا يستهان بهم معروفون بالحدة والشدة والشر ،

---

(١) الدلائل : شاكر: ٧٧ .

(٢) المفضليات : ١٢٨ .

وأن صدورهم مليئة بالشر والكلام الباطل القبيح ، وصوَّرهم بهذه الصورة التي توحي بأنه لا يستطيع منازلتهم أحد ، ولا يقدر على مقارعتهم كل إنسان ، حتى إذا ما ارتسمت هذه الصورة في الأذهان ، وانبهرت بها النفوس ، يُفاجئ الشاعر خيالنا بصورة أخرى يكون هو بطلها ، ويرسمها بلون بلاغي يضائل من الصورة الأولى ، ويجعل الثانية هي الأمكن ، فيتخذ من الاستعارة مادة يلون بها صورته ، ويلبس الاستعارة نوعا من التهكم والسخرية بهم ، ليتم له بذلك محو صورتهم والتقليل من شأنهم ، فشبه توجيه الإساءة إليهم بالظأر ، فكأنه أرضعهم الإساءة وأرغمهم على قبولها ، فظأرتهم معناها أرضعتهم الإساءة وتمكنت منهم وقبلوها ، وفي هذا استهانة بهم وتهكم وسخرية بشجاعتهم ؛ ولكي يبين أن حججه من القوة بمكان ، وأن ما أتوا به ما هو إلا باطل مستهان استعار لفظ " خسأ " وهو بمعنى زجر مع الذل والاستهانة - للدفع والإزالة وفي هذا توكيد لضعف أمرهم وتحقير لما أتوا به من الحجج وتصغير لشأنهم .

الشاهد السابع عشر : (*)   (الرجز)

ابن المعتز[1] :

(*) الدلائل ، رضا : ٦١ ، خفاجي : ١٢٠ ، شاكر : ٧٧ .

(١) هو عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباسي (٢٤٧ هـ - ٢٩٦ هـ) أبو العباس : الشاعر المبدع ، خليفة يوم وليلة ، فبعد أن آلت الخلافة إلى المقتدر العباسي استصغره الناس ، فخلعوه وبايعوا ابن المعتز فأقام يوماً وليلة ، ثم وثب عليه غلمان المقتدر ، فخلعوه ، وقتله خنقاً واحد منهم يدعى مؤنس ، ولابن المعتز مؤلفات كثيرة منها : " الزهر والرياض " و " البديع " و " الأدب " و " الجامع في الغناء " و " الجوارح والصيد " و " طبقات الشعراء " ، وله ديوان شعر في جزأين / انظر ترجمته :
الأغاني : ٢٧٤/١-٢٨٦ ، أشعار أولاد الخلفاء : ١٠٧-٢٩٦ ، ثمار القلوب : ١٥٠ ، تاريخ بغداد : ٩٥/١٠-١٠١ ، العبر : ٤٣٠/١ ، وفيات الأعيان : ٧٦/٣-٨٠ ، فوات الوفيات : ٢٣٩-٢٤٦ ، =====

حَتّى إذا ما عَرَفَ الصَّيْدَ انْصَارْ[(١)] ∴ وَأذِنَ الصُّبْحُ لَنا فِي الإبْصَارْ[(٢)]

وهو من أبياته في الطرديات ، ومطلع القصيدة :

قَدْ أغْتَدِي أوْ بَاكِرًا بِأسْحَار ∴ وَنَحْنُ في جِلْبَابِ لَيلٍ كَالْقَارْ

وبعده بيت هو قبل الشاهد :

شُدَّ عَلَينَا بِعُرَى وَأزْرَار ∴ كَأنَّهُ جِلْدَةُ نُوبِيٍّ عَارْ

وبعد الشاهد وبعده :

جَلَا لِكُلِ شَبَحٍ نَائِي الدَّارْ ∴ فَارِس كَفّ مَاثِلٍ كَالأسْوَارْ

ذُو جُؤْجُؤٍ[(٣)] يِثْلِ الرُّخَامِ المِرْمَارْ ∴ أوْ مُصْحَفٍ مُنَمْنَمٍ ذِي أسْطَارْ

الشاهد فيه كسابقه ، فجهة الغرابة في الاستعارة هنا في كلمة " أذِنَ "

نفسها .

=== معاهد التنصيص : ٢ / ٣٨ - ٤٧ ، الشذرات : ٢ / ٢٢١ - ٢٢٤ ، الأعلام : ٤ / ١١٨ - ١١٩ .

(١) انصار : من صار الأمر إلى كذا يصير صيراً ومصيراً وصيرورة ، وصيره إليه ، وأصاره ، والصيرورة مصدر صار يصير - أي تهيأ وتجمع للوثب - / انظر : اللسان : مادة " صير " : ٤ / ٤٧٧ . هذا على رواية الدلائل تحقيق رضا : ٦٤ ، خفاجي : ١٢٠ .
أما رواية الديوان - دار المعارف - ، والدلائل ، شاكر ، والإيضاح ، وشرح أبيات الإيضاح : " الضَّار " .

(٢) لم أجده في ديوانه - دار صادر - وهو موجود في ديوانه - دار المعارف - ٢ / ١٢٥ .
وذكر الأستاذ شاكر أنه موجود في ديوانه - طبعة استانبول ، ولم أقف عليها بعد .
الإيضاح : ٢ / ٤٢٣ . شرح أبيات الإيضاح : - النسخة الأزهرية - رقم الشاهد : ٣٦٥ .

(٣) الجُؤْجُؤ : عظام صدر الطائر والجمع : الجآجيء . اللسان : مادة " جأجأ " : ١ / ٤٢ .

ويبدو أن وجه الحسن في الاستعارة في كون الشاعر ملّ طول الليل، وإطباق الظلام ؛ لأن الصيد في الظلام متعذر ، فكأن الشاعر ظل واقفاً طوال الليل ينتظر طلوع النهار ، فعندما بدأ النور بالظهور رأى كل شيء وقد بدأ يتحرك ، فدبت الحركة في الحياة ، وتحفز البازي للصيد وتجمع له ، ومن هذه الحركة التي تبدأ عند ظهور النور استمد الشاعر صورته ، فجعل الصبح وكأنه كائن يتحرك يأمر وينهى ويأذن .

فشبه ظهور النور بالإذن بجامع السماح، وتمكن الرؤية في كل على سبيل الاستعارة التصريحية .

وفي شرح أبيات الإيضاح معنى غير الذي ذهبت إليه . جاء فيه :

" البيت لابن المعتز ، عرف مبني للفاعل ، الصيد بمعنى الصائد الضاري المتعود للصيد من ضَرِي الكلب بالصيد، وأراد بالصيد الضاري الجوارح المعلمة التي كانت معهم،(١) كانت الجوارح بسبب الظلام لا تعرف ماكانت تصيده وكانوا لا يبصرون به ماأرادوا إبصاره فكأن الظلام منعهم عنه ، يقول سرنا طول الليل حتى إذا عرفت الجوارح الصائدة الضارية بإسفار الصبح ماكانت تصيده ، وأذن لنا وأجازنا ضوء الصبح في إبصار مانريده، ونطلبه، فعلنا مافعلنا(٢) ".

الشاهد الثامن عشر : * (الوافر)

ابن المعتز :

بَخِيلٍ قَدْ بُلِيتُ(٣) بِهِ .·. يَكُدُّ الوَعْدَ بِالحُجَجِ(٤) (٥)

---

(١) انظر معنى الضار في اللسان مادة " ضرا " : ١٤ / ٤٨٢ .

(٢) شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية - : رقم الشاهد : ٣٦٥ .

(*) الدلائل ، رضا : ٦١ ، خفاجي : ١٢٠ ، شاكر : ٧٧ .

(٣) رواية الديوان : " شقيت ".

(٤) رواية الديوان : " باللجَجِ "، واللجاج هو التمادي في الشيء، ولج في الشيء تمادى عليه وأبى أن ينصرف عنه - فالمعنى هنا أنها تكد الوعد بالعناد وعدم الوفاء . / انظر: اللسان " لجج ": ٢ / ٣٥٣ .

(٥) ذكر الأستاذ محمود شاكر بأن البيت ليس في المطبوع من شعر ابن المعتز ، ====

وبعــده :

عَلَى بُسْتَانِ خَدَّيْـــهِ ∴ زَرَافِينُ(١) مِنَ السِّيَاجِ(٢)

وهما بيتان لا ثالث لهما .

والشاهد فيه كسابقه ، فالغرابة في الاستعارة هنا في نفس كلمة " يَكُدُّ " حيث استعار الكَدَّ لإخلاف الوعد .

فالشاعر هنا يصف بخيلاً يَعِدُه بالعطاء ، ولكنه يُخلِف ، ويطيل الإخلاف وينتحل شتى المعاذير ، ويتذرع بألوان كثيرة من الحجج يعتذر بها عن الوفاء ، ولكثرة هذه الحجج عبر عنها بأنها تكد الوعد أي تتعبه ، فجعل من المادة المعنوية " يَكُدُّ الوَعْدَ " مادة متحركة ، فمماطلة ذلك البخيل ، وكثرة إخلافه الوعد أنطقت وحركت الشعور فيما لا يحس ، فليس هو وحده الشقي فحسب بل حتى الوعود قد أصابها الملل والإعياء .

ولعمق إحساسه وتأثره بموقف هذا البخيل نراه قد ابتدأ البيت بقوله : " بخيلٌ " حيث حذف المبتدأ - فلم يقل " هو بَخِيلٌ " - وجاء بالخبر نكرة ليبرز لنا حقارة ذلك الخُلق وشناعته ، ثم جاء بحرف التحقيق " قد " ليؤكد تحقق وقوع البلاء به .

الشاهد التاسع عشر : (*) (الطويل)

ابن المعتز :

يُنَاجِينِيَ(٣) الإِخْلَافَ مِنْ تَحْتِ مَطْلِهِ ∴ فَتَخْتَصِمُ الآمَالُ وَاليَأْسُ فِي صَدْرِي (٤)

== وقد وجدته في ديوانه - دار صادر - : ١٩ .

(١) زرافين : جماعات / اللسان : " زرف " : ٩ / ١٣٤ .

(٢) السياج : الحظيرة من الشجر تُجعل حول الكَرْم والبستان ، وقد سَيَّج على الكَرْم ويقال : حَظَرَ كَرْمَهُ بالسِّيَاجِ ، وهو أن يُسَيِّج حائطه بالشوك لئلا يُتَسَوَّر اللسان " سيج " : ٢ / ٣٠٣ .

(*) الدلائل ، رضا : ٦١ ، خفاجي : ١٢٠ ، شاكر : ٧٧ .

(٣) نَجَاهُ نَجْواً ونَجْوى : سارَّه ، والنَّجْوُ السِّرُّ بين اثنين ، يقال : نَجَوتُه نَجْواً أي سارَرْتُه ، وفي أساس البلاغة : " ومن المجاز والكناية . الهموم تنتجي في صدره وتتناجى ، وبات الهم يناجيه " / انظر : ====

وقبل الشاهد :

وَمُسْتَبْصِرٍ في العُذْرِ مُسْتَعْجِلِ القِلَى .·. بَعِيدٍ مِنَ العُتْبَى قَرِيبٍ مِنَ الهَجْرِ

وبعده الشاهد وبعده :

قَدِيرٍ عَلَى مَا سَاءَنِي مُتَسَلِّطٍ .·. جَرِيءٍ على ظُلْمِي أَمِيرٍ عَلَى أَمْرِي

بِنَفْسِي سِقَامٌ مَا يُدَاوَى مَرِيضُهُ .·. خَفِيٌّ عَلَى العُوَّادِ بَاقٍ عَلَى الدَّهْرِ

أَلِفْتُ الهَوَى حَتَّى قَلَتْ نَفْسِي القِلَا .·. وَطَالَ الضَّنَى حَتَّى صَبَرْتُ عَلَى الصَّبْرِ

الشاهد في البيت كسابقيه في أن غرابة الاستعارة في الكلمة ذاتها ، ولم يعين الشيخ موضع الشاهد هنا ، ففي البيت استعارتان رائعتان ، الأولى في قوله : " يُنَاجِينِي " حيث استعار المناجاة للخطور بالقلب ، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية .

والثانية في قوله " فتختصم " حيث استعار الاختصام للازدحام والتجاذب على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية والآمال واليأس قرينة .

فالشاهد هنا يصور تصويراً دقيقاً نفسية الشاعر القلقة التي يتجاذبها اليأس والأمل ، فتارة يشيع فيها الاطمئنان وتارة يسيطر عليها الخوف والاضطراب ، فهو أشد مايخاف ويخشى الإخلاف والمماطلة .

وما أروع تصويره لخوفه هذا بقوله : " يُنَاجِينِي الإخلاف " أي يُسَارِني ، فالإخلاف لم يقع بعد إنما هو مجرد خطور بالقلب، ومحادثة جرت في النفس ، ثم إن للفظة " تحت " إيحاءها إذ يتفلت الإخلاف من هذا المطل تفلتاً أثار النفس وجعلها في قمة اضطرابها حيث تدافعت وتزاحمت الآمال واليأس في صدره ، وما أروع لفظة

=== اللسان " نجا " : ١٥/٣٠٨، أساس البلاغة : " نجو " : ٤٤٨.

(٤) لم أجده في ديوانه - دار صادر - وكذلك الأستاذ شاكر ذكر في تحقيق الدلائل أنه لم يجده في شعره المطبوع . / انظر البيت في : أشعار أولاد الخلفاء : ١٩١ ، الإيضاح : ٢ / ٤٢٣ ، شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية - شاهد رقم : ٣٦٧ .

" تختصم " التي صورت هذا النزاع القائم بين رجائه وخوفه ، ومافيها من حيوية ، وحركة، وصخب، وضجيج ناسب شدة القلق وقوة الأمل .

ثم آنظر إليه كيف جمع " الآمال " ووحد " اليأس " وجعلهما قوتين غيرمتكافئتين ؛ ليصور شدة تعلقه بمحبوبه وتمنيه ورجاءه الوصال .

وقيد كون الاختصام في الصدر، ليدل على شدة تألمه وتوجعه، وما ألطف وأدق مجيء الفاء في قوله : " فتختصم " فمعنى التعقيب الذي يشيع فيها ناسب معنى الازدحام والاضطراب ، إضافة إلى أنها ضبطت تسلسل الموقف، والمعاني، والأحداث، وجعلت المعنى كلاً متداخلاً .

ثم تأمل جمال الطباق بين " يُناجِيني وَتَخْتَصِم " - باعتبار لازميهما - وبين الآمال واليأس ، ومابعث في البيت من حركة .

. . . .

الشاهد العشرون :(*) (الطويل)

قول الشاعر أنشده الجاحظ :

لَقَدْ(١) كُنْتَ فِي قَوْمٍ عَلَيْكَ أَشِحَّةٍ .·. بِنَفْسِكَ(٢) إِلَّا أَنَّ مَاطَاحَ طَائِحُ(٣)

يَوَدُّونَ لَوْ خَاطُوا عَلَيْكَ جُلُودَهُمْ .·. وَلَا تَدْفَعُ(٤) المَوْتَ النُّفُوسُ الشَّحَائِحُ (٥)

(*) الدلائل ، رضا : ٦١ ، خفاجي : ١٢٠ ، شاكر : ٧٧ .

(١) رواية الروض الأنف : " لَوكُنْتَ " ، ويبدو أن رواية " لقد " أنسب وأجمل لمعنى البيت .

(٢) رواية العقد الفريد : " بِحُبِّكَ " .
ورواية الروض الأنف : " أَشِحَّةٍ عَلَيْكَ " .

(٣) رواية البيان والتبيين : " لَوَلَا أَنَّ مَاطَاحَ طَائِحُ " .

(٤) رواية البيان والتبيين والروض الأنف : " وَهَلْ يَدْفَعُ " .
ورواية العقد الفريد والأشباه والنظائر : " وَلَا يَدْفَعُ " بالياء بدلاً من التاء .

(٥) انظر البيتين في : البيان والتبيين : ١ / ٥٠ ، الشعر والشعراء : ٢ / ٧٦٢ ، العقد الفريد : ٣ / ٢٨٠ ، الأشباه والنظائر : ٢ / ٢٠٤ ، زهر الآداب : ٢ / ٤٧٥ ، الروض الأنف : ٢ / ٢٤ .

ذكرهما الشيخ من غير نسبة،وهما للأغر اليشكري.(١)

بيد وأن الشيخ جعل هذا الشاهد من قبيل قول الشاعر :

" وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ المَطِيِّ الأَبَاطِحُ "

بدليل ذكره هذا الشاهد في فقرة جديدة ابتدأها بقوله : " ومما هو في غاية الحسن، وهو من الفن الأول " ، وأول فن ذكره في هذا الباب هو ما ترجع فيه غرابة الاستعارة إلى الصياغة والتركيب ولعل غرابة الاستعارة هنا في أنه استعار " خاطوا " للحفاظ، وبأن قدم الجار والمجرور " عليك "، وقيد كون الخياطة في الجلود .

فالبيتان فيما يبدو في رثاء شخص عزيز أثار فقده الحزن والألم في نفس الشاعر فنراه يصوغ البيتين بأسلوب يكشف رقة عاطفته وصدق إحساسه ،فابتدأ كلامه بلام التوكيد مع حرف التحقيق " لقد " وقدم الجار والمجرور " عليك " على قوله أشحة ليبين مكانة ذلك الشخص في نفوس قبيلته ، فصور خوفها، وحرصها عليه ، وأنها بخيلة شحيحة بتلك النفس الطيبة .

ثم يستسلم الشاعر للقضاء والقدر،ويقرر أن ما قُدِّر له الهلاك فهو هالك ، ويؤكد هذه الحقيقة بحرف التوكيد " أنَّ " ، وجاء بالاسم الموصول " ما " لأن في ذكر الاسم صريحاً مايسبب الآلام ويثير الأشجان، أو أن " ما " هنا تدل على مطلق الحقيقة أي أن كل شيء زائل وهالك ،

---

(١) ذُكرت هذه النسبة في البيان والتبيين، وفي المؤتلف والمختلف: ٤، شاعران من بني يشكر يقال لهما : " الأغر " . أحدهما : الأغر بن عبيد الله ابن جمال بن ذريح بن عدي بن مطعم بن عبد جشم بن عامر بن ذبيان ابن كنانة بن يشكر بن بكر وائل ،شاعر فارس .
والثاني : هو الأغر بن مأنوس أحد بني يشكر بن بكر أيضاً ،شاعر له في بني يشكر قصيدة طويلة جيدة .
ونُسب البيت الأول في الأشباه والنظائر لمطرِّف بن جَعْونة الضَّبيِّ . وذُكر البيت الثاني على أنه نظير للبيت الأول ونُسب للمشرك الموصلي .
وذُكر البيتان في الشعر والشعراء والعقد ، وزهر الآداب والروض الأنف من غير نسبة .

ويلجأ الشاعر إلى تكرار المعنى ليقرر في النفوس عظم مكانة ذلك الشخص في قومه، فجاء بالاستعارة الرائعة " خاطوا " فشبه الحرص وشدته بالخياطة بجامع الضم والتماسك في كل على سبيل الاستعارة التصريحية ، وقدم الجار والمجرور " عليك " وقيد كونها في جلودهم ، فدل بمجموع ذلك كله على شدة الحرص والحياطة والحفاظ عليه .

وتصرخ الحقيقة مرة أخرى، وتقرر بأداة النفي " لا " " لا يدفع الموت النفوس الشحائح " أنه مهما حرصت النفس وحاولت دفع المكروه لا تستطيع أن تحول من نفاذ القدر، وعلى رواية " هل يدفع الموت النفوس الشحائح " تكون الحقيقة قد أعلنت بوجه آخر حيث جاء الشاعر بأسلوب الاستفهام " هل " ليقرر تلك الحقيقة، ويزجر تلك العواطف التي تثور بين حين وآخر، ويوقظها على الحقيقة التي لا مفر منها لكي تخف وتهدأ ، " فهل " هنا بمعنى النفي أيضا أي " لا يدفع الموت النفوس الشحائح " .

الشاهد الحادي والعشرون : (*)   (الرجز)

قول بشار :(١)

(*) الدلائل ، رضا : ٦٢ ، خفاجي : ١٢٠ ، شاكر : ٧٨ .

(١) هو بشار بن برد العُقيلي بالولاء (٩٦-١٦٧ﻫ أو ١٦٨ﻫ) أصله من طخارستان (غربي نهر جيحون) ونسبته إلى امرأة عقيلية أعتقته من الرق. كنيته أبو معاذ، ويلقب بالمرعث ، ومحله في الشعر، وتقدمه طبقات المحدثين فيه، بإجماع الرواة، ورياسته عليهم من غير اختلاف في ذلك ، وهو من مخضرمي شعراء الدولتين العباسية والأموية . وُلد بشار مكفوفاً وكان أبوه طياناً ، وقد هجاه بذلك حمّاد عجرد ، كان كثير التلون في ولائه للعرب مرة وللعجم أخرى / انظر ترجمته :

الشعر والشعراء : ٢ / ٧٦١-٧٦٤ ، طبقات ابن المعتز : ٢١ - ٣١ ، الأغاني : ٣/ ١٣٥-٢٥٠ ، الموشح : ٢٢٣-٢٢٧ ، أمالي المرتضى : ١/ ١٢٨-١٣١-١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٦٣ ، ٥٠٩-٥١٠ ، ٥٥٤ ، ٦٠٧ ، ٢/ ٣٥ ، ٦٣-٦٤ ، ١٢٦ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٧ ، ١٣٩-١٤٢ ، =====

وَصَاحِبٍ كَالدُّمَّلِ (١) المُمِدِّ (٢)

حَمَلْتُهُ (٣) فِي رُقْعَةٍ مِن جِلْدِي (٤) (٥)

والبيت من أرجوزة قالها في مدح عقبه (٦)

=== تاريخ بغداد : ٧ / ١١٢ - ١١٨ ، سمط اللآلى : ١/١٩٦-١٩٨ ، وفيات الأعيان : ١ / ٢٧١-٢٧٤ ، نكت الهميان : ١٢٥-١٣٢ ، لسان الميزان : ٢ / ١٥-١٦ ، شذرات الذهب : ١/٢٦٤ ، معاهد التنصيص: ١/٢٨٩-٣٠٤ ، الأعلام : ٢/٥٢.

(١) رواية تاريخ بغداد : " كالرسل " .

(٢) رواية الإعجاز والإيجاز : " المجد " أي الجديد .

ومعنى الممد : المِدَّة بالكسر: مايجتمع في الجرح من القيح / اللسان : " مدد " : ٣/٣٩٩.

(٣) رواية العقد الفريد : " وجعلته " .

(٤) رواية الديوان للشاهد :

وَصَاحِبٍ كَالدُّمَّلِ المُمِدِّ

أَرْقُبُ مِنْهُ مِثْلَ يَومِ الوِرْدِ

حَمَلْتُهُ فِي رُقْعَةٍ مِنْ جِلْدِي

صَبْراً وَتَنْزِيهاً لِمَا يُؤْذِي

ويوم الورد : يوم نوبة الحمى شبه يوم زيارته بيوم مجيء الحمى .

(٥) انظر البيت في :

ديوانه : - تحقيق الطاهر بن عاشور - : ٢ / ١٥٩ ، البيان والتبيين : ١/٥٠ ، الشعر والشعراء : ٢ / ٧٦٢ ، طبقات الشعراء لابن المعتز : ٢٦ ، العقد الفريد : ٣ / ٢٨٠ ، الأغاني : ٣ / ١٧٦ ، الأشباه والنظائر للخالديين : ٢/٢٠٤ ، المنصف في نقد الشعر : ٥٨٠ ، الإعجاز والإيجاز : ١٥٧ ، ١٥٨ ، زهر الآداب : ٢ / ٤٧٤ ، تاريخ بغداد : ٧/١١٦.

(٦) هو عقبة بن سَلْم " بفتح السين وسكون اللام " الهُنَائي " بضم الهاء " منسوباً إلى هُنَاءة بن مالك بن فهم من بني دوس ، وكناه بشار في بعض قصائده بأبي الملد ، ظهر عقبة في خلافة أبي جعفر المنصور ، ذلك أن المنصور أولى على البصرة ابن أخيه محمد بن أبي العباس السفاح ، فاستعفاه من ذلك فأعفاه ، واستخلف بالبصرة عقبة بن سلم ، فأقره المنصور عليها ، وفي سنة ١٥١ هـ =====

ابن سلم (١) ومطلعها :

يَا طَلَلَ الحَيِّ بِذَاتِ الصَّمْدِ (٢)
بِاللَّهِ حَدِّثْ كَيْفَ كُنْتَ بَعْدِي

وقبل الشاهد :

الحُرُّ يُوصَى (٣) وَالعَصَا لِلْعَبْدِ
وَلَيْسَ لِلْمُلْحِفِ مِثْلُ الرَّدِّ
فَارْضَ بِنِصْفٍ وَأَرِحْ فِي القَصْدِ
النِّصْفُ يَكْفِيكَ مِنَ التَّعَدِّي

وبعد هذا الشاهد وبعده :

حَتَّى انْطَوَى غَيْرَ فَقِيدِ الفَقْدِ (٤)
وَمَا دَرَى مَا رَغْبَتِي مِنْ زُهْدِي

=== سار عقبة من البصرة إلى البحرين واستخلف عليها ابنه ، فقتل عقبة سليمان بن الحكيم وسبى أهل البحرين ، ثم عزله المنصور عن البصرة ، وبقي بلا عمل حتى توفي سنة ١٦٧ هـ / انظر ترجمته : المعارف : ١٠٨ ، الاشتقاق : ٤٩٨ ، تاريخ الطبري : ٨ / ٤٠ ، جمهرة أنساب العرب - ابن حزم - : ٣٨٠ ، الكامل لابن الأثير : ٥ / ٣٤ .

(١) ذكر في البيان والتبيين، وشرح ديوانه أن هذه الأبيات أنشدها بشار بحضرة عقبة بن سلم ، وقصتها أن عقبة بن رؤبة أنشد عقبة بن سليم رجزاً يمتدحه به ، وبشار حاضر، فأظهر بشار استحسان الأرجوزه ، فقال له عقبة بن رؤبة : هذا طراز ياأبا معاذ لا تحسنه فقال بشار : ألِمِثْلي يقال هذا الكلام ؟ أنا والله أرجز منك ومن أبيك ومن جدك ، ثم غدا عقبة بن سلم بأرجوزته هذه .

(٢) رواية الأغاني " الصمد " بصاد مهملة : والصمد بفتح أوله وإسكان ثانيه وبعده دال مهملة : موضع في ديار بني يربوع / معجم ما استعجم : ٢ / ٨٤١ ، وفي معجم البلدان ماء للضباب .

(٣) رواية الأغاني : " الحُر يُلْحَى " .

(٤) رواية الأغاني : " حتى مضى فقيد الفقد " أي ليس له آثار الفقد من الوحشة والأنس أي أن فقده ليس بفقد ./
شرح ديوانه : ٢ / ١٦٠ .

يبدو أن الشيخ أراد أن يذكر نظيراً لمعنى " خاطوا " فجاء بهذا البيت ، وفيه " حملته في رقعة من جلدي " فهذا وجه المشابهة بين هذا الشاهد وماقبله.

ويجوز أن يكون الشاهد فيه كالبيت السابق حيث استعار " الحمل" للاحتفاظ مع ملاحظة التشبيه ومايعانيه من الألم .

فالشاعر هنا يصف صاحباً له ثقيلاً على نفسه ، وصور هذا الثقل بعدة طرق : حيث شبه هذا الصاحب بالدُّمّل المليء بالقيح والصديد، وفي هذا الوصف مايبعث الاشمئزاز والنفور في النفس ، ثم استعار لفظ " الحمل " للاحتفاظ به ، وقيد كون هذا الحمل في رقعة، وقيد كونها " من الجلد " وأضاف لفظ الجلد لياء المتكلم كل ذلك ؛ ليبين شدة لصوقه به، وكثرة تألمه منه ، فهو مع كونه ثقيلاً وكريهاً لا مفر من حمله .

وكأن المتنبي أشار إلى هذا المعنى عندما قال :

وَمِنْ نَكَدِ الدُّنْيا عَلَى الحُرِّ أَنْ يَرَى ∴ عَدُواً لَهُ مَامِنْ صَدَاقَتِهِ بُدُّ (١)

وذكر ابن وكيع (٢) أن المتنبي نظر إلى قول بشار فقال :

وَإِنَّنا نَحْنُ في جِيلٍ سَوَاسِيَةٍ ∴ شَرٍّ عَلَى الحُرِّ مِنْ سُقْمٍ عَلَى بَدَنِ (٣)

ونظير قول بشار في الصورة، وضده في المعنى قول العلوي الكوفي :

أَيَّامَ كُنْتُ مِنَ الغَوَا ∴ نِي كَالسَّوَادِ مِنَ القُلُوبِ

لَوْ يَسْتَطِعْنَ خَبَأْنَنِي ∴ بَينَ المَخَانِقِ وَالْجُيُوبِ (٤)

ولقد استحسن الثعالبي بيت بشار " الشاهد " مع أبيات أخرى أطلق لأجلها على بشار لقب أستاذ المحدثين وبدرهم ، وجعله أعجوبة الدنيا ، قال :-

---

(١) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ١/ ٣٧٥.

(٢) المنصف في فقد الشعر : ٥٨٠.

(٣) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ٤ / ٢٠٩.

(٤) الأشباه والنظائر للخالديين : ٢ / ٥٦ .

" بشار بن برد ويقال ابن برد أستاذ المحدثين وصدرهم وبدرهم ، وأعجوبة الدنيا ، لأنه كان أعمى أكمه ، ولد كذلك ، وقال مثل قوله :

كَأَنَّ مُثارَ النَّقْعِ فَوقَ رُؤُوسِهِم ∴ وَأَسْيافَنا لَيلٌ تَهاوى كَواكِبُه

. . . . . . وقوله :

وَصاحِبٍ كَالدُّمَّلِ المُمِدِّ ∴ حَمَلْتُهُ فِي رُقْعَةٍ مِنْ جِلْدِي(١) "

ويبدو لي أن الشاهد السابق - " الذي نسب للأغر " - أملح وجهاً وأظرف معنىً ، وأدق وأبلغ صورة من قول بشار هذا ، فهو دونه في الطبقة ، فأين معنى الخياطة من الحمل ، وأين تخصيص الاحتفاظ برقعة من الجلد ، من جعل الاحتفاظ في جميع الجلد ؟ .

الشاهد الثاني والعشرون : (*) (البسيط)

قول أبي تمام(٢) :

لا يَطْمَعُ المَرْءُ أَنْ يَجْتابَ(٣) لُجَّتَهُ(٤) ∴ بِالقَوْلِ مالَمْ يَكُنْ جِسْراً لَهُ العَمَلُ(٥)

وهو من قصيدة يمدح بها المعتصم بالله(٦) ، ومطلعها :

---

(١) الإعجاز والإيجاز : ١٥٧-١٥٨ .

(*) الدلائل ، رضا : ٦٢ ، خفاجي : ١٢١ ، شاكر : ٧٨ .

(٢) مضت ترجمته عند البيت الثالث من أبيات المدخل : ص ٥٥ .

(٣) جاء في تحقيق ديوانه بشرح التبريزي أنه يروى : " يجتاز " .

(٤) رواية الديوان بشرح التبريزي ، والديوان " دار صادر " : " غمرته " لُجّة الماء " بالضم " معظمه ، وكذلك غمرته أكثره ومعظمه / مختار الصحاح : " لج " ٥٩٢ ، " غمر " : ٤٨٠ .

(٥) انظر البيت في : ديوانه بشرح الخطيب التبريزي : ٣ / ١٦ ، ديوانه دار صعب : ٢٠٢ .

(٦) هو محمد بن هارون الرشيد بن المهدي بن منصور (١٧٩هـ وقيل ١٨٠هـ - ٢٢٧هـ) أبو إسحاق ، من أعظم خلفاء الدولة العباسية ، بويع بالخلافة سنة (٢١٨ هـ) يوم وفاة أخيه المأمون وبعهد منه ، وهو فاتح عموريه من بلاد الروم الشرقية ، وهو باني مدينة سامراء ، وهو أول من أضاف إلى اسمه =====

فَحْوَاكَ عَيْنٌ عَلَى نَجْوَاكَ يَامَذِلُ(١) .·. حَتَّامَ لَا يَتَقَضَّى قَوْلُكَ الخَطِلُ(٢)

وقبل الشاهد :

وَمَشْهَدٍ بَيْنَ حُكْمِ الذُّلِّ مُنْقَطِعٌ .·. صَالِيهِ أَوْ بِحِبَالِ المَوْتِ مُتَّصِلُ

ضَنْكٍ إِذَا خَرِسَتْ أَبْطَالُهُ نَطَقَتْ .·. فِيهِ الصَّوَارِمُ وَالخَطِّيَّةُ الذُّبُلُ

وبعد هما الشاهد وبعده :

جَلَّيْتَ وَالمَوْتُ مُبْدٍ حُرَّ صَفْحَتِهِ .·. وَقَدْ تَفَرْعَنَ فِي أَوْصَالِهِ الأَجَلُ(٣)

ومعنى الشاهد : لا يخدع المرء نفسه بكثرة القول والكلام ، فإنه لا يستطيع أن يحقق آماله ، ولا أن يخوض غمار الحروب ، ويحرز البطولات والإنتصارات إن لم يجعل العمل سبيله ، كما أنَّ الماء لا يجتاز معظمه إلا عن طريق الجسر.

الشاهد الثالث والعشرون :- (*) (البسيط)

قول أبي تمام - أيضاً :(٤)

=== اسم الله تعالى من الخلفاء ، فقيل المعتصم بالله ، كانت خلافته ثماني سنين وثمانية أشهر وخلف ثمانية بنين وثماني بنات مات وعمره (٤٨) سنة / انظر ترجمته :
تاريخ الطبري : ٨/٦٦٧ ، ٩/٧-١١١ ، الفخري في الآداب السلطانية : ٢٢٩-٢٣٥ ، مروج الذهب : ٤ / ٤٦-٦٤ ، التنبيه والإشراف : ٣٢١-٣٢٨ ، تاريخ بغداد : ٣/ ٣٤٢-٣٤٧ ، الكامل لإبن الأثير : ٥/ ٢٣١-٢٦٦ ، فوات الوفيات : ٤ / ٤٨-٥٠ ، الأعلام : ٧/١٢٧-١٢٨.

(١) المَذِل : الباذل لما عنده من مال أو سر ، والمعنى هنا الذي يفشي السر / اللسان " مذل " : ١١/٦٢١.

(٢) الديوان - شرح التبريزي - : ٣/ ٥ ، - دار صعب - : ٢٠٠.

(٣) الديوان - شرح التبريزي - : ٣/ ١٦ ، - دار صعب - : ٢٠٢.

(*) الدلائل ، رضا : ٦٢ ، خفاجي : ١٢ ، شاكر : ٧٨.

(٤) رواية الديوان - دار صعب - وشرح الديوان - محمد محيي الدين عبد الحميد - ، وأخبار أبي تمام للصولي : " الكبرى ".

بَصُرْتَ بِالرَّاحَةِ العُظْمَى فَلَمْ تَرَهَا ∴ تُنَالُ إِلَّا عَلَى جِسْرٍ مِنَ التَّعَبِ (١)

وهو من قصيدته المشهورة التي مدح بها المعتصم بالله ، وذكر فتح عمورية ، ومطلعها :

السَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءً (٢) مِنَ الكُتُبِ ∴ فِي حَدِّهِ الحَدُّ بَيْنَ الجِدِّ وَاللَّعِبِ (٣)

وقبل الشاهد :

خَلِيفَةَ اللهِ جَازَى اللهُ سَعْيَكَ عَنْ ∴ جُرْثُومَةِ (٤) الدِّينِ وَالإِسْلَامِ وَالحَسَبِ (٥)

وبعده الشاهد وبعده :

إِنْ كَانَ بَيْنَ صُرُوفِ الدَّهْرِ مِنْ رَحِمٍ ∴ مَوْصُولَةٍ أَوْ ذِمَامٍ غَيْرِ مُنْقَضِبِ

فَبَيْنَ أَيَّامِكَ اللَّاتِي نُصِرْتَ بِهَا ∴ وَبَيْنَ أَيَّامِ بَدْرٍ أَقْرَبُ النَّسَبِ (٦)

ومعنى الشاهد : أنك ذو بصيرة وحكمة إذ أدركت أن الراحة الكبرى ، والنصر لا يمكن الحصول عليهما إلَّا بالتغلب على المصاعب والمتاعب .

الشاهد الرابع والعشرون : (*) (البسيط)

قول ربيعة الرقي (٧) :

---

(١) انظر البيت في :
ديوانه : - دار صادر - : ١٧ ، شرح ديوانه - محمد محيي الدين - : ٢٨ ، أخبار أبي تمام للصولي : ١١٣ .

(٢) تُقرأ بالكسر ، فتكون مصدر " أنبأ " أي أخبر ، وتُقرأ بالفتح فتكون جمع " نبأ " وهو الخبر العظيم / تحقيق الديوان لمحمد محيي الدين : ١٥ .

(٣) ديوانه - دار صعب - : ١٤ ، شرح الديوان لمحمد محيي الدين : ١٥ .

(٤) جرثومة كل شيء أصله ومجتمعه . / اللسان " جرثم " : ١٢ / ٩٥ .

(٥) ديوانه - دار صعب - : ١٧ ، شرح ديوانه - محمد محيي الدين - : ٢٨ .

(٦) انظر : المصدرين السابقين نفس الصفحة .

(*) الدلائل ، رضا : ٦٢ ، خفاجي : ١٢١ ، شاكر : ٧٩ .

(٧) هو ربيعة بن ثابت الأنصاري ، كنيته أبو شبابة ، وقيل إنه يكنى أبا ثابت ، ولقبه أبو ثابت ، وكان ينزل الرقة ، وبها مولده ومنشؤه ، مدح المهدي فأثابه ، وهو من المكثرين المجيدين ، وكان ضريرا ، وإنما أخمل ذكره وأسقطه عن طبقته بُعده عن العِراق ، وتركه خدمة الخلفاء ، ومخالطة الشعراء ، وذكر ====

قُولي نَعَمْ وَنَعَمْ إِنْ قُلْتِ وَاجِبَـةٌ (١) .·. قَالَتْ عَسَى وَعَسَى جِسْرٌ إِلَى نَعَـمِ (٢)

وهو من قصيدة غزلية أولها :

دَسَّتْ سُعَادُ رَسُولاً غيرَ مُتَّهَـمِ .·. وَصِيفَةً فَأَتَتْ إِتْيَانَ مُنْكَـتِمِ

وقبل الشاهد :

أَهْلاً بِطَيفِكِ يَاسُعْدَى الْمُلِمِّ بِنَا .·. طَيْفٌ يَسِيرُ بِلاَ نَجْمٍ وَلاَ عَلَـمِ

أَنْتِ الضَّجِيعُ إِذَا مَانِمْتُ فِي حُلُمِي .·. وَالنَّجْمُ أَنْتِ إِذَا مَاالعَيْنُ لَمْ تَنَـمِ

مَاأَكْذَبَ العَينَ وَالأَحْلاَمَ قَاطِبَـةً .·. أَصَادِقٌ مَرَّةً فِي وَصْلِهَا حُلُمِـي

وبعد ها الشاهد وبعده :

أَنْعَمْتِ نُعْمَى عَلَيْنَا لَسْتُ أُنْكِرُهَا .·. حَتَّى أُغَيَّبَ فِي مَلْحُودَةِ الرَّجَـمِ (٣) (٤)

ومعنى الشاهد : طلب الشاعر من محبوبته أن تجيبه إلى مطلبه بنعم ، فأجابته بعسى ، ورضي هو بهذا الجواب؛ لما فيه من الأمل والرجاء الذي قد يوصله إلى منشوده .

ولقد استشهد الشيخ بهذه الأبيات الثلاثة؛ ليثبت أن اللفظ المستعار إنما يحسن بحسب موضعه، وموقعه في الجملة ، فكلمة " جسر " لها مذاقها وطعمها

=== ابن المعتز أنه أغزل من أبي نواس ، توفي ربيعة الرقي : (١٩٨هـ) / :
انظر ترجمته :
طبقات ابن المعتز : ١٥٧-١٧٠ ، الأغاني : ١٦ / ٢٥٤ - ٢٦٥ ، نكت الهميان : ١٥١-١٥٢ ، خزانة البغدادي - دار صادر - ٣ / ٥٥-٥٦ ، الأعلام : ٣ / ١٦ .

(١) رواية طبقات ابن المعتز للبيت :
قُولي نَعَمْ إِنَّهَا إِنْ قُلْتِ نَافِعَةٌ .·. لَيْسَتْ عَسَى وَعَسَى صَبْرٌ إِلَى نَعَـمِ
وعليها فلا شاهد .

(٢) انظر البيت في :
ديوانه : ٩٢ ، طبقات ابن المعتز : ١٦٧ .

(٣) الرَّجم : القبر . / المصباح المنير : ١ / ٢٣٧ .

(٤) الأبيات نقلاً عن : ديوانه ، طبقات ابن المعتز : ١٦٧ .

الخاص في كل بيت من هذه الأبيات الثلاثة. قال الشيخ :

" ومن سر هذا الباب ، أنك ترى اللفظة المستعارة قد استعيرت في عدة مواضع ، ثم ترى لها في بعض ذلك ملاحة لا تجدها في الباقي ، مثال ذلك أنك تنظر إلى لفظة " الجسر " في قول أبي تمام :

لَا يَطْمَعُ المَرْءُ أَنْ يَجْتَابَ لُجَّتَهُ ∴ بِالْقَوْلِ مَالَمْ يَكُنْ جِسْراً لَهُ العَمَلُ

وقوله :

بَصُرْتَ بِالراحة العُظْمَى فَلَمْ تَرَهَا ∴ تُنَالُ إِلَّا عَلَى جِسْرٍ مِنَ التَّعَبِ

فترى لها في الثاني حسنا لا تراه في الأول ، ثم تنظر إليها في قول ربيعة الرَّقِّي :

قُولِي نَعَمْ ، وَنَعَمْ إِنْ قُلْتِ وَاجِبَةٌ ∴ قَالَتْ عَسَى وَعَسَى جِسْرٌ إِلى نَعَمِ

فترى لها لطفاً، وخلابةً، وحسناً ليس الفضل فيه بقليل (١) "

فالشيخ عبد القاهر فضل كلمة " جسر " في بيت ربيعة الرَّقِّي " وَعَسَى جِسْرٌ إِلى نَعَمِ " وأثنى عليها، واستلطفها، واستحسنها ، ورأى أن لفظة " جسر " في بيت أبي تمام الثاني " فَلَمْ تَرَهَا تُنَالُ إِلَّا عَلَى جِسْرٍ مِنَ التَّعَبِ " في الدرجة الثانية من الحسن ، وبيته الأول " مَالَمْ يَكُنْ جِسْراً لَهُ العَمَلُ " في الدرجة الثالثة .

ولكن الشيخ لم يعلل سبب هذا التفضيل ووجهه ، وكأنه ترك للقارئ حرية التذوق، وذلك لما تحمله هذه الكلمة - بحسب موقعها - من معانٍ تتوقف على الإحساس الشخصي لكل متذوق .

واللغة لا تكاد تسعف لوضع الفروق الدقيقة ، ولكن يمكن أن أقول : أن الصورة التي جاءت فيها كلمة " جسر " في بيت أبي تمام الأول قريبة من صورة الجسر الحقيقية حيث جاء بصورة الاجتياب واللجة فأصبحت بذلك قريبة متناولة لا جدة فيها ولا غرابة .

---

(١) الدلائل ، رضا : ٦٢ ، خفاجي : ١٢٠ - ١٢١ ، شاكر: ٧٨ - ٧٩ .

ولعلها حَسُنَت في بيته الثاني؛ لأنه أبعد الصورة قليلا عن صورتها الحقيقية ، فجعل التعب جسرا إلى الراحة ، ولم يأت بقرائن تفضح الصورة مباشرة أمام العقل وتكشفها ، فتذهب حلاوتها ورونقها .

ولعلها ازدادت دقة ولطافة في بيت ربيعة الرَّقِّي ؛ لأنه أغرب فيها وأبعدها عن صورتها الحقيقية فجعل الجسر هنا يربط بين معاني نفسية عاطفية ، فالشاعر ابتدأ البيت بفعل أمر - " قولي نعم " - يحمل معنى الرجاء والاستعطاف أن تجيبه محبوبته " بنعم " لما يطلبه منها ، وبعد هذا الاستعطاف توقع الشاعر أن يجد ما طلب إلَّا أن صاحبته استطاعت أن تعبث بعواطفه تنشد من ذلك تشويقه وتحريك مشاعره ، فجاء جوابها يلفه نوع من الغموض ، فهي لم تجب بنعم، ولم تجب " بلا " ولكنها أجابته «بعسى» ، وعسى هذه بعثت في نفسه الأمل ، فهي لا تعني الرفض التام ، وإنما هي طريق إلى الرضى ، وإلى نعم ، فكأنما أرادت بهذا الأسلوب أن تُلَمِّح له بكل عواطفها ومشاعرها قبل أن تنطق بالرضى ، فحملت كلمة جسر كثيرا من المعاني النفسية ، والعاطفية، وحاطتها بسياج من الغموض والتلميح ؛ لأن التلميح في هذا الموقف أشد وقعاً في النفس من التصريح .

وكثيرا ما كان الشعراء المتيمون يجدون في هذا العطاء القليل السلوى والرَّاحة . انظر إلى قول جميل بن معمر الذي يفسر لنا معنى الجسر في قول ربيعة الرَّقِّي :

وَإِنِّي لَرَاضٍ مِنْ بُثَيْنَةَ بِالَّذِي ∴ لَوْ ابْصَرَهُ الوَاشِي لَقَرَّتْ بَلَابِلُهْ
بِلَا وَبِأَلَّا أَسْتَطِيعَ وَبِالْمُنَى ∴ وَبِالْوَعْدِ حَتَّى يَسْأَمَ الوَعْدَ آمِلُهْ
وَبِالنَّظْرَةِ العَجْلَى وَبِالْحَوْلِ تَنْقَضِي ∴ أَوَاخِرُهُ لَا نَلْتَقِي وَأَوَائِلُهْ (١)

ومن أسرار لطف كلمة جسر في بيت ربيعة الرَّقِّي أن كلمة " جسر " فيه قد وصلت بين المعنيين " عسى ونعم " مباشرة فأوحت للخيال بمعنى سرعة الوصول ،

---

(١) شرح ديوان جميل بثينه : ٥٨ ، ويروى الشطر الثاني من البيت الثاني : " وَبِالأَمَلِ المَرْجُو قَدْ خَابَ آمِلُهْ " .

أما في البيتين السابقين فقد فُصل بين لفظة " جسر " وبين المعنيين اللذ ين تربطهما بعدة ألفاظ، فأفقدها هذا الفصل ذلك الإيحاء الخيالي اللطيف .

ومن الملاحظ في تعليق الشيخ أنّه جعل كلمة " جسر " في الأبيات الثلاثة استعارة ، وهي عند المتأخرين تشبيه ، فقد اختلفت الآراء في موضوع التشبيه المضمر الأداة ، فذهب أكثر علماء البيان المتأخرين إلى أنه تشبيه ، وذهب فريق آخر إلى القول بأنه استعارة ، وبنوا رأيهم على أن الاستعارة ليست لها آلة، والتشبيه له آلة ، فما كانت فيه آلة ظاهرة ، فهو تشبيه ، ومالم تكن فيه ظاهرة فهو استعارة (١) .

وقد حدد الشيخ عبد القاهر الفرق بين هذين الضربين ، فذكر أنه إن كان المشبه مذكورا ، أو مقدّراً ، وكان المشبه به خبراً ، أو في حكم الخبر، كخبر " كان " و " إنّ " ، والمفعول الثاني لباب " علمت " ، فالوجه أن يسمى تشبيها ، ولا يسمى استعارة ، لأن الاسم إذا وقع هذه المواقع كان الكلام موضوعاً لإثبات معناه لما يعتمد عليه ، أو نفيه عنه .

ثم زاد الشيخ في تحديد الفرق ، فذهب إلى أنَّ ما كان التركيب فيه يقبل دخول كل أدوات التشبيه كأن يكون المشبه به معرفة ، كان الأسلوب أقرب إلى التشبيه ، وأبعد عن الاستعارة .

وإن حسن دخول بعضها دون بعض كأن يكون نكرة غير موصوفة ، فإنه لا يحسن دخول كل الأدوات عليها كان أقرب للاستعارة ، وإن لَمْ يحسن دخول شيءٍ منها إلاّ بتغيير صورة الكلام كان إطلاق الاستعارة أقرب لغموض تقدير أداة التشبيه فيه .

وإن أبى المعنى دخول أدوات التشبيه امتنع أن يطلق على الأسلوب لفظ التشبيه . كقول البحتري :

وَبَدْرٌ أَضاءَ الأَرْضَ شَرْقاً وَمَغْرِباً ∴ وَمَوضِعُ رَحْلِي مِنْهُ أَسْوَدُ مُظْلِمُ (٢)

---

(١) الطراز : ١ / ٢٠٥ - ٢٠٧ .

(٢) ديوانه : ١ / ٨٠ .

فَإن رُجِع إلى التشبيه ، وجُعل المعنى ، هو كالبدر لزم وصف البدر المعروف بصفات ليست فيه ، ومن هنا ظهر أنه أراد أن يثبت للممدوح صفة مبنية على التخييل ، فزاد في جنس البدر واحداً له تلك الصفة ، فالكلام موضوع ليس لإثبات الشبه بينهما ، ولكن لاثبات تلك الصفة (١) .

الشاهد الخامس والعشرون : (*) (الطويل)

قول امريء القيس (٢) :

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى (٣) بِصُلْبِهِ (٤) ∴ وَأَرْدَفَ أَعْجَازاً (٥) وَنَاءَ (٦) بِكَلْكَلِ (٧) (٨)

---

(١) الأسرار : - هـ ، ريتر - : ٢ / ٣٠٢ - ٣٠٨ ، الإيضاح : ٢ / ٤٠٩ - ٤١٢ .

(*) الدلائل ، رضا : ٦٢ ، خفاجي : ١ / ٢١ ، شاكر : ٧٩ .

(٢) هو حندج (وقيل مليكة وقيل عدي) بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المُرَار ، وامرؤ القيس لقبه وبه شُهر ، ولقب بالملك الضِّلِّيل ، وذي القروح ، وكنيته أبو زيد ، وأبو وهب ، وأبو الحارث ، وذو القروح ، يماني الأصل ، مولده بنجد أو بمخلاف السكاسك باليمن ، كان أبوه ملك أسد وغطفان ، وأمه أخت المهلهل الشاعر ، فلقنه المهلهل الشعر فقاله وهو غلام ، وكان يعاشر صعاليك العرب ، وظل يشبب ويلهو حتى بلغه نبأ مقتل والده ، فثار على بني أسد طالباً ثأر أبيه ، مات في أنقره بقروح ظهرت في جسمه . / انظر ترجمته : الشعر والشعراء : ١ / ١١١ - ١٤٢ ، الأغاني : ٩ / ٧٧ - ١٠٧ ، جمهرة أنساب العرب : ١٩١ - ١٩٣ - ١٩٦ - ٤٠٣ - ٤٢٧ ، تهذيب ابن عساكر : ٣ / ١٠٧ - ١١٠ ، شرح شواهد المغني : ١ / ٩٢ - ٩٣ ، خزانة البغدادي : ١ / ١٦٠ ، ٣ / ٦٠٩ - ٦١٢ ، الأعلام : ٢ / ١١ - ١٢ .

(٣) مَطَّ الشيء يَمُطُّه مَطّاً : مده ، ويجوز أن يكون التمطي مأخوذاً من المطا ، وهو الظهر ، فيكون التمطي مدّ الظهر / شرح الزوزني : ٥٨ ، اللسان : " مَطَّ " : ٧ / ٤٠٣ .

(٤) رواية الديوان وشرح الجمل للزجاجي ، والعمدة : " لما تمطى بجوزه " .

(٥) عُجْزُ الشيء وعِجْزُه ، وعُجُزُه وعَجُزُه : آخره ، يذكر ويؤنث ، والعَجُزُ : ما بعد الظهر منه / اللسان " عجز " : ٥ / ٣٧٠ .

(٦) ناء في " نيأ " بمعنى بَعُدَ ، ناء الرجل مثل ناعَ ، كنأى مقلوب منه : اذا بَعُدَ وناء من " نوأ " بمعنى ثَقُلَ / اللسان : " نيأ " " نوأ " : ١ / ١٧٤ - ١٧٨ .

(٧) الكلكل : الصدر ، والجمع كلاكل / شرح الزوزني : ٥٩ .

(٨) ديوانه شرح حسن السندوبي : ١٥١ - ١٥٢ ، البديع لابن المعتز : ٧ ، ======

والبيت من قصيدته المشهورة التي مطلعها :

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ ∴ بِسَقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

فَتُوضِحَ فَالمِقْرَاةِ لَمْ يَعْفُ رَسْمُهَا ∴ لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمْأَلِ (١)

وقبل الشاهد :

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ البَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ ∴ عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الهُمُومِ لِيَبْتَلِي

وبعده الشاهد وبعده :

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا انْجَلِي ∴ بِصُبْحٍ وَمَا الإِصْبَاحُ فِيكَ (٢) بِأَمْثَلِ

فَيَالَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ ∴ بِكُلِّ مُغَارِ الفَتْلِ شُدَّتْ بِيَذْبُلِ

كَأَنَّ الثُّرَيَّا عُلِّقَتْ فِي مَصَابِهَا (٣) ∴ بِأَمْرَاسِ كِتَّانٍ إِلَى صُمِّ جَنْدَلِ

استشهد الإمام بهذا البيت على أن مما يزيد الاستعارة حسنا وشرفًا أن يجمع الشاعر بين عدة استعارات قصداً إلى أن يلحق الشكل بالشكل ليتم المعنى والشبه.

قال :

" ومما هو أصلٌ في شرف الاستعارة أن ترى الشاعر قد جمع بين عدة استعارات ، قصداً إلى أن يلحق الشكل بالشكل ، وأن يُتِمَّ المعنى والشَّبَه

=== رسائل ابن المعتز : ٤٠ ، نقد الشعر : ١٧٧ ، الموازنة : ٢٣٤ ، الموشح : ٢٩-٣١ ، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن " بيان إعجاز القرآن " للخطابي : ٦٢ ، المنصف في نقد الشعر : ٥٣ ، الصناعتين : ٣١١ ، إعجاز القرآن للباقلاني : ٧١ ، العمدة : ١ / ٢٧٦ ، سر الفصاحة : ١١٢ ، حماسة ابن الشجري : ٢١٦ ، الإفصاح : ٢٣٤ ، نثار الأزهار : ١٥ ، المثل السائر : ٢ / ١٠٩ ، شرح جمل الزجاجي : ١/٢٢٨ ، الإيضاح : ٢/٤٢٦ شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية - : شاهد رقم ١٤٦ ، شرح شواهد المغني : ٢ / ٥٧٤ .

(١) سيأتي شرح هذه المواضع في موضعها : ص

(٢) رواية شرح المعلقات للزوزني : " منك " .

(٣) ويروى " مصامها " وكلاهما بمعنى موضعها / ديوانه شرح السندوبي : ١٥٢ .

فيما يريد ، مثاله قول امرئ القيس :

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ ∴ وَأَرْدَفَ أَعْجَازاً وَنَاءَ بِكَلْكَلِ

لما جعل لليل صلباً قد تمطى به ، ثنّى ذلك فجعل له أعجازاً قد أردف بها الصّلب ، وثلّث فجعل له كلكلاً قد ناء به ، فاستوفى له جملة أركان الشخص ، وراعى مايراه الناظر من سواده ، إذا نظر قدّامه ، وإذا نظر إلى خلفه ، وإذا رفع البصر ومدّه في عُرض الجو(١) .

هذه الأبيات تكشف عن نفسية امرئ القيس المليئة بالهموم العظيمة ، والآلام الجسيمة ، حتى أصبح يرى كل شيء حوله ثقيلا طويلا بطيئاً ، ومن ثمّ سُقي خياله بهذه النفسية المتثاقلة ، فولّدت لنا صوراً تعكس هذا الثقل ، حيث نكر لفظ " ليل " للتعظيم من شأنه ، لأن الليل هو السبب في زيادة همومه وتضاعفها ، ثم شبهه بالموج في تلاطمه وكثافته ، وهذا التشبيه يكشف عن دخيلته المضطربة التي تتلاطم في جوانبها الهموم تلاطم أمواج البحر ، وأن روحه مظلمة كظلمة هذا الليل .

ولما طال الليل ، وأسرف في الامتداد ، وناءت أوائله ، وازدادت أواخره طولاً ، تصّور الشاعر أن له صلباً وأعجازاً وكلكلاً ، فجمع له بذلك جميع الأوصاف الدالة على طوله وامتداده .

وعندما رأى أن طوله قد ازداد ، وثقله قد تحكم في النفس لم يرَ ملاذاً من ضيقه ، وتبديد بعض كآبته إلّا أن يتجرأ على مخاطبة الليل ، ويتخطى حواجز الرهبة والخوف ، فبدأ مخاطبته بأداة التنبيه " ألا " لتنبيه الليل ولفته إلى أنه سيعلن له عن حقيقة طالما خفيت عليه ، وهي تبرمه الشديد وضيقه العظيم به على عكس مايراه الناس في الليل من الراحة والطمأنينة .

---

(١) الدلائل ، رضا : ٦٢-٦٣ ، خفاجي : ١٢١ ، شاكر : ٧٩ .

ثم جاء بياء النداء لزجره عن هذا الامتداد ، ثم وصفه بأنه طويل لتأكيد هذه الصفة فيه ، وأنها متمكنة منه لازمة له .

ويبلغ به التبرم والضيق كل مبلغ ، فيصرخ آمراً الليل أمر تمن ، بالانجلاء والانكشاف " ألا انجل بصبح " حيث توهم أن في إشراقة الصباح تبديد همه وزوال كربه ، ولكن لشدة حزنه وألمه يضرب عن قوله وطلبه بالانكشاف ، ويعود إلى التحسر والتألم ، لأنه اكتشف أن نهاره كليله في اجتماع الهموم، وتراكم الأحزان، فليس أحدهما بخير من الآخر .

وهذا البيت مشهور في كتب الأدب والبلاغة ، فقد أورده ابن المعتز في " باب الاستعارة " فقال :

" ومن الاستعارة قول امرئ القيس (من الطويل) :

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ البَحْرِ مُرْخٍ سُدُولَهُ .·. عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الهُمُومِ لِيَبْتَلِي

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ .·. وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءَ بِكَلْكَلِ

هذا كله من الاستعارة ، لأن الليل لا صلب له ولا عجز"(١).

وابن المعتز ألف كتابه في البديع ، وجعل منه الاستعارة ، وبهذا حكم أنها من البديع وهو وصف جودة .

ولكنه أورد البيت في رسائله على أنه مما عِيب على امرئ القيس . قال :

" وعيب على امرئ القيس قوله : . . . البيت

فانسلخ البيت الأول بوصف الليل من غير أن يذكر ما قال، وجعله متعلقاً بما بعده، وذلك معيب عندهم"(٢).

كما أورده الآمدي في موازنته، واستحسن هذه الاستعارة، ورأى أنها في غاية الحسن والجودة والصحة ، ووجه حسنها أنه وصف أحوال الليل الطويل . قال :

---

(١) البديع : ٧ .

(٢) رسائل ابن المعتز : ٤٠ .

" وإنما استعارت العرب المعنى لما ليس له إذا كان يقاربه ويدانيه ، أو يشبهه في بعض أحواله ، أو كان سبباً من أسبابه ، فتكون اللفظة المستعارة حينئذ لائقة بالشيء الذي استعيرت له، وملائمة لمعناه، نحو قول امرئ القيس . . . البيت .

وقد عاب امرأ القيس بهذا المعنى مَنْ لم يعرف موضوعات المعاني، ولا المجازات، وهو في غاية الحسن والجودة والصحة ، وهو إنما قصد وصف أجزاء الليل الطويل ، فذكر امتداد وسطه ، وتثاقل صدره للذهاب والانبعاث ، وترادف أعجازه ، وأواخره شيئا فشيئاً ، وهذا عندي منتظم لجميع نعوت الليل الطويل على هيئته ، وذلك أشد ما يكون على من يراعيه ويترقّب تصرّمه ، فلما جعل له وسطاً يمتد وأعجازاً رادفة للوسط وصدراً متثاقلاً في نهوضه حَسُن أن يستعير للوسط اسم الصُّلب، وجعله متمطياً من أجل امتداده ، لأن تمطى وتمدّد بمنزلة واحدة ، وصلح أن يستعير للصدر اسم الكلكل من أجل نهوضه ، وهذه أقرب الاستعارات من الحقيقة ، وأشدّ ملاءمة لمعناها لما استعيرت له (١) "

وقد أورد المرزباني البيت وذكر أمر المفاضلة التي أُجريت بين أبيات امرئ القيس، وبيت النابغة في وصف الليل ، وذكر أن الصولي قد استحسن أبيات امرئ القيس ، فالشعراء قبله قد اتفقوا على أن الهمّ في الحب يخف عنهم في النهار ، ويزيد في الليل ، ولم يشذ عنهم، ويخالفهم إلا أحذقهم بالشعر ، والمبتدئ بالإحسان فيه ، امرؤ القيس ، فإنه بحذقه وحسن طبعه قد جعل الليل والنهار سواء عليه في قلقه وهمه وجزعه وغمه فقال :

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّويلُ أَلَا انْجَلِ ∴ بِصُبحٍ وَمَا الإِصْبَاحُ فِيكَ بِأَمْثَلِ

---

(١) الموازنة - تحقيق محمد محيي الدين : ٢٣٤ .

وعلى الرغم من استحسانه لهذين البيتين ذكر أنهما يعابان من وجه آخر،حيث جعل امرؤ القيس البيت الأول متعلقا بالبيت الثاني ، وهذا عيب عند الحذاق بنقد الشعر ؛لأن خير الشعر مالم يحتج بيت منه إلى بيت آخر قال :

" وأبيات امرئ القيس في وصف الليل أبيات اشتمل الإحسان عليها ، ولاح الحذق فيها ، وبان الطبع بها ،فما فيها معاب إلا من جهة واحدة عند امراء الكلام والحذاق بنقد الشعر وتمييزه ، ولولا خوفي من ظن بعضهم أني أغفلت ذلك ماذكرته ، والعيب قوله بعد البيت الذي ذكرته (١) :

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ .·. وَأَرْدَفَ أَعْجَازاً وَنَاءَ بِكَلْكَلِ

فلم يشرح قوله " فقلت له " ماأراد إلا في البيت الثاني،فصار مضافاً إليه متعلقاً به ، وهذا عيب عندهم ؛لأن خير الشعر مالم يحتج بيت منه إلى بيت آخر، وخير الأبيات مااستغنى بعض أجزائه ببعض إلى وصوله إلى القافية (٢) ".

ورأى ابن الأثير أن هذا ليس بعيب ، وهذا ماسنذكره عند عرض رأيه .

وأورد الخطابي هذا البيت في رسالته " بيان إعجاز القرآن " عند حديثه عن المعارضة ، وذكر كذلك قصة المفاضلة بين أبيات امرئ القيس التي أورد فيها هذا البيت وبين بيت النابغة :

كِلِينِي لِهَمٍّ يَاأُمَيْمَةَ نَاصِبِ .·. وَلَيلٍ أُقَاسِيهِ بَطِيءِ الكَوَاكِبِ

وكانت نتيجة المفاضلة أن الحكم بالحسن كان لبيت امرئ القيس لما فيه من ثقافة الصنعة وحسن التشبيه ، وإبداع المعاني . قال :

" وقد رُوي لنا أن الوليد بن عبد الملك،وأخاه مسلمة تنازعا ذكر الليل وطوله،ففضل الوليد أبيات النابغة في وصف الليل،وفضل مسلمة أبيات امرئ القيس ،فحكما الشعبي بينهما ،فقال الشعبي : تنشد الأبيات وأسمع، فأنشد للنابغة :

---

(١) يقصد قوله :" وليل كموج البحر أرخى سدوله . . . ".

(٢) الموشح : ٣١ .

كِلِيني لِهَمٍّ ياأُمَيمَةَ نَاصِبِ .·. وَلَيْلٍ أُقَاسِيهِ بَطِيءِ الكَوَاكِبِ
تطَاولَ حتَّى قُلتُ لَيْسَ بِمُنْقَضٍ .·. وَلَيْسَ الَّذِي يَرْعَى النُّجُومَ بِآيبِ
وصَدْرٍ أَرَاحَ اللَّيلُ عَازِبَ هَمِّهِ .·. تَضاعَفَ فِيهِ الحُزْنُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ

ثم أنشد لامرىء القيس :

وَلَيْلٍ كَمَوجِ البَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ .·. عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الهُمُومِ لِيَبْتَلِي
فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ .·. وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءَ بِكَلْكَلِ
أَلا أَيُّهَا اللَّيلُ الطَّويلُ أَلا انْجَلِ .·. بِصُبْحٍ وَمَا الإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ
فَيَالَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ .·. بِكُلِّ مُغَارِ الفَتْلِ شُدَّتْ بِيَذْبُلِ

قال فركض الوليد برجله ، فقال الشعبي : بانت القضية

قلت : افتتاح النابغة قصيدته بقوله :

كِلِيني لِهَمٍّ ياأُمَيمَةَ نَاصِبِ

متناه في الحسن ، بليغ في وصف ماشكاه من همه وطول ليله ، ويقال إنه لم يبتدئ شاعر قصيدة بأحسن من هذا الكلام . وقوله :

وَصَدْرٍ أَرَاحَ اللَّيلُ عَازِبَ هَمِّهِ

مستعارٌ من إراحة الراعي الإبل إلى مباتها ، وهو كلام مطبوع سهل يجمع البلاغة والعذوبة ، إلَّا أن في أبيات امرئ القيس من ثقافة الصنعة وحسن التشبيه ، وإبداع المعاني ماليس في أبيات النابغة ، إذ جعل الليل صلبًا وأعجازًا وكلكلاً ، وشبه تراكم ظلمة الليل بموج البحر في تلاطمه عند ركوب بعضه بعضًا حالاً على حال ، وجعل النجوم كأنها مشدودة بحبال وثيقة فهي راكدة لا تزول ولا تبرح ، ثم لم يقتصر على ما وصف من هذه الأمور حتى علّلها بالبلوى ، ونبه فيها على المعنى ، وجعل يتمنى تصرم الليل بعود الصبح لما يرجو فيه من الروح ، ثم ارتجع ما أعطى واستدرك ما كان قدمه وأمضاه ، فزعم أن البلوى أعظم من أن يكون لها في شيء من الأوقات كشف وانجلاء ، والمحنة فيها أغلظ من أن يوجد لدائها في حال من الأحوال دواء وشفاء ، وهذه الأمور لا يتفق مجموعها

في اليسير من الكلام إلاّ لمثله من المبرزين في الشعر الحائزين فيه قصب السبق ، ولأجل ذلك كان يركض الوليد برجله إذ لم يتمالك أن يعترف له بفضله (١).

وذكر أبو هلال العسكري قول آمرىء القيس :

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ البَحْرِ مُرْخٍ سُدُولَه ∴ عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الهُمُومِ لِيَبْتَلِي

في باب التشبيه في فصل " حد التشبيه ومايستحسن من منثور الكلام ومنظومه ، وذكر أنه من التشبيه الذي يتضمن معنى اللون وحده (٢)، وعلق عليه تعليقا بسيطا قال فيه :

" وفي هذا معنى - الهول - أيضا (٣)

أما بيت الشاهد فقد ذكره في " الاستعارة والمجاز " ولم يعلق عليه ، واكتفى بقوله :

" فأما الاستعارة من أشعار المتقدمين، فمثل قول آمرىء القيس :

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ البَحْرِ مُرْخٍ سَدُولَهُ ∴ عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الهُمُومِ لِيَبْتَلِي

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ ∴ وَأَرْدَفَ أَعْجَازاً وَنَاءَ بِكَلْكَلِ (٤)

ولقد استملح الباقلاني هذه الاستعارة ، وذكرها في فصل " ذكر البديع من الكلام " وفي هذا الموضع لم يبين وجه الملاحة فيها قال :

" ... ومن ذلك قول امرىء القيس :

" وَلَيْلٍ كَموجِ البَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ "

وذلك من الاستعارة المليحة (٥)

---

(١) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، رسالة الخطابي : ٦٢-٦٣ .

(٢) الصناعتين : ٢٦٩ .

(٣) المصدر السابق : ٢٧٠ .

(٤) المصدر السابق : ٣١١ .

(٥) إعجاز القرآن : ٧١ .

وقال أيضـا :

" ومن البديع في " الاستعارة قول آمريء القيس :

وَلَيْلٍ كَمَوجِ البَحْـــرِ ...

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّـــى ...

هذه كلها استعارات أتى بها في ذكر طول الليل[1]

وفي موضع آخر من كتابه ذكر أمر المفاضلة التي أُجريت بين أبيات آمريء القيس وأبيات النابغة ـ وقد سبق ذكرها ـ ويبدو أنه استحسن الحكم الذي انتهت بـه المفاضلة ، قال :

" ... وقد جرى ذلك بين يدي بعض الخلفاء ، فقُدِّمت أبيات آمريء القيس ، واستحسنت استعاراتها ، وقد جعل لليل صدراً يثقل تنحيه ، ويبطـــيء تقضِّيه ، وجعل له أردافاً كثيرة ، وجعل لصلباً يمتد ويتطاول ، ورأوا هـــذا بخلاف ما يستعيره أبو تمام من الاستعارات الوحشية البعيدة المســـتنكرة ، ورأوا الألفاظ جميلة ، واعلم أن هذا صالح جميل ، وليس من الباب الذي يقال : إنه متناه عجيب وفيه إلمام بالتكلف ودخول في التعمل[2] ".

ويلاحظ من عبارة الباقلاني الأخيرة أنه على الرغم من استحسانه لأبيات آمريء القيس لا يراها متناهية في الحسن ، فهو يحاول التهوين والتقليل من شـــأن معلقة امريء القيس ، وما استحسن من أبياتها قصداً إلى بيان أنها وإن كانت مـــن مختار الشعر إلا أنه يعتورها من الفتور والخلل ما يعتور الكلام كله ، والمستجـــاد منها ليس مما يقطع الأطماع وإنما هو شـيء قريب يتزاحمون عليه ، ويدرك اللاحـــق فيه شأو السابق ، والقرآن الكريم لا تجد فيه شـيئاً من الفتور ، ولا تجد فيه شــــيئاً مطمعاً ، وبذلك تكون قد بانت القضية .

---

(١) إعجاز القرآن : ٧٤ .

(٢) المصدر السابق : ١٨١ .

وهذا تفكير مستقيم واستدلال جيد ، وكان تحقيقه ممكناً دون حاجة إلى الميل على الشعر ، ولكن الباقلاني جنف ومال ، وألح على تكدير صفو الشعر ، وتكلف ، وتعمل ، وتحايل ، وكان ذوقه يغلبه أحيانا فيوقفه قسراً عند المستجاد البارع .(١)

وذكر ابن رشيق بيت الشاهد في كتابه " العمدة " في " باب التمثيل " ، ورأى أنه من أناشيد هذا الباب ، ولم يذكر وجه استحسانه لهذه الاستعارة ، وإنما أشار إلى أن ابن وكيع زعم أنها أول استعارة وقعت(٢) .

أما ابن سنان الخفاجي ، فقد عارض القائلين باستحسان هذه الاستعارة ، ورأى غير رأيهم ، فهي عنده ليست من جيد الاستعارة ولا رديئها ، بل هي في الوسط بينهما ، لأن الاستعارة هنا مبنية على غيرها ، فإنه لمَّا جعل لليل وسطاً وعجزاً استعار له اسم الصُّلب ، وجعله متمطياً من أجل امتداده ، وذكر الكلكل من أجل نهوضه ، وقد قدَّم عليها في الحسن قول طفيل الغنوي :

وَجَعَلْتُ(٣) كُوري(٤) فَوقَ(٥) نَاجِيَـةٍ ∴ يَقْتَاتُ شَحْمَ سَنَامِهَا الرَّحْلُ(٦)

وبيت ذي الرمة :

أَقَامَتْ بِهِ(٧) حَتَّى ذَوَى العُودُ والثَّرَى(٨) ∴ وَلَفَّ(٩) الثُّرَيَّا فِي مُلاءَتِهِ الفَجْرُ(١٠)

قال ابن سنان في فصل " الكلام في الألفاظ المؤلفة " بعد أن ذكر كلام الآمدي - وقد سبق ذكره ص : -:

---

(١) الإعجاز البلاغي - محمد أبو موسى - : ٢٨٤ .

(٢) ١ / ٢٧٦ . (٣) رواية الديوان : " وَحَمَلْتُ "

(٤) " الكُور " : بالضم الرَّحل بأداته . / مختار الصحاح : ٥٨٢ .

(٥) رواية الديوان : " خَلْفَ "

(٦) ديوانه : ١٠٨ رقم " ٣٢ "

(٧) رواية الديوان : " بها " .

(٨) رواية الديوان : " والنَّوى " .

(٩) رواية الديوان : " وسَاق " .

(١٠) الديوان : ١ / ٥٦١ .

"... وهذا الذي قاله أبو القاسم لا أرضى به غاية الرضى ، ولو كنت أسكن إلى تقليد أحد من العلماء بهذه الصناعة، أو أجنح إلى اتباع مذهبه من غير نظر وتأمل لم أعدل عما يقوله أبو القاسم ، لصحة فكره ، وسلامة نظره، وصفاء ذهنه، وسعة علمه ، لكنني أغلب الحق عليه ، ولا أتبع الهوى فيما يذهب إليه ، وبيت آمريء القيس عندي ليس من جيد الاستعارة ولا رديئها ، بل هو من الوسط بينهما ، وبيتا الغنوي وذي الرُّمَّة أحمد في الاستعارة ، وأشبه بالمذهب الصحيح منها ، وإنما قلت ذلك لأن أبا القاسم قد أفصح بأن آمرأ القيس لما جعل لليل وسطاً وعجزاً استعار له آسم الصلب ، وجعله متمطياً من أجل امتداده ، وذكر الكلكل من أجل نهوضه ، فكل هذا إنما يحسن بعضه لأجل بعض ، فَذِكْر الصلب إنما حَسُن لأجل العجز ، والوسط والتمطي لأجل الصلب ، والكلكل لمجموع ذلك ، وهذه الاستعارة المبنية على غيرها ، فلذلك لم أر أن أجعلها من أبلغ الاستعارات ، وأجدرها بالحمد والوصف ، وكانت استعارة طفيل وذي الرُّمَّة عندي أوفق وأصح ، لأنها غنية بنفسها ، غير مفتقرة إلى مقدمة جلبتها"(١) .

ورأى آبن الأثير أن البيت ليس من قبيل الاستعارة كما رأى السابقون ، بل هو من قبيل التشبيه المضمر " المقدر " الأداة ، لأن المستعار له مذكور . قال :

" وهذا البيت من التشبيه المضمر الأداة ، لأن المستعار له مذكور ، وهو الليل ، وعلى الخطإ في خلطه بالاستعارة ، فإن آبن سنان أخطأ في الرَّدِّ على الآمدي ، ولم يوفق للصواب"(٢) .

وخطَّأ آبن الأثير آبن سنان في موافقته السابقين وتأسّيه بهم في الخلط بين الاستعارة والتشبيه المقدر الأداة قال :

---

(١) سر الفصاحة : ١١٢ ، ١١٣ .

(٢) المثل السائر : " مكتبة نهضة مصر " : ٢ / ١١٠ .

" ورأيت أبا محمد عبدالله بن سنان الخفاجي - رحمه الله تعالى - قد خلط الاستعارة بالتشبيه المضمر الأداة ، ولم يفرّق بينهما وتأسّى في ذلك بغيره من علماء البيان ، كأبي هلال العسكري والغانمي ، وأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي .

على أن أبا القاسم بن بشر الآمدي كان أثبت القوم قدماً في فن الفصاحة والبلاغة ، وكتابه المسمى بـ" الموازنة بين شعر الطائيين " يشهد له بذلك ، وما أعلم كيف خفيَ عليه الفرق بين الاستعارة والتشبيه المضمر الأداة ".(١)

وكذلك لم يؤيد ابن الأثير ابن سنان في قوله بأن الاستعارة هنا ليست بالجيدة ولا الرديئة بل هي في الوسط بينهما . قال :

" وأنا أتكلم على ماذكره ، ولا أضايقه في الاستعارة والتشبيه ، بل أنزل معه على ماراه من أنه استعارة ، ثم أبيّن فساد ماذهب إليه ".(٢)

ثم رد عليه من وجهين :-

الأول : أن في رأيه تناقضا ، لأنه قسم الاستعارة قسمين : قريباً مختاراً ، وبعيداً مطرحاً ، فالقريب المختار ماكان بينه وبين مااستعير له تناسب قوي ، وشبه واضح .

والبعيد المطرح إما أن يكون بعيداً عما استعير له ، أو لأن الاستعارة مبنية على استعارة أخرى ، فاذا كانت الاستعارة المبنية على استعارة أخرى من البعيد المطرح فكيف جعلها هنا وسطا ؟

والوجه الثاني : أن كلا من الآمدي وابن سنان اتفقا على أن حد الاستعارة هو نقل المعنى من لفظ إلى لفظ بسبب مشاركة بينهما ، فالاستعارة المرضية على هذا الحد هي ماكان فيها مناسبة بين المنقول عنه ،

---

(١) المثل السائر - مكتبة نهضة مصر - : ٢ / ١٠٩ - ١١٠ .

(٢) المصدر السابق : ٢ / ١١١ .

والمنقول إليه ، والاستعارة الرديئة هي مالم نجد فيها تلك المناسبة ، وعلى ذلك يكون بيت امرئ القيس من الاستعارات المرضية (١) ؛ لأنه لو لم يكن لليل صدر أولا ، ولم يكن له وسط ، وآخر لما حسنت هذه الاستعارة ، ولما كان الأمر كذلك استعار لوسطه صُلباً ، وجعله متمطياً ، واستعار لصدره المتثاقل - أي أوله - كلكلاً ، وجعله ثانياً ، واستعار لآخره عجزاً ، وجعله رادفاً لوسطه ، وكل ذلك من الاستعارات المناسبة .

ورأى ابن الأثير أن الاستعارة المبنية على استَعارة أخرى ليست بالأمر القبيح لورودها في القرآن الكريم في قوله تعالى :

" وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ، فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الجُوعِ والخَوفِ (٢) "

ففي هذه الآية ثلاث استعارات ينبني بعضها على بعض :

الأولى : استعارة القرية للأهل .

الثانية : استعارة الذوق للباس .

الثالثة : استعارة اللباس للجوع والخوف. (٣)

---

(١) يبدو أنه عدها استعارة تمشياً مع مذهب ابن سنان ، لأنه في صدد الرد عليه .

(٢) النحل : آية ١١٢ .

(٣) يبدو أن الأمر الأول مجاز بالحذف ، والثاني : هو عند الزمخشري تجريد للاستعارة ، لأن الإذاقة جرت عند العرب مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد ، وما يمس الناس منها ، فيقولون : ذاق فلان البؤس والضر ، وأذاقه العذاب ، شُبه مايُدْرك من أثر الضر والألم بما يدرك من طعم المر ، والأمر الثالث : هو عند الزمخشري استعارة عقلية ؛ لأنه شبه باللباس - لاشتماله على اللابس - ماغَشى الإنسان والتبس به من بعض الحوادث ، وهي عند السكاكي ، استعارة حسية ؛ لأنه جعل اللباس استعارة لما يلبسه الإنسان عند جوعه وخوفه من امتقاع اللون ، ورثاثة الهيئة . / الكشاف : ٢ / ٤٣١ ؛ المفتاح : ١٦٠ ، الإيضاح : ٢ / ٤٠٨-٤٣٢ .

ورأى ابن الأثير أن هذه الاستعارات متناسبة تناسباً لا خفاء فيه ، فكيف يذم ابن سنان الاستعارة المبنية على استعارة أخرى ؟

وعلل ابن الأثير ذمه هذا بأنه لم ينظر إلى الأصل المقيس عليه ، وهو التناسب بين المنقول عنه ، والمنقول إليه بل نظر فقط إلى التقسيم الذي قسمه في القرب أو البعد (١) .

وأورد ابن الأثير البيت - أيضا - في فصل " التضمين " ، وذكر أن قوماً ذكروا أن التضمين المعيب هو تضمين الإسناد ، وذلك يقع في بيتين من الشعر ، أو فصلين من الكلام المنثور ، على أن يكون الأول مسنداً إلى الثاني ، فلا يقوم الأول بنفسه ، ولا يتم معناه إلا بالثاني ، وهذا ماعده القوم من عيوب الشعر ، فرد على ذلك بقوله :

" وهو عندي غير معيب ، لأنه إن كان سببه أن يَتَعلّق البيت الأول على الثاني ، فليس ذلك بسبب يوجب عيباً ، إذ لا فرق بين البيتين من الشعر في تعلق أحدهما بالآخر ، والفقرتين من الكلام المنثور في تعلق إحداهما بالأخرى ، لأن الشعر هو كل لفظ موزون مقفى دل على معنى ، والكلام المسجوع هو كل لفظ مقفى دل على معنى ، فالفرق بينهما يقع في الوزن لا غير " (٢) .

يبدو لي أن اعتراض ابن الأثير على ابن سنان في خلطه بين التشبيه والاستعارة لا وجه له ؛ لأنه لا تشبيه في البيت ، فوجود المشبه في " له " ليس على صورة من صور التشبيه الاصطلاحي .

ففي البيت ثلاث استعارات مكنية :

١- استعارة الجمل لليل .

٢- استعارة الكلكل لأوائل الليل .

٣- استعارة الأعجاز لأواخره .

---

(١) المثل السائر - مكتبة نهضة مصر - : ٢ / ١١٢-١١٥ .

(٢) المصدر السابق : ٣ / ٢٠٢ .

واستشهد القزويني[(١)] ، وابن السبكي[(٢)] ببيت الشاهد على نفس الموضع الذي استشهد به الشـيخ .

واستشهد به ابن عصفور في شـرح جمل الزجاجي على أن " الواو " العاطفة في البيت جاءت للجمع بين شـيئين من غير ترتيب ، ولا مهلة ، ولو كانت للترتيب لقدم الكلكل ، وهو الصدر ، ثم الجوز وهو الوسط ، ثم الأعجاز وهي المؤخرة .[(٣)]

---

(١) الإيضاح : ٢ / ٤٢٦ .

(٢) شروح التلخيص : ٤ / ٩١ .

(٣) شرح جمل الزجاجي : ١ / ٢٢٨ .

يرى الإمام عبد القاهر أن للنظم شأناً عظيماً ، فلا فضل ولا قدر للكلام إلا بمعرفة طريقة نظمه ، وأسباب هذا النظم وعلته . قال :

" واعلم أن ههنا أسراراً ودقائق ، لا يمكن بيانُها إلا بعد أن تُقَدِّم جملة من القول في " النظم " وفي تفسيره والمراد منه ، وأي شيء هو؟ وما محصوله ، ومحصول الفضيلة فيه ؟ فينبغي لنا أن نأخذ في ذكره وبيان أمره وبيان المزيَّة التي تُدَّعى له من أين تأتيه ؟ وكيف تعْرِض فيه ؟ وما أسبابُ ذلك وعلله ؟ وما الموجب له ؟ "(١)

ثم ذكر الشيخ بأن هناك علماء ممن سبقوه أو عاصروه ، قد أجمعوا على شرف النظم وعلو شأنه . قال :

" وقد علمت إطباق العلماء على تعظيم شأن " النظم " وتفخيم قدره ، والتنويه بذكره ، وإجماعهم أن لا فضل مع عدمه ، ولا قدر للكلام إذا هو لم يستقم له ، ولو بَلَغ في غرابة معناه ما بلغ ، وبَتِّهم الحكم بأنه الذي لا تمام دونه ، ولا قوام إلاَّ به ، وأنه القطب الذي عليه المدار ، والعمودَ الذي به الاستقلال "(٢)

فعبارته هذه تصرِّح بأن واضع نظرية النظم ليس هو وحده ، لأن أمر النظم وأهميته مسألة معروفة في عصره وقبل عصره ، وإنما اعتبر واضعاً لها ، لأنه فصَّل أبوابها ومسائلها ، وبيَّن أسرارها ومداخلها .

وبعد هذا التصريح بأن النظم أمر مطروق ، شرع الشيخ في تعريف معنى النظم وتحديده فقال :

---

(١) الدلائل ، رضا : ٦٣ ، خفاجي : ١٢١ - ١٢٢ ، شاكر : ٨٠ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٦٣ ، خفاجي : ١٢٢ ، شاكر : ٨٠ .

" واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله ، وتعرف مناهجه التي نهجت ، فلا تزيغ عنها ، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك ، فلا تخل بشيء منها وذلك أننا لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه "(١)

ولكي يبرز الشيخ قيمة علم النحو وأثره في النظم شرع في ذكر أبيات قد ساء نظمها وفسد تأليفها .

الشاهد السادس والعشرون : (*) (الطويل)

قول الفرزدق(٢) :

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مُمَلَّكاً(٣) .·. أَبُو أُمِّهِ حَيٌّ أَبُوهُ يُقَارِبُهْ(٤)

---

(١) الدلائل ، رضا : ٦٤ ، خفاجي : ١٢٢ ، شاكر : ٨٠ .

(*) الدلائل ، رضا : ٦٥ ، خفاجي : ١٢٤ ، شاكر : ٨٣ .

(٢) هو همّام بن غالب بن صعصعة بن ناجية التميمي الدارمي (٠٠٠-١١٠هـ)، أبو فراس ، الشهير بالفرزدق ، من نبلاء البصرة ، له أثر عظيم في اللغة حتى أنه كان يقال : لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب ، ولولا شعره لذهب نصف أخبار الناس ، ويُشبَّه بزهير بن أبي سلمى ، فكلاهما من شعراء الطبقة الأولى ، فزهير من الجاهليين ، والفرزدق من الإسلاميين ، وهو من أصحاب النقائض . / انظر ترجمته :
الشعر والشعراء : ٤٧٨-٤٨٩ ، طبقات فحول الشعراء : ١/ ٢٩٨-٢٩٩ ، الأغاني - التراث- : ٩/ ٣٢٤-٣٤٥ ، ٢١/ ٢٧٦-٤٠٣ ، معجم الشعراء : ٤٨٦-٤٨٧ ، الموشح : ٩٢-١٠٧ ، وفيات الأعيان : ٦/ ٨٦-١٠٠ ، الأعلام : ٨/ ٩٣ .

(٣) رواية طبقات فحول الشعراء والأغاني : " وَأَصْبَحَ مَا فِي النَّاسِ إِلَّا مُمَلَّكاً " .
ورواية تحرير التحبير بالرفع " إلا مُمَلَّكٌ " .

(٤) لم أجده في ديوانه - طبعة دار صادر -
وذكر الأستاذ عبد السلام هارون في " معجم شواهد العربية " أن البيت موجود في ديوانه - تحقيق الصاوي - ص : ١٨٠ ، وأشار إلى أن جامع الديوان قد نص على أنه لم يرد في أصول ديوانه .

=======

هذا البيت من الشواهد المشهورة في كتب البلاغة ، ويورده النقاد شاهداً على التعقيد اللفظي ، وسوء التأليف ، وفساد النظم .

إلا أن ابن سلام ذكر أن الفرزدق كان يداخل في الكلام ، وكان هذا يعجب أصحاب النحو . قال :

" وكان يداخل الكلام ، وكان ذلك يعجب أصحاب النحو من ذلك قوله يمدح " إبراهيم بن هشام بن اسماعيل المخزومي خال هشام بن عبد الملك :

وَأَصْبَحَ مَافِي النَّاسِ إِلَّا مُمَلَّكاً ∴ أَبُو أُمِّهِ حَيٌّ أَبُوهُ يُقَارِبُهُ (١)

ولم أجد هذا الرأي عند أحد - فيما رجعت إليه من مصادر - إلا عند ابن سلّام ، ولا أدري ماذا يقصد بقوله يُعجب أصحاب النحو ، ومن أي وجه جاء الإعجاب ؟ .

وكذلك ذكر المرزباني أن بعض المجانين كان يتعصب للفرزدق فَسُئل عن أحسن ما قال الفرزدق ، فأنشد البيت وفضله على بيت جرير في الغزل :

=== وجاء في الخصائص أنه من أبيات الكتاب ، وبحثت في الكتاب ، ولم أجده إلّا في إضافات المحقق في الهامش : ١ / ٣٢ .

انظر البيت في :

طبقات فحول الشعراء : ١ / ٣٦٥ ، المعاني الكبير : ١ / ٥٠٦ ، الكامل للمبرد : ١ / ٢٤ ، الخصائص : ١ / ١٤٦-٣٢٩ - ٢ / ٣٩٣ ، عيار الشعر : ٢٧ - ٤٤ ، العقد الفريد : ٦ / ٢٠٦ ، شرح جمل الزجاجي : ٢ / ٦٠٧ ، الأغاني : ٢١ / ٣٠٧ ، الوساطة : ٤١٢ - ٤١٦ ، الموشح : ٨٨ - ٩٣ ، الصناعتين : ١٨٠ ، العمدة : ٢ / ٩٦ ، سر الفصاحة : ١٠١ ، الإفصاح : ٨٤ ، المفتاح : ١٧٦ ، المثل السائر : ١ / ٣٩٧ ، ٢ / ٢٢٩ ، تحرير التحبير : ٣ / ٤١٩ ، الإيضاح : شرح أبيات الإيضاح : - فيض الله - : ورقة ٤ أ ، معاهد التنصيص : ١ / ٤٣ ، شاهد رقم (٧) ، شروح التلخيص : ١ / ١٠٤-١٠٥ .

(١) طبقات فحول الشعراء : ١ / ٣٦٤-٣٦٥ .

لَوْ أَنَّ عُصْمَ(١) عَمَايَتَيْنِ(٢) وَيَذْبُلٍ(٣) .·. سَمِعَا(٤) حَدِيثَكِ أَنْزَلَ(٥) الأَوْعَالا(٦)

وذكر ابن جني أن قوماً أجازوا هذا الفصل لضرورة الشعر، فرد على ذلك بأن علينا اتباع ما أُثر عن العرب في الضرورات، فما أجازته الضرورة لهم جاز لنا، وما حظرته عليهم حظر علينا، قال في باب:

" هل يجوز لنا في الشعر من الضرورات ما جاز للعرب أولا ":

" سألت أبا علي رحمه الله عن هذا، فقال: كما جاز أن نقيس منثورنا على منثورهم، فكذلك يجوز لنا أن نقيس شعرنا على شعرهم، فما أجازته الضرورة لهم أجازته لنا، وما حظرته عليهم حظرته علينا، وإذا كان كذلك، فما كان من أحسن ضروراتهم، فليكن من أحسن ضروراتنا، وما كان من أقبحها عندهم، فليكن من أقبحها عندنا، وما بين ذلك بين ذلك ...

فأما ما يأتي عن العرب لحناً فلا نعذر في مثله مولداً، فمن ذلك بيت الكتاب:

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مُمَلَّكاً .·. أَبُو أُمِّهِ حَيٌّ أَبُوهُ يُقَارِبُهْ

ومراده فيه معروف، وهو فيه غير معذور(٧).

وذكر المبرد أن هذا البيت من أقبح الضرورات، وأهجن الألفاظ، وأبعد المعاني، وتعجّب كيف يجتمع هذا البيت في صدر رجل هو القائل:

تَصَرَّمَ مِنِّي(٨) وُدُّ بَكْرِ بنِ وَائِلٍ .·. وَمَا كَادَ مِنِّي(٩) وُدُّهُم يَتَصَرَّمِ

---

(١) العُصْم: الوعول لبياض في أيديها./ اللسان "عصم": ١٢/٤٠٥-٤٠٦.

(٢) عماية: جبل بالبحرين ضخم وأراد بعمايتين جبل عماية وصاحة/ معجم ما استعجم: ٢/٣/٩٦٦.

(٣) يذبل: جبل طرف منه لبني عمرو بن كلاب وبقيته لباهله ويقال له يذبُل الجوع كأنه أبداً مجدب/ معجم ما استعجم: ٢/٤/١٣٩٢.

(٤) رواية الديوان: "سمعت". (٥) رواية الديوان: "أنزل".

(٦) ديوانه: ٤٥٠. (٧) الخصائص: ١/٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٩، ٣٣٠.

(٨) رواية الديوان: "عني".

(٩) رواية الديوان: "عني".

قَوَارِضُ تَأْتِينِي وَيَحْتَقِرُونَهَا ∴ وَقَدْ يَمْلأُ الْقَطْرُ الإِنَاءَ (١) فيفعم (٢)

وهو القائل أيضا :

وَالشَّيْبُ يَنْهَضُ فِي السَّوَادِ كَأَنَّهُ ∴ لَيْلٌ يَصِيحُ بِجَانِبَيْهِ نَهَارُ (٣) (٤)

وذكر ابن طباطبا بيت الشاهد في " الأبيات المتفاوتة النسج " ونص على أنها أبيات مستكرهة الألفاظ، متفاوتة النسج، قبيحة العبارة. قال :

" فأما هذه الأبيات المستكرهة الألفاظ المتفاوتة النسج القبيحة العبارة، التي يجب الاحتراز من مثلها ... وكقول الفرزدق :

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ ... البيت

فهذا هو الكلام الغث المستكره الغلق ... فلا تجعلن هذا حجة ولتجتنب ما أشبهه " (٥)

وذكره ابن عبد ربه في " باب مقاطع الشعر ومخارجه " وأشار إلى أنه أساء النظم، ولم يحسن التأليف، وعلق على البيت بقوله :

" فبعّد المعنى القريب، ووعّر الطريق السهل، ولبّس المعنى بتوعّر اللفظ، وقبح البنية حتى ما يكاد يُفهم " (٦)

وأورده القاضي الجرجاني تحت عنوان " دفاع المؤلف عن أبي الطيب ".

وذكر أن من يحتمل قول الفرزدق - بيت الشاهد - ولم يعبه على هذا المنهج فهو متعصب مائل ومتحامل جائر. (٧)

---

(١) رواية الديوان : " الآتي ".

(٢) ديوانه - تحقيق الصاوي - : ٧٥٦/٢.

(٣) ديوانه - تحقيق الصاوي -: ٤٦٧/٢.

(٤) الكامل للمبرد : ٢٣/١-٢٤، وقد نقل المرزباني كلام المبرد ولم يشر إلى ذلك : الموشح : ٩٣.

(٥) عيار الشعر : ٤٤-٤٧.

(٦) العقد الفريد : - دار الفكر - : ٢٠٥/٦.

(٧) الوساطة : ٤١٦.

وأورده ابن رشيق في " باب الاشتراك " ، ورأى أن البيت معيب من وجهين : الأول : من جهة سوء النظم ، والوجه الثاني : من جهة الاشتراك ، والاشتراك عنده نوعان :

محمود ، وهو التجنيس ، والنوع الثاني : مذموم وهو أن يكون اللفظ محتملاً تأويلين : :

أحدهما : يلائم المعنى الذي قيل فيه .

والآخر : لا يلائمه ولا دليل فيه على المراد .

وجعل مثاله بيت الفرزدق -" الشاهد "- فلفظ " حي " يحتمل القبيلة ، ويحتمل الواحد الحيّ من سائر الحيوان.(١)

وكذلك جمع له ابن رشيق ثلاثة عيوب ذكرها في باب : " الوحشي المتكلف والركيك المستضعف ":

الأول : التغيير عن الأغلب كالتقديم والتأخير ، وأصل العبارة : " وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ حَيٌّ يُقَارِبُه إلا مملكاً أَبُو أمه أَبُوهُ " .

الثاني : سلوك الطريق الأبعد في قوله : " أَبُو أُمِّهِ أبوه " .

وكان يجزيه أن يقول : " خاله " .

الثالث: الاشتراك في قوله : " حَيٌّ يُقَارِبُهُ".(٢)

وذكر ابن ناقيا في الإفصاح أن في البيت أربع ضرورات أفسدت البيت وجعلته متعسفاً :

أولها : أنه قدم المستثنى على المستثنى منه .

ثانيها : أنه فصل بين الصفة والموصوف بما ليس منهما ، ففصل بلفظ " أبوه " - الذي هو خبر لأبي أمه - بين الموصوف " حَيٌّ " والصفة " يُقَارِبُهُ " .

---

(١) العمدة : ٢ / ٢٩٦.

(٢) المصدر السابق : ٢ / ٢٦٧.

وزاد شرّاح التلخيص أنه فصل أيضاً فصلاً كبيراً بين البدل " حي " والمبدل منه " مثله " .(١)

وثالثها : أنه فصل بين المبتدأ والخبر بما ليس منهما ، فالمبتدأ " أَبُو أُمِّهِ " والخبر " أبوه " كما تقول : " أبو أم زيد جده " والفاصل " حي " الذي هو خبر الابتداء ، وهو " مثله " أو هو المبتدأ و " مثله " الخبر .

رابعها : أنه تعسف ، فجاء بمثل هذه الألفاظ المتعسفة ليدل على أن هذا الممدوح هو خال الخليفة ، ثم ذكر أنه لم يورد أحد قبله تفسير البيت على هذا الوجه .(٢)

وذكر السكاكي هذا البيت في باب " الفصاحة " وأشار إلى أن الفصاحة قسمان : ما يرجع إلى المعنى ، وهو خلوص الكلام من التعقيد ، وراجع إلى اللفظ ، وهو أن تكون الكلمة عربية أصلية دائرة على ألسن فصحاء العرب ، وجارية على قوانين اللغة ، سليمة من التنافر ، والمراد بتعقيد الكلام هو أن يعثر الفكر ، ويتوعر المذهب ، فلا يعلم من أي طريق يتوصل إلى المعنى ، وضرب لذلك مثلاً قول الفرزدق ـ الشاهد ـ.(٣)

وذكره ابن الأثير في المعاظلة المعنوية : وهو أن يقدم ما الأولى به التأخير ؛ لأن المعنى يختل بذلك ويضطرب .

فالبيت إذاً شاهد على التعقيد اللفظي ، وهو أن يختل نظم الكلام حتى لا يدري السامع كيف يتوصل منه إلى معناه ، وشاهد أيضاً على التعقيد المعنوي ، وهو أن لا يكون انتقال الذهن من المعنى الأول إلى المعنى الثاني ظاهراً .

فالشاعر هنا أراد أن يبين ويوضح أن ممدوحه وصل درجة من الفضائل لا يدانيه فيها أحد من الأحياء إلا شخص واحد له صلة وعلاقة بهذا الممدوح ، وهو ابن أخته ،

---

(١) شروح التلخيص : ١ / ١٠٥ .

(٢) الإفصاح : ٨٤ .

(٣) المفتاح : ١٧٦ .

ولكن الفرزدق سلك في صياغة هذا البيت مسلكاً وعراً ، وأتى به من طريق ملتوٍ غامض لا يمكن إدراك معناه إلّا بعد جهد ، فهو يكد القريحة ، ويجهد الذهن ، فأصل العبارة " وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ حَيٌّ يُقَارِبُه إلَّا مُمَلَّكاً أَبُو أُمِّهِ أَبُوهُ " أي أبو أم الملك، وهو هشام أبو هذا الممدوح ، فهو خال هشام .

ورأى الدكتور محمد أبو موسى أن الفرزدق شاعر فحل يعرف طبائع اللغة، وعوائد التراكيب ، والذي ألجأه إلى هذا الأسلوب رغبته في التهكم بالممدوح ودلل على رأيه هذا بأن الفرزدق كان موالياً للعلويين ويبطن العداء لبني أمية ، والممدوح من بني أمية.(١)

ومن أمثلة قول الفرزدق في التعقيد قول القائل :

شَرَّ يَوْمَيْهَا وَأَغْوَاهُ لَهَا .·. رَكِبَتْ هِنْدٌ(٢) بِحِدْجٍ(٣) جَمَلا

شر يوميها نُصِب على الحال ، وإنما معناه : ركبت هند جملاً بحدج في شر يوميها.(٤)

الشاهد السابع والعشرون : (*) (الكامل)

قول المتنبي :

وَلِذَا اسمُ أَغْطِيَةِ العُيُونِ جُفُونُهَا(٥) .·. مِنْ أَنَّهَا عَمَلَ السُّيُوفِ عَوَامِلُ(٦)

---

(١) خصائص التراكيب : ٣٦ - ٣٧ .

(٢) رواية اللسان : " عَنْزٌ " .

(٣) الحدج : مركب ليس برحل ولا هودج تركبه النساء/اللسان" حدج " : ٢ / ٢٣٠ .

(٤) العقد الفريد - دار الفكر - : ٦ / ٢٠٥ ، وانظر البيت في اللسان" حدج ": ٢ / ٢٣٠ .

(*) الدلائل ، رضا : ٦٦ ، خفاجي : ١٢٤ ، شاكر : ٨٣ .

(٥) الجَفْنُ : جَفْنُ العين ، والجَفْنُ أيضاً : غِمْدُ السيف / اللسان : " جفن " : ١٣ / ٨٩ ، ويروى جفونها بالنصب على أنها مفعول ثاني .

(٦) انظر البيت في : ديوانه بشرح العكبري : ٣ / ٢٥٢ ، العرف الطيب : ٤ / ٢٣٢ ، الوساطة : ٨٢-٨٩ ، يتيمة الدهر : ١ / ١٣٥-١٥٠ ، أنوار الربيع : ٦ / ١١ .

والبيت من قصيدة يمدح بها القاضي أبا الفضل أحمد بن عبد الله الأنطاكي

ومطلع القصيدة :

لَكِ يَا مَنَازِلُ فِي القُلُوبِ مَنَازِلُ ∴ أَقْفَرْتِ أَنْتِ وَهُنَّ مِنْكِ أَوَاهِلُ

وقبل الشاهد :

الرَّامِيَاتُ لَنَا وَهُنَّ نَوَافِرٌ (١) ∴ وَالخَاتِلَاتُ (٢) لَنَا وَهُنَّ غَوَافِلُ

كَافَأْنَنَا عَنْ شِبْهِهِنَّ مِنَ المَهَا ∴ فَلَهُنَّ فِي غَيْرِ التُّرَابِ حَبَائِلُ

مِنْ طَاعِنِي ثُغَرِ (٣) الرِّجَالِ جَآذِرٌ (٤) ∴ وَمِنَ الرِّمَاحِ دَمَالِجٌ (٥) وَخَلَاخِلُ (٦)

وبعدها الشاهد وبعده :

كَمْ وَقْفَةٍ سَجَرَتْكِ شَوْقاً بَعْدَمَا ∴ غَرِيَ الرَّقِيبُ بِنَا وَلَجَّ العَاذِلُ

الشاهد فيه كسابقه ، وهو فساد النظم ، فقد أراد الشاعر هنا أن يبين تحكم النظرات في نفسه ، وأنها بحدتها استطاعت اختراق حواجز قلبه ، فلما لاحظ فيها هذه الحدة والقوة علل تسمية جفن العين هنا ، بأنه أُخذ له من جفن السيف ، وذلك لأنهم لاحظوا أن العيون تعمل عمل السيوف في التأثير والقتل .

قال العكبري :

" إنما سميت أغطية العيون جفونها ، لأنها ضمنت أحداقا تعمل عمل السيوف " (٧) .

---

(١) نوافر : النفر التفرق ونفرت الناقة نفوراً جزعت وتباعدت / القاموس المحيط : (نفر) : ٢ / ١٥١ .

(٢) الخاتلات : الخادعات ، خَتَلَه يَخْتِلُه خَتْلاً وَخَتَلاناً خدعه / القاموس المحيط : " ختل " : ٣ / ٣٧٧ .

(٣) ثغر : جمع ثُغرة وهي نقرة النحر التي بين الترقوتين / القاموس المحيط ، " ثغر " : ١ / ٣٩٧ .

(٤) الجآذر : جمع جؤذر وهو ولد البقر الوحشية / اللسان " جذر " : ٤ / ١٢٤ .

(٥) الدُّمْلَج والدُّمْلُوج : المعضد وهو حلية تجعله المرأة في عضدها وجمعه دماليج / اللسان : " دملج " : ٢ / ٢٧٦ .

(٦) الديوان بشرح العكبري : ٣ / ٢٥١-٢٥٢ .

(٧) المصدر السابق : ٣ / ٢٥٢ .

ولكن هذا المعنى الذي أراد الشاعر أن يوصله إلى النفوس ويقرره في القلوب جاء عن طريق ملتوٍ يصعب على الذهن اكتشافه بسرعة ، وذلك لأنه قدم معمول خبر"إن"عليه ، فأصل العبارة " من أنها عوامل عمل السيوف " ولكنه قدم فقال : " من أنها عمل السيوف عوامل " وهذا التقديم ألبس المعنى غموضاً وتعقيداً .

وذكر الأستاذ عبد الهادي العدل أنه مما زاد البيت تعقيداً أن المشار إليه بقوله : " لذا " فيه خفاء ، لأنه ليس في البيت السابق تصريح بعمل العيون بل إن التصريح بعمله كان قبل بيت الشاهد بثلاثة أبيات ، وهو قوله :

الرَّامِيَاتُ لَنَا وَهُنَّ نَوَافِرُ ∴ والخَاتِلاتُ لَنَا وَهُنَّ غَوَافِلُ

ولهذا اضطر إلى بيان المشار إليه بقوله :

" من أنها عمل السيوف عوامل " ، ف" من" الخ.. بدل من " لذا " ومبين له ، وهنا أقف وأتساءل ما المانع من أن يكون المشار إليه ما في البيت السابق من أنهن يطعنَّ ثغر الرجال، ومن أن دما لجهن، وخلا خلهن بعض الرماح .

وأضاف الشيخ عبد الهادي العدل أن من التعقيد في البيت استعمال الشاعر كلمة " اسم " بمعنى التسمية ، وإضافتها إلى المفعول الأول ، ونصب المفعول الثاني - وهو جفونها - وهذا الاستعمال غير معروف ، ولذلك كان الأولى رفع " جفونها " خبرا ل" اسم " .

ومن التعقيد أيضا إضافة جفون إلى الضمير مع أنه لا حاجة إلى هذه الإضافة(١) .

وذكر القاضي الجرجاني أن المعنى الذي قصده المتنبي معنىً لطيف حسن الاستخراج لو ساعده اللفظ ، قال :

" وإن كان قد تغلغل إلى معنى لطيف أحسن استخراجه لو ساعده اللفظ(٢) .

---

(١) دراسات تفصيلية شاملة لبلاغة عبد القاهر في التشبيه والتمثيل والتقديم والتأخير: ١٢٨ - ١٢٩ .

(٢) الوساطة : ٨٩ .

وقد ذم ابن معصوم بيت المتنبي هذا، وشبهه بقطعة الخشب وقارن بينه وبين بيت لسبط ابن التعاويذي [١] أخذ معناه من بيت المتنبي - بيت الشاهد - وشبه بيت ابن التعاويذي في حسن سبكه بسبيكة الذهب، قال في " حسن الاتباع " :

" هذا النوع عبارة عن أن يأتي المتكلم إلى معنى لغيره فيحسن اتباعه فيه، بحيث يستحقه بوجه من الوجوه التي توجب استحقاقه له، إما بحسن سبك، أو قصر وزن، أو تمكن قافية، أو زيادة وصف، أو تتميم نقص، أو تحلية بحلية من البديع يحسن بمثلها النظم، وتوجب الاستحقاق ...

وقال أبو الطيب :-

وَلِذَا اسمُ أَغْطِيَةِ العُيُونِ جُفُونُهَا .·. مِنْ أَنَّهَا عَمَلَ السُّيُوفِ عَوَامِلُ

وأحسن سبط ابن التعاويذي اتباعه فقال :

بَيْنَ السُّيُوفِ وَعَيْنَيهِ مُشَارَكَةٌ .·. مِنْ أَجْلِهَا قِيلَ لِلأَغْمَادِ أَجْفَانُ [٢]

فانه أخذ المعنى من قطعة خشب، وأودعه في سبيكة ذهب [٣] ".

---

(١) ابن التعاويذي هو أبو محمد المبارك بن المبارك بن علي بن نصر السراج الجوهري الزاهد المشهور، والتعاويذي نسبة إلى صنع التعاويذ والرُّقى، وهو عمل أبيه، وسبطه هو أبو الفتح محمد بن عبيد الله - أو عبدالله - بن عبدالله، وقد رباه جده ابن التعاويذي، وكفله صغيرا فنسب إليه، وكان أبوالفتح كاتبا وشاعراً مجيداً، قدمه ابن خلكان، على مائتي شاعر قبله . (٥١٩هـ - ٥٨٣هـ أو ٥٨٤هـ) / انظر ترجمته : معجم الأدباء : ١٨ / ٢٣٥ - ٢٥٠، عبر الذهبي : ٣ / ٨٨-٨٩، وفيات الأعيان : ٤ / ٤٦٦-٤٧٣، نكت الهميان : ٢٥٩ - ٢٦٣، النجوم الزاهرة : ٦ / ١٠٥-١٠٦، الشذرات : ٤ / ٢٨١ .

(٢) ديوانه : ٤١٣، وهو من قصيدة من " البسيط " يمدح بها الناصر لدين الله .

(٣) أنوار الربيع : ٦ / ١١ .

ولقد حَسُن بيت سبط ابن التعاويذي، لأنه عكس وادّعى أن اسم " الجفون " خاص بأغطية العيون، وأن أغطية السيوف سميت جفونا لأنها شاركت العيون في قتل الرجال .

الشاهد الثامن والعشرون : (*) (الكامل)

قول المتنبي :

الطِّيبُ أَنْتَ إِذَا أَصَابَكَ طِيبُهُ .:. وَالمَاءُ (١) أَنْتَ إِذَا اغْتَسَلْتَ الغَاسِلُ (٢)

والبيت من قصيدة المتنبي التي منها الشاهد السابق .

وقبل الشاهد :

وَأَمَا وَحَقِّكَ وَهْوَ غَايَةُ مُقْسِمٍ .. لِلْحَقِّ أَنْتَ وَمَا سِوَاكَ البَاطِلُ

وبعده الشاهد وبعده :-

مَا دَارَ فِي الحَنَكِ اللِّسَانُ وَقَلَّبَتْ .:. قَلَماً بِأَحْسَنَ مِنْ نَثَاكَ (٣) أَنَامِلُ

على الرغم من عظمة المتنبي الشعرية، وتفوقه في رسم الصور الخيالية يجنح أحيانا بهذا الخيال، فيلجأ إلى المبالغة بدون اعتدال، فيصل إلى حد التلاعب بالمعنى، فهو في هذا البيت أراد أن يمدح القاضي أبا الفضل أحمد الأنطاكي ،

(*) الدلائل ، رضا : ٦٦ ، خفاجي : ١٢٤ ، شاكر : ٨٣ .

(١) يروى الماء بالنصب تارة وبالرفع تارة أخرى ، فرواية النصب على تقدير : " أنت إذا اغتسلت الغاسل الماء "، وانتصابه هنا ليس على الغاسل ؛ لأن الصلة لا تعمل فيما قبل الموصول ، ولكنه منصوب بفعل دل عليه الغاسل أي وتغسل الماء إذا اغتسلت ، وصار قوله : أنت إذا اغتسلت بدلاً منه ، ودالاً عليه .

ورواية الرفع عطفاً على الطيب . / شرح العكبري : ٣ / ٢٦١ .

(٢) ديوانه بشرح العكبري : ٣ / ٢٦١ ، الوساطة : ٨٩-٩٠ ، يتيمة الدهر : ١ / ١٥٢ ، تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب المتنبي : ٢١٦-٢١٧ .

(٣) النَّثا ، مقصور ، مثل الثَّنا إلا أنه في الخير والشر ، والثَّنا في الخير خاصة ، ونثا الحديث والخبر نَثْواً : حَدَّث به وأشاعه وأظهره ، والنَّثَا : ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيء / اللسان : " نثا " : ١٥ / ٣٠٤ .

فبالغ في مدحه بأن تعسف في ألفاظه ، فجعله هو الطيب بعينه ، ونفى عن الطيب كل خصائصه إذ عكس الصورة المرسومة في الأذهان ، فادّعى بأن الذي يُطَيِّبُ الطيب هو الممدوح ، فهو الذي يمد الطيب بالرائحة .

وكذلك المعروف أن الماء هو الذي يغسل ، ولكن المتنبي نزع هذه الصفة منه ، وجعلها للممدوح فقال :

أنت الذي يغسل، ويطهر الماء، وليس الماء الذي يغسلك .

وبالإضافة إلى هذه المبالغة نرى الشاعر قد فصل بين المبتدأ والخبر مما زاد المعنى تعقيداً ، فالطيب مبتدأ ، و" انت " مبتدأ ثان ، وطيبه خبر "أنت"، وهو على تقدير «الهاء» كأنه قال : الطيب أنت طيبه إذا أصابك ، والماء أنت الغاسله إذا اغتسلت.(١)

وذكر العكبري أن بيت المتنبي هذا من قول ابن الجُوَيرية :

تَزِينُ الحَلْيَ إِنْ لَبِسَتْ سُلَيْمَى .·. وَتَحْسُنُ حِينَ تَلْبَسُهَا الثِّيَابُ

وقول الآخر :

وَإِذَا الدُّرُّ زَانَ حُسْنَ وُجُوهٍ .·. كَانَ لِلدُّرِّ حُسْنُ وَجْهِكَ زَيْنَا

وَتَزِيدِينَ أَطْيَبَ الطِّيبِ طِيباً .·. أَنْ تَمَسِّيهِ أَيْنَ مِثْلُكِ أَيْنَا(٢)

الشاهد التاسع والعشرون : * (الطويل)

قول المتنبي :

وَفَاؤُكُمَا كَالرَّبْعِ أَشْجَاهُ طَاسِمُهُ .·. بِأَنْ تُسْعِدَا وَالدَّمْعُ أَشْفَاهُ سَاجِمُهْ(٣)

---

(١) شرح العكبري : ٣ / ٢٦١ . (٢) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(*) الدلائل ، رضا : ٦٦ ، خفاجي : ١٢٤ ، شاكر ، ٨٣ .

(٣) ديوانه بشرح العكبري : ٣ / ٣٢٥ ، الخصائص : ٢ / ٤٠٣ ، يتيمة الدهر : ١ / ١٤٦ ، شرح مشكل شعر المتنبي لابن سيده : ١٦٧-١٦٨ ، سر الفصاحة : ١٠١ ، الفلك الدائر : ٤ / ١٠١ ، ١٢١-١٢٥ ، مغني اللبيب : ٢ / ٥٤١ ، أنوار الربيع : ١ / ٧١ .

والشاهد مطلع قصيدة قالها في مدح سيف الدولة أبي الحسن على بن عبد الله الحمداني[1]، وهي أول ما أنشده سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة عند نزوله أنطاكية، ومنصرفه ظافراً بحصن بَرزُويَه[2]، وكان جالساً تحت شراع من الديباج عليها صورة ملك الروم، وصور وحش وحيوان.

ومن الأبيات التي تلت بيت الشاهد :

وَمَا أَنَا إِلَّا عَاشِقٌ كُلُّ عَاشِقٍ .·. أَعَقُّ خَلِيلَيْهِ الصَّفِيَّيْنِ لَائِمُهْ

وَقَدْ يَتَزَيَّا بِالْهَوَى غَيْرُ أَهْلِهِ .·. وَيَسْتَصْحِبُ الإِنْسَانُ مَنْ لَا يُلَائِمُهْ

والتعقيد في البيت ناتج عن التقديم والتأخير والفصل فـ" وفاؤكما " مبتدأ ، و" كالربع " جار ومجرور خبر، والمبتدأ والخبر يؤذنان بتمام الكلام ، ولا يجوز أن يتعلق بالمبتدأ بعد الإخبار عنه شيء، فلا يجوز أن تتعلق " الباء " بالوفاء بل تتعلق بفعل يدل عليه الكلام ، وكأنه لما ذكر المصدر، وقال :

" وفاؤكما " قال : ووفيتما بأن تسعدا .

وتقدير الكلام : " وفاؤكما بأن تسعدا كالربع أشجاه طاسمه"[3].

قال ابن سنان :

" فمِنْ وَضْعِ الألفاظ موضعها ألا يكون في الكلام تقديم وتأخير حتى يؤدي ذلك إلى فساد معناه وإعرابه في بعض المواضع ، أو سلوك الضرورات

---

(١) هو علي بن عبد الله بن حمدان التغلبي ، أبو الحسن ، سيف الدولة (٣٠٣هـ - ٣٥٦هـ) ، صاحب المتنبي وممدوحه ، نشأ شجاعاً مهذباً عالي الهمة ، ملك واسطاً وما جاورها ، ومال إلى الشام فامتلك دمشق ، وعاد إلى حلب فملكها سنة ٣٣٣هـ ، وله أخبار ووقائع مع الروم كثيرة كان كثير العطايا ، مقرباً لأهل الأدب ، وله أخبار كثيرة مع الشعراء من أمثال المتنبي والسري الرفاء والنامي والببغاء والوأواء الدمشقي ./ انظر ترجمته :
يتيمة الدهر : ١ / ١٥-٣٤ ، وفيات الأعيان : ٣ / ٤٠١-٤٠٦ .

(٢) برزويه : بالفتح وضم الزاي وسكون الواو وفتح الياء ، حصن قرب السواحل الشامية على سن جبل شاهق يُضرب به المثل في جميع بلاد الأفرنج بالحصانة ./
معجم ما استعجم : ١/ ٣٨٣ .

(٣) شرح العكبري : ٣ / ٣٢٥ .

حتى يفصل فيه بين ما يقبح فصله في لغة العرب كالصلة والموصول، وما أشبههما. ومن التقديم والتأخير أيضا قول الشاعر:

وفاؤكما كالربع...

لأن تقديره: وفاؤكما بأن تسعدا كالربع أشجاه طاسمه ففصل وقدم وأخر.[1]

وعاب ابن معصوم على المتنبي مطلعه هذا، ورأى أنه تكلف له اللفظ المعقد، ورتبه ترتيباً متعسفاً، وليس وراءه كبير معنى، إنما هو يكد الذهن ويتعبه من غير فائدة، قال في: "حسن الابتداء وبراعة الاستهلال"[2].

"ومن مطالعه[3] التي تكلف لها اللفظ المعقد، والترتيب المتعسف لغير معنى بديع يفي ترفه وغرابته بالتعب في استخراجه، وتقوم فائدة الانتفاع به بأزاء التأذي بسماعه، قوله:

وفاؤكما كالربع... البيت"[4]

---

(١) سر الفصاحة: ١٠١.

(٢) عَرَّف ابن معصوم المدني حسن الابتداء، وبراعة الاستهلال بقوله: قال أهل البيان: من البلاغة حسن الابتداء، ويسمى براعة المطلع، وهو أن يتأنق المتكلم في أول كلامه، ويأتي بأعذب الألفاظ، وأجزلها وأرقها وأسلسها وأحسنها نظما وسبكا، وأصحها مبنىً، وأوضحها معنى وأخلاها من الحشو، والركة والتعقيد، والتقديم والتأخير الملبس والذي لا يناسب" / أنوار الربيع: ١ / ٣٤، خزانة الحموي: - دار القاموس-: ٣ وذكر صفي الدين الحلي أن براعة المطلع "يسمى أيضا "حسن الابتداء" وقد فرع العلماء منه "براعة الاستهلال" في النظم والنثر وشرطه في النظم أن يكون المطلع دالا على ما بنيت القصيدة عليه من غرض الشاعر/ انظر: شرح الكافية البديعية: ٥٧.

(٣) يقصد المتنبي.

(٤) أنوار الربيع: ١ / ٧٠-٧١.

ومن دلائل التعقيدات كثرة التفسيرات التي تعتمد أكثرما تعتمد على الحدس والتخمين لأن ألفاظ البيت لا تفي بأكثرها .

ومن هذه التفسيرات ماذكره العكبري في شرحه قال :

" المعنى : يريد أنه يخاطب اللذين عاهداه على أن يسعداه عند ربع الأحبة بالبكاء ، فقال لهما : وفاؤكما لي بإسعادي على البكاء كهذا الربع ، ثم بين وجه الشبه ، فقال : أشجى الربع دارسه ، كلما تقادم عهده كان أحزن لزائره ، وأشد لحزنه ، وأشفى الدمع للحزن سائله المنهل الجاري ، يريد : ابكيا معي بدمع ساجم ، فانه أشفى للغليل ، كما أن الربع أشجى للمحب إذا درس .

قال الواحدي : طلب وفاءهما بالإسعاد ، وهو الإعانة على البكاء ، والموافقة فيه ، ولذلك قال : " والدمع أشفاه ساجمه " . والمعنى : ابكيا معي بدمع في غاية السجوم ، فهو أشفى للوجد ، فإن الربع في غاية الطَّسُوم ، وهو أشجى للمحب ، وأراد " بالوفاء " هاهنا : الإسعاد لأنهما عاهداه على الإسعاد . قال : وقال ابن جني في معنى هذا البيت : كنت أبكي الربع وحده ، فصرت أبكي وفاءكما معه ، ولذلك قال : " وفاؤكما كالربع " ، أي كما ازددت بالربع وبوفائكما وجدًا زدت بكاء . قال : ويروى والدمع " بالجر " عطفاً على " الربع " يريد : وفاؤكما كالربع الدارس في الأدواء إذا لم تحزنا عليه ، وكالدمع الساجم في الشفاء إذا حزنتما عليه .

وقال ابن القطاع : وفاؤكما لي بالإسعاد عفا ودرس ، كالربع الذي أشجاه للعين دارسه ، فكنت أبكي الربع وحده فصرت أبكي معه وفاءكما ، وأشتفي بالدمع الذي هو راحة الإنسان وأشفاه للنفس ساجمه ".(1)

---

(1) شرح العكبري : ٣ / ٣٢٥ - ٣٢٦ .

الشاهد الثلاثـــون: (*)   (الكامل)

قول أبي تمام:

ثانيــهِ في كَبِدِ السَّماءِ ولَمْ يَكُنْ .·. كاثْنَين ثانٍ[1] إذْ هُما[2] في الغـارِ[3]

والبيت من قصيدته التي قالها في مدح المعتصم[4] وهجاء الأفشين[5]، وبابك الخرمي[6].

(*) الدلائل، رضا ٦٦، خفاجي: ١٢٥، شاكر: ٨٤.

(١) رواية معاهد التنصيص: "كاثنين في كبد السماء".

(٢) رواية الديوان بشرح الخطيب: "لاثنين ثانياً" وعلى هذه الرواية لا شاهد في البيت. ورواية عبث الوليد والموازنة، وأسرار البلاغة "لاثنين ثانٍ". وقوله: "لاثنين ثانٍ": رديء عند البصريين؛ لأنه جاء بالمنصوب في لفظ المخفوض، ذلك عند الفراء لغة للعرب. وإن رويت "ثاني" بفتح الياء من غير تنوين فهو ضرورة أيضا، وإن أثبتّ التنوين وألقيت عليه حركة الهمزة في "إذ" وهو مذهب ورش في القراءة فلا ضـرورة فيه./ شرح الخطيب: ٢/ ٢٠٧.

(٣) انظر البيت في:

ديوانه بشرح الخطيب التبريزي: ٢/ ٢٠٧، ديوانه - دار صعب -: ١٣٤، عبث الوليد: ١٤٣، الموازنة - محمد محيى الدين -: ٢٩، أسرار البلاغة: ١٣٠، المفتاح: ١٧٦.

وذكر الصولي في أخبار أبي تمام بعض أبيات القصيدة، ولم يذكر ضمنها بيت الشاهد: ٩٣-٩٥، معاهد التنصيص: ١/ ٤٥.

(٤) انظر ترجمته: ص: ١٦٩.

(٥) هو حيذر بن كاوس، كان من أكابر قواد المعتصم فقطعه وصلبه، ثم علـم المعتصم خيانة من الأفشين، فأمر بالقبض عليه، فحُمل إلى دار إيتاخ، فمات بها فأخرجوه وصلبوه على باب العامة ليراه الناس، ثم أُلقي، وأحرق بالنار، وكان موته في شعبان سنة ست وعشرين ومائتين / انظر خبره: تاريخ الطبري: ٩/ ١١٤، وانظر أيضا من ص: ٨٠-١١٠، الكامل لابن الأثير ٥/ ٢٦٢، وانظر أيضا منه: ص ٢٥٣-٢٦١.

(٦) بابك الخرمي: اسمه الحسين والخرمي نسبة إلى قرية خرمة، وهو مـن أتباع مزدك الذى يوجب الشيوعية في المال والنساء، ذُكر أن ظهوره كان ====

ومطلع القصيدة :

الحَقُّ أبْلَجُ والسُّـيوفُ عَوارِ ∴ فحذارِ مِنْ أسَدِ العَرينِ حَذارِ (١)

وقبل الشاهد :

يا قابِضاً يَدَ آل كاوسَ عادِلاً ∴ أتْبِعْ يَميناً مِنْهُمُ بِيَسارِ

ألْحِقْ جَبيناً دامِياً رمَّلْتَهُ ∴ بِقَفاً وصَدْراً خائِناً بِصِدارِ

واعْلَمْ بأنَّكَ إنَّما تُلْقِيهِمُ ∴ في بَعْضِ ما حَفَرُوا مِنَ الآبَارِ

لَوْ لَمْ يَكِدْ لِلسَّامِرِيِّ قَبيلُهُ ∴ ما خارَ عِجْلُهُمُ بِغَيْرِ خُوارِ

وثَمودُ لَوْ لَمْ يُدْهِنُوا في رَبِّهِمْ (٢) ∴ لَمْ تُرْمَ ناقَتُهُ بِسَهْمِ قُدارِ (٣)

ولَقَدْ شَفَى الأحْشاءَ مِنْ بُرَحائِها (٤) ∴ أنْ صارَ بابَكُ جارَ مازيّارِ (٥)

وبعدها الشاهد وبعده :

وكأنَّما انْتَبَذا لِكَيْما يَطْوِيا ∴ عَنْ ناطِسٍ (٦) خَبَراً مِنَ الأخْبَارِ

=== في سنة احدى ومائتين ، وامتنع على الدولة عشرين عاما من سنة ٢٠١-٢٢١هـ وقتل سنة ٢٢٣ هـ ثم صلب / انظر:

تاريخ الطبري : ٩ / ١١-٥٥ ، الكامل لابن الأثير: ٥ / ٢٣٤-٢٤٦ .

(١) ديوانه بشرح التبريزي : ٢ / ١٩٨ .

(٢) يدهنوا : من الدهن وهو النفاق والخداع / اللسان " دهن " : ١٣ / ١٦٢ .

(٣) رواية الديوان تحقيق التبريزي :

" لَمْ تَدْمَ ناقَتُهُ بِسَيْفِ قُدارِ "

(٤) البرحاء : شدة الأذى . / اللسان " برح " : ٢ / ٤١٠ .

(٥) مازيار : هو مازيّار بن قارن بن ونداد هرمز أظهر الخلاف على المعتصم بطبرستان ، حيث اتفق مع الإفشين - أحد قواد المعتصم - على إظهار بعض مذهب الثنوية الذين يعتقدون بإلهي الخير والشر، ولكن المعتصم ظفر به وقتله ثم صلبه إلى جانب بابك / انظر:

الكامل لابن الأثير: ٥ / ٢٥٣-٢٥٩ .

(٦) ذكر الخطيب أنه جاء في نسخة " ياطس " بالياء مَلك ، وناطس : حاذق عالم وأصله العالم بالطب ، وقيل بِطْريق مَلَطْيَة كان قد صُلِب ./

ديوانه بشرح الخطيب : ٢ / ٢٠٧ .

استشهد الإمام عبد القاهر بالبيت على فساد النظم - أيضا - ولم يشر إلى موضع الفساد فيه .

وذكر الآمدي أن وجه الفساد في أنّه جاء بثانٍ في صورة المرفوع، وهذا يوهم بأنه فاعل يكن أي لم يوجد ثان لاثنين، وهذا محال لأن كل اثنين أحدهما ثان للآخر . قال :

" ونحن لو رُمنا أن نُخرج ما في شعر أبي تمام من اللحن لكثر ذلك واتسع ، ولوجدنا منه ما يضيق العذر فيه ، ولا يجد المتأول له مخرجاً إلّا بالطلب والحيلة والتحمل الشديد ، وذلك مثل قوله :

ثانِيه في كَبِدِ السَّماءِ وَلَمْ يَكُنْ ∴ لاثنَينِ ثانٍ إذْ هُمَا فِي الغَارِ

معنى هذا البيت أن بابك صار جاراً في الصلب لمازيّار، وهو ثانيه في كبد السماء ، ولم يكن ثانيا لاثنين إذ هما في الغار ، لأن هذه فضيلة ، فكان يجب أن يقول في البيت " ولم يكن لاثنين ثانيا " ، لأنه خبر يكن ، واسمها هو اسم بابك مضمر فيها ، فليس إلى غير النصب سبيل في البيت ، وإلّا بطل المعنى وفسد ، وفساده أنك إذا أخليت " يكن " من ضمير بابك، وجعلت قوله " ثاني " اسمها كان ذلك خطأ ظاهراً قبيحاً ؛ لأنك إذا قلت : كان زيد وعمرو اثنين، ولم يكن لهما ثان ، كنت مخطئاً ؛ لأن كل اثنين أحدهما ثانٍ للآخر ، وكذلك إذا قلت : كانوا ثلاثة ، ولم يكن لهم ثالث ، كنت مخطئاً ؛ لأن أحد الثلاثة هو ثالثهم ، وإنما تكون مصيباً إذا قلت :

كانا اثنين، ولم يكن لهما ثالث ، وثلاثة ، ولم يكن لهم رابع ، وأيضا فإنه لو أراد هذا المعنى لم يكن في البيت فائدة البتة ؛ لأنه كان يكون المعنى حينئذٍ أن بابك ثاني مازيّار ، فأيُّ فائدة في هذا مع ما فيه من الخطأ الفاحش ؟ وأيُّ تعلق لهذا المعنى بما قبله في البيت؟ "(١)

---

(١) الموازنة - تحقيق محمد محيي الدين - : ٢٨-٣٠ .

رأى الشيخ عبدالهادي العدل أن في تعليل الآمدي تحاملاً على أبي تمام؛ لأنه لا يمكن أن يتوهم أحد هذا فـ" ثان" خبر " يكن " الناقصة ولاثنين متعلق به واسمها ضمير يعود على بابك .

والعيب فقط في أنه أتى بالمنصوب في صورة المرفوع .(١)

فقارن صورتها وهما مصلوبان في الجو بصورة الرسول صلى الله عليه وسلم، وأبي بكر الصديق حين كانا في غار ثور، واستمد الشاعر صورته هذه من قوله تعالى :

* إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ *(٢)

إلا أنَّ هذا التشبيه بعيد إذ ليس هناك وجه لهذا الشبه في هذا المقام .

قال الشيخ عبدالهادي العدل :

" قالوا إن ذكر أبي بكر مع رسول الله في هذا المقام مما يأباه الذوق السليم، ولو أنه جاء على سبيل نفي المشابهة، فما كان هناك توهم مشابهة حتى تنفى ".(٣)

وقد حمل أبو العلاء بيت أبي تمام على غير الضرورة ، وعلى نحو يختلف عما رآه فيه غيره قال :

" ليس هو على مذهب من قال "ثان اثنين" فنوَّن ، وهو ثالثُ ثلاثةً ، ولكنَّه على قولهم : هذا غُلام لزيد ، يجوز إدخال اللام ، وإن كان الغلامُ غير عاملٍ في زيدٍ ، كما يقال : هذا للسُّلطانِ خادِمٌ ".(٤)

---

(١) دراسات تفصيلية شاملة : ١٣١.

(٢) التوبة ، ٤٠.

(٣) دراسات تفصيلية شاملة لبلاغة عبدالقاهر : ١٣٠-١٣١.

(٤) عبث الوليد : ١٤٣.

ويبدو لي أن قوله : " فِي كَبِدِ السَّمَاءِ " تصوير جميل لمشاعر الاستهزاء والتحقير التي تنطوي عليها نفس الشاعر، إذ أنه جعل صورتهما في الصلب واضحة بارزة لا تخفى على أحد، فهما في " كَبِدِ السَّمَاءِ " وهذا تصوير لشدة التنكيل بهما، وأيضا نلمح في هذه العبارة شدة فرحه وفخره بالقضاء عليهما، ولكن لجوء الشاعر إلى التشبيه والمقارنة بين صورة مازيّار وبابك، وهما مصلوبان، وبين صورة الرسول صلى الله عليه وسلم، وأبي بكر رضي الله عنه في الغار، وأيضا إتيانه بالمرفوع في صورة المنصوب، طمس هذا الجمال وأذهب رونقه، وأبعد الأذهان عنه.

وقد ورد لبيت أبي تمام نظائر، عدّها العلماء من الضرورات الشعرية، من ذلك قول بشر بن أبي خازم : (وافر)

كَفَى بِالنَّأْيِ مِنْ أَسْمَاءَ كَافِ .·. وَلَيْسَ لِحُبِّهَا مَا عِشْتُ شَافِي (١)

فكان من حق الكلام أن يقول :

" كَفَى بِالنَّأْيِ مِنْ أَسْمَاءَ كَافِيَا "

ومنه قول مجنون ليلى :

فَلَوْ أَنَّ وَاشٍ بِالْيَمَامَةِ دَارُهُ .·. وَدَارِي بِأَعْلَى حَضْرَمَوتَ اهْتَدَى لِيَا (٢)

<u>الشاهد الحادي والثلاثون:</u> (*) (البسيط)

قول أبي تمام :

يَدِي لِمَنْ شَاءَ رَهْنٌ لَمْ يَذُقْ جُرَعًا (٣) .·. مِنْ رَاحَتَيْكَ دَرَى مَا الصَّابُ (٤) وَالعَسَلُ (٥)

---

(١) رواية شرح المفصل للشطر الثاني : " ولَيس لِحُبِّهَا إِنْ طَالَ شَافِي / انظر : المقتضب: ٤ / ٢٢ ، الخصائص: ٢ / ٢٦٨ ، خزانة البغدادي - دار صادر - ٢ / ٢٦١ .

(٢) ديوانه : ٢٩٤

(*) الدلائل ، رضا : ٦٦ ، خفاجي : ١٢٥ ، شاكر: ٨٤ .

(٣) رواية الأسرار تحقيق - خفاجي - : " من يذق ".

(٤) ذكر الجوهري أنه عصارة شجر مُرّ ، ورد عليه الفيروزبادي فقال : " وشجر مر جمع صاب، ووهم الجوهري في قوله : عصارة شجر" / الصحاح " صوب " : ١ / ١٦٦ ، القاموس المحيط : " صوب " : ١ / ٩٧ .

(٥) ديوانه بشرح الخطيب التبريزي : ٣ / ١١ ، ديوانه - دار صعب -: ٢٠١ =====

وهو من قصيدة له في مدح المعتصم بالله ومطلعها :

فَحْوَاكَ عَيْنٌ عَلَى نَجْوَاكَ يَامَذِلُ (١) ∴ حَتَّامَ لا يتقضى قَوْلُكَ الخَطِلُ

وقبل الشاهد :

كَأَنَّ أَمْوَالَهُ والبَذْلُ يَمْحَقُهَا ∴ نَهْبٌ تَعَسَّفَهُ التَّبْذِيرُ أَوْ نَفَلُ

شَرِسْتَ بَلْ لِنْتَ بَلْ قَانَيْتَ (٢) ذَاكَ بِذَا ∴ فَأَنْتَ لاشَكَّ فِيكَ السَّهْلُ وَالجَبَلُ

وبعد هما الشاهد وبعده :

صَلَّى الإِلَهُ عَلَى العَبَّاسِ وَانْبَجَسَتْ ∴ عَلَى ثَرىً حَلَّهُ (٣) الوَكَافَةُ الهَطِلُ

ذكر الشيخ محمد رشيد رضا في تحقيقه الدلائل: أن هناك رواية أخرى لصدر البيت وهي " مَنْ يَذُقْ جُرَعًا " ورأى أنها أظهر من رواية " لَمْ يَذُقْ ".

ورد الشيخ عبد الهادي العدل على هذه الرواية وعلى من قال أنها رواية الشيخ عبد القاهر في " الأسرار " ، ورأى أنها ليست روايته بل هي تصحيح من بعض من لم يفهم البيت ، وإلا فما بال الشيخ يسوقه شاهداً على التعقيد ؟ .

أضف إلى ذلك أن " مَنْ " لا تلائم قوله " يَدِي رَهْنٌ " ، كما يشهد بذلك الذوق السليم ، ثم إن الشاعر يريد حصر الصاب والعسل في بطشه وجوده ، و " مَنْ " لا تفيد ذلك. (٤)

وأيضا " مَنْ يَذُقْ " يدل على الاستقبال ، و " دَرَى " فعل ماض فيكون حاصل الكلام ، مَنْ يذق في المستقبل دَرى في الماضي !

والبيت شاهد على فساد النظم الذي يخل بالمعنى ، فالشاعر لجأ إلى

=== الوساطة : ٧٩ ، الموازنة - تحقيق محمد محيى الدين - : ١٦٩ ، الأسرار - تحقيق خفاجي - : ١/ ٢٦٩ ، تحقيق هـ . ريتر : ١٣١ .

(١) المذل : الذي يفشي السر. / اللسان " مذل " : ١١/ ٦٢١ .

(٢) قانيت : خلطت . / اللسان " قنا " : ١٥/ ٢٠٥ .

(٣) رواية ديوانه - دار صادر - : " على ثرى رحله " .

(٤) دراسات تفصيلية شاملة لبلاغة عبد القاهر : ١٣٢ .

حذف جزء من الجملة كان له دور كبير في إبراز المعنى ، بل هو عمدة الكلام فيها ، فحذف " إن كان من " وتقدير الكلام : " يَدِى لِمَنْ شَاءَ رَهْنٌ إِنْ كَانَ مَنْ لَمْ يَذُقْ " ، وذكر القاضي الجرجاني هذا البيت في الرديء من شعر أبي تمام، فقال :

" فحذف عمدة الكلام ، وأخلَّ بالنظم ، وإنما أراده يدي لمن شاء رهن " إِنْ كَانَ (١) لم يذق "، فحذف " إِنْ كَانَ " من الكلام ، فأفسد الترتيب، وأحال الكلام عن وجهه (٢) " .

وكذلك ذكر الآمدي أن هذا البيت فاسد النظم لكثرة مافيه من الحذف ، قال :

" لفظ هذا البيت مبنيٌّ على فساد ؛ لكثرة مافيه من الحذف ، فكأنه أراد بقوله : " يَدِي لِمَنْ شَاءَ رَهْنٌ " أي : أصافحهُ وأبايعه مُعَاقَدَةً ، أو مراهنة إِنْ كَانَ مَنْ لَمْ يَذُقْ جُرَعاً مِنْ رَاحَتَيكَ دَرَى مَا الصَّابُ وَالعَسَلُ ، ومثل هذا لا يسوغ ؛ لأنه حذف " إن " التي تدخل للشرط ، ولا يجوز حذفها ؛ لأنها إذا حُذفت سقط معنى الشرط، وحذف " من " وهي الاسم الذي صِلَتُه " لَمْ يَذُقْ " فاختل البيت ، وأشكل معناه . . . فإن تأوّل مُتأوّلٌ هذا البيت على ألفاظ أُخر محذوفة غير اللفظ الذي ذكرتُهُ، فالاختلال بعدُ قائم ؛ لكثرة ماحذف منه ، وسقوطِ الدليل عليه (٣) " .

ورد المرزوقي على من عاب على أبي تمام هذا الحذف ، فقد رأى أن البيت يحتمل تقديرين ، فيتأتى أن نقدر: يَدِي رَهْنٌ لِمَنْ شَاءَ إن درى ما الصاب والعسل غير ذائقٍ جُرَعاً مِنْ رَاحَتَيكَ ، فيكون لَمْ يَذُقْ في تقدير الحال ، وساغ حذف " إن " لدلالة الشرط والجزاء ، ويكون المعنى : إن دَرَى مَنْ لَمْ يَذُق جُرَعا

---

(١) يبدو لي أنه يجب أن تكون هنا " من " حتى يستقيم الكلام .

(٢) الوساطة : ٧٩ .

(٣) الموازنة ـ تحقيق محمد محيي الدين -: ١٦٩-١٧١ .

من راحتيك الفرق بين هذين الشيئين ، فيدي له رهن ، فهذه طريقة .

والتقدير الثاني : يدي رهنٌ لمن شاء غَيْرَ ذائِقٍ جُرَعًا مِنْ رَاحَتَيْكَ دارِيًا ماالصابُ والعسلُ يريد له رهن ، وهاتان حالتاه .

قال المرزوقي :

" اعلم أنَّ اللفظ قد يكون قاصِراً عن المعنى ، وقد يكون زائداً عليه ، وهذا البيت يتأتّى فيه التقديرُ على غير ماقدَّره هذا العائب ، فيتأتّى أن تُقَدِّر : يدي رَهْنٌ لمن شاء إِنْ دَرَى ماالصابُ والعسلُ غير ذائقٍ جُرَعًا مِنْ راحتيك ، فيكون "لَمْ يَذُقْ" في تقدير الحال ، وحذف "إِنْ" لِمَا كَانَ في الكلامِ مِنْ دلالةِ الشرط والجزاء ، ألا ترى أن المعنى : إِنْ دَرَى مَنْ لَمْ يَذُقْ جُرَعاً مِنْ رَاحَتَيْكَ الفرق بين هذين الشيئين ، فَيَدي له رَهْنٌ ، فهذه طريقة .

ويتأتّى أن تقدِّرَ : يدي رَهْنٌ لِمَنْ شاءَ غَيْرَ ذائِقٍ جُرَعاً مِنْرَاحَتَيْكَ دارِيًا ماالصابُ والعسلُ ، يريد يدي لَهُ رَهْنٌ ، وهاتان حالتاه ، وهذا كما يقول الإنسان : لزيدٍ مِنْ مَالِي ألفٌ رَاكِباً هذا الفرسَ وصائداً بِهِ ، والمعنى : إن ركبه وصادَ ، والحالُ قد يتبين منه معنى الشرط ، على هذا قولهم : هذا تمراً أطيبُ منه بُسْراً ، والمعنى : هذا إِذا كان تمراً أطيب منه إذا كان بُسْراً ، وإذا كان الأمر على هذا فقد سَلِمَ أبو تمام من العيب ولزم الذَّمُّ عَائبه ولقائل أن يقول لِلمنكر على أبي تمام : زعمت أنَّ اللفظ قاصرٌ عن المعنى بما حُذِفَ من عمدته مختلٌ ، وإنما هو زائد عليه ، لكنك أسأتَ في التقدير ، وزدت مالا حاجة إليه ، وذلك أنه أراد : يَدِي رهنٌ لِمَنْ لَمْ يَذُقْ جُرَعًا مِنْ رَاحَتَيْكَ دارِيًا مَاالصَّابُ والعسلُ ، أي إِنْ دَرَى ذلك فَيَدِي لَهُ رَهْنٌ ، وإِذا كَانَ الأمر على هذا ، فقوله : "شاءَ" فَضْلَةٌ ، و" مَنْ " على هذه التقديرات نكرة ، والمعنى: يَدِي

لإنسان هذه صفته رَهْنٌ ، وهم يقولون مررتُ بِمَنْ ظريفٍ أي بإنســـانٍ ظريف ، ومررتُ بِمَا كَرِيمٍ أي بشيءٍ كَرِيمٍ ، فاعلمه[١].

والتقدير الأول الذي ذكره المرزوقي للرد على العائب ، وهو قوله " إن دري ما الصابُ والعسلُ " قد صار فيه إلى ما أنكره العائب من الحذف الذي عابه عليــه ، فلا معنى إذاً لرده على العائب مع تقديره من الحذف مثلما قدره العائب ، و" دري " إذا جعله حالاً فهو فعل ماض ، ولابد له من تقدير " قد " ، كقوله تعالـــــى : ﴿ أَوْ جَاؤُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ ﴾[٢] أي قد حصرت ، وقول المرزوقي " شَاءَ " فضـــلة ، فلم يذهب أحد إلى أن فعلاً يؤتى به فيكون فَضْلَةً إلاَّ ماذكره من " كان " وقـــد أباه قوم ومنعوه .

وجعله " مَنْ " على ماذكره في جميع التقديرات جائز لو أوضحه في جميـــع التقديرات ، ويمكن أن يجعل "مَنْ" بمعنى " الذي " ، فيكون التقدير: " يَدِي رَهْنٌ الذي شَاءَ لَمْ يَذُقْ جُرَعاً " ولا يمتنع معها التقديرات التي قدرها ، ويجعل " لَمْ يَذُقْ " بدلاً من قوله " شَاءَ " ، ويكون التقدير " يَدِي رَهن لمن لم يَذُقْ جُرَعاً مِنْ رَاحَتَيْـــكَ دَرَى مَا الصَّابُ وَالعَسَلُ ، ويكون " دَرَى " ، حالا على ماتقدم[٣].

ورأى التبريزي أن البيت قد حذف منه حرف النفي " لا " ، لأن المعنى معـــنى القسم ، والمعروف حذف " لا " في جواب القسم دون " ما " ، ولا يمتنع في القيـــاس أن يجمع بينهما في الحذف ، لأنهما حرفا نفي فتحمل إحداهما على الأخـــرى ، قال التبريزي :

" هذا البيت قد حُذِفَ منه حرفُ النَّفي ، لأن المعنى معنى القســـم ، كأنه قال : والله لا أدري مَنْ لَمْ يَذُقْ جُرَعًا مِنْ رَاحَتَيْكَ ، فحذفَ حـــرف

---

(١) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي : ٣/ ١٢-١٣ .
(٢) النساء : ٩٠ .
(٣) هذا رد ابن المستوفي ـ نقلاً عن محقق ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي : ٣ / ١٣ .

النفي ؛ لأن المعنى دال عليه ، كما تقول: والله أفعل أبداً : أي لا أفعل ، قال النابغة :

فَقالَتْ يَمِينَ اللّهِ أَفْعَلُ إِنَّنِي .:. رأيتُكَ مَسْحُوراً يمينُك فاجِـــرَهْ

والمعروف حذف " لا " في جواب القسم دون " ما " ولا يمتنع في القيـــاس أن يجمع بينهما في الحذف؛ لأنهما حرفا نفي فتُحمل إحداهما على الأخرى ، أي مَنْ لَمْ يَذُقْ مِنْ بَأْسِكَ وَجُودِكَ جُرَعاً لم تتحقق عنده مرارةُ الحنظـــل ولا حلاوة العسل (١).

فمعنى البيت : أن بطش الممدوح وسطوته هي الصاب بعينه أما ما يسميه الناس " صابا " ، فلا يستحق هذا الاسم ، لأن مرارته إذا قيست بمرارة بطش الممـــدوح لم تكن شيئا ، وأَنَّ نَدَاهُ وجوده هو العسل الحقيقي لا ما يسميه الناس عســــلاً ؛ لأن حلاوته لا تذكر مع نواله ، إذا لا يعرف حقيقة " الصاب والعسل " إِلَّا مَــنْ ذاقَ مرارة بطشــه وحلاوة جوده ، ومن لم يذقهما ، فلا علم له بهما ، فإن كان هنـــاك شخص لم يذقهما وادعى أنه عرف حقيقة الصاب والعسل ، فَيدِي رَهْنٌ لِمَنْ شَـــاءَ إذا دَلَّنِي عليه (٢).

وهذا المعنى اللطيف بَعُدَ عن الذهن؛ لفساد نظمه، وسوء تأليفه ، واختـــلال ســبكه .

وعلق الإمام عبدالقاهر على هذه الأبيات التي أوردها في فساد النظـــم ؛ بأنه إذا ثبت أن فساد النظم، وسوء التأليف مرجعه إلى علم النحو ثبت أنَّ الحُكـم، والمزية، والفضيلة، ترجع إليه ، فيجب على القارئ المتذوق أن يعلم أسرار هذا العلم ، ويتعرف على دلالته . قال :

" وفي نظائر ذلك مما وصفوه بفساد النظم ، وعابوه من جهة سوء التأليف ، أن الفسادَ والخلل كانا من أن تعاطَى الشاعرُ ما تعاطاه من هذا الشأن

---

(١) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب : ٣ / ١١ .

(٢) دراسات تفصيلية شاملة لبلاغة عبد القاهر : ١٣١ .

على غـــير الصواب ، وصَنَع في تقديم أو تأخيرٍ ، أو حذفٍ وإضمار ، أو غير ذلك مما ليس له أن يصنعه ، وما لا يسوغ ولا يصحّ على أصـــول هذا العلم . وإذ ثبت أنّ سـبب فساد النظم ، واختلاله ، أن لا يُعْمَل بقوانين هذا الشأن ، ثبت أن سبب صحته أن يُعْمَل عليها ، ثـــم إذا ثبت أنّ مُسْتَنْبَطَ صِحّته وفساده من هذا العلم ، ثبــت أن الحكم كذلك في مزيّتـه والفضـيلة التي تعرض فيه ، وإذا ثبت جميـع ذلك ، ثبت أن ليس هو شــيئاً غير تَوَخّي معاني هذا العـــلم ، وأحكامه فيما بين الكَلِم ، والله الموفق للصواب (١).

---

(١) الدلائل ، رضا : ٦٦ - ٦٧ ، خفاجي : ١٢٥ ، شـاكر: ٨٤ .

الفصل الثالث

شواهد النظم

أ- مزية النظم في مراعاة النحو .

ب- مزية النظم بحسب المعاني والأغراض .

ج- النظم يتحد في الوضع ويدق فيه الصنع .

مزيــة النظـــم في مراعاة النحـــو :-

ساق الشيخ بعد هذه الأبيات - الأبيات السابقة في فساد النظم - أبياتاً وُصِفَت بالحسن وشُهِد لها بالفضل ؛ لأنها إنما حَسُنَت من أجل حسن تأليفها ، وجودة صياغتها ، ويدعو القارئ إلى تأملها ، وأن يحكم ذوقه الواعي عند أي كلمة اهتز ، وعند أي موقع طرب.

قال :

" وإذا عرفت ذلك فاعمد إلى ما تواصفوه بالحسن وتشاهدوا له بالفضل ، ثم جعلوه كذلك من أجل النظم خصوصاً دون غيره مما يستحسن له الشعر ، أو غير الشعر من معنى لطيف ، أو حكمة ، أو أدب ، أو استعارة ، أو تجنيس ، أو غير ذلك مما لا يدخل في النظم ، وتأمله ، فإذا رأيتك قد ارتحت واهتززت واستحسنت ، فانظر إلى حركات الأريحية مم كانت ، وعند ماذا ظهرت ؟ فإنك ترى عياناً أنَّ الذي قلت لك كما قلت ".(١)

---

(١) الدلائل ، رضا : ٦٧ ، خفاجي : ١٢٥ ، شاكر: ٨٤ - ٨٥ .

الشاهد الثاني والثلاثون :- (*) (المتقارب)

قول البحتري :

بَلَوْنا ضَرائِبَ (١) مَنْ قدْ نَرى .·. فَما إن رَأيْنا لِفتْحٍ ضَريبَا (٢)

هُوَ المَرْءُ أبْدَتْ لَهُ الحادِثا .·. تُ عَزْماً وَشِيكاً (٣) وَرَأياً صَليبَا (٤)

تَنقّلَ في خُلُقَيْ (٥) سُؤدَدٍ (٦) .·. سَماحاً مُرَجّى وَبأساً مَهيبَا

فَكالسّيفِ إن جِئْتَهُ صارِخاً .·. وَكالبَحْرِ إنْ جِئتَهُ مُسْتَثيبَا (٧)

والأبيات من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان، ويعاتبه، وأولها :

لَوَتْ بالسّلامِ بَناناً خَضيبَا .·. وَلَحْظاً يَشوقُ الفُؤادَ الطّرُوبَا (٨)

وقبل الشاهد :

وَحُمّلْتُ عِنْدَكَ ذَنْبَ المَشيـ .·. ـبِ حَتّى كَأنّي ابتَدَعْتُ المَشيبَا

وَمَنْ يَطّلِعْ شَرَفَ الأرْبَعيـ .·. ـنَ يُحَيِّ مِنَ الشَّيبِ زَوْراً غَريبَا (٩)

(*) الدلائل ، رضا : ٦٧ ، خفاجي : ١٢٦ ، شاكر : ٨٥.

(١) الضّرب : الصِّنْف / مختار الصحاح : " ضرب " : ٣٣٨.

(٢) رواية أمالي المرتضى : " فَما إنْ وَجَدْنا لِفتْحٍ ضَريبَا " .

(٣) وشيكا : سريعا / مختار الصحاح " وشك " : ٧٢٣. اللسان : " وشك " : ١٠/٥١٣-٥١٤.

(٤) هذا البيت لم يورده المرتضى في أماليه .

(٥) رواية المثل السائر : " تَرَدّدَ في خُلُقَيْ سُودَدٍ " .

(٦) رواية المرتضى : " تَنقّلَ في سَلَفي سُؤدَدٍ " .

(٧) انظر الأبيات في :

ديوانه - : دار بيروت - : ١/١٠٧ ، الموازنة - تحقيق أحمد صقر - ٢ / ٢٩٣ ، ولم يذكر الآمدي إلا البيت الأول فقط .

أمالي المرتضى : ١ / ٥٣٥ ، المثل السائر : ٢ / ٣٦٨ ، ولم يذكر إلا البيت الثالث والرابع فقط .

معاهد التنصيص : ٣ / ٢٧٨.

(٨) ديوانه : ١٠٦.

(٩) ديوانه : ١٠٧.

وبعد الأبيات :

فَتىً كَرَّمَ اللـهُ أخلاقَـهُ ∴ وَألبَسَهُ الحَمْدَ غضّـاً قشيبـا

وَأعطاهُ مِنْ كُلِّ فَضْلٍ يُعَـدُّ (م) ∴ حَظّاً وَمِنْ كُلِّ مَجْدٍ نَصيبا

رأى الإمام عبد القاهر أن جمال هذه الأبيات - الشاهد - يعود إلى أنه قدّم وأخر ، وعرّفَ وَنكّر ، وحذف وأضمر . . قال :

" فإذا رأيتها قد راقتك، وكثرت عندك ، ووجدت لها اهتزازاً في نفسك ، فعد فانظر في السبب ، واستقص في النظر ، فإنك تعلم ضرورة أن ليس إلا أنه قدّم وأخر ، وعرّف ونكّر ، وحذف وأضمر ، وأعاد وكرر ، وتوخى على الجملة وجهاً من الوجوه التي يقتضيها علم النحو ، فأصاب في ذلك كله ، ثم لطف موضع صوابه ، وأتى مأتىً يوجب الفضيلة .

أفلا ترى أن أول شيء يروقك منها قوله : " هُوَ المَرْءُ أبْدَتْ لَهُ الحَادِثاتُ " ، ثم قوله : " تَنَقَّلَ فِي خُلُقَيْ سُؤدَدٍ ، بتنكير السُّؤدد ، وإضافة الخُلُقين إليه ، ثم قوله " فَكَالسَّيفِ " ، وعطفه بالفاء مع حذفه المبتدأ ؛ لأن المعنى لا محالة ، فهو كالسيف ، ثم تكريره الكاف في قوله : " وكالبحر " ثم أن قرن إلى كل واحد من التشبيهين شرطاً جوابُه فيه ، ثم أن أخرج من كل واحد من الشرطين حالاً على مثال ما أخرج من الآخر ؛ وذلك قوله " صارخاً " هناك " ومستثيباً " ههنا ؟ لا ترى حسنا تنسبه إلى النظم ليس سببه ما عددت ، أو ما هو في حكم ما عددتُ ، فاعرف ذلك ! " (١)

في هذه الأبيات اكتفى الشيخ عبد القاهر بالإشارة إلى مواضع الجمال فقط ، فلم يحلل ، أو يعلل سبب هذا الجمال ، فلعله أراد أن يترك للقارئ فرصة التذوق ، ليحظى بالمتعة الذهنية ، والنفسية ، والروحية .

---

(١) الدلائل ، رضا : ٦٧-٦٨ ، خفاجي : ١٢٦ ، شاكر : ٨٥ - ٨٦ .

فقوله " هُوَ المَرْءُ " فيه تعريف المسند إليه للكمال ، وهذا التعريف يلفت الأنظار ، ويوجه العقول ، ويشد الانتباه إلى هذا الممدوح ، فهو يجرد إحساسنا من كل شيء إلا من الإحساس بصفات ممدوحه البالغة في الكمال ، أضف إلى أن التعبير هنا بالضمير يشير إلى فخامة الممدوح وكماله ، ويبدو أن البحتري يحمل للفتح بن خاقان عاطفة صادقة جياشة جعلته يستعمل هذا الأسلوب الذي يفيض بمعاني عظيمة، فالمعروف أنَّ نوائبَ الدهر وحوادثه تفت من عزم الإنسان ، وتهد قواه إلّا أن هناك شخصاً لا مثيل له بلغ درجة من الكمال وخرج عن طبيعة أفراد جنسه ممن تخور قواهم ، فان أردت أن تعرف من هو، فانظر إلى ممدوحه ، فهو المرء الوحيد الذي تَغَلَّب على حوادث الدهر، فأصبحت هي تستمد قواها منه، وتستخرج منه العزم الوشيك ، والرأى الصليب ، وفي تنكير " سُؤدَد " تعظيم وتشريف لهذا الممدوح ، فهو سُؤْدَدٌ مبهمٌ لا يُدْرَك كنهه ولا مداه وحدوده ، وفي قوله " خُلُقَيٌّ " إبهام ، ثم بعد ذلك فسر ووضح المقصود بهذين الخُلُقَين ، ففاجأنا في الشطر الثاني بأعظم خُلُقَين إذا وصف بهما إنسان آعتبر فَرداً من نوعه ، فممدوحه جواد يعطي في سماحة من غير تقييد ، وشجاع ذو بأس شديد في ميادين الحرب، فجمع له هاتين الصفتين، وأضافهما إليه ، وفي إضافتهما إليه دليل على أنهما ثابتتان فيه ملازمتان له لا تفارقانه ، فهما جزء لا يتجزأ منه .

ولا يكتفي الشاعر بهذا بل يأتي "بالفاء" زيادة في التفصيل والتفريع ؛ لأن الفاء تجعل مابعدها مفرّعا عما قبلها ، فقوله : " فكالسيف " يفصل ويؤكد ويوضح قوله : " بأسا مهيبا " ، فهو في بأسه، ومضائه في الحرب، كالسيف الحاد القاطع الباتر ، وهو في جوده " كالبحر " الفيَّاض ، وفي مجيء التشبيه بهذه الطريقة ما يمتع الخيال ، ويمده بالصور الفنية بالدلالات التي تؤكد هذه الصفات في الممدوح .

" فالبيت الثاني يدل على معنى الأول ؛ لأن البحر والسيف للبأس المهيب إلّا أنَّ في الثاني زيادة التشبيه التي تفيد تخيلاً وتصويراً ". (١)

---

(١) المثل السائر : ٢ / ٣٦٨ .

ونراه قد حذف المبتدأ في قوله " فكالسيف " والأصل "هو كالسيف " ليدل على أن ممدوحه غني عن التعريف والذكر ، فهو يُعرف بصفاته هذه ، لأنه المتفرد بها ، ولا يمكن لأحد أن يتصف بها ، فلا ضرورة إذاً لذكره .

وأتى مع كل تشبيه بأداة شرط،ثم قرن كلاً من الشرطين بحال " صَارِخـاً - مُسْتَثِيبًا " ليدل على قوته المطلقة وسخائه العام ، فقوته وجوده غير مقيدين بوقت ، فهو قوي قادر ليس في أوقات الرخاء فقط بل هو كالسيف مضاءً في حالة الشدة ، وطلب النجدة ، وكالبحر سخاءً في حالة الحاجة إلى العون والإغاثة .

وبالنظر إلى مواطن الحسن التي أشار إليها الشيخ نجده قد حصر جودة هذا الشعر على ماذكره من تقديم وتأخير وتعريف وتنكير . . . الخ،وأهمل دلالة اختيار الكلمات على مافي الشعر من بلاغة .

فهو مثلاً لم يعط أهمية لاختيار كلمة " بلونا "،وأنها أبلغ وأفخم للمعنى من كلمة " عرفنا " ذلك أنها تفيد معنى البحث والاستقصاء ، والاختبار ، فالشاعر لم يفضل " الفتح " بن خاقان إلا بعد أن اختبر وفتش واجتهد في الكشف عن ضرائب من رآهم من الناس .

وكذلك اختياره لفظ " تنقل " ومعناه أن الخُلُقَين راسخان فيه ، وأنه تنقل فيهما من طفولته إلى شبابه إلى كهولته . . . فهما ملازمان له ، وهما خلقان ثابتان من أخلاقه .

وأيضا اختار كلمة " مُرَجَّى " بالتشديد ، والتي دلت على أن كرمه يرجوه الراجون ، فإن بعض من يتصفون بالكرم لا يرجوهم أحد،أو لا يكون رجاؤهم بهذه الصورة المبالغ فيها فإن رجّى بالتشديد غير"رجا" ، فمُرَجَّى غير مرجو.

ودلت أيضا على أن بأسه ليس مجرد صفة يتصف بها لكنه يُهاب ويُخْشَى .

أضف إلى ذلك أن في قوله " فما إن رأينا " اجتمع حرفا نفي ، وهذا له مدلوله في نفي المثيل له .

الشاهد الثالث والثلاثون :- (*) (الطويل)

قول إبراهيم بن العباس (١) :

فَلَوْ إِنَّ (٢) نَبَا (٣) دَهْرٌ وَأُنكِرَ صَاحِبٌ .·. وَسُلِّطَ أَعْدَاءٌ وَغَابَ نَصِيرُ

تَكُونُ (٤) عَنِ الأَهْوَازِ (٥) دَارِي بِنَجْوَةٍ (٦) .·. وَلَكِنْ مَقَادِيرُ جَرَتْ وَأُمُورُ

(*) الدلائل ، رضا : ٦٨ ، خفاجي : ١٢٧ ، شاكر : ٨٦ .

(١) هو إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول (١٧٦ هـ وقيل ١٦٧ هـ - ٢٤٣ هـ) ، وكان صول رجلا من الأتراك ، وهو من موالي يزيد بن المهلب ، وكان إبراهيم يختار من الشعر أحسنه ، ويسقط أرذله ، وكان صديقاً لمحمد بن عبد الملك الزيات ، ثم آذاه الزيات وأغرى به الواثق ، وصارت بينهما شحناء عظيمة ، لم يمكن تلافيها ، وكان إبراهيم يهجوه هجاءً مرًا ، ولقد تولى إبراهيم الأهواز في عهد الواثق بالله ./ انظر ترجمته :
الأغاني : - دار الكتب - : ١٠ / ٤٣-٦٨ ، الوزراء والكتاب : ٨٢ ، معجم الأدباء : ١ / ١٦٤-١٩٧ .

(٢) رواية الديوان : " تَغَيَّرَ لي دهر " .

(٣) نبا : نبا الشيء عني ينبو أي تجافى وتباعد ، ونبت بي الأرض أي لم أجد بها قرارًا ، ونبا فلان عن فلان : لم ينقد له / اللسان : " نبا " : ١٥ / ٣٠٢ .

(٤) ذكر محقق الطرائف الأدبية أنه يروى في الأصل :
" تلون على الأهواز " وهو تصحيف .

(٥) الأهواز : اخره زاي ، وهي جمع هوز ، وأصله حوز ، فلما كثر استعمال الفرس لهذه اللفظة غيرتها حتى أذهبت أصلها ، لأنه ليس في كلام الفرس حاء مهملة ، وعلى هذا يكون الأهواز اسماً عربياً سمي به في الإسلام ، وكان اسمها أيام الفرس خوزستان ، وفي خوزستان مواضع يقال لكل واحد منها خوز كذا ، منها خوز بني أسد وغيرها ، فالأهواز اسم للكورة بأسرها ، وأما البلد الذي يغلب عليه هذا الاسم عند العامة ، فإنما هو سوق الأهواز ، والحوز في كلام العرب مصدر حاز يحوز ، وهو الحصول على الشيء ، وقيل : الأهواز اسمها « هرمز شهر » ، وقيل أنها كانت تسمى « هرمز اردشير » ، وذكر أن الأهواز سبع كور بين البصرة وفارس لكل كورة منها اسم ، ويجمعهن الأهواز . / انظر : معجم البلدان : ١ / ٢٨٤-٢٨٥ .

(٦) النجاء : الخلاص من الشيء نجا ينجو نجوا ونجاءً ، ممدود ، ونجاة ، مقصور ، ونجى واستنجا كنجا .

=======

وَإِنِّي لَأَرْجُو بَعْدَ هَـٰذَا مُحَمَّدًا ∴ لِأَفْضَلِ مَا يُرْجَى أَخٌ وَوَزِيرُ (١)

والأبيات قالها إبراهيم بن العباس عندما عُزل عن الأهواز في أيام محمد بن عبد الملك الزيات ، فاعتُقِل بها ، وأُوذي ، وكان محمد قبل الوزارة صديقه ، وكان إبراهيم بن العباس يأمل أن يطلق سراحه ، فأنشد هذه الأبيات .

وقد وجه الإمام عبد القاهر إحساسنا إلى مواطن الروعة فيها ، وترك لكل متذوق حُرية التعليل لذوقه ، فقال :

" فإنك ترى ما ترى من الرونق والطلاوة ، ومن الحسن والحلاوة ، ثم تتفقد السبب في ذلك ، فتجده إنما كان من أجل تقديمه الظرف الذي هو " إذْ نَبَا " على عامله الذي هو " تكون " وإن لم يقل " فلو تكون عن الأهواز داري بنجوة إذ نبا دهر " ، ثم أن قال " تكون " ولم يقل " كان " ، ثم أن نَكَّر الدهر ، ولم يقل " فلو إذ نَبَا الدَّهْرُ " ثم أن ساق هذا التنكير في جميع ما أتى به من بعد ، ثم أن قال : " وأُنكِرَ صَاحِبٌ " ولم يقل : " وأَنكَرْتُ صَاحِبًا " لا ترى في البيتين الأولين شيئا غير الذي عددته لك تجعله حُسْنًا في النظم ، وكله من معاني النحو كما ترى ، وهكذا السبيل أبداً في كل حُسْنٍ ومزية رأيتهما قد نسبا إلى النظم ، وفضل وشرف حيل فيهما عليه " (٢).

فهذه الأبيات من محاسن الشعر ، وروائع القصيد لما تحمله كلماتها من معانٍ عميقة معبرة عن إحساس الشاعر ، فالشاعر هنا سجين يئن تحت وطأة العذاب ، وذُل الحبس ، وانكسار النفس ، فقد كان والياً على الأهواز ، والسيد المطاع فيها ،

=== والنجوة والنجاة : ما ارتفع من الأرض فلم يعله السَّيل فظننته نجاءك ، والجمع نجاء . / اللسان : " نجا " : ١٥ / ٣٠٤-٣٠٥ .

(١) انظر البيت في : الطرائف الأدبية ـ ديوان إبراهيم بن العباس الصولي ـ : ١٣٢ ، الأغاني : ـ دار الكتب ـ : ١٠ / ٥٠ ، والبيت الأخير في معجم الأدباء : ١ / ١٦٩ .

(٢) الدلائل ـ رضا ـ : ٧٠-٧١ ، خفاجي : ١٢٧ ، شاكر : ٨٦ .

ثم ها هو ذا ، وقد تنكر له الدهر ، وتسلط عليه الأعداء ، وعظم بذلك الخطب ، فتمنى لو أنه أصيب بما أُصيب بعيداً عن الأهواز ؛ لأن الذل في موطن السيادة والعز أشد وقعاً، وألما على النفس ، فتراه يصور حاله هذه بألفاظ تبعثها المعاني النفسية للشاعر، حيث قدَّم الظرف " إِذْ نَبَا " على معموله ؛ لأن الشاعر أحس أول ما أحس بوطأة ذلك الزمن ، فأراد أن يجسد أهواله ويصور جسامة الأمور التي ألمت به فيه ، فهو زمن ليس كأي زمن مر به ، بل هو زمن يثير في نفسه الألم ، ففيه أنكر هو الصاحب إذ لم يجد فيه ماكان يعهده ، وتسلط عليه الأعداء ، وانقلبت أحواله كلها ، وتغيرت ، فكان لابد أن يقدمه ؛ لأن فيه ولدت مأساته ، وفيه ترعرعت، فاللفظ يترتب بحسب ترتيب المعاني في النفس .

قال الشيخ عبد القاهر :

" . . . وأما نظم الكلم فليس الأمر فيه كذلك ؛ لأنك تقتفي في نظمها آثار المعاني، وترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس "(١)

ثم نكر لفظ الدهر ليبين عظم البلوى التي تحيط به ، أو أن تنكير الدهر جاء تبعاً لإنكار النفس له ، فقد أصبحت نفسه تنكر هذا الدهر ، فهو زمن منكر عجيب ، فليس هو الزمن الذي مر به وعاش فيه أيام كان سيداً مطاعاً على الأهواز.

جاء في خصائص التراكيب :

" تجد أنه نكر دهراً ليشير بهذا إلى أنه دهر منكر مجهول ، فليس هو الدهر الذي عهده الشاعر أيام نعمته وولايته على الأهواز ، وقد كان الشاعر عاملا عليها من قبل الواثق بالله ثم عُزل في وزارة محمد بن عبد الملك الزيات، فهو ضائق ضجر بدهر غادر . . "(٢)

---

(١) الدلائل - رضا - : ٤٨ ، خفاجي : ٩٨ ، شاكر: ٤٩ .

(٢) خصائص التراكيب : ١٦٥ .

ويرى الدكتور مندور أن الشاعر نكّر لفظ " دهر " ليفرده ويجعله دهراً خاصاً به ، دهراً غدّاراً ابتلاه به القضاء المحتوم. (١)

وانظر إلى بناء الفعل " أنكر " للمجهول، وما فيه من إيهام أن الإنكار ليس منه وحده ، وإنما هو عام ؛ لأن القصد إثبات الفعل دون أن يلاحظ تعلقه بفاعل معين ، فَهَمّ الشاعر بيان أن هذا الصاحب أُنكر ، ولا يهم أن يكون هو، أو غيره الذي أنكره ، ويتضح هذا المعنى لو فرضنا أن الشاعر قال : " وأنكرت صاحباً " إذ يبدو أن المراد هنا أن يذكر إنكارا ، وأن ينسبه إلى نفسه ، وعند بناء الفعل للمجهول يسقط الحديث عن النفس ، ويبقى في الصورة الإنكار وحده .

فالشاعر يريد من الصاحب إنساناً معيناً هو محمد بن عبد الملك الزيات، وإنما نكّره لئلا يوقع الإنكار عليه ، فما زال الشاعر يرجو بعد هذا محمداً ، هذا إلى ما في معنى التنكير من التهويل ، ولو قال : " وأنكرت صاحبي " لذهب كل هذا .

وفي تنكير لفظ " نصير " تجسيد لألم الشاعر، وتجسيد لمأساته ، فالذي غاب عنه في محنته هذه ليس فرداً واحداً ، وإنما هم أفرادٌ عديدون خذلوه ، ولم ينصروه .

وفي بناء الفعل " سُلط " للمجهول ، وتنكير " أعداء " تصوير لتكالب الأعداء عليه . " وإذا كان تنكير الدهر ، وهو الشيء الواحد المعرف بوحدته يفيد الإفراد ، فإن تنكير " صاحب ، وأعداء ، ونصير" يفيد الإطلاق ، ويشعرنا بضيق الشاعر ، فهو ينكر كل صاحب لما كان من غدر ، أولئك الصحاب ، وهو يريد أن كل عدو قد سلط ، وأن كل نصير قد غاب ، تنكير المتعدد أفاد الإطلاق ، والأمر في تنكير " مقادير وأمور " يشبه تنكير " دهر " فهو يخصصها بالشاعر ويجعلها وقفا عليه ". (٢)

---

(١) في الميزان الجديد : ١٩١ .

(٢) المرجع السابق : ١٩١ - ١٩٢ .

فالشاعر هنا يذكر أربعة أمور: تنكر الدهر له وتحوله عنه ، وتغير صاحبه عليه ، وسلطان الأعداء عليه ، وتخلي الأنصار عنه ، وشر ما في الجميع تسلط الأعداء عليه ، بعد أن كانوا مغلوبين مقهورين .

ورأى الدكتور محمد أبو موسى أن تنكير "صاحب" هنا يدل على أنه صاحب لئيم حقير، غير معروف بالصحبة ، ولا مشهور بخلالها ، وأن تنكير "أعداء" للتحقير والتهوين من أمرهم . قـال :

"وقد أراد بقوله "وأنكر صاحب" أنكرت صاحباً ، ولكنه جاء على هذا الأسلوب حتى لا يسند إنكار الصاحب إلى نفسه صريحاً في اللفظ ، وإن كان صاحباً لئيماً محتقراً غير معروف بالصحبة ، ولا مشهور بخلالها .

وتنكير الأعداء في قوله : " وسلط أعداء " فيه معنى التحقير ، وقلة الشأن ، وأنهم ليسوا من مشاهير الرجال ، ورمز ببناء الفعل للمجهول في قوله " وسُلط " إلى أنهم أداة في أيدى غيرهم لا يملكون من أمرهم شيئا ، فهم لا يستطيعون عداوتي إلا إذا دفعوا إليها من مجهول ساقط".(١)

وفي كلا الرأيين نظر:

أما أولا : فلإنه يريد بالصاحب هنا "محمد بن عبد الملك الزيات" وهو يقول في البيت الثالث :" وإني لأرجو بعد هذا محمداً " فكيف يرجوه وهو يحقره ؟!

ولأن تعظيم الصاحب الذي أنكره أدل على عظم المصاب من تحقيره ، وهو إنما أراد بالبيت الأول أن يهول مصابه ؛ ليكون هذا سبباً قوياً في تنمية البعد عن الأهواز .

وأما ثانياً : فلأن الأعداء الذين سلطوا عليه لو لم يكونوا ذوي خطر لما هاله أمرهم ؛ ولأن يكونوا أعداء أقوياء حاقدين أنسب من أن يكونوا حقراء ؛ لأنه حينئذ لا يأبه لعداوتهم ، فهي لا تضره ، وإنما يقلقه أنهم يستطيعون ضره .

---

(١) خصائص التراكيب : ١٦٥ .

وبناء " سُلط " للمجهول دعا إليه أن التسليط كان من صاحبه محمد بن عبد الملك ، وهو لا يريد أن يذكر أنه أغرى به أعداءه لأسباب واضحة . ـ هكذا يبدو لي ـ .

ومن المعاني الثرة في هذه الأبيات اختياره الفعل المضارع " تكون " مع أن الحديث في البيت قبله كان بالماضي ؛ لأن الفعل المضارع يدل على المستقبل فيصور بذلك أمنيات الشاعر وأحلامه في أن يتحول هذا الزمن المليء بالآلام ، وتصبح داره في منجاة ، وكأنه يعرض أمنيته هذه على صديقه القديم ، ويؤكد له رجاءه في أن يحقق له هذه الأمنية ، وهذا الحلم الممتع ، فمثله يُرجى في الملمات .

فتصويره أمر نجاته ، وكأنه أمر محقق وتوكيد هذا المعنى في البيت الذي يليه بقوله ، وإنّي لأرجو " باستعمال " إن " المؤكدة ، ولام التوكيد في " لأرجو " ، وتنكير لفظ أخ ، ووزير ؛ لتعظيم شأنه والإعلاء من قدره ، وتوكيد أنه لا منقذ له مما هو فيه إلّا محمد هذا ، وأنه لن يقصد أحداً غيره ؛ لقدرته على ذلك دون سواه كل ذلك ليحث صديقه على الشروع والمبادرة في إنقاذه ، والإسراع في تلبية رغبته ، وتحقيق حلمه .

ورأى الدكتور مندور أن الشاعر " . آختار المضارع " تكون " على الماضي " كان " ؛ لأن المضارع هنا نحس في دلالته معنى الحالة المستمرة المنسحبة من الماضي إلى الحاضر فالمستقبل ، والشاعر ودّ عندما نبا الدهر لو تكون داره عن الأهواز بنجوةٍ ، تكون حتى قبل نبو الدهر ـ تكون وتستمر كذلك ؛ لأن الدهر قد أثبت بنبوه تلك المرة أنه قادر على الغدر في كل حين ، ومن الخير أن تقدر ذلك الغدر في كل حين ، وإذن المفاضلة بين الماضي والمضارع ليست مفاضلة بين ألفاظ بل بين معانٍ ، وعلى الأصح بين حالات نفسية بأكملها (١) .

ومن الدقائق التي لم يشر إليها الشيخ ابتداء الأبيات بحرف التمني " لو "

---

(١) قضايا النقد الأدبي : ٣٦٤ ، وانظر كذلك النقد التحليلي : ٢١٠ .

وماله من ايحاءات ومعان نفسية ، فـ "لو" هنا للتمنى ، والتمني تلازمه الحسرة ، ويكون في الأمور المتعذرة أو المستحيلة ومن هنا عظمت النكبة على الشاعر.

ذكر الدكتور محمد زكي العشماوي أن الشاعر قال أبياته هذه عندما أحس بالإشاعات المغرضة التي أخذت تتردد بين الناس عن احتمال عزله وتجريده من منصبه ، ولقد زاد أمر هذه الشائعات مما جعل الشاعر يتبرم ويضيق ، فعبر بهذه الأبيات عما تكنه نفسه .

ويبدو من أسلوب الشاعر ، والعبارات الموحية في أبياته أنه قالها حين حل به البلاء ، ونزل به القضاء ، فعاش إحساس الضيق والتبرم ، ولم يكن مجرد شعور ، ولم تكن مجرد إشاعات ، بل هي تجربة أليمة عاشها فعبر عنها أحسن ما يكون التعبير ، وصورها أدق ما يكون التصوير .

ب - مزايا النظم بحسب المعاني والأغراض .

يرى الإمام عبد القاهر أن الفضل والمزية في الكلمة يكون بحسب الموضع ، وبحسب المعنى الذي يُراد ، والغرض الذي قيلت فيه ، فشبه المعاني بالأصباغ التي تُعْمَل منها الصور والنقوش ، فليس الفضل في ذات اللون بل الفضل والحسن في كيفية مزجه وتوزيعه على أجزاء الصورة .

فالإنسان قبل أن يعمد إلى صبغ ثوبه نراه يتخير ، ويتدبر في أنفُس الأصباغ ، وفي مواقعها ، ومقاديرها ، وكيفية مزجها وترتيبها ، فيجيء بذلك نقشه أعجب ، وصورته أغرب ، وكذلك حال الشاعر في اختياره ، وتفكيره ، وتدبيره ، وتوجيهه معاني النحو ، ومعرفة وجوهه . قال الشيخ :

" . . . بل ليس من فضل ومزية إلا بحسب الموضع ، وبحسب المعنى الذي تريد والغرض الذي تؤمّ ، وإنما سبيل هذه المعاني سبيل الأصباغ التى تعمل منها الصور والنقوش ، فكما أنك ترى الرجل قد تَهَدّى في الأصباغ التي عمل منها الصورة والنقش في ثوبه الذي نَسَج ، إلى ضرب من التخيُّر والتدبُّر في أنفُس الأصباغ وفي مواقعها ومقاديرها ، وكيفية مزجه لها ، وترتيبه إيّاها إلى مالم يكن يَتَهدّى إليه [١] صاحبه ، فجاء نقشُه من أجل ذلك أعجب ، وصورتُه أغرب ، كذلك حال الشاعر ، والشاعر في توخيهما معاني النحو ، ووجوهه التي علمت أنها محصول النظم ". [٢]

ثم أشار الشيخ إلى أن الحسن أحيانا لا يتم إلا بمعرفة أجزاء القصيدة وانضمام الأبيات بعضها إلى بعض . قال :

" واعلم أن من الكلام ما أنت ترى المزية في نظمه والحسن كالأجزاء من الصبغ تتلاحق ، وينضم بعضها إلى بعض حتى تكثر في العين ، فأنت لذلك

---

(١) في نسخة شاكر : " مالم يتهدّ إليه صاحبه " .

(٢) الدلائل ، رضا : ٧١ ، خفاجي : ١٢٨ ، شاكر : ٨٧-٨٨ .

لا تكبر شأن صاحبه ، ولا تقضي له بالحذق ، والأستاذية ، وسعة الذرع، وشدة المنة حتى تستوفي القطعة ، وتأتي على عدة أبيات [١].

ثم ذكر الشيخ أن الأبيات الحسنة ذات النمط العالي الشريف ، والكلام الفاخر نادرة ، فالإنسان يحتاج إلى أن يفلي ديوانًا بكامله حتى يجمع منه عدة أبيات، ثم ذكر من هذا النمط العالي الأبيات الآتية :

الشاهد الرابع والثلاثون : (*) (الوافر)

قول الشاعر [٢] :

تَمَنَّانَا لِيَلْقَانَا بِقَوْمٍ ∴ تَخَالُ بَيَاضَ لَأْمِهِمُ [٣] السَّرَابَا

فَقَدْ لَاقَيْتَنَا فَرَأَيْتَ حَرْبًا [٤] ∴ عَوَانًا تَمْنَعُ الشَّيْخَ الشَّرَابَا [٥]

---

(١) الدلائل ، رضا ٧٠ ، خفاجي : ١٢٩ ، شاكر : ٨٨ .

(*) الدلائل ، رضا : ٧١ ، خفاجي : ١٢٩ ، شاكر: ٨٩ .

(٢) هو زياد بن حنظلة التميمي صحابي، بعث به رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قيس بن عاصم، والزبرقان بن بدر ليتعاونا على مسيلمة وطلحة ، وشهد مع أبي بكر حرب مانعي الزكاة يوم الأبرق / انظر الخبر في : تاريخ الطبري : ٣/٢٤٧ ، ٢٤٨ ، معجم البلدان : ١/٦٨ .

(٣) لَأْمِهِمْ : اللَّأْمُ جمع لَأْمَةٍ، وهي الدرع ، ويجمع أيضا على لُؤَم مثل نُغَر، على غير قياس كأنه جمع لُؤْمة، واللَّأْمة مهموزة : الدرعُ ، وقيل السلاح ، ولأْمةُ الحرب : أداتها ، وقد يترك الهمز تخفيفا ، ويقال للسيف لأمة ، وللرمح لأمة ، وإنما سُميت لأْمة لأنها تلائم الجسد وتلازمه ، وقال بعضهم : اللأمة الدرع الحصينة سميت لأمة لإحكامها وجودة حلقها / اللسان " لأم " : ١٢/٥٣٢ .

(٤) عَوانا : الحرب العوان المترددة ، قُوتِل فيها مرةً بعد مرة / اللسان : " عون " : ١٣/٢٩٩ .

(٥) لم أجد البيتين فيما رجعت إليه من مصادر، والذي وجدته بيتان هما فيما يبدو قبل بيتي الشاهد ، وهما :

وَيَوْمٌ بِالأَبَارِقِ قَدْ شَهِدْنَا ∴ عَلَى ذُبْيَانَ يَلْتَهِبُ الْتِهَابَا

أَتَيْنَاهُم بِدَاهِيَةٍ نَسُوفٍ ∴ مَعَ الصِّدِّيقِ إِذْ تَرَكَ العِتَابَا

وهما لزياد بن حنظلة أنشدهما في الموقعة التي كانت بين أهل الردة وأبي بكر =====

ذكرهما الشيخ من غير نسبة ، وأشار إلى أن أبا بكر الصديق رضوان الله عليه ، قد تمثل بهما حين أتاه كتاب خالد بالفتح في هزيمة الأعاجم ، وهما لزياد بن حنظلة التميمي .

والشاهد فيهما أن جمال البيتين يكمن في أنّ " الفاء " وقعت موقعها اللائق بها . قال :

" انظر إلى موضع " الفاء في قوله :

" فَقَدْ لاقَيْتَنَا فَرَأَيْتَ حَرْباً " (١)

فـ " الفاء " هنا وقعت موقعاً رائعاً ، حيث ربطت بين معنيين ، وموقفين متغايرين ، فالشاعر يذكر أن عدوه تمنّى وأحب لقاءه ؛ لأنه كان واثقاً من النصر لغروره بكثرة عدته وعتاده ، ثم جاء بـ " الفاء " ، " فَقَدْ لاقَيْتَنَا " التي طوت الزمن ، وطوت كثيراً من الأحداث ، ونقلتنا بسرعة إلى نتيجة اللقاء ، وهذا هو الخبر المهم الذي أراد أن يطلعنا عليه الشاعر ، ثم جاء بـ " الفاء " في قوله : " فرأيت " ، فدلت على أنّه على الرغم من كثرتهم الكاثرة تمت هزيمتهم في وقت قصير وبسرعة عجيبة ، « فالفاء » هنا عملت على إشباع نفوسنا بالسخرية من ذلك العدو ، وازدراء عدته وعتاده .

وكذلك نجد في قوله : " تمنع الشيخ الشرابا " لمحة جمالية ، فقد جسد لنا صورة الحرب التي دارت ، وأبرز شدتها وضراوتها ، فمن المتعارف عليه في الحروب قديماً أن الشيوخ والأطفال والنساء يكونون دائما في مأمن ، أما هذه الحرب لهولها وفظاعتها نزعت الأمن من قلوب الشيوخ حتى أنهم لم يجرؤوا على الطعام والشراب .

• ذكر الأستاذ محمد زكي العشماوي أن الشيخ عبد القاهر استطاع أن يكشف

=== الصديق ، ووقعت في موضع يقال له : أَبْرَقُ الرَّبَذَةِ ، وهو من منازل بني ذُبيان ، فغلبهم عليه أبو بكر . / معجم البلدان : ١/ ٦٨ .

(١) الدلائل ، رضا : ٧١ ، خفاجي : ١٢٩ ، شاكر : ٨٩ .

في كتابه " دلائل الاعجاز " ، وهو بصدد الحديث عن فكرة النظم عن كثير من الأسرار الكامنة في عوامل الصياغة ، وبيّن لنا أن حرفاً واحداً يقع موقعه من الكلام يمكنه أن يرفع القيمة الفنية والجمالية إلى مستوى لم يكن الكلام يبلغه لولا مجيء هذا الحرف في مكانه من التعبير، فحرف " الفاء " في بيتي الشاهد يكشف لنا عن الأثر الذي يتركه هذا الحرف فيهما ، ومبلغ ما يمنحه هذا الحرف الواحد من الفضل ، وما يضفيه على المعنى من ظلال ، فـ" الفاء " ، هنا استطاعت أن تصل بين موقفين متباينين تماماً يتلو الواحد منهما الآخر ، ويناقضه ، وتقف " الفاء " بينهما لتكشف النقاب عن خيبة الأمل التي انتهى إليها هذا الدّعي المغرور الذي كان يظن أنّ لديه القدرة على سحق خصومه ، والذي بلغ به الاعتداد ، والثقة بالنفس أن يتمنى اليوم الذي يلتقي فيه مع خصومه في حرب حتى يذيقهم درساً لا ينسونه ، وحتى ينتقم منهم ويتشفى ، فإذا الحرب تقوم ، وإذا الأمل العريض الواسع ينتهي إلى حقيقة مرة ساخرة ، وإذا الأمور تنقلب عن وجهها ، فينهزم أمام خصومه أي هزيمة .

وهكذا ترى أن كثيراً مما يشعر به القارئ عقب قراءته لهذين البيتين من معاني السخرية والتهكم، بل التشفي فيما انتهى إليه هذا الخصم المغرور إنما يكن في الوصل بـ" الفاء " بين البيتين ، وفي براعة الشاعر ، وقدرته على الاستفادة من حرف " الفاء " ، الذي عرف كيف يضعه الموضع اللائق به ، فإذا كان حرف واحد في موضع معين من الكلام قد حمل كل هذه المعاني والمشاعر، ولون البيت بعاطفة محددة وجعلها قادرة على أن تبلغ تأثيرها المطلوب ، فكيف بعوامل الصياغة الأخرى ؟ (١)

---

(١) قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث : ٣٩٦ - ٣٩٨ .
وعنه أخذ الدكتور أحمد عبد السيد الصاوي في كتابه النقد التحليلي : ٢٠٦ - ٢٠٧ .

الشاهد الخامس والثلاثون : (*) (البسيط)

قول العباس بن الأحنف (١) :

قَالُوا خُرَاسَانُ (٢) أَقْصَى مَا يُرَادُ بِنَا (٣) ∴ ثُمَّ القُفُولُ (٤) فَقَدْ جِئْنَا (٥) خُرَاسَانَا (٦)

(*) الدلائل ، رضا : ٧١ ، خفاجي : ١٣٠ ، شاكر : ٩٠ .

(١) هو العباس بن الأحنف بن الأسود الحنفي اليمامي ، أبو الفضل "..-١٩٢ هـ" شاعر غزل ، قال عنه البحتري أنه أغزل الناس أصله من اليمامة ، وسكن أهله البصرة وبها مات أبوه ، ونشأ هو ببغداد ، وتوفي بها وقيل بالبصرة ، وهو خال إبراهيم بن العباس الصولي ، كان العباس بن الأحنف رقيق الحاشية لطيف الطباع ، جميع شعره في الغزل / انظر ترجمته : الشعر والشعراء : ٢ / ٨٣١ - ٨٣٥ ، الأغاني : ٨/٣٥٢ - ٣٧٥ ، تاريخ بغداد : ١٢ / ١٢٧ ، ١٣٣ ، وفيات الأعيان : ٣ / ٢٠ - ٢٦ ، البداية والنهاية : ١٠ / ٢٠٩-٢١٠ ، الأعلام : ٣ /٢٥٩ .

(٢) خراسان إقليم معروف ، ومعنى خُر : كُلْ ، وأسان : معناه سهل أي كُلْ بلا تعب ، وقيل : معنى خراسان بالفارسية : مطلع الشمس والعرب إذا ذكرت المشرق كلة قالوا فارس ، فخراسان من فارس / انظر :
معجم ما استعجم : ٢ / ٤٨٩ - ٤٩٠ .

(٣) رواية مصارع العشاق : " أُقصى مانحاوله " .

(٤) رواية مصارع العشاق : " ودون ذاك " .

(٥) رواية المصارع : " فقد جُزْنا " .

(٦) انظر البيت في :
ديوانه - دار صادر - : ٣١٢ .
وقد أشار جامع الديوان إلى أن البيت لم يرد في أصول الديوان ، وانما أخذه عن رواية الأغاني .
الأغاني : ٨ / ٣٧٢ ، مصارع العشاق : ٢ / ٢٠٠ .

والشاهد مطلع قصيدته التي قالها حين خرج إلى خراسان بصحبة الرشيد - وكان قد ألفه - وطال مقامه بها، ثم خرج إلى أرمينية (١) فعارضه في طريقه، فأنشده الأبيات (٢).

وبعد الشاهد :

مَتى يَكُونُ الَّذِي أَرْجُو وآمُلُهُ ∴ أَمّا الَّذِي كُنْتُ أَخْشَاهُ فَقَدْ كَانَا (٣)

مَا أَقْدَرَ اللَّهَ أَنْ يُدْنِي عَلَى شَحَطٍ (٤) ∴ جِيرَانَ (٥) دِجْلَةَ مِنْ جِيرَانِ (٦) جَيْحَانَا

---

(١) أرمينية : ناحية بين آذربيجان والروم ذات مدن وقلاع وقرى كثيرة، أكثر أهلها نصارى، بها جبلان عظيمان : جبل الحارث والحويرث لا يقدر أحد على ارتقائهما. / انظر :
آثار البلاد وأخبار العباد : ٤٩٥ - ٤٩٦.

(٢) الأغاني : ٨/٣٧٢.
وجاء في مصارع العشّاق أنه لما خرج المأمون إلى خراسان كان في بعض الليل جالساً في ليلة مقمرة إذ سمع مغنياً يغني من خيمة له :
قَالُوا خُرَاسَانُ أَقْصَى مَا نُحَاوِلُهُ ∴ وَدُونَ ذَاكَ فَقَدْ جُزْنَا خُرَاسَانَا
فخرج المأمون من موضعه حتى وقف على الخيمة وعلّمها، فلما كان من الغد وجّه، فأحضر صاحب الخيمة، وهو شاب، فسأله عن اسمه، فقال : العباس ابن الأحنف، قال أنت الذي كنت تقول :
مَتى يَكُونُ الَّذِي أَرْجُو وَآمُلُهُ ∴ أَمّا الَّذِي كُنْتُ أَخْشَاهُ فَقَدْ كَانَا
قال : نعم، قال : ما شأنك ؟ قال : يا أمير المؤمنين تزوجت ابنة عم لي، فنادى مناديك يوم أسبوعي في الرحيل إلى خراسان، فخرجت، فأعطاه رزق سنة ورده إلى بغداد، وقال : أقم إلى أن تنفقها فإذا نَفِدَت رجعت.

(٣) ذكر في مصارع العشاق بعد الشاهد :
مَا أَقْدَرَ اللَّهَ أَنْ يُدْنِي بِعِزَّتِهِ ∴ سُكَّانَ دِجْلَةَ مِنْ سُكَّانِ جَيْحَانَا / :
٢ / ٢٠١.

(٤) رواية مصارع العشاق : " بِعِزَّته ".

(٥) رواية المصارع : " سكان ".

(٦) رواية المصارع : " سكان ".

عَيْنُ الزَّمانِ[1] أَصَابَتْنَـا فَلَا نَظَرَتْ ∴ وَعُذِّبَتْ بِفُنُونِ[2] الهَجْرِ أَلْوَانَـا
يَالَيْتَ مَنْ نَتَمَنَّى عِنْدَ خَلْوَتِنَـا ∴ إِذَا خَلَا خَلْوَةً يَوْماً تَمَنَّانَـا[3]

أشار الشيخ إلى أن سر الجمال يكمن في موضع " الفاء " و " ثم " قبلها .

قال :

" انظر إلى موضع " الفاء " و " ثم " قبلها[4] " .

• يشكو العباس في هذه الأبيات كثرة الترحال ، وعدم الاستقرار ، ويشكو الحنين إلى بلده ، ولكنه لا يستطيع أن يصرح بذلك تصريحاً مكشوفاً ، لأن الرشيد كان يصحبه معه لألفته به ، فكيف يواجه شعور الألفة ، بشعور التبرم صراحة ، لذا ترى الشاعر لجأ إلى أسلوب يبرز مشاعره ، وينقل إحساسه من غير تصريح ، فقال :

" قَالُوا خُرَاسَانُ أَقْصَى مَا يُرَادُ بِنَا " ، ولم يحدد من القائل بل ترك هذه الكلمة تنبه إحساس القائل بأنه قد أعطى وعداً بأن آخر مطافهم هو بلاد خراسان ، ولكن الشاعر عندما رأى الحقائق تغيرت أصابه الملل والضجر ، وقوله : " ثم القفول " جعل " ثم " تحمل معنى الاستبعاد ، فهي هنا لا تدل على التراخي ، لأن السياق لا يتحمل هذا المعنى ، فالتراخي لا يتلاءم مع إحساس الشاعر بالضجر والتبرم ، فالأحداث والأفعال قبل " ثم " مهيئة لعدم حصول مابعدها (٥) .

وحملت " ثم " معنى الحسرة ، لأن أمر القول والرجوع الى الأوطان أصبح بعيداً في نفس الشاعر بالنسبة للاقتراب ، والبقاء في خراسان .

ونفسية الشاعر كانت مهيأة للبعد عن الديار لفترة محدودة أقصاها بلاد خراسان ، وعندما زادت المدة فوجيء الشاعر فأصابه القلق ، والملل ، والضجر ، وأحس بالضيق لإخلاف الوعد ، وغالبه الشوق والحنين إلى الديار فجاء بـ " الفاء " ليحملها

---

(١) رواية المصارع : " عيناً أظنُّ " .

(٢) رواية المصارع : " بصنوف " .

(٣) ديوانه : ٣١٢ .

(٤) الدلائل ، رضا : ٧١ ، خفاجي : ١٣٠ ، شاكر : ٩٠ .

(٥) البلاغة القرآنية عند الزمخشري ، محمد أبوموسى : ٢٣٨-٢٣٩ .

كل هذه المعاني ، فحملت بذلك كثيراً من المعاني النفسية والشعورية التي كانت تثقل نفس الشاعر، ولا يستطيع أن يجهر بها ، ويصرح ، ونرى الشاعر بعد ذلك يلجأ إلى تسلية نفسه وتصبيرها ، فأخذ يتأمل ويحلم بالرجوع ، فجاء بالاستفهام يحمله أحلامه ورغباته في العودة فقال : " متى يكون " ثم جاء بالاسم الموصول " الذي " فحمله كل رجائه ، فلفظ " الذي " يرمز إلى رغبته في العودة ، ثم بين أن الأمر الذي يخشاه فاجأه بالتحقق والحصول : " فقد كانا " فالفاء هنا جاءت مفاجأة للشاعر، فصدمت أحلامه ، وحطمت آماله " فأحسن مواقع الفاء ما تدل فيه على المفاجأة " وقد لحظ الزمخشري هذا[1] في قوله تعالى : ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ﴾[2]، قال : " هذه المفاجأة بالاحتجاج والإلزام حسنة رائعة وخاصة إذا انضم إليها الالتفات ، وحذف القول، ونحوها قوله تعالى ... وقول القائل :

قَالُوا خُرَاسَانُ أَقْصَى مَا يُرَادُ بِنَا .. ثُمَّ القُفُولُ فَقَدْ جِئْنَا خُرَاسَانَا)[3]

والفاء هنا دلت أيضا على تحقق الأمر الذى يكره .

الشاهد السادس والثلاثون : (*) (الطويل)

قول ابن الدمينة :[4]

أَبِينِي أَفِي يُمْنَى يَدَيْكِ جَعَلْتِنِي ∴ فَأَفْرَحَ أَمْ صَيَّرْتِنِي فِي شِمَالِكِ

---

(١) البلاغة القرآنية عند الزمخشرى : ٢٤٠ .

(٢) الفرقان : ١٩ .

(٣) الكشاف : ٣ / ٨٦ .

(*) الدلائل ، رضا : ٧١ ، خفاجي : ١٣٠ ، شاكر: ٩٠ .

(٤) ابن الدمينة : الدمينة أمه ، وهي الدمينة بنت حذيفة السلوليه ، واسمه عبدالله بن عبيد الله ، أحد بني عامر بن تيم بن مُبشر بن أكلب بن ربيعة بن عِفرس بن حلف بن أفتل ، وكان يهوى امرأة من قومه يقال لها أميمة ./

انظر ترجمته وأخباره في :-

نوادر المخطوطات : " أسماء المغتالين " : ٢ / ٢٦٩ - ٢٧١ ، نوادر المخطوطات : " كتاب من نسب إلى أمه من الشعراء " : ١ / ٨٨ ، الشعر والشعراء : ٢ / ٧٣٥ - ٧٣٦ ، الأغاني : ١٧ / ٩٣-١٠٦ .

أبيتُ كأنّي بينَ شِقّينِ من عصـــا (١) ∴ حِذارَ الرّدى أو خيفةً من زيالِـــكِ
تعاللتِ (٢) كي أشجى ومابكِ علّةٌ ∴ تريدينَ قتلي قد ظفرتِ بذلِـــكِ (٣)

---

(١) ذكر الدكتور محمد غنيمي هلال في كتابه " قضايا معاصرة " : ٦٦ .
رواية أخرى للبيت لم أقف عليها، وهي :
أبيتُ كأنّي بينَ شِقّينِ من رَحَى .
ويبدو أن هذه الرواية أفضل، لأن الشاعر يشكو شدة حاله، ووجده، فشقا الرحى آنق في التعبير، وأدق في تصوير حاله فهي أشد إيلاما له .

(٢) رواية العقد الفريد، وأمالي القالي : " تمارضتِ " .

(٣) وهذه الأبيات بهذا الترتيب تفرد بها الشيخ عبد القاهر، فلم أجدها كذلك في ديوانه، ولا في المشهور من كتب الأدب ـ على حسب المراجع والمصادر التي رجعت إليها ـ، فذكر في الديوان من هذه الأبيات .
البيت الأول فقط وقبله :
أرى النّاسَ يرجُونَ الرّبيعَ وإنّمـــا ∴ رجائي الّذي أرجُو جدًى من نوالِـــكِ
وبعده :
لئنْ ساءني أنْ نلتِني بمساءةٍ ∴ لقدْ سرّني أنّي خطرْتُ ببالِـــكِ
وكذلك في أمالي الزجاجي لم يذكر إلا البيت الأول فقط، وذكر قبله :
ليهنكِ إمساكي بكفّي على الحشا ∴ ورقراقُ عيني خشيةً من زيالِـــكِ
وبعده :
أرى النّاس يرجُونَ الرّبيعَ وإنّما ∴ رجائي الّذي أرجُو رجاءُ وصالِكِ
وفي العقد الفريد ذكر البيت الثالث فقط، وبعده :
وقولكِ للعُوّادِ كيفَ ترونَـــــــهُ ∴ فقالُوا قتيلاً قلتُ أهونُ هالِـــكِ
لئنْ ساءني أنْ نلتِني . . .
وكذلك في أمالي القالي . ذكر البيت الثالث فقط، وذكر بعده :
لئنْ ساءنـي أنْ نلتِني . . .
وفي المفتاح لم يذكر إلا البيت الثالث فقط.
وفي الحماسة البصرية ذُكر أيضا البيت الثالث فقط وذُكر قبله :
أرى النّاسَ يخشَونَ السّنينَ وإنّما ∴ سِنيَّ الّتي أخشَى صُروفُ احتمالِـــكِ
وبعده :

======

والأبيات من قصيدة مطلعها :

وَقِفِي يَاأُمَيْمَ القَلْبِ نَقْضِ لُبَانَةً (١) ∴ وَنَشْكُ الهَوى ثُمَّ افْعَلِي مَابَدَا لَكِ (٢)

=== وَقَوْلُكِ لِلْعُوَّادِ كَيْفَ تَرَوْنَهُ . . .

وكذلك ذُكر في الإيضاح، وشرح أبياته البيت الثالث فقط .

وفي أنوار الربيع ذُكر البيت الأول، والثالث إلّا أنه ذُكر البيت الثالث أولاً، ثم أعقبه بقوله : تَقُولِينَ لِلْعُوَّادِ كَيْفَ تَرَوْنَهُ . . .

لَئِنْ سَاءَنِي أَنْ نِلْتِنِي . . .

أَبِينِي أَفِي يُمْنَى يَدَيْكِ جَعَلْتِنِي

وفي الكشكول للعاملي ذكر عدة أبيات من ضمنها البيت الثالث والأول ، وذكر البيت الثالث أولا وبعده : لَئِنْ سَاءَنِي أَنْ نِلْتِنِي . . .

ثم ذكر البيت الأول .

وفي شرح الحماسة للمرزوقي، وأمالي المرتضى، والزهرة ذُكرت عدة أبيات من القصيدة ،ولم يُذْكر ضمنها أبيات الشاهد . / انظر :

ديوان ابن الدمينة : ١٧ ، العقد الفريد " دار الفكر" : ٢/ ٢٥٦ ، أمالي الزجاجي : ١٠٨-١٠٩ ، الأغاني : ١٧/ ٩٢ ، أمالي القالي : ١/ ٣٠ ، الأشباه والنظائر للخالديين : ٢/ ٥٦ ، معاني أبيات الحماسة : ١٨٩ ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ٣/ ١٣٠٧-١٣٠٨ رقم (٥١٠) ، أمالي المرتضى : ١/ ٤٩٥ ، شرح الحماسة للتبريزي : ٣/ ١٤٨-١٤٩ ، المفتاح : ٨٥ ، الحماسة البصرية : ٢/ ١٠٦-١٠٧ ، الإيضاح : ١/ ١٥٥ ، شرح أبيات الايضاح - فيض الله - ورقة : ٢٣ب ، أنوار الربيع : ٤ / ٥١ ، ٦/ ٢٢٧-٢٢٨ ، الكشكول : ٢/ ٣/ ٧٢ .

(١) اللبانة : الحاجة من غير فاقة ، ولكن من همة / " اللسان مادة " لبن " ١٣/ ٣٧٧ .

(٢) هذا البيت منسوب في الزهرة لخليفة بن روح الأسدي : ١/ ٨٦ ، ذكر محقق الديوان أنه يروى : " نَشْكُ الَّذِي بِنَا وَفَرْطَ الهَوَى "

وفي الأمالي للزجاجي، والمرتضى، والزهرة والأشباه، والحماسة البصرية : " نَقْرَأْ تَحِيَّةً - وَنَشْكُو الهَوَى "

وفي رواية شرح الحماسة للمرزوقي ومعاهد التنصيص ، ورواية معاني =====

وموضع الشاهد في الأبيات في البيت الثالث وهو قوله :

" تُرِيدِينَ قَتْلِي قَدْ ظَفِرْتِ بِذَلِكِ "

قال الشيخ : " انظر إلى الفصل والاستئناف في قوله :

" تُرِيدِينَ قَتْلِي قَدْ ظَفِرْتِ بِذَلِكِ "

• إن الفصل والاستئناف اللذين أشار إليهما الشيخ ليس في ذاتهما يكمن سر الجمال ، ولكنهما استطاعا أن يحددا موقعاً من المواقع الفنية العجيبة في الأبيات؛ لأنهما جاءا عقب هذا التقديم الذي قدم به الشاعر لموقفه من حبيبته ، فهو هنا في حالة اضطراب نفسي ، فصاحبته تستعمل معه سياسة الكر والفر، فهي لا تعطي حتى تمنع ، وهي إن لانت وأسمحت يوماً عصت واستعصت أياماً ؛ لذا وقع الشاعر في حيرة من أمر محبوبته أهي تكن له الود والمحبة ؟ فكنّى عن ذلك بقوله : " أفي يمنى يديك جعلتني " ؛ لأن العرب تقول في الشيء إذا كان موضع العناية والاهتمام هو في يمينه ، أو تلقاه بيمينه ، أو أخذه بيمينه ، فاليمين بركة وبشارة ، أم أنها لا تقيم لحبه وزنا ؟ وكنى عن ذلك بقوله : " أم صيرتني في شمالك " ؛ لأن العرب تقول : صيره في شماله إذا لم يحفل به ، فالشمال شرٌّ وشؤم ، وعبر عن حيرته هذه بالاستفهام الذي انطوى على معاني الضيق والتبرم ، وجسد مشاعر الحيرة الدائرة في نفسه .

واستعمل الفاء في قوله : " فأفرح " ؛ لأنه وجد فيها مخرجا من يأسه ؛ ولأن هذا هو ما يتمناه ويرجوه من صاحبته ، ونراه أضمر بعد قوله في شمالك فعل " فأحزن" ؛ لأن ذكر الحزن يضاعف من همه .

وصور حيرته ، وألمه وشدة وجده ؛ بأن شبه نفسه كالواقع بين شقي رحى ، ففراقها عنده هو الموت بعينه .

=== أبيات الحماسة : " قِفِي يَاأُمَيْمَ القَلْبِ نَقْضِ تَحِيَّةً " .

وذكر ابن معصوم أن مطلع القصيدة :

قِفِي قَبْلَ وَشْكِ البَيْنِ يَاابْنَةَ مَالِكٍ .·. وَلَا تحرمينا نظرة من جمالك

ثم يذكر تلاعب صاحبته بعواطفه ، وكيف أنها تتعالل وتتمارض لتحزنه وتشجيه ؛ لأنها تعلم مكانتها في نفسه ، وعندما اشتد حزنه وألمه ، وبلغ به الصراع النفسي كل مبلغ قطع كلامه ، وتوجه بالحديث إلى صاحبته ، وكأنه يلومها ، ويستعطفها في آن واحد ، فقال :

" تُرِيدِينَ قَتْلِي قَدْ ظَفِرْتِ بِذَلِكِ "

فاسم الإشارة هنا جاء ليؤدي دوره في تجسيد المعنى حيث جعل قتله أمراً ظاهراً محسوساً بالبصر يشار إليه كما يشار إلى أي صورة محسوسة .

قال السكاكي :

" وإنما قال قد ظفرت بذلك ، ولم يقل بقتلي لادّعائه أن قتله ظهر ظهور المحسوس بالبصر المشار إليه باسم الإشارة ".(١)

فهذا التعالل المتعمد ، والضيق الذي يحاصر نفسه ، ويكتم أنفاسه ، وموقفه الذي لا يعلم مكانه أهو موضع اهتمام من حبيبته أم لا ؟ والاستفهام الذي يمثل التبرم بالموقف ويمتلئ بهذا الضيق ، وبتلك الحيرة والثورة النفسية في قمة الأبيات ، كل هذا يسلم في النهاية إلى استفهام أخير يرتكز عنده الفصل والاستئناف ، ويحمل الصوت الحزين والنهاية المؤلمة ، ثم إن صوت الهمزة يتكرر في البيتين الأول والثاني ؛ لأنه جعلها مثلا لصرخته التي يعلن من خلالها عن مأساته مع صاحبته ؛ وذلك لما تمتاز به الهمزة من أنها أقوى الحروف الحلقية ، ثم جاء بالتشبيه ؛ ليكمل التعبير عن موقف الضيق والتبرم والخوف من فراقها نهائيًا ، وفي ذلك هلاك له ؛ لأن زوالها عنه وهلاكه سيان ، وقد ربط حرف العطف " أو " في قوله : " حِذَارَ الرَّدَى أَوْ خِيفَةً مِنْ زِيَالِكِ " بين الموقفين وسوى بينهما ، وهذه إحدى وظائفه النحوية .

---

(١) المفتاح : ٨٥ ، وانظر كذلك : معاهد التنصيص : ١ / ١٥٩.

وهكذا نحس مع الشاعر قيمة مايحمله الفصل، ثم الاستئناف من معنى، ومايتضمنه من مشاعر عاونت وساعدت في تكوينها، وتجميعها أجزاء الكلام كلها في وحدة وتكامل.(١)

وقد ذكر ابن معصوم هذه الأبيات في موضوع "الانسجام"، فهي عنده من الكلام العذب الألفاظ، السهل التراكيب، الحسن السبك، الخالي من التكلف والتعقيد، يكاد يسيل من رقته، وينحدر انحدار الماء في انسجامه.(٢)

الشاهد السابع والثلاثون : (*) (البسيط)

قول أبي حفص الشطرنجي(٣)، قاله على لسان عُلَيَّة(٤) أخت الرشيد وقد كان الرشيد عتب عليها :

---

(١) انظر: قضايا النقد الأدبي : ٣٦٧، النقد التحليلي : ٢٠٦، خصائص التراكيب : ١٥٦.

(٢) أنوار الربيع : ٤ / ٥١.

(*) الدلائل، رضا: ٧٢، خفاجي : ١٣٠، شاكر: ٩٠.

(٣) هو عمر بن عبدالعزيز مولى بني العباس، وكان أبوه من موالي المنصور فيما يقال، وكان اسمه أعجميا، فلما نشأ أبو حفص وتأدب غيّره وسماه عبدالعزيز، نشأ في دار المهدي، ومع أولاد مواليه، وكان مشغوفا بالشطرنج فلُقب به لغلبته عليه، فلما مات المهدي انقطع الشاعر إلى عُلَيَّة، وأصبح شاعرها المفضل (ت ... - ٢١٠ هـ) /.
انظر ترجمته في : -
الأغاني : ٢٢ / ٤٤-٥١، سمط اللآلي : ١ / ٥١٧، فوات الوفيات : ٣ / ١٣٥ - ١٣٧، شخصيات كتاب الأغاني : ٢٥٢.

(٤) هي عُلَيَّة بنت المهدي "١٦٠ هـ - ٢١٠ هـ" أمها أم ولد مغنية يقال لها مكنونة كانت من جواري المروانية، وليست من آل مروان بن الحكم، توفيت عُلَيَّة ولها من العمر خمسون سنة. وصلى عليها المأمون. / انظر ترجمتها في :
الأغاني : ١٠ / ١٦٢-١٨٦، شخصيات الأغاني : ٤١٠.

لَوْ كَانَ يَمْنَعُ حُسْنُ الفِعْلِ صَاحِبَهُ (١) ∴ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ ذَنْبٌ إِلَى أَحَدِ

كَانَتْ عُلَيَّةُ أَبْرَى النَّاسِ كُلِّهِمُ ∴ مِنْ أَنْ تُكَافَا بِسُوءٍ آخِرَ الأَبَدِ

مَا أَعْجَبَ الشَّيءَ تَرْجُوهُ فَتُحْرَمَهُ ∴ قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنِّي قَدْ مَلَأْتُ يَدِي (٢)

وموضع الشاهد في قوله : " قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ "

قال الشيخ :

" أنظر إلى قوله " قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ " وإلى مكان هذا الاستئناف (٣) "

صاغ الشاعر هذه الأبيات تعبيراً عن شعور وليّة نعمته ، وإفصاحاً عن رغبتها في أن تُعاد أيام الصفاء بينها وبين أخيها ، فأحسن الشاعر وأبدع في نقل هذه الرغبة الصادقة ، حيث بدأ الأبيات بلفظ " لو " الذي حمل في طياته معنى الاستعطاف والاعتذار والرجاء ، وأسند «المنع» لحسن الفعل إسناداً مجازياً علاقته السببية ليبين أن وليته لا يصدر عنها إلا الفعل الحسن ، فإذا كان هذا الفعل الحسن هو الذي يصون المرء من أن يذنب في حق أحد ، كانت عُلَيَّة هي المتفردة بالبراءة ، لأن صفة " حُسْنُ الفعل " قد لازمتها ، فليس من العدل أن يساء إليها آخر الأمر .

وقال " تُكَافَأ " بدل «تُجَازى» ، لأنه استعظم أن يذكر كلمة " تجازى " التي تستعمل غالبا مع الأمر السَّيِّئ ، وكأنه يُلَمِّح ويشير إلى أنّ الأمر الذي تستحقه عُلَيَّة هو المكافأة والثواب ، ثم يأسف الشاعر ويتعجب من حال الإنسان الذي يتمنى ويرجو أشياء ، ولكن لا يجد أمامه إلا الحرمان .

---

(١) رواية الأغاني : " حُسْنُ العقل " .

(٢) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في :
الأغاني : ٢٢ / ٤٨ ، فوات الوفيات : ١٣٧ ، وذكر في الأغاني بيتاً رابعاً قبل البيت الأخير وهو :
مَالِي إِذَا غِبْتُ لَمْ أُذْكَرْ بِوَاحِدَةٍ ∴ وَإِنْ سَقِمْتُ فَطَالَ السُّقْمُ لَمْ أُعَدِ

(٣) الدلائل ، رضا : ٧٢ ، خفاجي : ١٣٠ ، شاكر : ٩٠ .

انظر إلى قوله " ماأعجب الشيء " ، وكأنه يرمز بلفظ " الشيء " إلى الصلح والصفاء الذي ترجوه عُلَيّة ، وتنطوي عليه نفسها وانظر إلى حسن موقع " الفاء " في قوله " ترجوه فتحرمه " وكيف سارعت برسم خيبة الرجاء ، وتسابق الحرمان.

فحين أحس الشاعر بشعور الخيبة هذا ، قطع الكلام واستأنف بقوله : " قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ أني قَدْ مَلأتُ يَدِي " فعبر عن خيبة الأمل بهذا الأسلوب الكنائي المعبر الجميل فحمل من معاني الحسرة والألم والأسي ماتفطرت له نفس الشاعر .

وساعدت أدوات التوكيد هذا الاسلوب الكنائي في ابراز صورة الخيبة ، فبدأ البيت بـ" قد " ، ثم جاء بـ" إن " ، ثم كرر " قد " مرة أخرى في قوله " قد ملأت " .

ولجأ الشاعر الى أسلوب التلميح والرمز ليرقق عاطفة الرشيد ويثير في نفسه الحنين ، فالرمز والتلميح في هذه المواقف أشد وقعا على النفس من التصريح ، لأن الرمز هو حديث العواطف والمشاعر .

الشاهد الثامن والثلاثون : (*) (الخفيف)

قول أبي دواد(1) :-

(*) الدلائل ، رضا : ٧٢ ، خفاجي : ١٣٠ ، شاكر : ٩١ .

(1) هو أبو دواد الإيادي ، وهو جارية ، ويقال جويرية بن الحجاج بن يحمر ، وقيل " حمران " بن بحر بن عصام بن مُنبه بن حُذاقة " حُذاق " وهي قبيلة من إياد ، ضرب به المثل في الجود ؛ لأنه آثر صديقه النمري بنصيبه من الماء ، فمات أبو دواد عطشا ، وهو من أشهر نُعَّات الخيل ، وأكثر شعره في وصفها ، وهو من شعراء الجاهلية ./ انظر ترجمته في :-
الشعر والشعراء : ١ / ٢٤٣ - ٢٤٦ ، المؤتلف والمختلف : ١١٥ ، المرزباني : ٦٦ ، الأغاني : ١٦ / ٣٧٣ - ٣٨٢ ، شرح شواهد المغني : ١ / ٣٥٩ - ٣٦٠ ، خزانة البغدادي : ٤ / ١٩٠ - ١٩١ ، شخصيات الأغاني : ٢٤ .

وَلَقَدْ أَغْتَدِي يُدَافِعُ رُكْنِي :. أَحْوَذِيٌّ(١) ذُو مَيْعَةٍ(٢) إِضْرِيجُ(٣)

سَلْهَبٌ(٤) شَرْجَبٌ(٥) كَأَنَّ رِمَاحاً :. حَمَلَتْهُ وَفِي السَّرَاةِ(٦) دُمُوجُ(٧)(٨)

---

(١) أحوذي : أحوذ في السير سار سيراً شديداً ، والأحوذي السريع في كل ما أخذ فيه ، وأصله في السفر . / اللسان " حوذ " : ٣/ ٤٨٦ .

(٢) ذو ميعة : الميع مصدر ماع وميعة الفرس أوله وأنشطه / اللسان " ميع " : ٨/ ٣٤٤ .

(٣) إضريج : الإضريج الجيد من الخيل الكثير العرق الشديد العدو/ اللسان" ضرج" :٣١٥/٢ .

(٤) السلهب : الطويل من الخيل ، وربما جاء بالصاد ، والجمع السّلاهبة / اللسان " سلهب " ١ / ٤٧٤ .

(٥) شرجب : الطويل القوائم العاري أعالي العظام ، وهو نعت للفرس الجواد ، الكريم / اللسان " شرجب" : ١/ ٤٩٣ .

(٦) السراة : الظهر . / اللسان " سرا" : ١٤/ ٣٧٩ .

(٧) دُموجُ : أي محكم الفتل مُمَلَّسٌ ، وهو من قولك أَدْمَجَ الحبل إذا أحكم فتله ، ومتنٌ مُدَمَّجٌ وكذلك الأعضاءُ مُدْمَجَة كأنها أُدمِجَت ومُلِسَت . / اللسان " دمج " : ٣/ ٣٧٤-٣٧٥ .

(٨) أورد الجواليقي البيتين مع اختلاف بسيط في البيت الثاني حيث أبدل لفظة " أحوذي " بلفظة " أجولي " قال :

وَلَقَدْ أَغْتَدِي يُدَافِعُ رُكْنِي :. أَجْوَلِيٌّ ذُو مَيْعَةٍ إِضْرِيجُ

والأجولي : هو الفرس الذي يجول بفارسه .

وفصل بين البيت الثاني والثالث بقول الشاعر :

مِخْلَطٌ مِزْيَلٌ مِعَنٌّ مِفَرٌّ :. مِطْرَحٌ مِضْرَحٌ جَمُوحٌ خَرُوجُ

وكذلك رواية اللسان : " أجولي " .

وذكر ابن قتيبة البيت الثاني فقط مع بعض التقديم والتأخير في الشطر الأول فقال : " شَرْجَبٌ سَلْهَبٌ كَأَنَّ رِمَاحاً " .

وذكر الصولي البيت الثاني فقط ، وروايته موافقة للدلائل .

وأورد الشيخ عبد القاهر بيتي الشاهد في " الرسالة الشافية " وجعل بينهما بيتاً ثالثاً هو قول الشاعر :

مِخْلَطٌ مِزْيَدٌ مِكَرٌّ مِفَرٌّ :. منقح مِطْرَحٌ سَبُوحٌ خَرُوجُ

= = = = = =

الصفات العجيبة ، فشبه قوائمه في غرابتها ، وعدم وجود مثيل لها في الدقة بالرماح ، ليس هذا فحسب بل نكّر لفظ " رماح " ليدل على أن هذه ليست رماحاً حقيقية معروفة ، بل هي رماحٌ عجيبة غريبة .

ولقد استحسن أبو الأسود الدؤلي هذه الأبيات واعتبر قائلها أشعر الناس .

فقد روى أن أمير المؤمنين علياً رضي الله عنه ، كان يفطر الناس في رمضان ، فإذا فرغ من العشاء تكلم وأوجز ، فأبلغ ، ويروى أن الناس اختصموا عنده ليلة في أشعر الناس ، فطلب علي من أبي الأسود الدؤلي أن يذكر من هو؟ فقال أبو الأسود " أشعرهم الذي يقول :

وَلَقَدْ أَغْتَدِي يُدَافِعُ رُكْنِي ... الشاهد (١)

الشاهد التاسع والثلاثون : (*) (الوافر)

قول ابن البواب (٢) :

---

(١) الرسالة الشافعية :" ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن "-: ١٣٠ .

(*) الدلائل ، رضا : ٧٢ ، خفاجي : ١٣١ ، شاكر : ٩١ .

(٢) هو عبد الله بن محمد بن عتاب بن إسحاق من أهل بخارى ، وجّه بجدّة وجماعة معه رهينة إلى الحجاج بن يوسف ، فنزلوا عنده بواسط ، فأقطعهم سِكة بها ، فاختطّوها ، ونزلوها طول أيام بني أمية ، ثم انقطعوا من الدولة العباسية إلى الربيع ، فخدموه ، وكان عبد الله ابن محمد هذا يخلُف الفضل بن الربيع على حجبة الخلفاء ، وكان عبد الله ، صالح الشعر ، قليله ، وراوية لأخبار الخلفاء ، عالما بأمورهم ، وخدم محمداً الأمين ، فأغناه ، وأعطاه ، ومدحه ، ونال من المأمون وعرّض به / انظر: الأغاني : ٢٣ / ٣٧ - ٤٤ .

نُسبت الأبيات في الأغاني وبهجة المجالس لمحمد اليزيدي ، وتوهم الأستاذ محمود شاكر في تحقيقه للدلائل أنها نُسبت في الأغاني لسُليم بن سلّام الكوفي المغني ، وعند مراجعتي للأغاني وجدت أنها منسوبة لمحمد اليزيدي وإنما غَنّى بها سُليم بن سلّام صاحب إبراهيم ===

أَتَيْتُكَ عَائِذاً بِكَ مِـنْـ ∴ ـكَ لَمَّا ضَاقَتِ الحِيَلُ (١)
وَصَيَّرَنِي هَوَاكَ وَبِي ∴ لِحِينِي يُضْرَبُ المَثَلُ
فَإِنْ سَلِمَتْ لَكُمْ نَفْسِي ∴ فَمَا لاَقَيْتُهُ جَلَلُ (٢)
وَإِنْ قَتَلَ الهَوَى رَجُلاً ∴ فَإِنِّي ذَلِكَ الرَّجُلُ (٣)

ذكر الشيخ عبدالقاهر أن سر الجمال هنا إنما هو في الإشارة والتعريف قال :

" انظر إلى الإشارة والتعريف في قوله :

" فَإِنِّي ذَلِكَ الرَّجُلُ " (٤)

يشكو الشاعر في هذه الأبيات من محبوبه شكوى الآمل في الوصال ، فقد ضاقت به الطرق ، وسُدَّتْ دونه أبواب الحيل ، فلم يَرَ أحداً يستعيذ به إلَّا نفس محبوبه ، فهو المشتكى منه والمشتكى إليه ، وهذا من عظيم وجده وشدة تعلقه وهيامه ، هذا الهيام الذي علم به الجميع ، فلم يعد هوًى مكتوماً بل خرج عن إرادته ، فطارت به الركبان وتناقله الناس.

=== الموصلي / انظر ترجمته في :
الأغاني : ٦ / ١٦٤ - ١٧٠ ، وذكر البيت في المفتاح بدون نسبة .

(١) وكأنه أخذ معناه هذا من قوله تعالى : " وَظَنُّوا أَنْ لاَ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ " / التوبة : ١١٨ .

(٢) الجَلَلُ : الشيء العظيم والصغير الهين ، فهو من الأضداد في كلام العرب ، يقال للكبير وللصغير جلل . / اللسان " جلل " : ١١/١١٧ .

(٣) انظر الأبيات في :
الأغاني : ٦ / ١٦٨-١٦٩ ، بهجة المجالس وأنس المجالس : ٢ / ٨٢٠ - ٨٢١ ، المفتاح : ١٦٨ ، الإيضاح : ١ / ١٠٧ ، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - : ٨ أ.

(٤) الدلائل ، رضا : ٧٢ ، خفاجي : ١٣١ ، شاكر : ٩١ .

ففي قوله : " صيرني هواك " مجاز حكمي ، حيث أسند التصيير إلى الهوى الذي هو سبب في التصيير ، فدل هذا الإسناد على تحكم الهوى المطلق في مصير الشاعر ، وتصرفه في شؤونه .

ويعود الشاعر فيؤكد عاطفته ، وأنه لم يعد يستطيع التحكم في فؤاده ، ولشدة ولهه جعل نفسه رخيصة هينة ، فهو لا يملك من أمرها شيئا ، فقد أسلمها لذلك المحبوب طائعاً مختاراً يتصرف فيها كيف أراد ، وهذا هو همه ، فإذا سلمت نفسه لذلك المحبوب ، فكل مايلقاه بعد ذلك شيء لا يؤبه له .

ثم يضع الشاعر لنفسه النهاية ، ويعلن للأسماع أنه إذا علم أن هناك رجلاً قد قتله الهوى ، فلا يكون إلا هو ، فهو يقرر الحقيقة التي تريد أن تعرفها كل نفس عن ذلك الرجل ، فقوله في صدر البيت الأخير " رجلاً " عن طريق التنكير جعل النفوس تشتاق وتتشوف إلى معرفة هذا الرجل ، ثم أنظر إليه كيف جاء بـ" الفاء " في قوله " فإني " التي سارعت بكشف النقاب عن الحقيقة التي اشتاقت إليها النفوس بأنه هو ذلك الرجل المشار إليه المميز عن غيره من الرجال ، والذى فعل به الهوى مافعل .

وفي الإشارة وحرف التوكيد " إن " في قوله " فَإِنِّي ذلك " توكيد وتقرير لتلك الحقيقة .

الشاهد الأربعون : (*) (السريع)

قول عبد الصمد (١) :

(*) الدلائل ، رضا : ٧٣ ، خفاجي : ١٣١ ، شاكر : ٩١ .

(١) هو عبد الصمد بن المعذل بن غيلان بن الحكم بن البختري بن المختار ابن أسد بن ربيعة بن نزار وكنيته أبو القاسم (٠٠٠٠-٢٤٠هـ) وهو من شعراء الدولة العباسية ، وأمه أم ولد طباخة يقال لها : الزرقاء ، وهو شاعر فصيح هجاء خبيث اللسان شديد العارضه سِكِير ، بصري المولد والمنشأ ، وكان أخوه أحمد شاعراً أيضا إلّا أنه كان عفيفاً ذا مرؤة ودين ، ====

مُكْتَئِبٌ ذُو كَبِدٍ حَرَّى (١) .·. تَبْكِي عَلَيهِ مُقْلَةٌ عَبْرَى

يَرفَعُ يُمْنَاهُ إلى رَبِّهِ .·. يَدْعُو وَفَوقَ الكَبِدِ اليُسْرَى (٢)

وبعد الشاهد :

يَبْقَى إِذَا كَلَّمْتَهُ بَاهِتًا .·. وَنَفْسُهُ مِمَّا بِهِ سَكْرَى

تَحْسَبُهُ مُسْتَمِعًا نَاصِتًا .·. وَقَلْبُهُ فِي أُمَّةٍ أُخْرَى (٣)

ذكر الشيخ عبد القاهر أن موضع الشاهد جملة " يدعو " ففيها يكمن سر الجمال والروعة . قال : " أنظر إلى لفظ " يدعو " وإلى موقعها " (٤)

=== وكان له جاه واسع في بلده وعند سلطانه لا يقاربه عبد الصمد فيه ، يحسده ويهجوه فيحلم عنه ، وكان أبو عبد الصمد وجده شاعرين ، وقد روى عنهما شيء من الأخبار واللغة والحديث ليس بكثير / انظر ترجمته : طبقات ابن المعتز : ٣٦٧ - ٣٦٩ ، الأغاني - دار الاحياء - : ١٣ / ٢٢٦ - ٢٥٨ ، الموشح : ٣١٠ ، زهر الآداب : ٣ / ٧٠٦ - ٧١٣ ، سمط اللآلي : ٣٢٥ - ٣٢٦ ، فوات الوفيات : ٢ / ٣٣٠ ، الأعلام : ٤ / ١١ ، وذكر البيت في الزهرة منسوبًا إلى ماني الموسوس، وهو محمد بن القاسم أبو الحسن من أهل مصر ، نزل بغداد ، وهو متوكلي ./ انظر ترجمته : معجم الشعراء : ٤٣٨ ،

(١) حَرَّى : ملتهبة فالحَرَّا والحَرَّاة : الصوت والجلبة ، وصوت التهاب النار / اللسان : " حري " : ١٤ / ١٧٣ .

(٢) انظر البيتين في :
ديوانه : / ، الزهرة : ١ / ٦٤ - ٦٥ ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ٣ / ١٣٠٨ ، ذكر البيت الثاني فقط ولم ينسبه ، محاضرات الأدباء : ٣ / ٨٦ ، شرح الحماسة للتبريزي : ٣ / ١٤٩ ، ذكر البيت الثاني فقط ولم ينسبه..

(٣) ديوانه : / ، الزهرة : ١ / ٦٤ - ٦٥ .

(٤) الدلائل ، رضا : ٧٣ ، خفاجي : ١٣١ ، شاكر : ٩١ .

ولعل سر الروعة والجمال في جملة " يدعو " أن الشاعر بلغ من الألم قمته ، ومن الحزن أقصاه ، فهو مكتئب حزين، وضجر أليم ؛ ولضيق نفسه وتوجعها حذف المسند إليه وابتدأ كلامه بالمسند ، فقال : " مكتئبٌ " والأصل " هو مكتئب " .

ثم انظر إليه كيف قيد المسند بالوصف " ذو كبد حرَّى " للكشف عن حقيقة حاله .

وما أدق الشاعر حين اختار " الكَبِد " دون القلب أو أعضاء الجسم الأخرى ؛ لأن الكبد هو عماد الجسم، وجميع الأعضاء يتعلق عملها بعمله ، فإن مرض الكبد ، وقل إمداده للقلب بالدم ضعف الإنسان وهلك . قال الرسول صلى الله عليه وسلم " في كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطِبَةٍ أَجْرٌ "(١) فدل على أنه قوام الحياة ، ودل بذلك على أن الشاعر ليس مكلول الفؤاد فحسب بل إن جسمه كله قد أصابه الوهن ، وفتته الإعياء والتعب.

ومن كانت هذه حاله حق للمُقَل أن تذرف عليه العبرات ،

ونَكَّر الشاعر لفظ " مقلة " ليدل على أن مُقَلاً كثيرة رثت لحاله .

وفي قمة هذا الحزن وغلبة هذا اليأس أحس الشاعر بإحساس عميق ورغبة أكيدة في اللجوء إلى ربه ، فرفع يمناه، وفي هذا بيان لشروعه في الدعاء ، وجاء بالفعل مضارعا " يرفع " ليظهر تضرعه وحدوث الرفع منه مرة بعد مرة ، وكأنِّي بيديه تهتزان وتتحركان من شدة التضرع ، وخص اليد اليمنى بالرفع تفاؤلاً ورجاء بانقضاء هذه الحال، ثم جاءت جملة " يدعو " وهي تكرار لمعنى " يرفع يمناه "

ولعل السر في هذا الإطناب أن الشاعر حين رفع يده اليمنى أحس بمزيد رغبة في الدعاء ، فجاء بجملة " يدعو " ليفرغ فيها كل معاني الرجاء وكل معاني الأمل في الخلاص مما يجد ويحس ، فهي ليست زائدة إذاً لأنها حملت كل إحساس الشاعر وضراعته، ورغبته في النجاة من الحال المسيطرة عليه، ومن المأساة التي تُلِم به

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل : ٢/ ٣٧٥ ، ٥١٧ ، السنن الكبرى للبيهقي : ٤/ ١٨٦ ، وورد في مسند الإمام أحمد بلفظ آخر : " في كل ذات كبد حراء " : ٢/ ٢٢٢ .

وجاء بها مضارعة " يدعو " ليصور إلحاحه واجتهاده في الدعاء .

وقوله " وعلى الكبد اليسرى " ناسب المقام ، فالمقام هنا دعاء وتضرع ووضع يده على كبده معناه خشيته عليها من التصدع والتمزق ، فهو مع أنه يدعو لا ينسى ما هو فيه من آلام الوجد ، وأيضا في وضع يده على كبده أثناء الدعاء استجداء واستعطاف .

الشاهد الواحد والأربعون : (*) (الكامل)

قول جرير (١) :

لِمَنِ الدِّيَارُ بِبرقةِ الرَّوْحَانِ .·. إِذْ لَا نَبِيعُ زَمَانَنَا بِزَمَانِ

صَدَعَ الغَوَانِي إِذْ رَمَيْنَ فُؤَادَهُ (٢) .·. صَدْعَ الزُّجَاجَةِ مَالِذَاكَ تَدَانِ (٣)

(*) الدلائل ، رضا : ٧٣ ، خفاجي : ١٣١ ، شاكر : ٩٢ .

(١) هو جرير بن عطية بن حذيفة بن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع ، كنيته أبو حزرة (٢٨ هـ - ١١٠ هـ) عُمِّر نيفاً وثمانين سنة ، ولد ومات باليمامة ، أمه أم قيس بنت معبد من بني كليب بن يربوع ، وهو من الطبقة الأولى من فحول الإسلام ، كانت بينه وبين الفرزدق مهاجاة ونقائض ، كان عفيفاً ، ومن أغزل الناس شعراً ./ انظر ترجمته :
طبقات ابن سلام : ١ / ٣٧٤ ، الشعر والشعراء : ١ / ٤٧١ - ٤٧٧ ، الأغاني - دار الاحياء - : ٨ / ٣ - ٨٩ ، الموشح : ١٠٧ - ١٢٠ ، وفيات الأعيان : ١ / ٣٢١ ، شرح شواهد المغني : ١ / ٤٥ - ٤٨ ، خزانة البغدادي - دار صادر - : ١ / ٣٦ - ٣٧ ، الأعلام : ٢ / ١١٩ .

(٢) رواية الديوان والنقائض :
" صَدَعَ الظَّعَائِنُ يومَ بِنَّ فُؤَادَهُ "

(٣) البيت الأول من بيتي الشاهد هو مطلع قصيدته التي أجاب بها الفرزدق ، والبيت الثاني غير تالٍ له بل هو كما في الديوان البيت السابع عشر من القصيدة ، وفي النقائض هو البيت الثاني عشر منها .
وفي كتاب المنازل والديار ذُكر البيت الأول فقط ./ انظر البيتين في : ديوان جرير : ٥٦٩ - ٥٧٠ ، النقائض : ١٩٨ - ٢٠٠ ، المنازل والديار : ١ / ١٦٥ .

وبعد البيت الأول :

إِنْ زُرْتُ أَهْلَكِ لَمْ يُبَالُوا حَاجَتِي ∴ وَإِذَا هَجَرْتُكِ شَفَّنِي هِجْرَانِي

وقبل البيت الثاني :

وَلَقَدْ أَبِيتُ ضَجِيعَ كُلِّ مُخَضَّبٍ ∴ رَخْصِ الأَنَامِلِ طَيِّبِ الأَرْدَانِ

عَطِرِ الثِّيَابِ مِنَ العَبِيرِ مُذَيَّلٍ ∴ يَمْشِي الهُوَيْنَا مِشْيَةَ السَّكْرَانِ (١)

وبعده :

هَلْ تُؤْنِسَانِ وَدَيْرُ أَرْوَى بَيْنَنَا ∴ بِالأَعْزَلَيْنِ بَوَاكِرَ الأَظْعَانِ

موضع الشاهد قوله : " مَالِذَاكَ تَدَانِ " ، والشاهد فيه حسن الاستئناف ،

قال الشيخ :

" انظر إلى قوله : " مَالِذَاكَ تَدَانِ " ، وتأمل حال هذا الاستئناف " .

- وجمال هذا الاستئناف يظهر إذا ماعلمنا أن الشاعر قد بدأ قصيدته بهذا المطلع الغزلي الذي يتحسر فيه على الديار ببرقة الروحان ، وجاء الاستفهام " لمن الديار " ليظهر مدى التحسر والتأسف .

---

(١) ذُكِرَ في النَّقَائِضِ قَبْلَ بَيْتِ الشاهد :

أَصَحَا فُؤَادُكَ أَيَّ حِينِ أَوَانِ ∴ أَمْ لَمْ يَرُعْكَ تَحَمُّلُ الجِيرَانِ

هَلْ تُبْصِرَانِ وَدَيْرُ أَرْوَى دُونَنَا ∴ بِالأَعْزَلَيْنِ بَوَاكِرَ الأَظْعَانِ

وبعده :

فَرَفَعْتُ مَائِرَةَ الدُّفُوفِ أَمَلَّهَا ∴ طُولُ الوَجِيفِ عَلَى وَجَى الأَمْرَانِ

ويبدو أن رواية الديوان للأبيات التي قبل الشاهد وبعده أدق وأنسب لبيت الشاهد من رواية النقائض ؛ وذلك لاتصال معاني الأبيات التي وردت في الديوان ببيت الشاهد .

ويبدو أن رواية الشيخ لشطر البيت الأول من الشاهد " صَدَعَ الغَوَانِي إِذْ رَمَيْنَ فُؤَادَهُ " أجمل وأدق من رواية الديوان والنقائض ؛ لأن لفظ (الرمي) أنسب وأقرب وأدق في رسم الصورة التي أراد الشاعر توضيحها وهي صورة صدع الزجاجة فالرمي يناسب الصدع .

ثم يذكر الشاعر ماأصاب فؤاده عندما رأى تلك الديار التي تذكره بآلامه، وبعاطفته التي أصابها التصدع من هجر الغواني ، واتخذ من تصدع الزجاج صورة تجسد تصدع نفسه ، فالزجاج المتصدع لا يمكن أن يعود صافياً سليماً كما كان . ولما بلغ به الألم الغاية توهم أن هناك سائلاً سأله : هل عندك أمل في عودة تلك الأيام ، أو في قرب الأحباب وفي التئام الصدع ؟ فأجاب : مَالِذَاكَ تَدَانِي .

وطريقة السؤال والجواب تنبيء عما يعتمل في نفس الشاعر من أحاسيس وانفعالات تتصل بالألم والأمل .

وماأروع تضمن هذا الاستئناف اسم الإشارة " ذاك " الذي حمل كل معاني الحرمان واليأس ، وأظهر أن التداني بعيد المنال مستحيل الحصول ، ولأن في ذكر المشار إليه صراحة مايشجي النفس ويحزنها .

ونظير قول جرير في المعنى قول الأعشى :

وَبَانَتْ وَفِي الصَّدْرِ صَدْعٌ لَهَا ∴ كَصَدْعِ الزُّجَاجَةِ لَا يَلْتَئِمْ (١)

وقول الخضري :

وَإِنَّكَ لَو نَظَرْتَ فَدَتْكَ نَفْسِي ∴ إِلى كَبِدِي وَجَدْتَ بِهَا صُدُوعَا (٢)

---

(١) ديوانه : ٨٥ .

(٢) محاضرات الأدباء : ٣ / ٨٦ .

حـ- النظـم يتحد في الوضـع ويـدق فيه الصنع .

النظم يتحد في الوضع ويدق فية الصنع :

يرى الشيخ عبد القاهر أن النمط العالي من الكلام والباب الأعظم فيه هو ما اتحدت أجزاؤه ، وتلاحمت ، ودخل بعضها في بعض ، واشتد ارتباط الثاني منها بالأول ، واحتاجت إلى وضعها في النفس وضعاً واحداً ، وهو باب واسع عظيم لا يحصره حد ، ولا يحيط به قانون ، لأنه يجيء على وجوه شتى وأنحاء مختلفة ، قال الشيخ :-

" واعلم أن مما هو أصل في أن يدق النظر ، ويغمض المسلك ، في توخي المعاني التي عرفت : أن تتحد أجزاء الكلام ، ويدخل بعضها في بعض ، ويشتد ارتباط ثان منها بأول ، وأن تحتاج في الجملة إلى أن تضعها في النفس وضعاً واحداً ، وأن يكون حالك فيها حال الباني يضع بيمينه ههنا في حال ما يضع بيساره هناك . نعم ، وفي حال ما يبصر مكان ثالث ورابع يضعهما بعد الأولين ، وليس لما شأنه أن يجيء على هذا الوصف حد يحصره ، وقانون يحيط به ، فانه يجيء على وجوه شتى وأنحاء مختلفة (١) ".

وضرب لذلك أمثلة من البديع منها التزاوج (٢) بين معنيين في الشرط والجزاء معاً .

---

(١) الدلائل ، رضا : ٧٣-٧٤ ، خفاجي : ١٣٢ ، شاكر : ٩٣ .

(٢) المزاوجة ويقال التزاوج وهو أن يزاوج المتكلم بين معنيين في الشرط والجزاء أي يجعل معنيين واقعين في الشرط والجزاء مزدوجين في أن يرتب على كل منهما معنى رُتب على الآخر ، وليس معناه أن يجمع بين معنيين في الشرط ، ومعنيين في الجزاء . / انظر:
التلخيص : ٣٥٨ ، الإيضاح : ٢ / ٤٩٧ ، أنوار الربيع : ٦ / ١٠١ .

الشاهد الثاني والأربعون : (*) (الطويل)

قول البحتري :

إذا ما نَهَى النَّاهِي فَلَجَّ بِيَ الهَوَى (١) .·. أَصَاخَتْ إلى الوَاشِي فَلَجَّ بِهَا الهَجْرُ (٢) (٣)

والبيت من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان ، ومطلعها :

مَتَى لَاحَ بَرْقٌ أَوْ بَدَا طَلَلٌ قَفْرُ .·. جَرَى مُسْتَهِلٌّ لَا بَكِيٌّ وَلَا نَزْرُ

وبعده بيت قبل الشاهد :

وَمَا الشَّوقُ إِلَّا لَوْعَةٌ بَعْدَ لَوْعَةٍ .·. وَغُزْرٌ مِنَ الآمَاقِ يَتْبَعُهَا غُزْرُ

وبعد الشاهد وبعده :

وَيَوْمَ تَثَنَّتْ لِلْوَدَاعِ وَسَلَّمَتْ .·. بِعَيْنَيْنِ مَوْصُولٍ بِلَحْظِهِمَا السِّحْرُ

تَوَهَّمْتُهَا أَلْوَى (٤) بِأَجْفَانِهَا الكَرَى .·. كَرَى النَّومِ أَوْ مَالَتْ بِأَعْطَافِهَا الخَمْرُ

ساق الشيخ البيت شاهداً على أنَّ من حسن الصياغة والتركيب " المزاوجة " فبيت الشاهد صَوَّرَ تَعَلُّق الشاعر بمحبوبته ، وشدة ولهه بها ، فهو إن تهاه ناهٍ عن حبها ، وحاول منعه مانع ازداد تعلقاً بها ، فلا يفيد معه النهي .

وجاء " بالفاء " في قوله : " فَلَجَّ " ليؤكد انصرافه السريع عن ذلك الناهي ، وعدم استجابته له ، وقدم الجار والمجرور " بي " على الفاعل " الهوى " ، ليصور شدة وجده ، وتغلب الهوى عليه .

أما هي ، فقد قابلت هذا الوفاء بالاستماع إلى الواشي ، وتصديقه ، ولزمت الهجر والتباعد .

وما أدق الشاعر حين اختار فعل الإصاخة " أصاخت " بدلاً من " استمعت " أو " أصغت " وذلك لقوة دلالة هذا الفعل على الرغبة الشديدة في الاستماع .

وجاء بـ " الفاء " في قوله " فلج " ، ليظهر سرعة استجابتها ، وتصديقها لذلك الواشي ، وقدم الجار والمجرور " بها " ، ليدينها بذلك الفعل .

(*) الدلائل ، رضا : ٧٤ ، خفاجي : ١٣٢ ، شاكر : ٩٣ .

(١) لَجَّ في الأمر : تمادى عليه ، وأبى أن ينصرف عنه . / اللسان " لج " : ٣ / ٣٥٣ .

(٢) أصاخت : صخ الصوت الأذن يصخها صخاً : قرعها ، والصاخة صيحة تصخ الأذن أي تطعنها فتصمها لشدتها . / اللسان : " صخخ " : ٣ / ٣٣ .

(٣) انظر البيت في : ديوانه : ١ / ١٠١ ، الموازنة - تحقيق السيد أحمد صقر - : ٢ / ٣٦ ، التلخيص : ٣٥٨ ، الإيضاح : ٢ / ٤٩٧ ، شرح أبيات الإيضاح : شاهد رقم : (٣٦٠) ، خزانة الأدب للحموي : ٤٣٥ ، أنوار الربيع : ٦ / ١٠١ ، معاهد التنصيص : ٢ / ٢٥٥ .

(٤) التوى الماء في مجراه وتلوى : انعطف ولم يجر على استقامة ، وتلوت الحَيَّة كذلك ، واللَّيُّ الجدل والتثني ولاوت الحية الحية لواء التوت عليها / اللسان " لوى " : ١٥ / ٢٦٢-٢٦٣ .

فالشاعر هنا زاوج بين نهي الناهي، وإصاختها إلى الواشي الواقعين في الشرط والجزاء في أن رتب عليهما لجاج شيء، أو هو بمعنى آخر جعل معنى لازمًا للشرط، ثم جعل معنى مقارناً له في الجزاء، فجعل لجاج الهوى به لازمًا للشرط الذي هو نهي الناهي، ثم جعل لجاج الهجر بها مقارناً في الجزاء الذي هو الإصاخة إلى الواشي (١).

الشاهد الثالث والأربعون: (*) (الطويل)

قول البحتري:

إذا احْتَرَبَتْ يوماً فَفَاضَتْ (٢) دِمَاؤُهَا (٣) .·. تَذَكَّرَتِ القُرْبَى فَفَاضَتْ (٤) دُمُوعُهَا (٥)

---

(١) أنوار الربيع: ٦ / ١٠٢.

(*) الدلائل، رضا ٧٤، خفاجي: ١٣٢، شاكر ٩٣.

(٢) فاض الماء والدمع ونحوهما يفيض فيضاً وفيوضة وفيوضاً وفيضاناً وفيضوضة أي كثر حتى سال على ضفة الوادي، وأفاض فلان دمعه، وفاض الماء، والمطر والخير إذا كثر./ اللسان "فيض": ٧ / ٢١٠.
ورواية الصناعتين: "ففاظت".

(٣) رواية الصناعتين: "نفوسها".

(٤) رواية الصناعتين: "ففاضت دموعها".
غاض: من غاضَ الماءُ يَغِيضُ غَيْضاً ومَغِيضاً ومَغَاضاً، وانْغَاضَ: نقص، أو غارَ فذهبَ، وفي الصحاح قَلَّ فنضب /
الصحاح: "غيض": ٣/١٠٩٦، اللسان: "غيض": ٧/٢٠١.

(٥) انظر البيت في:
ديوانه - تحقيق الصيرفي -: ٢ / ١٢٩٦ رقم (٥١٦)، ديوانه - دار بيروت -: ١ /١١، الأشباه والنظائر للخالديين: ١ / ٦، الصناعتين: ٣٢٩، زهر الآداب: ١ / ١١٢، المثل السائر: ٣ / ٢٥٥، الإيضاح: ٢ / ٤٩٧، شرح أبيات الايضاح - النسخة الأزهرية - شاهد رقم (٣٦١)، مجموعة المعاني: ٦٢.

والبيت من قصيدة في مدح أمير المؤمنين المتوكل على الله[١]، وذكر فيها صلح بني تغلب .

ومطلع القصيدة :

مُنَى النَّفْسِ في أَسْمَاءَ لَوْ تَسْتَطِيعُهَا ∴ بِهَا وَجْدُهَا مِنْ غَادَةٍ وَوُلُوعُهَا (٢)

وبعده بيتان قبل الشاهد :

وفُرْسَانِ هَيْجَاءٍ تَجِيشُ صُدُورُهَـا ∴ بِأَحْقَادِهَا حَتَّى تَضِيقَ دُرُوعُهَا

تُقَتِّلُ مِنْ وِتْرٍ[٣] أَعَزَّ نُفُوسِهَـا ∴ عَلَيْهَا بِأَيْدٍ مَاتَكَادُ تُطِيعُهَا

وبعدهما الشاهد وبعده :

شَوَاجِرُ[٤] أَرْمَاحٍ تُقَطِّعُ بَيْنَهُـمْ ∴ شَوَاجِرَ أَرْحَامٍ مَلُومٍ قَطُوعُهَا

فَلَوْلَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَطَـوْلُهُ ∴ لَعَادَتْ جُيُوبٌ وَالدِّمَاءُ رُدُوعُهَا (٥)

الشاهد في البيت كسابقه وهو حسن المزاوجة " حيث زاوج الشاعر هنا بين الاحتراب وتذكر القربى الواقعين في الشرط والجزاء في ترتب فيضان شيء عليهما .

---

(١) هو أبو الفضل جعفر بن المعتصم بن محمد بن الرشيد العباسي (٢٠٦ - ٢٤٧هـ) أمه أم ولد خوارزمية يقال لها : شجاع .
بويع بالخلافة بعد أخيه الواثق ، وكان جواداً ممدحا محبا للعمران ، قتل في سامراء باغراء من ابنه " المنتصر " / انظر ترجمته :
تاريخ الطبري : ٩ / ٢٢٢-٢٣٤ ، مروج الذهب : ٤ / ٨٥-١٢٨ ، تاريخ بغداد : ٧ / ١٦٥ .

(٢) الديوان : ١ / ٩ .

(٣) الوتر : الثأر . / اللسان " وتر " : ٥ / ٢٧٤-٢٧٥ .

(٤) شواجر : شجر بين القوم أي اختلف الأمر بينهم و " اشتجر " القوم و " تشاجروا " تنازعوا ، و " المشاجرة " المنازعة / مختار الصحاح : " شجر " : ٣٣٠ .

(٥) ردوعها : أي طيبها ، به رَدْعٌ من زعفران أي لطخ ، وأثر / الصحاح : " ردع " : ٣ / ١٢١٨ .

ولقد روى أبو هلال العسكري البيت برواية أخرى فقال : " ففاظت نفوسها " بدلا من " ففاضت دماؤها " ، ويبدو أن رواية أبي هلال أدق في التصوير، وأدل على شدة الاحتراب ؛ لأن فيضان النفوس معناه انتهاؤها مع السرعة والكثرة ، أما قوله ففاضت دماؤها ، فأقل دلالة ؛ لأن الدماء قد تفيض مع بقاء النفس .

وكذلك قال : " ففاضت دموعها " بدلا من " فاضت دموعها "، ويبدو أن رواية " ففاضت " أدل على شدة الحزن التي أصابت القوم ، وندمهم على تمزق الصلات ، فاحتبست الدموع في المحاجر ؛ لأنه كلما اشتد الحزن جمد الدمع .

قال كثير عزة : - (من الطويل) - في هذا المعنى :

وَلَمْ (١) أَدْرِ أَنَّ العَيْنَ قَبْلَ فِرَاقِهَا ∴ غَدَاةَ الشَّبَا (٢) مِنْ لَاعِجِ الوَجْدِ تَجْمُدُ (٣)

أما البكاء فإن فيه شفاء للنفس وراحة ؛ لأن الدموع تخفف الحزن والألم ، إلّا أن هذه الرواية على الرغم من جمالها ودقتها تنفي المزاوجة ، فينتفي بذلك موضع الشاهد ؛ لأن المزاوجة بين الاحتراب ، وتذكر القربى الواقعين في الشرط والجزاء تكون بترتب أمر واحد ، وهو فيضان شيء عليهما .

• تقطعت أوشاج الصلات بين بني تغلب ، وجاشت الصدور بالأحقاد حتى ضاقت بها الدروع ، فقوله :

" حتى تضيق دروعها " تصوير رائع لامتلاء النفس بالأحقاد .

ولقد فطن الشاعر إلى أنّ هذه النار المشتعلة في الصدور لن يطفئها سكون الحرب، وانقطاعها ، بل لن تخبو نارها إلا بكلمات رقيقة ، وأسلوب ناعم لطيف يحيي الحنين في النفوس ، ويوقظ العواطف والأحاسيس . فقال :

---

(١) رواية الديوان : " فلم " .

(٢) الشبا : واد بالأثيل من أعراض المدينة فيه عين يقال لها خيف الشبا لبني جعفر بن إبراهيم من بني جعفر بن أبي طالب ./ معجم البلدان : / ٣ / ٣١٦.

(٣) ديوانه : ٤٣٧.

تُقَتِّلُ مِنْ وِتْـــرٍ أَعَزَّ نُفُوسِهَـــا .·. عَلَيْهَا بِأَيْدٍ مَاتَكَادُ تُطِيعُهَـــا

فقوله : أعز نفوسها ـ بأيد ماتكاد تطيعها .

أن كل نفس من المتحاربين عزيزة على الأخرى ، وأنهم كانوا يتقاتلون رغما عنهـم ، فعواطفهم الصادقة كانت تمنع الأيدى عن الطاعة .

وزيادة في إثبات هذه الصلات وتوكيدها لجأ إلى المزاوجة ، فبين لهـــم أن الخصومات التي قامت بينهم مهما اشتدت ، ومهما فاضت فيها النفوس فإن قلوبهـم على الرغم من اشتداد الحرب كانت تتذكر صلات الرحم والقربى ، فيشتد حزنهـــا على تبدد هذه الصلات ويشتد ندمها .

وبأسلوب التحنان هذا استطاع الشاعر أن يلين القلوب ويطري النفـــوس ، مما زاد الأرواح تلاقيًا وتقاربًا .

وفيه أيضاً زجر ولوم للنفوس على قطع صلات القربى والاستهانة بها .

وبيت البحتري هذا مأخوذ من قول أبي تمام :

قَدْ آنثَنَى بِالمَنَايَا فِي أَســـنَّتِهِ .·. وَقَدْ أَقَامَ حَيَارَاكُمْ عَلَى اللَّقَـــمِ (١)

جَذْلَانَ مِنْ ظَفَرٍ حَرَّانَ أَنْ رَجَعَتْ .·. مَخْضُوبَةً مِنْكُمُ أَظْفَارُهُ (٢) بِـــدَمِ (٣)

وقد نظر أبو تمام إلى أبيات المهلهل بن ربيعة (٤) التي يقول فيها :

---

(١) اللَّقَمِ : معظم الطريق أو وسطه أو الطريق الواضح . / اللسان "لقم" : ١٢/٥٤٦ .

(٢) رواية الديوان : " اظفاره منكم مخضوبة بدم " .

(٣) الديوان : ـ دار صعب ـ : ٢٣٩ .

(٤) هو عدي بن ربيعة بن مرة بن هبيرة من بني جشم ، من تغلب كنيتـــه " أبو ليلى " المهلهل (... ـ نحو ١٠٠ ق هـ) ، وهو شاعر جاهلي مـن أبطال العرب من أهل نجد ، وهو خال امرئ القيس الشاعر ، وقيل سمي مهلهلا ؛ لأنه أول من هلهل نسج الشعر أي رققه ، وكان أفصح الناس لساناً وأجملهم وجهاً ، ويلقب أيضا بزير النساء .

ولما قتل جساس بن مرة كليباً ثار المهلهل لأخيه ، فكانت وقائع بكر وتغلـب التي دامت أربعين سنة / انظر ترجمته في :ـ

======

بِكُرهِ قُلوبِنا يَاآلَ بَكْــــرٍ .·. نُغَادِيكُمْ بِمُرْهَفَةِ النِّصَــالِ
لَهَا لَونٌ مِنَ الهَامَاتِ جَــونٌ .·. وَإِنْ كَانَتْ تُغَادِي بِالصِّقَالِ
وَنَبْكِي حِينَ نَذْكُرُكُمْ عَلَيْكُــمْ .·. وَنَقْتُلُكُمْ كَأَنَّا لَا نُبَالِــي (١)

وقد رأى الخالديان أن بيت البحتري أطرف وأبدع من بيت المهلهل قالا :

" بيت البحتري أطرف وأبدع من بيت المهلهل إلا أنه أرشده إلى المعنى ودلّ عليه "(٢).

وكذلك فضله أبو هلال العسكري على بيتي المهلهل، وأبي تمام، قال : " وبيت البحتري أجود من بيتهما بغير خلاف "(٣)

وكذلك ذكره ابن الأثير في الضرب السابع من السلخ ، ورأى أن هذا الضرب هو المحمود الذي يخرج به حسنه عن باب السرقة . قال :

" . . . وهو أن يؤخذ المعنى فيُكسى عبارة أحسن من العبارة الأولى ، وهذا هو المحمود الذي يخرج به حسنه عن باب السرقة ، فمن ذلك قول أبي تمام :

جَذْلَانَ مِنْ ظَفَرٍ حَرَّانَ أَنْ رَجَعَتْ .·. مَخْضُوبَةً مِنْكُمْ أَظْفَارُهُ بِدَمِ (٤)

أخذه البحتري فقال :

إِذَا احْتَرَبَتْ يَوْماً فَفَاضَتْ دِمَاؤُهَا .·. تَذَكَّرَتِ القُرْبَى فَفَاضَتْ دُمُوعُهَا " (٥)

=== جمهرة أشعار العرب : ٢٠٧ ، الشعر والشعراء : ١/٣٠٣ - ٣٠٥ ، الاشتقاق : ٦١ - ٧٧ ، ٢٥٩ ، ٣٣٨ ، ٣٥٤ - ٣٥٦ ، الأغاني ٥ / ٣٤ - ٦٤ ، الأعلام : ٤ / ٢٢٠ .

(١) الأشباه والنظائر : ١ / ٤ .
(٢) الأشباه والنظائر : ١ / ٧ .
(٣) الصناعتين : ٢٢٩ .
(٤) الديوان - دار صادر - : ٢٣٩ .
(٥) المثل السائر : ٣ / ٢٥٤ .

الشاهد الرابع والأربعون : (*)   (الوافر)

قول سليمان بن داود القضاعي[1] :

فَبَيْنَا المَرْءُ في عَلْيَاءَ أَهْـوَى .·. وَمُنْحَطٌّ أُتِيحَ لَهُ اعْتِـلاءُ

وَبَيْنَا نِعْمَةٌ إِذْ حَالَ بُـؤْسٌ .·. وَبُؤْسٌ إِذْ تَعَقَّبَـهُ ثَـرَاءُ (٢)

قبل أن يذكر الشيخ البيتين قال : " ونوع منه آخر " قول سليمان بن داود القضاعي " .

ولعله أراد بقوله : " ونوع منه آخر " الإشارة إلى نوع آخر من البديع ، ففي الشاهد مقابلة حسنة لطيفة بين قول الشاعر " علياء أهوى ، وبين " ومنحط أتيح له اعتلاء " ، وبين " نِعْمَةٌ إِذْ حَالَ بُؤْسٌ " وبين " وَبُؤْس إِذْ تَعَقَّبَهُ ثَـرَاءُ " فروعة هذا الأسلوب في حسن صياغته، ودقة تركيبه، وجيد نظمه ، مما أكسب المعنى قوة وغزارة .

فالشاعر أراد أن يؤكد في النفوس حال الدنيا وتقلبها ، وأنها لا تثبت على حال ، فقد يكون المرء متربعا في قمم العز والمجد ، وفجاءة يهوي به القدر ، وفي نفس اللحظة يرتفع شخص كان يلصق في الحضيض إلى تلك القمم .

وكذلك قد يكون الإنسان متدثراً بثوب النعمة والرفاهية ، وفجأة يُقَرِّبه القدر منها ، فيحل به البؤس والشقاء ، وفي نفس الوقت يكتسي بتلك النعمة ، وينعم بذلك الثراء شخص أضناه البؤس والشقاء .

وفي لجوء الشاعر الى أسلوب المقابلة هذا ، وهو بيان المعنى وضده في بيان حال الدنيا ومافيها من أضداد مايؤكد الحقائق في النفس ، ويبرهنها بطريق لا يدع مجالاً للشك .

(*) الدلائل ، رضا : ٧٤ ، خفاجي : ١٣٢ ، شاكر : ٩٤ .

(١) لم أقف على ترجمة له .

(٢) لم أجد البيت فيما اطلعت عليه من مصادر .

الشاهد الخامس والأربعون : * (الطويل)

قول كثير :

وإِنِّي (١) وَتَهْيَامِي بِعَزَّةَ (٢) بَعْدَمَا ∴ تَخَلَّيْتُ مِمَّا بَيْنَنَا وَتَخَلَّتِ

لَكَالْمُرْتَجِي (٣) ظِلَّ الغَمَامَةِ كُلَّمَا ∴ تَبَوَّأَ مِنْهَا لِلْمَقِيلِ اضْمَحَلَّتِ (٤)

والشاهد من قصيدته التي يتغزل فيها بمحبوبته عزّة ، ومطلعها :

خَلِيلَيَّ هَذَا رَبْعُ عَزَّةَ فَاعْقِلَا ∴ قَلُوصَيْكُمَا ثُمَّ ابْكِيَا حَيْثُ حَلَّتِ

وقبل الشاهد أبيات تظهر مدى هيامه، وتعلقه بعزة ، يقول فيها :

فَوَاللهِ ثُمَّ اللهِ لا حَلَّ بَعْدَهَا ∴ وَلَا قَبْلَهَا مِنْ خُلَّةٍ حَيْثُ حَلَّتِ

وَمَا مَرَّ مِنْ يَوْمٍ عَلَيَّ كَيَوْمِهَا ∴ وَإِنْ عَظُمَتْ أَيَّامُ أُخْرَى وَجَلَّتِ

(*) الدلائل ، رضا : ٧٤ ، خفاجي : ١٣٢ ، شاكر : ٩٤ .

(١) رواية المختار من شعر بشار : " فإني " .
ورواية مجموعة المعاني : " أراني " .

(٢) رواية التمثيل والمحاضرة : " وإنّي وتَهْيَامي لِعَزَّةَ "
ورواية الإعجاز والإيجاز : " إِذَا لَمْ تَجِيء ظِلَّ الغَمَامَةِ كُلَّمَا " .

(٣) رواية محاضرات الأدباء : " لكالمبتغي " .

(٤) انظر البيتين في :
ديوانه : ١٠٣ ، الشعر والشعراء : ١ / ٥٢٣ ، الخصائص : ١ / ٣٤٠ ، أمالي القالي : ٢ / ١٠٩ ، المختار من شعر بشار : ١٧٠ ، التمثيل والمحاضرة : ٧٢ ، الإعجاز والإيجاز : ١٥٣ - ١٥٤ ، أمالي المرتضى : ١ / ٤١٤ ، زهر الآداب : ٢ / ٥٠٠ ، العمدة : ٧٧ - ٧٨ ، محاضرات الأدباء : ٢٨٤ ، نهاية الأرب : ٣ / ٧٧ ، شرح شواهد المغني : ٢ / ٨١٣ ، تزيين الأسواق : ٤٢ - ذكر البيت الأول فقط على بيتين آخرين - ، الكشكول : ٢ / ٣ / ٨٢ ، مجموعة المعاني : ٦٩ .

وَحَلَّتْ بِأَعْلَى شَاهِقٍ مِنْ فُؤَادِهِ ∴ فَلَا القَلْبُ يَسْلَاهَا وَلَا النَّفْسُ مَلَّتِ

فَوَاعَجَبًا لِلْقَلْبِ كَيْفَ اعْتِرَافُهُ ∴ وَلِلنَّفْسِ لَمَّا وُطِّنَتْ فَاطْمَأَنَّتِ

وبعدها بيتا الشاهد وبعدهما :

كَأَنِّي وَإِيَّاهَا سَحَابَةُ مُمْحِلٍ ∴ رَجَاهَا فَلَمَّا جَاوَزَتْهُ اسْتَهَلَّتِ (١)

استشهد الإمام عبد القاهر بهذين البيتين على اتحاد النظم في الوضع ودقة الصنع .

ولعل سبيل النّظم، ودقته في هذه الأبيات هو التشبيه المركب .

فالشاعر هنا يصف حاله بعد أن تقطّعت الصلات بينه وبين عزة ، فهو على الرغم مما حصل بينهما لا يزال شديد الوله بها ، وعبّر عن ذلك بأجمل مايكون التعبير، فجاء بواو القسم ، وأداة التوكيد " إن " وأضاف اسم"إن"لضمير المتكلم ، ثم جاء بكلمة " تهيامي " - بدل " هيامي " - وهو مصدر للمبالغة من الهيام .

وقد تكون جملة " وَتَهْيَامِي بعزة " جملة اعتراضية من مبتدأ وخبر اعترض بها بين اسم"إن"وخبرها " لكالمرتجي " ، وللجملة الاعتراضية هذه مذاقها الخاص في هذا التركيب ، فقد أظهرت وأكدت حبه وتهيامه (٢) ، فهي غنية بالعواطف ، غنية بالحنان الذي يمكن أن يروى نفسه الظمأى ، لكنها تتمنع ، وتتنأى ، وهذا ماأقلق نفسه وأوجع قلبه ، فلجأ إلى التشبيه المركب ليصور حاله ويجسد آلامه وإحساسه ، فالحسرة في نفسه ، والألم الذي ألمّ به قد بلغ المدى ، فهو كالإنسان الذي أحرقته حرارة الشمس فأخذ يبحث عن ظل غمامة يحتمي بها ، ولكنه كلّما

---

(١) ديوانه : ١٠٢ - ١٠٣ .

(٢) قال ابن جني : " وسألته " يعني أبا علي الفارسي " عن بيت كُثير " وإنّي وَتَهْيَامِي . . . " ، فأجاز أن يكون قوله : " وَتَهْيَامِي بِعَزَّةَ " جملة من مبتدأ وخبر ، اعترض بها بين اسم"إن"وخبرها الذي هو قوله : " لَكَالْمُرْتَجِي . . " ، فقلت له : أيجوز أن يكون " وَتَهْيَامِي " بِعَزَّةَ قسمًا ، فأجاز ذلك ولم يدفعه " / الخصائص : ١ / ٣٤٠ .

قوى أمله في الظل،وأحس بالطمأنينة تركته من غير أن ترأف بحاله ، فيظل يبحث عن ظلها ، وتظل هي في هروب دائم .

ولما رأى الشاعر أن الحسرة مازالت تستكن في نفسه ، وأن أحاسيسه وشعوره لم يفرّغ في هذه الصورة التفريغ الكامل الموحي كرر التشبيه بعد أن أضاف إلى الصورة الجديدة أبعاداً أخرى تبين شدة قسوتها ، فهي شديدة العطاء وهو شديد الرجاء إلا أن عطاءها يتمنع عن رجائه ، فهي كالسحابة المليئة بالمطر، مرت على رجل أرضه ممحلة مجدبة ، فرجاها، وتوسم فيها الخير إلا أنها أصابته بالخيبة والألم ، فلم تلتفت لرجائه ولم ترحم جدبه ، بل زادت من عذابه، فبعد أن مرت به، وبعدت عنه أنهمل غيثها .

- رأى الثعالبي أن هذين البيتين من قلائد قصائد كثير وغررها . قال :

" من قلائد وغرر قصائده قوله :

" وَإِنِّي وَتَهْيَامِي بِعَزَّةَ بَعْدَمَا ... (١)

وقارن المرتضى في أماليه بين بيت كثير عزة، وبيت عروة بن أذينة :

وَعَادَ الهَوَى فِيهَا كَظِلِّ سَحَابَةٍ .·. أَلَاحَتْ بِبَرْقٍ ثُمَّ مَرَّ سَحَابُهَا

قال : " وهيهات هذا البيت الأخير من قول كثير:

وَإِنِّي وَتَهْيَامِي بِعَزَّةَ بَعْدَمَا ... (٢)

وذكره ابن رشيق في باب التكرار . قال :

" ... إلا أن كثيراً تصرَّف ، فجعل رجاء الأول ظل الغمامة ليقيل تحتها من حرارة الشمس، فاضمحلت، وتركته ضاحياً ، وجعل الممحل في البيت الثاني يرجو سحابة ذات ماء ، فأمطرت بعدما جاوزته " (٣)

---

(١) الإعجاز والإيجاز : ١٥٣ - ١٥٤ .

(٢) أمالي المرتضى : ١ / ٤١٤ .

(٣) العمدة : ٢ / ٧٧ - ٧٨ .

وواضح أن في البيت " تضمينا "، وهو تعليق البيت الأول بالثاني ، ورأى النقاد القدماء ماعدا ابن الأثير ، أنه عيب في الشعر .

الشاهد السادس والأربعون : (*) (الطويل)

قول البحتري :

لَعَمْرُكَ (١) إنَّا وَالزَّمَانُ كَمَا حَنَتْ (٢) .·. عَلَى الأَضْعَفِ المَوْهُونِ عَادِيَةُ الأَقْوَى (٣)

البيت من قصيدته التي يمدح بها أبا عيسى بن صاعد (٤) ، ومطلعها :

لَنَا أَبَداً بَثٌّ نُعَانِيهِ فِي أَرْوَى .·. وَحَزْوَى وَكَمْ أَدْنَتْكَ مِنْ لَوعَةٍ حَزْوَى (٥)

وقبل الشاهد :

وَوَابِرٍ مِنَ المَعْرُوفِ عِنْدَكَ لَمْ يَكُنْ .·. مُعَرَّجُنَا مِنْهُ عَلَى العُدْوَةِ القُصْوَى

إِذَا مَا تَحَمَّلْنَا يَداً عَنْهُ خِلْتَنَا .·. لِنُقْصَانِنَا عَنْهَا حَمَلْنَا بِهَا رَضْوَى

وبعد هما الشاهد وبعده :

مَتَى وَعَدَتْنَا الحَادِثَاتُ إِدَالَةً .·. فَأَخْلِقْ بِذَاكَ الوَعْدِ مِنْهُنَّ أَنْ يُلْوَى

لَئِنْ زُوِيَتْ عَنَّا الحُظُوظُ فَمِثْلُهَا .·. إِذَا خَسَّ فِعْلُ الدَّهْرِ عَنْ مِثْلِنَا يُزْوَى (٦)

(*) الدلائل ، رضا : ٧٤ ، خفاجي : ١٣٢ ، شاكر : ٩٤ .

(١) رواية الديوان : " أجدك " .

(٢) رواية الديوان والدلائل تحقيق شاكر : ٩٤ " كما جنت " .

(٣) لم أجد البيت إلا في :
ديوانه - دار بيروت - : ١ / ٣٥٠ .

(٤) هو أبو عيسى بن صاعد بن مخلد ، كان والده صاعداً وزيراً للموفق العباسي ، وكان نصرانيا أسلم على يد الموفق ، فاستكتبه ، ووجهه في المهمات ، ولقب بذي الوزارتين ، وكان كريما نبيلاً كثير الصدقات والصلوات ، وقعت وحشة بينه وبين الموفق ، فأمر الموفق سنة ٢٧٢ هـ بالقبض على صاعد ، وعلى جميع أهله ، وأصحابه ونهب منازلهم ، وقبض ابناه أبو عيسى وصالح ، وأخوه عبدون ، وللبحتري أشعار كثيرة في مدح بني مخلد . / انظر :
أخبار البحتري للصولي : ٨١ ، ١١١ ، مروج الذهب : ٤ / ٢٠٩ ، الكامل لابن الأثير : ٦ / ٦٠ ، الأعلام : ٣ / ١٨٧ .

(٥) الديوان : ١ / ٣٤٨ .

(٦) ديوانه : ١ / ٣٥٠ .

ولعل الشاهد فيه هو حسن صياغة التشبيه واشتماله على نوع من البديع، وهو الطباق بين الأضعف والأقوى .

ويبدو أن رواية الديوان " كما جَنَتْ " أدق وأجمل من رواية الدلائل " كما حَنَتْ " ؛ لأنها أنسب للصورة التي يريد الشاعر تقريرها في النفوس حيث جعل عادية الأقوى جانية على الأضعف ، وفي جناية القوي على الضعيف بالغ القسوة وعدم الرحمة ، وهذا ماقصده الشاعر .

أما لفظ " حنت " ففيه معنى الحنو والعطف ، وليس هذا مراده إلا إذا كان مجيء الحنو هنا على سبيل التهكم والسخرية .

• بدأ الشاعر البيت بالقسم " لعمرك " ليؤكد أن ماسيرويه ، ويصوره من حالة الناس مع الزمان هي صورة حقيقية ظاهرة .

وزيادة في التوكيد شبه حال الناس مع الزمان ومايصيبهم فيه من أهوال ومصائب ، بحالة إنسان ضعيف موهون القوى ، قست عليه وظلمته يد قوى مُعتدٍ .

ووصف الشاعر لفظ " الأضعف " بموهون ليبالغ في ضآلة قوته ، وقلة غناء قدرته .

وانظر إلى صياغة التشبيه وتركيبه، وكيف ضمنه نوعاً من البديع وهو الطباق بين الأضعف والأقوى، وجاء بهما على وزن " أفعل " اسم تفضيل كل ذلك لتتمكن الأذهان من المقارنة بين القوتين ، فتتضح الصورة وتتأكد في النفوس .

الشاهد السابع والأربعون : (*) (البسيط)

قول حسان(١) :

قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمُ .:. أَوْ حَاوَلُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَاعِهِمْ نَفَعُوا

(*) الدلائل ، رضا : ٧٤ ، خفاجي : ١٣٣ ، شاكر: ٩٤ .

(١) هو حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري أبو عبدالرحمن، ويقال : أبوالحسام ، ويقال : أبو الوليد (..-٥٤هـ) أمه الفريعة بنت خالد بن حبيش ، صحابي ، شاعر فحل مجيد ، وهو شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم، = = = = = = =

سَجِيَّةٌ تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرُ مُحْدَثَـــةٍ ∴ إنَّ الخَلائِقَ فَاعْلَمْ شَرُّهَا البِـدَعُ (١)

هذان البيتان من قصيدة قالها حسان بن ثابت للرد على قول الزبرقان بن بدر (٢) حين قدم وفد تميم على الرسول صلى الله عليه وسلم مفتخرين ، وفيهم الأقرع بن حابس والزبرقان بن بدر ومعهم الخطيب عطارد بن حاجب ، فقام الزبرقان ، فقال :

نَحْنُ الكِرَامُ فَلاحَـيٌّ يُعَادِلُنَا ∴ مِنَّا المُلُوكُ وَفِينَا تُنْصَبُ البِيَـعُ

=== وهو أحد المخضرمين ، كان من سكان المدينة واشتهرت مدائحه في الغسانيين ، وملوك الحيرة قبل الإسلام ، وعمي قبل وفاته ، ولم يشهد مع النبي مشهداً لعلة أصابته - وروى عن الرسول أحاديث كثيرة ./ انظر ترجمته : سيرة ابن هشام : ٤ / ١٤٨ - ١٥٥ ، طبقات فحول الشعراء : ١ / ٢١٥ ، الشعر والشعراء : ١ / ٣١١ - ٣١٤ ، تاريخ الطبري : ١/ ١١٥-١١٩ ، الأغاني : ٤ / ١٣٤-١٧٠ ، تاريخ ابن عساكر : ٤ / ١٢٨ ، نكت الهميان : ١٣٤-١٣٨ ، تهذيب التهذيب : ٢/ ٢٤٧ - ٢٤٨ ، الإصابة : ١ / ٣٢٥ رقم "١٧٠٣" ، خزانة البغدادي :- دار صادر - : ١/ ١١١ ، الأعلام : ٢/ ١٧٦ .

(١) انظر البيتين في :
ديوانه : - دار صادر - : ١٤٥ ، شرح ديوان حسان - البرقوقي - : ٣٠١ - ٣٠٢ ، السيرة النبوية لابن هشام : ٤ / ١٥٥ ، تاريخ الطبري : ٣ / ١١٧ ، الأغاني : ٤ / ١٤٩ ، المفتاح : ١٨٠ ، الإيضاح : ٢/ ٥٠٨ ، شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية - شاهد « ٣٨٥ » ، مجموعة المعاني ١٧٤ .

(٢) هو الزبرقان بن بدر بن امرئ القيس التميمي السعدي (... - ٤٥ هـ) صحابي من رؤساء قومه ، واسمه الحصين ، ولُقِّب بالزبرقان ، وهو من أسماء القمر " لحسن وجهه ولاّه الرسول صلى الله عليه وسلم صدقات قومه ، فتثبت إلى زمن عمر ، وكفّ بصره في آخر عمره ، وتوفي في أيام معاوية ، وكان شاعراً فصيحاً فيه جفاء الأعراب ./ انظر ترجمته :
السيرة لابن هشام : ٤ / ١٥٢-١٥٧ ، عيون الأخبار : ١ / ٢٢٣-٢٢٦ ، تاريخ الطبري : ٣ / ١١٥-١١٩ ، المؤتلف والمختلف : ١٢٨ ، جمهرة الأنساب : ٢١٨ .

تِلْكَ المَكَارِمُ حُزْنَاهَا مُقَارَعَــةً ∴ إِذَا الكِرَامُ عَلَى أَمْثَالِهَا اقْتَرَعُــوا (١)

فأرسل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى حسان بن ثابت ، فجاء فأمره أن يجيبه ، فقال قصيدته التي منها الشاهد ، (٢) وأولها :

إِنَّ الذَّوَائِبَ مِنْ فِهْرٍ وَإِخْوَاتِهِــمْ ∴ قَدْ بَيَّنُوا سُـنَّةً لِلنَّاسِ تُتَّبَــعُ

وقبل الشاهد :

يَرْضَى بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَتْ سَــرِيرَتُهُ ∴ تَقْوَى الإِلَهِ وَبِالأَمْرِ الَّذِي شَــرَعُوا

وبعده الشاهد وبعده :

لَا يَرْقَعُ النَّاسُ مَا أَوْهَتْ أَكُفُّهُــمُ ∴ عِنْدَ الدِّفَاعِ وَلَا يُوهُونَ مَا رَقَعُــوا

إِنْ كَانَ فِي النَّاسِ سَبَّاقُونَ بَعْدَهُمُ ∴ فَكُلُّ سَبْقٍ لِأَدْنَى سَبْقِهِمْ تَبَــعُ (٣)

استشهد الشيخ بهذين البيتين على أن اتحاد النظم ، ودقة الصنع فيهما كان عن طريق التقسيم ، (٤) ثم الجمع ، وهو عنده أدق الأنواع وأجلها . وهذا النــوع

---

(١) ديوانه : ٤٦ - ٤٨ .

(٢) انظر الخبر في :

السيرة لابن هشام : ٤ / ١٥٢ - ١٥٧ ، تاريخ الطبري : ٣ / ١١٥ - ١١٩ ، الأغاني : ٤ / ١٤٩ .

(٣) ديوان حسان - : دار صادر - : ١٤٥ ، شرح ديوان حسان - البرقوقي - ٣٠١ - ٣٠٢ .

(٤) التقسيم نوع من أنواع البديع ، وهو أن يبتدئ الشاعر فيضع أقســاما فيستوفيها ، ولا يغادر قسماً منها ، ولصحة التقسيم شروط منها :

١ - أن تستوفي الأقسام فلا يخل بشيء منها ، مثال مالم تستوف فيه الأقسام :

صَارَتْ حَنِيفَةُ أَثْلَاثاً فَثُلْثُهُــمُ ∴ مِنَ العَبِيدِ وَثُلْثٌ مِنْ مَوَالِيهَــا

فهذه قسمة فاسدة من طريق الإخلال ؛ لأنه قد أخل بقسم من الثلاثــة .

٢ - ألا تتكرر مثال قول أبي تمام :

قَسَمَ الزَّمَانُ رُبُوعَهَا بَيْنَ الصَّـبَا ∴ وَقَبُولِهَا وَدَبُورِهَا أَثْلَاثـــا

فهذا فاسد من طريق التكرار ؛ لأن القبول هي الصبا على ما ذكره جماعة من أهل اللغة .

=====

بحثت عنه عند ابن المعتز في كتابه " البديع " ، فلم أجد له أثراً ، وكذلك عند قدامة بن جعفر فقد تحدث عن صحة التقسيم فقط ، ولم يذكر نوع التقسيم مع الجمع ، وكذلك في العمدة ، وسر الفصاحة لم أجد أحداً منهم قد تطرق إلى ما تطرّق إليه الشيخ ، ويبدو أن المتأخرين أخذوا هذا القسم عنه ، وكذلك استشهدوا بنفس الشاهد الذي ذكره وهو قول حسان السابق .

فقد قَسَّم حسّان حال القوم قسمين :

ضرهم للعدو ، ونفعهم للأشياع .

ثم جمع هذين الخلقين في قوله " سجية " .

فبيتا الشاهد أروع وأدق من قول الزبرقان بن بدر :

نَحْنُ المُلُوكُ فَلَا حَيٌّ يُقَارِبُنَا ... البيتان .

فجواب حسّان أبرع ؛ لأن الزبرقان آفتخر بكونهم ملوكاً قد أخذوا مكارمهم مُقارعة وحرباً ، وحازوا عليها قهراً وقسراً ، فهي ليست من طباعهم التي جبلوا عليها ، أما حسّان ، فقد جعل قيادة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وطاعة الخلائق له نابعة عن رضى من أنفسهم وطواعية ، فلا قهر ولا جبر ، وأنّ السجايا التي يتصف بها المسلمون إنما هي من طبيعتهم وفطرتهم ، فقسم في بادئ الأمر أخلاقهم ، وجاء بها عن طريق المقابلة إظهاراً لها ؛ ولتكون صورتها أبرز وأوضح ، ثم جمعها في قوله : " سجية " تعظيماً ومفاخرة ، وتوكيداً وإقرارا لتلك السجية ، ثم جاء باسم الإشارة " تلك " ليثبت بُعْدَ منزلتهم في الشرف والأخلاق ، ثم انظر إلى

==== ٣ ـ ألا يدخل بعضها تحت بعض ، مثاله قول نصيب :

أُبَايِرُ إِهْلَاكَ مُسْتَهْلِكٍ ∴ لِمَا لِي أَوْ عَبَثَ العَابِثِ

فهذا فاسد لدخول أحد القسمين في الآخر ؛ لأن العابث داخل في استهلاك المستهلك / انظر :

نقد الشعر : ١٣١ - ١٩٩ ، سر الفصاحة : ٢٢٦ - ٢٢٧ ، خزانة الحموي : ٤٣٦ - ٤٣٧ .

الالتفات الذي جاء في صورة مؤكدة بأداة التوكيد (إنَّ) - " ان الخلائق "-، ثم تأمل الجملة الاعتراضية " فأعلم " ، وصنيع " الفاء " التي زادت فعل الأمر قوة وتنبيهاً ، قال صاحب شرح أبيات الايضاح :

" وقوله :- " فأعلم " - اعتراض بين الاسم والخبر ، وقوله : إنَّ الخلائق - فأعلم - شَرُّها البدع جار مجرى المثل، وهو التفات يصفهم بالاقتدار على مايشاؤون ، وأنَّ مافيهم من الضر والنَّفع طبيعي غير محدث " (١).

وقبل ذلك كله آنظر كيف ابتدأ البيت بالمسند " قومٌ " وحذف المسند إليه ، فالأصل " هم قومٌ " ، فابتدأ بذكرهم إظهاراً لعظمتهم وإثباتاً لهيبتهم .

وكيف بنى البيت على أسلوب الشرط " بإذا " ليظهر تحقق وقوع ضرهم العدو ، ونفعهم الاشياع .

• وقد استحسن الشيخ عبد القاهر التقسيم ، ثم الجمع، فقال :

" ومنه " التقسيم " وخصوصاً إذا قسَّمْتَ ثم جمعت " (٢).

ولكن ابن حجة الحموي رأى أن الجمع مع التقسيم : وهو أن يجمع الناظم بين شيئين فأكثر ثم يقسم أفضل من النوع الذي ذكره الشيخ . قال :

" هذا النوع أعني الجمع مع التقسيم هو أن يجمع الناظم بين شيئين فأكثر ، ثم يقسم كقول أبي الطيب المتنبي :

الدَّهْرُ مُعْتَذِرٌ وَالسَّيفُ مُنْتَظِرٌ .·. وَأَرْضُهُمْ لَكَ مُصْطَافٌ وَمُرْتَبَعُ (٣)

لِلْسَّبْيِ مَانَكَحُوا وَالقَتْلِ مَاوَلَدُوا .·. وَالنَّهْبِ مَاجَمَعُوا وَالنَّارِ مَازَرَعُوا (٤)

وقد يتقدم التقسيم ويتأخر كقول حسَّان :

قَومٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمُ . . . البيتان .

---

(١) شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية -: شاهد رقم (٣٨٥) علم البديع القسم المعنوي .

(٢) الدلائل ، رضا : ٧٤ ، خفاجي : ١٣٣ ، شاكر : ٩٤ .

(٣) ديوانه بشرح العكبري : ٢ / ٢٢٣ .

(٤) المصدر السابق : ٢ / ٢٢٤ .

فالأول أحسن، وأوقع في القلوب، وعليه مشى أصحاب البديعيات[(١)] .

الشاهد الثامن والأربعون : (*) (البسيط)

قول القائل[(٢)] :

لَوْ أَنَّ مَا أَنْتُمُ فِيهِ يَدُومُ لَكُمْ ∴ ظَنَنْتُ مَا أَنَا فِيهِ دَائِماً أَبَدَا

لَكِنْ رَأَيْتُ اللَّيَالِي غَيْرَ تَارِكَةٍ ∴ مَا سَرَّ مِنْ حَادِثٍ أَوْ سَاءَ مُطَّرِدَا

فَقَدْ سَكَنْتُ إِلى أَنِّي وَأَنَّكُمُ ∴ سَنَسْتَجِدُّ خِلَافَ الحَالَتَيْنِ غَدَا

---

(١) خزانة الأدب للحموي : ٣٥٦ - ٣٥٧ .

(*) الدلائل ، رضا : ٧٥ ، خفاجي : ١٣٣ ، شاكر : ٩٤ .

(٢) ذكر الأستاذ محمود محمد شاكر في تحقيق الدلائل أنّ الأبيات على الرغم من شهرتها لم يقف لها على قائل .

ونسبها محقق الإيضاح الأستاذ : " خفاجي " لإبراهيم بن العباس الصولي ، وقد رجعت إلى ديوانه المطبوع ضمن كتاب الطرائف الأدبية ، فلم أجد الأبيات ، وراجعت ترجمته في معجم الأدباء والأغاني ، وفي كتب التراجم الأخرى فلم أجدها فيها .

وأشار كذلك إلى أن الأبيات قد تكون لابن الرومي ، وبحثت في ديوانه فلم أعثر عليها ، ولا أدري على أي شيء اعتمد في نسبته هذه ؟ فقد بحثت عنها في كثير من كتب الأدب واللغة والنحو فلم أعثر عليها أو على قائلها .

ومن الكتب التي رجعت إليها :

جمهرة أشعار العرب / المفضليات / الكتاب / مجاز القرآن / معاني القرآن للأخفش الأوسط / نوادر أبي زيد / الأصمعيات / كتاب الأمثال لابن سلام / شرح أبيات الكتاب للنحاس / إصلاح المنطق / البيان والتبيين / الشعر والشعراء / المعاني الكبير / الكامل / المقتضب مجالس ثعلب / البديع / أمالي اليزيدي / الخصائص / عيار الشعر / العقد الفريد / أخبار أبي تمام للصولي / أخبار البحتري للصولي / نقد الشعر / أمالي الزجاجي / الوساطة / ديوان الأدب للفارابي / الأغاني / أمالي القالي وذيله / الصاحبي / الموازنة / ديوان المعاني / الموشح / ثلاث رسائل في اعجاز القرآن / معاني أبيات الحماسة / ======

استشهد الإمام عبد القاهر بهذه الأبيات دليلاً آخر على حسن التقسيم، ثم الجمع، ورأى أنها في غاية الحسن. قال :

" سَتَنْشَتِجِدُّ خِلَافَ الحَالَتَينِ غَدَا " جمع فيما قسم لطيف، وقد زاد لطفا بحسن ما بناه عليه، ولطف ما توصل به إليه من قوله : " فَقَدْ سَكَنْتُ إِلى أَنّي وَأَنّكُمُ "(١).

والأبيات في غاية اللطف، وغاية البراعة، فهي تحوي معنى غزيراً وعميقاً، فصدر الشاعر يعجُّ بالحنق والغيظ على بعض الأقوام الذين غرتهم الدنيا، فاطمأنوا إليها، وانساقوا وراءها، ولم يبالوا بغيرهم، ونسوا من يخالفهم في الحال، واعتقدوا أن ما هم فيه من النعيم والاستقرار دائم أبدا، فجاء بهذه الأبيات؛ ليقرر لهم حقيقة حال الدنيا الغرور، فبدأ الأبيات بـ(لو)؛ ليؤكد امتناع دوام الحال، واستحالة استراره.

ولجأ إلى التقسيم؛ ليجسد صورتها، فتبرز وتتضح، فما سر من حوادثها، وما ساء منها لا يمكن أن يكون مطرداً، ثم جمع ليكون التوضيح في صورة التقرير، فقال :

" سَتَنْشَتِجِدُّ خِلَافَ الحَالَتَينِ غَدَا "، فهذا أمر آتٍ لا محالة، وقبل الجمع قال :

==== إعجاز القرآن للباقلاني / التنبيهات على غرائب التشبيهات / نثر الدر الآبي / الحماسة بشرح المرزوقي / التمثيل والمحاضرة / أحسن ما سمعت / محاضرات الأدباء / أمالي المرتضى / زهر الآداب / العمدة / بهجة المجالس / سر الفصاحة / الممتع / أمالي الشجري / الإفصاح للفارقي / شرح الحماسة للتبريزي / الرسالة المصرية لأبي الصلت / المفتاح / المثل السائر / المفني / الحماسة البصرية، التلخيص / الإيضاح / شرح ألفية ابن مالك / شرح أبيات الإيضاح / المستطرف / الإرشاد الشافي للدمنهوري / معاهد التنصيص / خزانة الأدب للبغدادي / الطراز. وغيرها من الكتب.

(١) الدلائل، رضا : ٧٥، خفاجي : ١٣٣، شاكر : ٩٤.

" فَقَدْ سَكَنْتُ إلى أَنِّي وأَنَّكُمْ " فلفظ " سَكَنْتُ " يدل على سكون نفس الشاعر الثائرة وراحتها واطمئنانها إلى ماسيقرره ، وكأنَّ في آعلان سكونه تشفيًّا منهم .

وقوله : " أَنِّي وَأَنَّكُمْ " تعبير في غاية الدقة والإيجاز ؛ لأنَّ قوله " أنِّي " إشارة إلى المأساة التي يمر بها ، وهذه المأساة رمز إلى السيِّىء من حال الدنيا ، فعبر عن ذلك كله بالضمير ، وقوله " أَنَّكُمْ " إشارة إلى محبي الدنيا ، والمتعلقين بأذنابها ، وهم رمز للمغريات ، والضلالات ، وهكذا حمل الضمير كثيراً من المعاني والدلالات .

الشاهد التاسع والأربعون : (*) (الطويل)

قول آمرىء القيس :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْباً وَيَابِساً .·. لَدَى وَكْرِهَا العُنَّابُ (١) وَالحَشَفُ (٢) البَالِي (٣)

(*) الدلائل ، رضا : ٧٥ ، خفاجي : ١٣٣ ، شاكر : ٩٥ .

(١) العُنَّاب : العُنَّاب من الثمر معروف ، الواحدة عُنَّابة ، وربما سمي ثمر الأراك عُنَّابًا / اللسان : " عنب " : ١ / ٦٣٠ .

(٢) الحشف : الحشف من التمر مالم يُنوِ ، فإذا يَبِس صَلُب ، وفسد لا طعم له ، ولا لِحاء ولا حلاوة . / اللسان " حشف " : ٩ / ٤٧ .

(٣) انظر البيت في :
ديوانه - شرح السندوبي - : ١٦٦ ، طبقات فحول الشعراء : ١ / ٨١ ، الحيوان : ٣ / ٥٣ ، المعاني الكبير : ١ / ٢٧٧ ، الكامل للمبرد - دار الفكر - : ٣ / ٢ ، البديع : ٦٩ ، عيار الشعر : ٢٣ ، أخبار أبي تمام للصولي : ١٧ ، الأغاني : ٣ / ١٩٦-٢٣٧ ، ذيل الأمالي والنوادر : ٣٠ ، المصون : ٦٥ ، أمالي المرتضى : ٢ / ١٢٥ ، الصناعتين : ٢٦٧-٢٧٢ ، المنصف في نقد الشعر : ٥٠ ، إعجاز القرآن للباقلاني : ٧٣ ، زهر الآداب : ٣ / ٨٢١-٨٢٢ ، العمدة : ١ / ٢٦٢ ، أشعار الشعراء الستة الجاهليين : ١ / ٢٣-٢٥ ، سر الفصاحة : ٢٣٩ ، تحرير التحبير : ١ / ١٦٣ ، الإيضاح : ٢ / ٣٦٧ ، شرح أبيات الإيضاح : " فيض الله " : ٧١ ، =====

والشاهد من قصيدته المشهورة التي مطلعها :

أَلَا عِمْ صَبَاحاً أَيُّهَا الطَّلَلُ البَالِي .'. وَهَلْ يَعِمَنْ مَنْ كَانَ فِي العُصُرِ الخَالِي (١)

وقبل بيت الشاهد :

كَأَنِّي بِفَتْخَاءِ الجَنَاحَيْنِ لَقْوَةٍ (٢) (٣) .'. صَيُودٍ مِنَ العِقْبَانِ طَأْطَأْتُ (٤) شِمْلَالِ

تَخَطَّفُ خِزَّانَ (٥) الشَّرَبَّةِ (٦) بِالضُّحَى .'. وَقَدْ حُجِرَتْ مِنْهَا ثَعَالِبُ أَوْرَالِ (٧)

=== شرح شواهد المغني : ١/ ٣٤٢، أوضح المسالك : ٢/ ٩٢ رقم الشاهد : "٢٧٤"، خزانة الأدب للحموي : ١٨٩، معاهد التنصيص : ٢/ ٨٠-٨١، الكشكول : ١/٢/ ٣٢٢.

(١) ديوانه - شرح السندوبي - : ١٥٨.

(٢) عقاب فتخاء : لينة لأنها إذا انحطت كسرت جناحيها، وهذا لا يكون إلّا من اللين / اللسان : "فتخ" : ٣ / ٤٠ - ٤١.

(٣) لَقْوَة : عقاب لينة الجناحين سريعة الاختطاف / اللسان : "لقا" : ٥ /٢٥٣.

(٤) طأطأ : أسرع واشتد وبالغ / اللسان "طأطأ" : ١/ ١١٣.

(٥) خِزَّان : ذكور الأرانب وقيل ولد الأرنب / اللسان : ٥ / ٣٤٥.

(٦) الشربة : يقال لكل نحيزة من الشجر شَرَبَّةٌ، والنحيزة طريقة سوداء في الأرض كأنها مستوية لا يكون عرضها ذراعين، يكون ذلك من جبل وشجر وغير ذلك .

والشَّرَبَّة بنجد وادي الرمة يقطع بين عَدَنَة والشَّرَبَّة فإذا جزعت الرمة في الشمال أخذت في عَدَنَة، والشربة بين الرمة وبين الجريب، والجريب وادٍ يصب في الرمة، والشَّرَبَّة أشد بلاد نجد قُرّاً، وهي من بلاد غطفان. / انظر:

معجم البلدان : ٣ / ٢٣٢ - ٣٣٣، معجم ما استعجم : ٢/ ٧٩٠.

(٧) أورال : آخره لام، أجبُل ثلاثة سود في جوف الرمل الواحد وَرَلٌ، فيقال: الوَرَل الأيمن، والوَرَل الأيسر، والوَرَل الأوسط، وحذاهُنَّ ماءة لبني عبد الله بن دارم يقال لها الورلة / انظر:

معجم البلدان : ١ / ٢٧٨.

وبعد هما الشاهد وبعده :

فَلَوْ أَنَّ مَا أَسْعَى لأَدْنَى مَعِيشَةٍ .·. كَفَانِي وَلَمْ أَطْلُبْ قَلِيلٌ مِنَ المَالِ (١)

والبيت أورده الشيخ شاهداً على أن من جمال النظم ودقته ، وتلاحم أجزائه تشبيه شيئين بشيئين (٢) ، فالتشبيهات على ضروب مختلفة منها تشبيه الشيء بالشيء صورة وهيئة ، ومنها تشبيهه به لوناً ، ومنها تشبيهه به صوتاً ، وربما امتزجت هذه المعاني بعضها ببعض ، فإذا اتفق في الشيء المشبه بالشيء معنيان أو أكثر دل ذلك على قوة التشبيه ، وتأكد الصدق فيه ، وكان الشعر بذلك حسناً ، وبيت امرئ القيس من هذا النمط العالي ، وهو تشبيه الشيء بالشيء صورة وهيئة (٣) .

والمقصود به إيضاح الشيء ؛ لأن مشاهدة العنَّاب والحشف أكثر من مشاهدة قلوب الطير رطبة ويابسة (٤) .

والبيت في صفة العقاب ، وخفته ، وبراعته في الصيد ، فهو كثير الاصطياد ، فأوكاره دائما مليئة بما يحمله من الطير حتى اجتمعت فيها القلوب ، فمنها الطري كالعُنَّاب ، وهي قلوب الطير الحديثة الصيد ، ومنها اليابس كالحشف البالي ، وهي قلوب الطير التي انقضى عليها زمن طويل . قال ابن وكيع :

" . . . فشبه القلوب الرطبة بالعُنَّاب ، واليابسة بالحشف ، وخصَّ قلوبَ الطير ؛ لأنها أطيبها ، فإذا صادت جاءت بقُلوب الطَّير إلى أفراخها ، وذُكر عن الأصمعي أنه قال : الجارحُ لا يأكل قلوب الطير . وإنَّما خَصَّها دون غيرها لبقائها في وكر العقاب لِلْعِلَّة التي ذكرها (٥) " .

---

(١) ديوان امرئ القيس : ١٦٦ - ١٦٧ .

(٢) والبيت يستشهد به النحاة على أن رطباً ويابساً حالان متضمنان معنى الفعل ؛ فلذا وجب تأخيرهما / المغني : ١ / ٣٦٥ ، رقم الشاهد : " ٣٦٤ " ، شرح شواهد المغني : ١ / ٣٤٢ ، ٢ / ٥٩٥ ، ٨١٩ .

(٣) عيار الشعر : ٢٣ .

(٤) سر الفصاحة : ٢٣٩ .

(٥) المنصف في نقد الشعر : ٥٠ .

وهذا البيت من معاني آمرئ القيس المخترعة التي لم يسبق إليها ، ولم يعمل أحد من الشعراء ، قبله نظيرها ، أو مايقرب منها ، فهو أول من بدأ بتشبيه شيئين بشيئين في بيت واحد .(١)

• ولقد أجمع النقاد على آستحسان هذا البيت. جاء في الكامل للمبرد :

" قال أبو العباس ، وهذا باب طريف نصل به هذا الباب الجامع الذي ذكرناه ، وهو بعض مامر للعرب من التشبيه المصيب والمحدثين بعدهم ، فأحسن ذلك ماجاء بإجماع الرواة مامر لامرئ القيس في كلام مختصر أي بيت واحد من تشبيه شيء في حالتين بشيئين مختلفين ، وهو قوله : كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيرِ رَطْبًا وَيَابِسًا . . ."(٢)

ثم يلفت المبرد الأنظار إلى روعة التركيب ودقته فلو أنه فَصَّل ، وقال : كأنه رطباً العنابُ ، وكأنه يابساً الحشفُ ، لصُرِفَ الكلام عن رونقه ، وزالت عنه فصاحته .

وأخذ الشيخ عبدالقاهر كلام المبرد هذا ، وضمنه كتابه أسرار البلاغة فقال :

" . . . وكذلك لو فرقت التشبيه ، فقلت : " كأن الرَّطْبَ من القلوبِ عُنَّابُ ، وكأن اليابسَ حشفٌ بالٍ " لم تر أحد التشبيهين موقوفاً في الفائدة على الآخر . . ."(٣)

وذكره ابن المعتز في " محاسن الكلام " ، قال :

" ومنها حسن التشبيه نبدأ بإمام الشعراء ، قال امرؤ القيس... البيت"(٤)

وكذلك ذكره الصولي في رسالته إلى مزاحم بن فاتك ، وذكر أن الناس

---

(١) انظر: المصون : ٦٥ ، العمدة : ١ / ٢٦٢ ، باب المخترع والبديع.

(٢) الكامل - دار الفكر - : ٣ / ٢.

(٣) أسرار البلاغة : هـ ، ريتر : ١٧٧.

(٤) البديع : ٦٩.

استحسنوه ، ونفوا قدرة أحد على الإتيان بمثله.(١)

وقد أُعجب بشّار بهذا البيت إعجابا جعله يشغل نفسه بالإتيان بمثله ، فلم يهدأ بالاً حتى قال :

كَأَنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا ∴ وَأَسْيَافَنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهْ(٢)

وقد رأى أبو هلال العسكري أن البيت - بيت آمريء القيس - في غاية الجودة. قال :

" فمن بديع التشبيه قول آمريء القيس :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا ∴ ... البيت

فشبه شيئين بشيئين مفصلا - الرَّطْبَ بِالعُنَّابِ ، واليابسَ بالحَشَفِ ، فجاء في غاية الجودة.(٣)

وقد سأل عبد الملك بن مروان عن أشعر الناس ، فأجابه روح بن زنباع ، أشعرهم الذي يقول :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا ... البيت(٤)

وأورده أبو إسحاق القيرواني على أنه من أجمل ما قاله العرب في الوصف ، وذكر قصة عبد الملك بن مروان السابقة الذكر.(٥)

فالبيت إذاً شاهد على التشبيه الملفوف ، وهو أن يؤتى بمشبهين ثم المشبه بهما ، فهنا شبه الرطب الطري من قلوب الطّير بالعُنّابِ ، واليابس القديم منها بالحشف البالي .

---

(١) أخبار أبي تمام : ١٧.

(٢) الأغاني : ٣ / ١٩٦-٢٣٧ ، أشعار الشعراء الستة الجاهليين : ١ / ٢٣ ، سر الفصاحة : ٢٣٩.

(٣) الصناعتين : ٢٧٢.

(٤) ذيل الأمالي والنوادر : ٢٩ - ٣٠.

(٥) زهر الآداب : ٣ / ٨٢١ - ٨٢٢.

الشاهد الخمسون : * (الكامل)

بيت الفرزدق :

وَالشَّيْبُ يَنْهَضُ(١) فِي الشَّبَابِ كَأَنَّهُ(٢) .·. لَيْلٌ يَصِيحُ(٣) بِجَانِبَيْهِ(٤) نَهَارُ (٥)

والبيت من قصيدته التي مطلعها :

(*) الدلائل ، رضا : ٧٥ ، خفاجي : ١٣٤ ، شاكر: ٩٥ .

(١) رواية المستطرف : " ينقض في الشباب " .

(٢) رواية الديوان ، والكامل والاقتضاب وريحانة الألبا :

" والشيب ينهض في السواد " .

ويبدو أن رواية الدلائل أبلغ ؛ لأن الشاعر قصد ظهور المشيب في فترة محددة ووقت معين ، وهو انقضاء فترة الشباب واللهو واللعب . أما رواية " والشيب ينهض في السواد " فهي أقل دقة ؛ لأن الوقت فيها يكون مطلقاً غير محدد ، فالشيب قد يظهر بعد سن البلوغ مباشرة ، وقد يظهر في سن الشباب ، وقد يتأخر ، فتحديد الوقت أدق في الصورة التي أراد الشاعر رسمها .

(٣) رواية الأغاني : " ليل يسير " ويبدو أن رواية " يصيح " أجمل ؛ لأن لفظة " يصيح أكثر حركة وأنسب لموقف الزجر والتأنيب .

(٤) رواية المستطرف : " بعارضيه " ، ورواية أنوار الربيع : " بحافتيه " .

(٥) انظر البيت في :-

الديوان : ١ / ٣٧٢ ، حماسة البحتري : ١٨٣ ، طبقات فحول الشعراء : ١ / ٣٦٨ ، الشعر والشعراء : ١ / ٧٤ ، الكامل للمبرد : ١ / ٢٤ ، الأغاني : ٢١ / ٣٠٩ ، الصناعتين : ٢٧٧ ، إعجاز القرآن للباقلاني : ٨٢ ، الموشح : ٩٣ - ٩٤ ، العمدة : ١ / ٢٦٧ ، الغيث المسجم : ١ / ٢٩٤ ، المستطرف : ٢ / ٣٣ ، الاقتضاب : ١٤٦ ، ريحانة الألبا : ٢ / ٣٨٢ ، أنوار الربيع : ٤ / ٤٠ ، ٥ / ٢٣٥ .

أَعَرَفْتَ بَيْنَ رُوَيَّتَيْنِ (١) وَحَنْبَلٍ (٢) .·. دِمَنًا تَلُوحُ كَأَنَّهَا الأَسْطَارُ (٣) (٤)

وقبل بيت الشاهد :

إِنَّ المَلَامَةَ مِثْلُ مَابَكَرَتْ بِهِ .·. مِنْ تَحْتِ لَيْلَتِهَا عَلَيْكَ نَوَارُ

وَتَقُولُ كَيْفَ يَمِيلُ مِثْلُكَ لِلصِّبَا .·. وَعَلَيْكَ مِنْ سِمَةِ الحَلِيمِ عِذَارُ

وَالشَّيْبُ يَنْهَضُ فِي السَّوَادِ كَأَنَّهُ .·. لَيْلٌ يَصِيحُ بِجَانِبَيْهِ نَهَارُ

وبعده :

إِنَّ الشَّبَابَ لَرَابِحٌ مَنْ بَاعَهُ .·. وَالشَّيْبُ لَيْسَ لِبَائِعِيهِ تِجَارُ (٥)

استشهد به الإمام عبد القاهر على النظم العالي الذي ندر ولطف مأخذه ، ودق نظر واصفه ، وهو من تشبيه الشيئين بالشيئين قال :

" وإن قد عرفت هذا النمط من الكلام ، وهو ما تتحد أجزاؤه حتى يوضع وضعاً واحداً ، فاعلم أنه النمط العالي ، والباب الأعظم الذي لا ترى سلطان المزية عظم في شيء كعظمه فيه ، ومما ندر منه ، ولطف مأخذه ، ودق نظر واضعه ، وجلّى لك عن شأو قد تحسر دونه العتاق ، وغاية يعيى من قبلها المذاكي القُرّح ، الأبيات المشهورة في تشبيه شيئين بشيئين ". (٦)

---

(١) رُوَيَّتَين : بضم أوله وفتح ثانيه ، وتشديد الياء المثناة من تحت كأنه تصغير رَيَّة واحدة الريّ من العطش ، وقيل رؤية بالهمزة ماء في بلاد بني الروية ، وبنو الروية من قرى اليمن ./ معجم البلدان : ٣ / ١٠٥-١٠٦ .

(٢) حَنْبَل : بفتح أوله وإسكان ثانيه وبالباء المعجمة هو موضع ما بين البصرة ولينة / معجم ما استعجم : ١ / ٤٧١ .

(٣) الأسطار : أراد الأثر الخفي تحته الأمطار، وأصله من السَّطْر والسَّطَر، وهو الخط من الكتابة . تاج العروس : " سطر " : ٣ / ٢٦٦-٢٦٧ .

(٤) ديوانه : ١ / ٣٧١ .

(٥) ديوان الفرزدق : ١ / ٣٧٢ .

(٦) الدلائل ، رضا : ٧٥ ، خفاجي : ١٣٤ ، شاكر : ٩٥ ،

ثم ذكر بيت امرئ القيس * كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيرِ رَطْباً وَيَابِساً *

وبيت الفرزدق : * وَالشَّيبُ يَنْهَضُ فِي الشَّبَابِ *

وبيت بشار : * كَأَنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فَوقَ رُؤُوسِنَا *(١)

وعد علماء البلاغة بيت الفرزدق * بيت الشاهد * من أجود شعره ، ويستشهدون به على جيد التشبيه والاستعارة .

فهو عند المبرد واضح المعنى غريب اللفظ قريب المأخذ(٢) .

وردد هذه العبارة المرزباني في الموشح(٣) ، وذكره الباقلاني في البديع من الكلام(٤) .

وأورده ابن رشيق في باب المجاز ، ورأى أنه من أناشيد هذا الباب(٥) .

أما ابن سلام فيرى أنه من الكلام المتداخل المعقد ، وذكر أن الفرزدق كان يداخل الكلام ، وكان ذلك يُعجب أصحاب النحو(٦) .

- ولا أعلم وجه ذلك الإعجاب - ، وأورده مع قوله :

* وَأَصْبَحَ مَافِي النَّاسِ إِلَّا مُمَلَّكاً *

وكذلك رأى ابن قتيبة أن هذا البيت من الضرب الذي جاد معناه، وقَصُرت ألفاظه عنه(٧) .

ورأى الصفدي أن الصّياح هنا لا مناسبة له ولا معنى(٨) .

---

(١) سيأتي ذكره ، وهو الشاهد الواحد والخمسون .

(٢) الكامل - دار الفكر - : ١ / ٢٤ .

(٣) الموشح : ٩٣ - ٩٤ .

(٤) إعجاز القرآن : ٨٢ .

(٥) العمدة : ١ / ٢٦٧ .

(٦) طبقات فحول الشعراء : ١ / ٣٦٨ .

(٧) الشعر والشعراء : ١ / ٧٤ .

(٨) الغيث المسجم : ١ / ٢٩٤ .

وذكر في " أنوار الربيع " أنه من فساد التشبيه الذي يأتي منكوسا قيل :

" فذكر أن الشيب يبدو في الشباب ، ثم ترك ما ابتدأ به ، ووصف الشباب بأنه كالليل ، والذي تقتضيه المقابلة الصحيحة أن يقول :

كَمَا يَنْهَضُ نَهَارٌ في جَانِبَيِ اللَّيلِ ".[١]

وعلى الرغم مما قيل فإنّ التمعن في هذه الأبيات يجعل الخيال يحلق في أجواء من المتعة النفسية ، والحركة الفكرية مما يدفع النفوس للإعجاب بذوق وخيال الشاعر .

فرأى الأستاذ محمود شاكر أن الاستشهاد بالبيت وحده معنىً مفسولاً لا خير فيه ، وإنما يظهر جماله ورونقه ، ويكمل معناه مع الأبيات التي حوله . فقوله :

وَالشَّيْبُ يَنْهَضُ في الشَّبَابِ كَأَنَّهُ .·. لَيْلٌ يَصِيحُ بِجَانِبَيهِ نَهَارُ

من تمام البيت الذي قبله ، وهو قوله :

وَتَقُولُ كَيفَ يَمِيلُ مِثْلُكَ لِلْصِّبَا .·. وَعَلَيكَ مِنْ سِمَةِ الحَلِيمِ عِذَارُ

فهو من قول النوّار[٢] في ملامتها له .

والبيت الذي بعده :

إِنَّ الشَّبَابَ لَرَابِحٌ مَنْ بَاعَهُ .·. وَالشَّيبُ لَيسَ لِبَائِعِيهِ تِجَارُ

زفرة زفرها الفرزدق بعد أن سمع ملامتها ، فجاءت تقطر حسرات على ما فات من شبابه ، فهي تقول له أن الإنسان إذا كبر ، وبلغ من العمر مبلغاً ، وشاب عارضاه كفّ الشيب من عنفوانه ، وانبعثت تجاربه تذكره ، وتنذره ، وتوقظه ، وتهديه إلى حياة أخرى غير حياة اللهو واللعب ، فتنقشع الغشاوة عن عينيه ، وينهتك

---

(١) أنوار الربيع : ٥ / ٢٣٥ .

(٢) هي النوّار ابنة أعين بن صعصعة بن ناجية بن عقال المجاشعي - وهي ابنة عم الفرزدق - تزوجها ولزواجه منها قصة . / انظر : الأغاني : ٢١ / ٢٨٦-٢٨٧ .

ظلام الغفلة التي كانت مطبقة عليه ، ثم شبهت هذا كله بالفجر إذا أقبل فأسفر على القوم النيام ، فانبعثت الأصوات في نواحي الحي . . كلب ينبح ، وشاة تثغو، وبعير يرغو، وديك يؤذن ، وداع يصيح ، ومناد ينادي ، وأقدام تدب ، وأصوات الحياة في ظلمة الليل، وهدأته تنذر النّوام أن النهار قد أقبل بغورته يطرد الظلام المطبق ، فجد الجد ، وطارت الأحلام ، فهو هنا أراد تشبيه حالة مجتمعة بحالة أخرى مجتمعة لا تشبيه لون بلون ، فإنه إسقاط للشعر.(١)

يبدو أن ما ذهب إليه الأستاذ شاكر يرفع من قيمة الأبيات ، ويزيد من روعتها وجمالها .

ومن اللفتات الجميلة في البيت حسن اختيار الزمن ، فالشاعر جعل وقت ملامتها له ، وحديثها معه في وقت الليل ، وهو وقت الراحة والسكون والهدوء ، ووقع الملامة فيه أشد ؛ لأن النفس تكون فيه أدعى للإستجابة ، والأحاسيس تكون في قمة صفائها وشفافيتها ، ثم صاغ ملامتها في أسلوب الاستفهام " وتقول كيف يميل مثلك للصبا" ، وهو أقوى في الزجر والتأنيب ، ثم جعل " الشيب ينهض في الشباب " وكأنه شخص حكيم أزعجه ما رأى من طيش الشباب ، فهبّ وأسرع مصطحباً الأناة والصبر يريد النصح والتقويم ، ومع حركة النهوض ودبيبها تدب التجربة ، ويدب العقل ليوقظ النفس من طيشها ، وينفي عنها جهلها.

وقوله : " يصيح بجانبيه نهار " يُضفي على الأبيات مزيد حركةٍ وخفة ؛ لأن الصياح هنا يقابل النهوض في المشبه ، فالصورة كلها حركة ، وضجيج ، وسرعة ، وثورة على تلك النفس التي تريد أن تخرج عن وقارها .

---

(١) هامش طبقات فحول الشعراء - تحقيق محمود شاكر :- ١/ ٣٦٨ .

وجعل بعضهم الصياح هنا بمعنى انصاح الثوب انصياحا إذا تشـــــقق .
ورأى آخرون أنه الصياح بعينه وهو الدعاء ، ورأى البطليوسي أن الوجـــه
الثاني أدق وأصح قال :

" وإنما الصياح ههنا مجاز أو استعارة ؛ لأن النهار لما كان آخذا في
الإقبال ، وكان الليل آخذاً في الإدبار شبه النهار بالهازم الذي من
شأنه أن يصيح على المهزوم ؛ ولذلك شبهوا الليل بالقتيل ، وقد صرّح
الشماخ بهذا المعنى في قوله :

وَلَاقَتْ بِأَرْجَاءِ البَسِيطَةِ سَاطِعاً ∴ مِنَ الصُّبْحِ لَمَّا صَاحَ بِاللَّيلِ نَفَّرَا (١) " (٢)

وبعد تلك الزوبعة والضجيج يتحسر الشاعر على الشباب ، ويستهين بالشـــيب ،
فالأول لعزته ونفاسته يجد له مشترياً إذا أراد بيعه ؛ لأن المشتري ربح فيـــه .
أما الشيب لِهَوَانِهِ ، فلا تاجر يشتريه إذا أراد صاحبه أن يبيعه .
وكأنه يريد أن يقول : إن الناس يرغبون في الشباب ليستعينوا به ، ويزهـــدون
في الشيب لأنهم لا يجدون في صاحبه معيناً ولا مساعداً . وهذا ما أراده بالبيـــع
والشـــراء .

الشاهد الحادي والخمسون : (*) (الطويل)

بيت بشـــار :

كَأَنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا (٣) ∴ وَأَسْيَافَنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهْ (٤) (٥)

---

(١) لم أجده في ديوانه . (٢) الاقتضاب : ١٤٧ .
(*) الدلائل ، رضا : ٧٥ ، خفاجي : ١٣٤ ، شاكر : ٩٦ .
(٣) رواية الديوان وإعجاز القرآن للباقلاني ، وخاص الخاص ، والمرتضي " رُؤُوسِهِمْ " ،
ورواية المبرد في الفاضل : " كَأَنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فِينَا وَفِيهِم " .
(٤) رواية طبقات فحول الشعراء : " تهاوت كواكبه " .
(٥) انظر البيت في :
ديوانه : ١ / ٣٣٥ ، الفاضل : ٤٥ ، طبقات الشعراء لابن المعتز : ٢٨ ، =====

والبيت من قصيدته في مدح[1] مروان بن محمد بن مروان[2]، ومطلعها :

جَفَا وِدُّهُ فَازْوَرَّ أَوْ مَلَّ صَاحِبُهْ ∴ وَأَزْرَى بِهِ أَنْ لا يَزَالُ يُعَاتِبُهْ

وقبل الشاهد :

وَجَيْشٍ كَجُنْحِ اللَّيْلِ يَرْجُفُ بِالْحَصَى[3] ∴ وَبِالشَّوْلِ وَالْخَطِّيِّ حُمْرٌ ثَعَالِبُهْ

غَدَوْنَا لَهُ وَالشَّمْسُ فِي خِدْرِ أُمِّهَا ∴ تُطَالِعُنَا وَالطَّلُّ لَمْ يَجْرِ ذَائِبُهْ

بِضَرْبٍ يَذُوقُ الْمَوْتَ مَنْ ذَاقَ طَعْمَهُ ∴ وَتُدْرِكُ مَنْ نَجَّى الْفِرَارُ مَثَالِبُهْ

=== الوساطة : ٣١٣، الأغاني : ٣/١٩٦، الأشباه والنظائر للخالديين : ٢/٣٥٤، المنصف في نقد الشعر : ١/٥١-٣١٧-٤٣٦، إعجاز القرآن للباقلاني : ٧٢، ثمار القلوب : ٢٢٤، يتيمة الدهر : ١/١٣٣، العمدة : ٢٩١، خاص الخاص : ١٠٧، أمالي المرتضى : ٢/١٢٦، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن - الرسالة الشافية : ١٣٨، حماسة ابن الشجري : ٥٧-٢٣٤، تحرير التحبير : ٣/٤٨٣، الإيضاح : ٢/٣٤٦، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - ملت - : ٦٥ أ، المستطرف : ١/٦١، معاهد التنصيص : ٢/٢٨ - رقم الشاهد : ٧٧.

(١) جاء في الأغاني أنه مدح في هذه القصيدة يزيد بن عمر بن هبيرة، ولكن لم يرد ذكره في القصيدة، وإنما الوارد اسم مروان بن محمد بن مروان.

(٢) هو آخر خلفاء بني أمية، وهو الملقب بالحِمار " بكسر الحاء وتخفيف الميم "، وكان ذا رأي ومكيدة وبسالة في الحروب، أخذ الخلافة غصباً، وأراد ضبط الدولة حين أشرفت على الانحلال، فغلبته، واضمحل أمره، ولُقِّب بالحمار، لأنه كان يحرن في الحرب فلا يتزحزح، وكنيته أبو عبد الملك، ويعرف بمروان الجعدي نسبة إلى مؤدبه الجعد بن درهم، كان بليغاً له رسائل تجمع ويقتدي بها (٧٢هـ-١٣٢هـ) / انظر ترجمته : تاريخ الطبري : ٧/٢٨١-٣٤٣، المسعودي : ٣/٢٤٧، ٢٤٨، ٢٥٢-٢٦٥، الكامل لابن الأثير : ٤/٢٨٣-٣٢٢.

(٣) رواية الأغاني : " يزحف ".

ويبدو أن رواية الأغاني أدق ؛ لأن الشاعر أراد تشبيه صورة كثرتهم بصورة ====

وبعدها الشاهد وبعده :

بَعَثْنَا لَهُمْ مَوْتَ الفُجَاءَةِ إِنَّنَا ∴ بَنُو المُلْكِ خَفَّاقٌ عَلَيْنَا سَبَائِبُهْ

فَرَاحُوا فَرِيقاً فِي الإِسَارِ وَمِثْلُهُ ∴ قَتِيلٌ وَمِثْلٌ لَاذَ بِالْبَحْرِ هَارِبُهْ (١)

رأى الطاهر بن عاشور محقق ديوان بشار أن رواية الديوان " فوق رؤوسهم " أرشق وأجمل من الرواية المشهورة في كتب الأدب : " فوق رؤوسنا " قال :

" وكتب في الديوان " فوق رؤوسهم " ، ورواية الأغاني وأكثر كتب العربية والأدب " رؤوسنا " ، والرواية التي في الديوان أرشق ؛ لأن النقع وإن كان فوق رؤوس الفريقين إلا أن الشاعر أراد أن يتوصل بجعل النقع فوق رؤوس الأعداء إلى إفادة أن سيوف جيش قومه كانت واقعة على رؤوس الأعداء مع ذلك النقع ؛ لأن أسيافنا مفعول معه ، أو معطوف عليه ، ولو قال : " فَوقَ رُؤُوسِنَا " لما كان لذكر الرؤوس خصوصية ، إذ يكفيه أن يقول : فوقنا ". (٢)

ويبدو لي أن رواية " فوق رؤوسنا " وهي الرواية الأكثر شيوعاً ودوراناً ، والتي ردها الأستاذ طاهر بن عاشور أدق من رواية الديوان " رؤوسهم " ، وهي أنسب للصورة التي يريد الشاعر رسمها ؛ لأن الغبار حين يثور يعم الجميع ، فكون الغبار على رؤوس الأعداء فقط يدل على أنه لا تزاحم ولا تلاحم ، فكثرة الغبار وعمومه على جميع الرؤوس مع كونهم متلاحمين يدل على شدة المعركة وقوتها ، فأضافت إلى الصورة نوعاً من الحركة والاضطراب ، وهذا ما أراده الشاعر.

أما رواية المبرد في الفاضل " فينا وفيهم ، فإنها تجعل الصورة التي يريد الشاعر رسمها وتصويرها ناقصة مبتورة .

=== الليل ، فهم من كثرتهم، وتزاحمهم لايرى منهم إلا سواد رؤوسهم ، أما الرجيف، فهو دوي الأصوات ، فلا وجه لتشبيه أصواتهم بجنح الليل .

(١) ديوان بشار ـ تحقيق الطاهر بن عاشور ـ : ١/ ٣٣٦ .

(٢) المصدر السابق : ١ / ٣٣٥ .

والشاهد فيه كسابقه ، وهو أن النظم ودقته وتلاحم أجزائه كان من تشبيه شيئين بشيئين ، واستحسنه الشيخ ورأى أنه من النمط العالي الذي دق نظر واضعه ولطف مأخذه.(١)

فالتشبيه مركب حيث صور المعركة ، ومافيها من شدة التلاحم والحركة التي أثارت النقع فوق الرؤوس ، فحجب الرؤيا وساد الظلام ، وأصبحت حركات السيوف تعلو وتهبط في جهات متعددة ، شبه ذلك كله بصورة الليل المظلم الحالك السواد الذي تتساقط وتتهاوى فيه النجوم في كل جانب ، وقوله " تتهاوى " يدل على كثرة الحركة وشدتها مما يجعل حركة الشيء المتهاوى غير منتظمة .

وقد لاحظ المبرد في التشبيه أجزاءه المتفرقة ، فكأنه أراد به التشبيه المتعدد ؛ وذلك لأن تحديد التشبيه وتحقيقه لم يظهر في عصره بعد . قال :

" وأنشد الأصمعي قول الشاعر ، ولم نر تشبيها في بيت أحسن من هذا :

كَأَنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فِينَا وَفِيهِم ∴ وَأَسْيَافَنَا لَيْلٌ تَهَاوى كَوَاكِبُهْ

شبه الغبار بالليل ، وشبه السيوف في الغبار بالكواكب المنقضة في الليل(٢) "

ولقد استحسن ابن المعتز في طبقاته هذا البيت ؛ وذلك لإحكام رصفه ، وحسن وصفه . قال :

" ومما يستحسن لبشار ؛ لإحكام رصفه ، وحسن وصفه كلمته التي يقول فيها بيته الذي ذكرناه في التشبيه – يقصد قوله كأنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فَوقَ رُؤُوسِنَا – فأولها :

جَفَا جَفْوَةً فَازْوَرَّ إِذْ مَلَّ صَاحِبُهْ ∴ وَأَزْرَى بِهِ أَنْ لَا يَزَالُ يُصَاحِبُهْ (٣) "

وكذلك استحسنه الباقلاني ، فقال :

" واستبدعوا تشبيه شيئين بشيئين على حسن تقسيم ، ويزعمون أن أحسن

---

(١) الدلائل ، رضا : ٧٥ ، خفاجي : ١٢٤ ، شاكر : ٩٦ .

(٢) الفاضل : ٤٥ .

(٣) طبقات الشعراء لابن المعتز : ٢٧ .

ما وُجد في هذا للمحدثين قول بشّار :

كَأَنَّ مُثارَ النَّقْعِ فوقَ رُؤوسِهِمْ ... (١)

ورأى ابن رشيق (٢) أنه إن كان مراد بشار الترتيب ، فصدق ولم يقع بعد بيت امرئ القيس في ترتيبه كبيته ، وإن كان المراد تشبيهين ، فقد قال الطرمّاح في صفة ثور وحشي :

يَبْدُو وَتَضْمِرُهُ البِلَادُ كَأَنَّهُ .·. سَيفٌ عَلَى شَرَفٍ يُسَلُّ وَيُغْمَدُ (٣)

وقد تعجب ابن المعتز والثعالبي من حسن تصوير بشار ودقة تشبيهه ، لأنه كان أعمى أكمه لم يبصر ، وقال بيته هذا ، فكان بذلك أستاذ عصره (٤).

وقال ابن وكيع في بيت بشار : " وكُلّ ما قيل في هذا المعنى يسقط دون قول بشار ... هذا شعر يجمع حُسن اللفظ والمعنى لأن فيه تشبيهين في تشبيهين لا يحتاج البيت فيهما إلى غيره ، وبيت أبي الطيب (٥) يفسره ما قبله ، فيكون اللفظ الطويل الذي جاء به الشعراء قبله في الموجز القليل ، والسابق أحق بقوله (٦).

ورأى ابن الشجري أن بشاراً قد بلغ ببيته هذا الغاية . قال :

" وقال بشار في تشبيه السيوف في الغبار ، فبلغ الغاية . البيت (٧).

ورأى الطاهر بن عاشور أن بيت بشار قد فاق بيت امرئ القيس :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيرِ رَطْباً وَيَابِساً ...

---

(١) إعجاز القرآن : ٧٢ .

(٢) العمدة : ٢٩٠-٢٩١ .

(٣) ديوانه : ٣٣١

(٤) طبقات الشعراء لابن المعتز : ٢٦ ، خاص الخاص : ١٠٧ ، ثمار القلوب : ٢٢٤ .

(٥) يقصد قوله : فَكَأَنَّمَا كُسِي النَّهارُ بِهَا دُجَى .·. لَيْلٍ وَأَطْلَعَتِ الرِّمَاحُ كَوَاكِبَا

(٦) المنصف : ٤٣٦ .

(٧) حماسة ابن الشجري : ٢٣٤ .

على الرغم من إعجاب بشار به،وولوعه بالإتيان بمثله.(١)

وقد أخذ معنى بيت بشار منصور النمري،(٢) فقال :

لَيلٌ مِنَ النَّقْعِ لا نَجْمٌ(٣) وَلَا قَمَرُ .'. إلَّا جَبِينُكَ وَالمَذْرُوبَةُ الشُّرَعُ (٤)

وأخذه مسلم بن الوليد(٥) في قوله :

فِي عَسْكَرٍ تَشْرِقُ الأَرْضُ الفَضَاءُ بِهِ .'. كَاللَّيلِ أَنْجُمُهُ القُضْبَانُ وَالأَسَلُ (٦)

---

(١) ديوان بشار ، تحقيق الطاهر بن عاشور : ١ / ٣٣٥.

(٢) هو منصور بن الزبرقان بن سلمة بن شريك النمري ،أبو القاسم ، من بني النمر بن قاسط (..- نحو ١٩٠ هـ) ،كان تلميذ كلثوم بن عمرو العتابي ، وكانت بينهم صحبة انقلبت بعد ذلك إلى وحشة ، وأخذ كل منهما يسعى في هلاك صاحبه . فأوغر العتابي صدر الرشيد عليه ،فأرسل يطلب رأسه ،فوصل الرسول في اليوم الذي مات فيه النمري . / انظر ترجمته :
الشعر والشعراء : ٢ / ٨٦٣-٨٦٦ ،الإعجاز والإيجاز : ١٦٦ ، جمهرة الأنساب : ٣٠٢ ، تاريخ بغداد : ١٣ / ٦٥ - ٦٩ ،سمط اللآلي : ١/٣٣٦ ، نهاية الأرب : ٣ / ٨٥ ،الأعلام : ٧ / ٣٠٠.

(٣) رواية الأشباه والنظائر : " لا شَمْسٌ " .

(٤) ديوانه : ١٠١ .

(٥) هو مسلم بن الوليد الأنصاري بالولاء ،أبو الوليد ،المقلب بصريع الغواني ،شاعر غزل ، هو أول من أكثر من " البديع " ،فتبعه الشعراء ، وهو من أهل الكوفة ، اتصل بكبار رجال الدولة ومدحهم ، وتولى بريد جرجان إلى أن مات فيها . / انظر ترجمته :
الشعر والشعراء : ٢ / ٨٣٦-٨٤٦ ،الإعجاز والإيجاز : ١٧١ ، المؤتلف والمختلف : ٣٧٢ ،سمط اللآلي : ١ / ٤٢٧ ، تاريخ جرجان : ٤٦٣ ، نهاية الأرب : ٣ / ٨٥ ،الأعلام : ٧ / ٢٢٣ .

(٦) شرح ديوان صريح الغواني : ٢٥١.

وكذلك أخذه ابن المعتز حيث يقول :

وَعَمَّ السَّمَاءَ النَّقْعُ حَتَّى كَأَنَّهُ ∴ دُخَانٌ وَأَطْرَافُ الرِّمَاحِ شَرَارُ (١)

وكذلك أخذه المتنبي في قوله :

فَكَأَنَّمَا كُسِيَ النَّهَارُ بِهَا دُجَى ∴ لَيْلٍ وَأَطْلَعَتِ الرِّمَاحُ كَوَاكِبَا (٢)

وقوله :

يَزُورُ الأَعَادِي فِي سَمَاءِ عَجَاجَةٍ ∴ أَسِنَّتُهَا فِي جَانِبَيْهَا كَوَاكِبُ (٣)

ومثله قول بعضهم :

نَسَجَتْ حَوَافِرُهَا سَمَاءً فَوْقَنَا ∴ جَعَلَتْ أَسِنَّتَنَا نُجُومَ سَمَائِهَا

ومثله :

تَبْنِي سَنَابِكُهَا مِنْ فَوْقِ هَامِهِمُ ∴ لَيْلاً كَوَاكِبُهُ البِيضُ المَبَاتِيرُ (٤)

وبيت الشاهد ذكره الشيخ في الأسرار (٥) مفصلا شرحه مع مقارنته بنظائره ، وبيان وجه تفضيله ، وسنورد ذلك في فصل لاحق إن شاء الله .

الشاهد الثاني والخمسون : (*) (الطويل)

قول زياد الأعجم (٦) :

---

(١) ديوانه : - دار صادر - : ١٩٤ .

(٢) ديوانه بشرح العكبري : ١ / ١٢٨ .

(٣) رواية الديوان : أَسِنَّتُهُ فِي جَانِبَيْهَا الكَوَاكِبُ .
انظر : الديوان بشرح العكبري : ١/١٠٧ .

(٤) انظر البيت في : الأشباه والنظائر : ٢/٣٥٤ ، المنصف في نقد الشعر : ٣١٧ ، معاهد التنصيص : ٢ / ٣١ .

(٥) الأسرار هـ ، ريتر: ١٧٩ ، ١٨٣-١٨٥ .

(*) الدلائل ، رضا : ٧٦ ، خفاجي : ١٣٤ ؛ شاكر: ٩٦ .

(٦) هو زياد بن سلمى بن عبد القيس أبو أمامة العبدي المعروف بزياد الأعجم ، مولى عبد القيس ، قيل له الأعجم للكنة كانت فيه ، أدرك أبا موسى الأشعري ، وعثمان بن أبي العاص ، وشهد معهما فتح اصطخر، وهو من =====

وَإِنَّا وَمَا تُلْقِي(١) لَنَا إِنْ(٢) هَجَوتَنَا ∴ لَكَالْبَحْرِ مَهْمَا يُلْقَ فِي البَحْرِ يَغْرَقِ(٣)

وهو من قصيدته في هجاء الفرزدق ، فقد روى أن الفرزدق همّ بهجاء عبد القيس(٤) ، فبلغ ذلك زيادًا الأعجم ، فبعث إليه لا تعمل حتى أهدى إليك هدية ، فانتظر الفرزدق الهدية ، فبعث إليه :

مَا تَرَكَ(٥) الهَاجُونَ لِي إِنْ هَجَوتُهُ(٦) ∴ مَصَحًّا أَرَاهُ فِي أَدِيمِ الفَرَزْدَقِ

=== شعراء الدولة الأموية ، عدَّه ابن سلام في الطبقة السادسة من شعراء الاسلام ./
انظر ترجمته :
الشعر والشعراء : ١/٤٣٧-٤٤٠ ، الأغاني : ١٥/٣٨٠-٣٩٤ ، المؤتلف والمختلف : ١٣١-١٣٢ ، معجم الأدباء : ١١/١٦٨ ، خزانة البغدادي : ٤/١٩٣ .

(١) رواية الأغاني والعمدة : " فَإِنَّا وَمَا تُهْدِي لَنَا " ، ورواية خزانة البغدادي والديوان : " وَإِنَّا وَمَا تُهْدِي لَنَا " ، ويبدو أن هاتين الروايتين أبلغ من رواية الدلائل " وَإِنَّا وَمَا تُلْقِي " لأن الإهداء هنا يتضمن معنى التحقير والاستهزاء بالمهجو ، وهذا ما أراده الشاعر .

(٢) ضبطت " أن " في شرح أبيات الإيضاح بالفتح فتؤول هي وما بعدها بمصدر ، والمعنى فإنك وما تلقي لنا بهجائك ، وضبطت في الدلائل " إن " بالكسر على أنها شرطية ، وهذا أولى بالسياق كما سيأتي في التحليل .

(٣) انظر البيت في : شعر زياد الأعجم : ٨٨ .
الشعر والشعراء : ١/٤٣٨ ، معجم الأدباء : ١١/١٦٩ ، الأغاني : ١٥/٣٩٣ ، العمدة : ١/٦٥ ، الإيضاح : ٢/٣٧٤ ، شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية - شاهد رقم ٣٠٣ ، خزانة الأدب للبغدادي - دار صادر - ٤/١٩٣ .

(٤) هو عبد القيس بن أقصى بن دعمىّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار - / جمهرة أنساب العرب : ٢٩٥ .

(٥) رواية معجم الأدباء وخزانة البغدادي : " فَمَا تَرَكَ الهَاجُونَ " .
وهذه الرواية أولى ، لأن ترك " الفاء " يجعل في البيت خرمًا أي حذف حرف من أول البيت ، والشعر من الطويل .

(٦) رواية الأغاني : " إِنْ أَرَدْتُهُ " .

وَلا تَرَكُوا عَظْماً يُرَى تَحْتَ لَحْمِهِ (١) ∴ لِكَاسِرِهِ أَبْقَوْهُ لِلْمُتَعَــــرِّقِ

سَأَكْسِرُ مَا أَبْقَوْهُ لِي مِنْ عِظَامِــهِ (٢) ∴ وَأَنْكُتُ مُخَّ السَّاقِ مِنْهُ وَأَنْتَقِــي

وَإِنَّا وَمَا تُهْدِي لَنَا إِنْ هَجَوْتَنَــا ∴ لَكَالْبَحْرِ مَهْمَا يُلْقَ فِي الْبَحْرِ يَغْرَقِ

فلما بلغ الفرزدق هذا الشعر طلب من زياد أن يتتاركوا ، وقال : ليـــس لي هجاء هؤلاء مادام هذا العبد فيهم (٣) .

رأى الشيخ عبد القاهر أن هذا البيت في غاية الدقة ، وهو أعجب من سـابقيـه - يقصد قول - امرئ القيس ، وبشـار ، والفرزدق " وإنَّما كان أعجب، لأن علـــه أدق وطريقه أغمض ووجه المشابهة فيه أغرب " (٤) .

الشاهد من أوجع أبيات الهجاء ، وأشدها تهكماً ، فالشاعر هنا أوسع الفرزدق تحقيراً ، فهو لوضاعة شأنه لم يتركه أحد من الشعراء إلَّا وأوجعه ذماً وهجاءً حـتى أنهم وصلوا إلى داخل جسمه ، وما تحت اللحم من العظام ، فلم يبق لـه إلَّا أن يفت تلك العظام . وأراد الشاعر من هذا كله الإعلاء من شأن نفسه والإكبـــار من قدرته وبراعته في هذا الفن ، فهو إن هجا سحق خصمه سحقاً وأفناه فنـــاءً محققاً تاماً ، ثم أخذ يستهين بقدرة الفرزدق على الهجاء ، فهو قصير الباع فـــي هذا المضمار .

وزيادة في التهكم جعل هجاء الفرزدق لهم ، وكأنه هدية ، لأنه كلا هجـــاء ، وجاء بـ " إنْ " الشرطية " إنْ هجوتنا " ليشكك في وقوع الهجاء منه ، وكذلك جعـل هجاءه لخفته وتفاهته كالشيء الخفيف الوزن إذا رُمي في البحر غاص في الأعمـــاق ، ولم يعد له أثر ، فهجاؤه فإن لا يبقى له أثر في نفس المهجو ، فهو ليس كهجاء زياد

(١) رواية الديوان : وَلَمْ تَتْرُكُوا لَحْماً يُرَى فَوْقَ عَظْمِهِ ∴ لِآكِلِهِ أَبْقَوْهُ لِلْمُتَعَرِّقِ

رواية الأغاني : " وَمَا تَرَكُوا لَحْمَاً يدقون عظمه " .

(ورواية معجم الأدباء وخزانة البغدادي : " وما تركوا عظما " .

(٢) رواية الأغاني : " سَأَحْطِمُ مَا أَبْقَوا لَهُ مِنْ عِظَامِهِ " .

ورواية الديوان والعمدة : " سَأَكْسِرُ مَا أَبْقَوا لَهُ مِنْ عِظَامِهِ " .

ورواية " سَأَحْطِمُ " أنسب للبيت لأن الحَطْم أشد من الكسر .

(٣) انظر : الأغاني : ١٥ / ٣٩٣ ، العمدة : ١ / ٦٥ .

(٤) الدلائل ، رضا : ٧٦ ، خفاجي : ١٣٤ ، شاكر : ٩٦ .

الذي يفت العظم ويبقى أثره خالدا .

فالشاعر شبه صورته وقومه حين يتلقون هجاء الفرزدق، وأثر ذلك على أنفسهم بالبحر الواسع الذي لا يتأثر بالأشياء التافهة التي ترمي فيه، وذلك مبالغة في الاستهانة بأمر الفرزدق ، والتصغير من شأنه .

فالشاعر استطاع أن يبرز الأمر المعنوي في صورة المحسوس، وأن يوجد بينهما علاقة وارتباطاً على الرغم من تباعد طرفيهما .

والبيت لا شك في براعته إلَّا أنَّ الشيخ عبد القاهر بالغ في استحسانه إذْ فضله على كل ما سبق ، فهو عندي ليس بأفضل من قول بشار :

كَأَنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فَوقَ رُؤوسِنَا . . .

ولا من قول الفرزدق :

وَالشَّيبُ يَنْهَضُ فِي الشَّبَابِ . . .

الشاهد الثالث والخمسون :- (*) (الطويل)

قول ابن المعتز :

وَإِنِّي على إِشْفَاقِ عَيْنِي مِنَ العِدَى (١) .·. لَتَجْمَحُ (٢) مِنِّي نَظْرَةٌ ثُمَّ أُطْرِقُ (٣)

(*) الدلائل ، رضا : ٧٧ ، خفاجي : ١٣٦ ، شاكر : ٩٨ .

(١) رواية ديوانه - دار المعارف - : " القذى " .

(٢) لتجمح : وهي من فرس جموح إذا لم يَثنِ رأسه وجمح الفرسُ بصاحبه جمحاً وجِماحاً ذهب يجرى جرياً غالباً واعتزَّ فارسه وغلبه ، ويقال جمح وطمح إذا أسرع ولم يَرُدَّ وجهه شيء / اللسان " جمح " : ٢ / ٤٢٦ .

(٣) أشار الأستاذ عبد السلام هارون في معجم شواهد العربية إلى أن البيت غير موجود في ديوان ابن المعتز ، وقد راجعت ديوانه طبعة - دار صادر - فلم أجده فيه ، ووجدته في ديوانه - دار المعارف - : ١ / ٣٨٨ .

وعلى الرغم من بلاغة البيت، ولطافته وحسنه ، فهو نادر الوجود في كتب ======

ومطلع القصيدة :

أَلَا هَلْ لأَسْرَى أَخْذِ عَينَيكِ مُطْلِقُ .·. وَهَلْ مُستَرَقٌ يَشْتَكِي الشَّوقَ مُعْتِقُ

وبعده بيت قبل الشاهد :

أَضَفْتِ إلى أَحْشَائِهِ حُرَقَ الهَوَى .·. وَنَفَّرتِ قَلْباً بَينَ جَنْبَيَّ يَخْفِقُ

وبعده الشاهد وبعده :

كَمَا حُلِيَت عَنْ بَرْدِ مَاءٍ طَرِيدَةٌ .·. تَمُدُّ إِلَيهِ جِيدَهَا وَهيَ تَفْرَقُ

وَلِي دَمْعَةٌ مَحْبُوسَةٌ فِي جُفُونِهَا .·. وَأُخْرَى مُخَلَّاةٌ عَلَى الخَدِّ تُطْلَقُ (١)

يبدو أن هذا الشاهد من الشواهد التي تفرد بها الشيخ عبد القاهر ، وقل دورانها في كتب الأدب والبلاغة ، مع أن فيه لفتات بلاغية جميلة فتق أكمامها الشيخ ، حيث استشهد به على أن المزية ليست للفظ وحده بل تعود إلى النظم أيضًا قال :

" واعلم أن هذا - أعني الفرق بين أن تكون المزية في اللفظ ، وبين أن تكون في النظم - باب يكثر فيه الغلط، فلا تزال ترى مستحسناً قد أخطأ بالاستحسان موضعه ، فينحل اللفظ ماليس له ، ولا تزال ترى

=== العربية وآدابها ، فقد بحثت عنه في الكتب التالية، ولم أجده في واحد منها - :

أمالي اليزيدي / الخصائص / عيار الشعر / العقد الفريد / أخبار أبي تمام / أدب الكاتب / الوساطة / الأغاني / أمالي القالي / الأشباه والنظائر / الصناعتين / الموشح / ثلاث رسائل في إعجاز القرآن / معاني أبيات الحماسة / نثر الدر الآبي / شرح الحماسة للمرزوقي / التمثيل والمحاضرة / خاص الخاص / مجالس العلماء / أمالي المرتضي / زهر الآداب / العمدة / بهجة المجالس وأنس المجالس / سر الفصاحة / الممتع / آمالي الشجري / الإفصاح / شرح الحماسة للتبريزى / مفتاح العلوم / الإيضاح / شرح أبيات الإيضاح / المستطرف / أنوار الربيع / الطراز .

(١) ديوانه - دار المعارف - : ١ / ٣٨٨ .

الشبهة قد دخلت عليك في الكلام قد حسن من لفظه ونظمه ، فظننت أن حسنه ذلك كله للفظ منه دون النظم ، مثال ذلك أن تنظر الى قول ابن المعتز :

وَإِنّي عَلَى إِشْفَاقِ عَينِي مِنَ العِدَى .·. لَتَجْمَحُ مِنِّي نَظْرَةٌ ثُمَّ أُطْرِقُ

فترى أن هذه الطلاوة ، وهذا الظرف إِنّما هو لأنّ جعل النظر يجمح ، وليس هو لذلك ، بل لأن قال في أول البيت " وإنّي " حتى دخل اللام في قوله : " لتجمح " ثم قوله : " مِنّي " ثم لأن قال " نظرةٌ " ولم يقل " النَّظر " مثلا ثم لمكان " ثم " في قوله : " ثم أطرق " وللطيفة أخرى نَصَرَتْ هذه اللطائف ، وهي اعتراضة بين اسم " إِنَّ " وخبرها بقوله : " عَلَى إِشْفَاقِ عَينِي مِنَ العِدَى ".(١)

ويكتفي الشيخ عبدالقاهر بهذا البيان الموجز في شرح جمال النظم ، وإنّ وراء هذا الإيجاز لشرحًا طويلاً ، كان على الشيخ إبرازه ليتذوق القاريء به أسرار حسن النظم في البيت ، فليت شعري ، أكان وضوحه أمام عينيه مظنة اعتقاده بأنه واضح أمام قارئيه .(٢)

وعلى كل فإنّ الخصائص التي حددها الشيخ في البيت تدل على أنه استطاع بحق أن يضع يده على مواطن الجمال بل على إبراز الملامح الدالة فيه .

فالاستعارة التي جاء بها ابن المعتز ، وهي استعارة الجموح للنظرة استعارة رائعة بلا شك ، ولكن روعتها لا ترجع لمجرد استعارة الجموح للنظرة ؛ لأن الجموح وحده ماكان ليبلغ هذا التأثير لولا تلك العناصر التي جمعها الشاعر ، والتي نجحت كل النجاح في الإفصاح عن عاطفته وعن موقفه النفسي ، فالموقف في البيت موقف شاعر

---

(١) الدلائل ، رضا : ٧٧ - ٧٨ ، خفاجي : ١٣٦ ، شاكر : ٩٨ - ٩٩ .

(٢) عبدالقاهر ، أحمد بدوي : ١٢١ - ١٢٢ .

محب يرى حبيبته أمامه ، وهو شديد اللهفة إلى إطفاء شوقه إليها ، فَوَدَّ لو استطاع أن يمتع عينه بالنظر إليها ، ولكنه لسوء حظه محوط بالأعداء من كل جانب ، وجميعهم ينظر إليه ويرقبه ، وهو أمام هذا كله بين أمرين : إمّا أن يخضع لعاطفته المشبوبة ، فيبعث بنظرته إلى حبيبته ضارباً عرض الحائط بهذه الأنظار المصوبة نحوه من أعدائه ، فيفتضح أمره ، ويكشف عن حبه ، وإما أن يذعن لخوفه وإشفاقه من أعدائه ، ورغبته في إخفاء هذه الحقيقة عنهم ، فيحرم نفسه من النظر إلى حبيبته حرصاً منه على نفسه وعليها .

وما أبرع مجيء اللام في قوله " لتجمح " ، ومجيء الجار والمجرور " منّي " حيث أبرز عدم استطاعته كتمان حبه ، وكبت لهفته وشوقه ، فعلى الرغم من مقاومته إذا بالشوق يغلبه ، وإذا بهذه العاطفة الحبيسة في صدره تنطلق رغماً عنه ، وعن القيود التي تقيدها ، فتجمح منه نظرة ثم يطرق ، وفي إفراده لفظ " نظرة " وفي إطراقته هذه إحساس عميق بكل معاني الإشفاق ، والخجل التي تصطرع في نفسه ودخيلته ، وما كان لهذا الجموح ، وهذا الإحساس أن يظهر على أنه أمر محتوم لا مفر منه لولا أن سبقته عبارة " على إشفاق عيني من العِدَى " ، ثم تتالت هذه الأجزاء في وحدة لتلتحم أخيراً بقوله : " ثم أطرق " ، فيضيف بذلك إضافة رائعة ، ومهمة قوت من الإحساس بالحذر والحيطة ، فعلى الرغم من انطلاق النظرة منه يحس بالخوف ممن حوله .

وانظر إلى دور حرف العطف " ثم " فهو لم يأت لمجرد العطف مع التراخي فحسب ، وإنما تعدى هذا إلى إضافة معنى يتناسب مع موقف الشاعر الخائف ، فالتراخي فترة زمنية تمثل في أثنائها الخوف والقلق من المصير المجهول .(١)

---

(١) انظر : قضايا النقد الأدبي : ٢٤٤ - ٢٤٥ ، النقد التحليلي عند عبد القاهر : ٢٥٣ - ٢٥٤ .

وهكذا يلفتنا الشيخ إلى أن تنظيم الكلمات، وتلاحم أجزاء الجملة وتراحمها عنصر هام في إبراز جمال الاستعارة إذ أنه يضفي عليها روح الخفة والجدة، فدراستها مستقلة تتنافي مع طبيعة الأشياء، وتنطمس بذلك الصور البيانية، ويذهب رونقها وجمالها.

الشاهد الرابع والخمسون :- (*) (الرجز)

قول بعض الأعراب (١) :

اللَّيْلُ دَاجٍ (٢) كَنَفَا (٣) جِلْبَابِهِ (٤) ∴ وَالْبَيْنُ (٥) مَحْجُورٌ عَلَى غُرَابِهِ (٦)

الشاهد فيه كسابقه، وهو أنَّ الروعة والجمال في البيت ليس في الاستعارة وحدها بأن جعل لليل جلباباً، بل ترجع الروعة إلى مجموعة الدلالات والصيغ التي تركبت منها الاستعارة وتركب منها البيت كله.

(*) الدلائل، رضا : ٨١، خفاجي : ١٣٩، شاكر : ١٠٢.

(١) لم أقف على قائله.

(٢) الدُّجَى : سواد الليل مع غيم وأن لا ترى نجماً ولا قمراً، وقيل هو إذا ألبس كل شيء وليس هو من الظُّلمة، وقد دَجَا الليلُ يدجو دَجْواً ودُجُوّاً فهو داجٍ ودَجِيٌّ / اللسان " دجا " : ١٤ / ٢٤٩.

(٣) رواية اللسان :

" والعَيشُ دَاجٍ كَنَفَا جِلْبَابِهِ "، والمراد بذلك خفض العيش وترفه.

(٤) كنفا : الكنف والكنفة : ناحية الشيء، وناحيتا كل شيء كنفاه والجمع أكناف / اللسان : " كنف " : ٩ / ٣٠٨.

(٥) ذكر الأستاذ " شاكر " أنه جاء في رواية إحدى مخطوطات الدلائل : " واللَّيلُ مَحْجُورٌ عَلَى غُرَابِهِ "، وذكر أنه سهو من الناسخ.

(٦) لم أقف على البيت على الرغم من مراجعتي لكثير من كتب الأدب، والبلاغة، إلا في :

اللسان : " دجا " : ١٤ / ٢٥١.

وقد أشار الشيخ إلى الأسرار الخفية في الصيغ ، والتي أثارت الأحاسيس المظلمة في نفس الشاعر . قال :

" ليس كل ما ترى من الملاحة ؛ لأن جعل لليل جلباباً، وحجر على الغراب، ولكن في أن وضع الكلام الذي ترى فجعل الليل مبتدأ ، وجعل داجٍ خبراً له ، وفعلاً لما بعده ، وهو الكنفان ، وأضاف الجلباب إلى ضمير الليل ؛ ولأن جعل كذلك البين مبتدأ ، وأجرى محجوراً خبراً عنه ، وأن أخرج اللفظ على مفعول ، يبين ذلك أنك لو قلت : " وغراب البين محجور عليه أو: قد حجر على غراب البين ، لم تجد له هذه الملاحة ، وكذلك لو قلت: قد دجا كنفا جلباب الليل لم يكن شيئاً(١) ".

لم يسق الشيخ هذا البيت ليحدثنا عن وصف هذا الشعر لظلمة الليل، وبقاء الوصال ، وذهاب الفراق ؛ لأن هذا المعنى سطحي يدركه كل من يعرف هذه اللغة ، وإنما ليقود الذهن والإحساس قسراً إلى أفق آخر تدرك فيه حركة وجدان الشاعر، وكيفية إحساسه بمعناه ، فالشاعر أحس بالليل إحساساً طاغياً فرمى به في صدر كلامه ، وبنى عبارته عليه ، ثم أخبر عنه بلفظ " داجٍ "، فجعل ظلمته ظلمة مطبقة لا يرى فيها نجمٌ ولا قمر، وإنّما هو ليل ملبس كله ؛ ولشدة إحساس الشاعر بهذه الظلمة المطبقة شعر أن هذه الإبانة لم تفِ بإحساسه ، فركب المعنى تركيباً آخر، فوصل الخبر بما بعده ، وجعله فعلاً للكنفين أي الجانبين ، ثم لم يجعل الكنفين لليل ، ولم يقل والليل داج كنفاه أي جانباه ، وإنما جعل ذلك لجلباب الليل ، فجعل لليل جلباباً ، ثم تحدث عن كنفي هذا الجلباب ، وهذا التركيب لظلمة الليل ليس بالتركيب السهل ، وهذا الإحساس بهذه الظلمة ليس بإحساس ساذج ، وإنما هي أحاسيس بُني بعضها على بعض ، فهناك احساس

---

(١) الدلائل ، رضا : ٨١ ، خفاجي : ١٣٩ ، شاكر : ١٠٢ - ١٠٣ .

بأهمية هذا الليل ،ثم إحساس بظلمته المطبقة ،فهو داجٍ ،ثم إحساس بأن هذه الظلمة متكاثفة ،وكأنها جلباب شديد سواد الجانبين ، ثم إحساس بتشخيص الليل أي بصيرورته في وجدانه شخصاً يرتدي جلباباً شديد الدَّجو على جانبي الوجود ، فلا يدع فيه شيئاً إلاَّ أحاط به ، وكأنه مارد عملاق يشق برأسه السماء ، ويطوي بين يدي المغربين - الليل داجٍ كنفا جلبابه - ، وكذلك أحس الشاعر بالبين إحساسا عميقاً بارزاً ، فرميٰ به فى صدر عبارته الثانية " والبين محجور " ،وبنى الجملة عليه ؛ لأن أهم مايعنيه في هذا السياق هو أن يخبر عنه ،وأنه محجور على غرابه، ثم إنَّ الشاعر تأمل الكلمات ،وأدارها في نفسه ثم اختار كلمة محجور بصفتها هذه ، وفضّلها على كلمة حجر على غرابه،أو قد حجر على غرابه ،لأن محجوراً فيها إحساس بدوام الحجر ،وليس هذا الإحساس في صيغة الفعل .

وفي هذين الموقعين في الجملة يكمن إحساس الشاعر ،فلو أنه زُحزح لفظ " البين"، وقُدِّم "غراب" عليه وقيل : " وغراب البين محجور عليه لكان شيئاً مخالفاً لإحساس الشاعر ومراده ، ويتبين هذا الفرق إذا تأملنا الفرق بين جملة " زيد عظيم قدره " وجملة : " وقدر زيد عظيم " ، ففي الأولى إخبار عن زيد بعظمة القدر، وفي الثانية إخبار عن قدر زيد بالعظمة ، ويابعد مابينهما لمن يحس إدراك الفروق .

وهكذا ندرك رهافة حس الكلمة بالكلمة ،وأن أقل قدر من الاهتزاز في هذه المماسة بين الكلمتين يؤدي إلى تغيير جوهري في المعنى.(١)

---

(١) انظر : دلالات التراكيب : ٤ - ٥ .

الشاهد الخامس والخمسون : (*)   (الخفيف)

قول المتنبي :

غَضِبَ الدَّهْرَ وَالمُلوكَ عَلَيْهَـــا ∴ فَبَنَاهَا فِي وَجْنَةِ الدَّهْرِ خَـــالاَ (١)

وهو من قصيدته في مدح سيف الدولة ، ويذكر فيها نهوضه إلى الثغـــــر (٢) واستيلاءه على قلعة الحدث (٣) ، وذلك في جمادي الأول سنة أربعين وثلاثمائة ، وقيل سنة أربع وأربعين وثلاثمائة ، ومطلعها :

ذِي المَعَالِي فَلْيَعْلُوَنْ مَنْ تَعَالَى ∴ هَكَذَا هَكَذَا وَإلاَّ فَـــلاَ لاَ (٤)

وقبل الشاهد :

أَيُّ عَيْنٍ تَأَمَّلَتْكَ فَلاَ قَتْـــكَ (م) ∴ وَطَرْفٍ رَنَا إِلَيْـــكَ فَـــآلا

(*) الدلائل ، رضا : ٨١ ، خفاجي : ١٤٠ ، شاكر : ١٠٣ .

(١) لم أجد البيت فيما رجعت إليه من مصادر إلا في ديوانه، وكأنه مـــن الشواهد الخاصة بالشيخ ./ انظر :
ديوانه بشرح العكبري : ٣ / ١٤٥ ، العرف الطيب : ٤ / ٢٧٩ .

(٢) الثَّغْر : كل موضع قريب من أرض العدو ويُسمى ثَغرًا كأنه مأخوذ من الثُغرة وهي الفَرجة في الحائط ، وهو في مواضع كثيرة ، منها : ثَغْرُ الشَّام ، وجمعه ثغور، وهذا الاسم يشمل بلاداً كثيرة ./ انظر :
معجم البلدان : ٢ / ٧٩ .

(٣) الحَدَث : قلعة حصينة بين ملطية وسُميساط ومرعش، من الثغور يقال لهـا الحمراء ؛ لأن تربتها جميعاً حمراء ، وقلعتها على جبل يقال لـــه : الأُحيدب ، وكان حصن الحدث مما فتح في أيام عمر رضي الله عنـــه ./ انظر :
معجم البلدان : ٢ / ٢٢٧ .

(٤) والمعنى : يقول مشـيراً إلى ما فعله سـيف الدولة بجيوش الـــروم ، وانهزامهم بين يديه ، ومنعه لهم مما كانوا عليه من حصار :
إن هذه هي المعالي التي تؤثر ، والمكارم التي تخلد على أثبـــت حقائقها ، وأبعد غاياتها ، فمن تعاطى الإقدام والقوة ، والتعالـــي والرفعة ، فلينهض بمثلها ، وليتقدم إلى فعلها ، وهكذا سبيلها ووجهها فلا يتعرض الرؤوساء لها ، ولا يتميزون بها ، وكرر " لا " على ســبيل التوكيد ./ شرح العكبري : ٣ / ١٣٤ .

مَايَشُكُّ اللَّعِينُ فِي أَخْذِكَ الجَيْ .·. شَ فَهَلْ يَبْعَثُ الجُيُوشَ نَوَالَا

مَالِمَنْ يَنْصِبُ الحَبَائِلَ فِي الأَرْ .·. ضِ وَمَرْجَاهُ أَنْ يَصِيدَ الهِلَالَا

إِنَّ دُونَ التِي عَلَى الدَّرْبِ (١) وَالأَحْـ (٢) .·. دَبِ (٣)، وَالنَّهْرِ مُخْلِطًا مِزْيَالًا (٤) (٥)

وبعدها الشاهد وبعده :

فَهْيَ تَمْشِي مَشْيَ العَرُوسِ اخْتِيَالًا .·. وَتَثَنَّى عَلَى الزَّمَانِ دَلَالًا (٦)

والشاهد فيه كسابقه ، وقد علّق عليه الشيخ بقوله :

" قد ترى في أول الأمر أن حسنه أجمع في أن جعل للدهر " وجنة " وجعل البَنيّة " خالا " في الوجنة ، وليس الأمر على ذلك ، فإن موضع الأعجوبة في أن أخرج الكلام مُخْرَجَه الذي ترى ، وأن أتى " بالخال " منصوبًا على الحال من قوله : " فبناها " أفلا ترى أنك لو قلت : " وهي خال في وجنة الدهر " لوجدت الصورة غير ماترى ؟ ".(٧)

---

(١) الدرب : المدخل من أرض العدد . شرح العكبري : ٣ / ١٤٥.

(٢) الأحدب : جبل عليه قلعة الحدث، ويقال له الأحيدب ./ انظر: معجم مااستعجم : ١ / ١٢١.

(٣) موضع بقرب الحصن . / شرح العكبري : ٣ / ١٤٥.

(٤) مِخْلَط مِزْيَال : يخالط الأمور : أي موصوف بالشجاعة ، وسداد الرأي ./ الصحاح : " خلط " : ٣ / ١١٢٥.

(٥) والمعنى أن هذه القلعة لا يمكن الوصول إليها، لأن حاميها رجل مخلط مزيال كثير المخالطة للأمور يخالطها ثم يزايلها ، يحمي حريمها ، ويقاتل الأعداء عنها ، أو دونها ملك مقتدر مزيال عن أطراف بلاده مخلط بالأعداء فيها عند قصدهم لها سريع لا يتأخر عن سطوته ./ ديوانه بشرح العكبري : ٣ / ١٤٥ ،

(٦) انظر الأبيات في : ديوانه بشرح العكبري : ٣ / ١٤٣ - ١٤٥ ، العرف الطيب : ٢٧٨ - ٢٧٩.

(٧) الدلائل ، رضا : ٨٢ ، خفاجي : ١٤٠ ، شاكر : ١٠٣.

في هذا البيت يغمر المتنبي الإحساس بالفرحة ، وتزهو نفسه بالانتصار الذي أحرزه الممدوح ، فهو انتصار لا يتمكن منه إلا شخص متمرس قوي الشكيمة ، ولإحساسه بعظمة هذا الشخص وقوته ، قال :

" غَصَبَ الدَّهْرَ وَالمُلوكَ عَلَيْهَا "

فهو لم ينتزعها من أقرانه " الملوك " فقط ، وإنما تمكن منها وأخذها من الدهر عنوة .

وقد وُفق الشاعر في اختيار لفظ " غَصَبَ " بدلاً من "أخذ" مثلاً لما لهذه الكلمة من أبعاد دلالية وإيحاءات خفية ، فهي توحي بصورة كر وفر قامت بين الدهر والممدوح ، وفيها نوع من المخاطرة والمجازفة بالنفس ، وفيها أيضاً دلالة على إرادته وقوته الجبارة وفي طريقة بناء الكلام ما يبعث في النفس التشويق حيث أبهم في صدر البيت، ثم فاجأ النفوس بقوله : " فبناها " ، فإن الشيء الذي حارب من أجله وغصب الدهر والملوك عليه هو " بناء " ، وجاء بالفاء فدلت على سرعة البناء ، فهو لم يستغرق وقتاً طويلاً في بنائها ، ثم جاء بالحال " خالاً " ؛ ليصور روعة ذلك البناء ودقته وعظمته ، فهذه المدينة قد جل قدرها ، فكأن الدهر زين بها وجهه ، ووسم برفعتها نفسه ، فهذه الروعة ، وهذا الجمال هو الذي دفع الممدوح لينازل ويحارب أكبر القوى ، وقد استحسن العكبري هذه الاستعارة فقال :

" وهذه استعارة حسنة لم يعمل في بيته مثلها "[1]

الشاهد السادس والخمسون : (*) (المجتث)

قول ابن المعتز :

يَا مِسْكَةَ العَطَّارِ ∴ وَخَالَ وَجْهِ النَّهَارِ

---

(١) ديوان المتنبي بشرح العكبري : ٣ / ١٤٥ .

(*) الدلائل ، رضا : ٨٢ ، خفاجي : ١٤٠ ، شاكر : ١٠٣ .

وهو مطلع قصيدة يصف امرأة سوداء وبعده عدة أبيات هي تمام القصيدة :

وَلُعْبَةٍ أَحْكَمَتْهَا ∴ عِنَايَةُ النَّجارِ

مِنْ آبَنُوسٍ تُسَمَّى ∴ بِاليُمْنِ بَينَ الجَوَارِي

وَأَطيبَ النَّاسِ رِيقاً ∴ لِمُغْتَدٍ وَلِسَارِ

وَلَيْسَ ذَا بِعَجِيبٍ ∴ وَلَيْسَ فِي ذَا تَمَارِي

لَا تَشْرَبُ الخَمْرَ إِلَّا ∴ مَبْزُولَةً مِنْ قَارِ (١)

استشهد به الشيخ على أن الملاحة والطرافة ليس في استعارة لفظ الخال بل لتتابع الإضافات قال :

" وكانت الملاحة في الإضافة بعد الإضافة لا في استعارة لفظة الخال ، إذ معلوم أنه لو قال : ياخالا في وجه النهار أو يامن هو خال في وجه النهار لم يكن شيئاً ، ومن شأن هذا الضرب أن يدخله الاستكراه قال الصاحب : " إياك والإضافات المتداخلة (٢) ، فإن ذلك لا يحسن " (٣).

يُظهر هذا البيت نفسية الشاعر المرحة السهلة الميَّالة للفكاهة والملح ، فموسيقى البيت التي اختارها موسيقى خفيفة تتنقل في جوانب النفس بسرعة وخفة ، فبدأ البيت بالنداء " يامسكة " ليوقظ النفوس ويلفت الأذهان إلى أنها هي المسك بعينه ، فكونها مسكة أمر ليس فيه شك ، وهذه مبالغة طريفة من الشاعر ، وزادها طرافة إضافة لفظه " مسكة " إلى " العطار " ليؤكد طيب رائحتها ويثبت هذه الصفة فيها .

---

(١) لم أجده فيما رجعت إليه من مصادر إلا في : ديوان ابن المعتز - دار صادر - : ٢٥٣ ، ديوان أشعار الأمير أبي العباس : - دار المعارف - ٢ / ١٨٧ .

(٢) في الدلائل نسخة شاكر " المُدَاخِلة " .

(٣) الدلائل ، رضا : ٨٢ ، خفاجي : ١٤٠ - ١٤١ ، شاكر : ١٠٣ - ١٠٤ .

ثم استعار لفظ خال لتلك الجارية ؛ ليدل على شهرتها وجمالها ، ثم أضاف الخال للوجه ، وأضاف الوجه للنهار ، فجعل الجملة كلها أجزاء متحدة متلازمة ؛ ليؤكد أن شهرتها بالرقة والجمال ملازمة لها لا تخفى على أحد .

الشاهد السابع والخمسون : (*) (الخفيف)

قول القائل (١) :

يا عَلِيَّ بنَ حَمْزَةَ بنِ عُمَارَةْ (٢) .·. أنْتَ وَاللهِ ثَلْجَةٌ في خِيَارَهْ (٣)

البيت حُكي عن الصاحب بن عبّاد (٤) ، وأثبته صاحب عقود الدرر للصاحب قال : " أقول هذا البيت للصاحب بن عبّاد (٥) "

(*) الدلائل ، رضا : ٨٢ ، خفاجي : ١/١٤٦ ، شاكر: ١٠٤ .

(١) لم أقف على قائله .

(٢) هو علي بن حمزة بن عُمَارة بن حمزة بن يسار بن عثمان الأصبهاني أبو الحسن وعثمان هذا الذي انتهت نسبة هذا إليه هو والد أبي مسلم الخراساني ويسارٌ أخوه ، وعلي بن حمزة هذا من أولاد أخيه يسار ، وكان أحد أدباء أصبهان المشهورين بالعلم والشعر والفضل والتصنيف وصنف كتباً منها :
" كتاب الشعر " ، " كتاب فِقَرِ البلغاء ، يشتمل على الاختيار من شعر عامة الشعراء " ، " كتاب قلائد الشرف في مفاخر أصبهان وأخبارها " وغير ذلك .
انظر ترجمته :
معجم الأدباء : ٧ / ١٣ / ٢٠٣ - ٢٠٨ .

(٣) انظر البيت في : -
الإيضاح : ١ / ٧٩ ، شروح التلخيص : عروس الأفراح : ١ / ١١٦ ، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - : ٥ ب ، عقود الدرر : ١٠ ب ، شرح شواهد كتاب في البلاغة ، مخطوط (ق ١-١٢) رقم ١٣٠٥ ، ١١ أ .

(٤) شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - : ٥ ب .

(٥) عقود الدرر : ١٠ أ ، شرح شواهد كتاب في البلاغة مخطوط (ق ١-١٢) رقم ١٣٠٥ ، ١١ أ .

استشهد به الشيخ على أن تتابع الإضافات يحسن في مواضع الهجاء والذّم .

قال :

" وذكر - أي الصاحب بن عباد - أنه يُستعمل في الهجاء، ... ولا شبهة في ثقل ذلك على الأكثر ، ولكنه إذا سلم من الاستكراه لطف وملح "(١).

حيث أضاف (بن) الأولى إلى حمزة وأضاف (بن) الثانية إلى عُمارة، ويبدو أن عبارة الشيخ أدق من عبارة الصاحب ؛ لأن الشيخ احتاط حين قال .

" ومن شأن ... الخ " أما الصاحب فعمم الحكم في قوله (إيّاك ...) .

واعترض ابن السبكي على أن في البيت إضافات متتابعة قال :

" قلت فيما قالوه نظر، وأين تتابع الإضافات هنا "(٢)

وذكره أيضا في البديع(٣) ، وجعله من الاطراد(٤).

ورأى صاحب عقود الدرر أن الشاهد في البيت تتابع الإضافات الموجبة للثقل(٥)، وهذا خلاف ماذهب إليه الشيخ ، وحسن تتابع الإضافات هنا ؛ لأن الإضافة عرفت شخصية المهجو تعريفاً تاماً ، وفي ذلك تشهير به ، ثم هجى هجاء لاذعًا ليكون به ألزم ، وهو به أحق حيث جُعل المهجو بارد الإحساس متحجر الشعور فوُصِف بشدة البرودة ، فالخيار بارد بالطبع وزاد من برودته أنه جُمع مع الثلج . قال الشيخ عبد القاهر :

---

(١) الدلائل ، رضا : ٨٢ ، خفاجي : ١٤١ ، شاكر : ١٠٤ .

(٢) شروح التلخيص ، عروس الأفراح : ١ / ١١٦ .

(٣) المصدر السابق : ٤ / ٤١١ .

(٤) الاطراد : وهو أن يأتي بأسماء الممدوح ، أو غيره وآبائه على ترتيب الولادة من غير تكلف في السبك حتى تكون الأسماء في تحدرها كالماء الجاري في اطراده ، وسهولة انسجامه ./ التلخيص : ٣٨٧ - ٣٨٨ .

(٥) عقود الدرر : ١٠ ب .

" يريد هذا الخيار الذي يؤكل، وأراد وصفه بشدة البرودة ؛ لأن الخيار بارد بالطبع ، فإذا جُمع مع الثلج كان غاية فيها "(١).

" والكلام هنا على القلب ، والأصل أنت خيارة في ثلجة ، فإن الخيار بارد ، ويتضاعف بارده إذا وضع في الثلج بخلاف العكس ، ووجه الحَسن فيه المبالغة في وصفه بالبرودة المفرطة حتى كأن الثلجة داخل الخيارة "(٢).

الشاهد الثامن والخمسون :- (*) (الطويل)

قول ابن المعتز :

وَظَلَّتْ(٣) تُدِيرُ الرَّاحَ(٤) أَيدِي جَآذِرٍ(٥) :. عِتَاقِ(٦) دَنَانِيرِ الوُجُوهِ مِـلَاحِ (٧)

---

(١) ذكر العاملي في شرح أبيات الإيضاح أن هذا من كلام الشيخ قال في بداية الكلام : " حاشية عن خط الشيخ " وفي نهايته قال : " نقلت هذا من غير تغيير عن حاشية دلائل الإعجاز " : ٥ ب .

(*) الدلائل ، رضا : ٢٨ ، خفاجي : (١٤) ، شاكر : ١٠٤ .

(٢) عقود الدرر : ١٠ أ - ١٠ ب .

(٣) رواية عقود الدرر : " فظلت " .

(٤) الراح : الخمر / مختار الصحاح ، " روح " : ٢٦٢ . رواية أبيات الإيضاح وعقود الدرر : " تدير الكأس " وكذلك ذكر محقق ديوان أشعار الأمير أبي العباس أن هذه هي إحدى نُسخ الديوان .

(٥) الجُؤذُر ، والجؤذر ، بفتح الذال وضمها ولد البقرة الوحشية ، والجمع جآذر / مختار الصحاح ، : " جأذر " : ٩٠ .

(٦) عتاق : " العتق " : الكرم وهو أيضا الجمال / مختار الصحاح " عتق " : ٤١١ .

(٧) انظر البيت في :- ديوان ابن المعتز - دار صادر :- ١٤٥ ، ديوان أشعار الأمير أبي العباس - دار المعارف :- ٢ / ٢٣٥ ، الإيضاح : ١ / ٧٩ ، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - : ٥ ب ، النسخة الأزهرية ، شاهد رقم : ١٥ ، عقود الدرر : ١٠ ب . وأعتقد أن هذا البيت من شواهد الشيخ الخاصة به والتي أخذها عنه المتأخرون مثل القزويني في الإيضاح والسبكي في عروس الأفراح ، واستشهدوا به على نفس الموضع.

غَلَالَةَ لَيْلٍ طُرِّزَتْ بِصَبَاحِ (١) ... لَبِسْنَا إلى الخَمَّارِ وَالنَّجْمُ غَائِرٌ (٢)

ذكر الشيخ عبد القاهر أن تتابع الإضافات إذا أفضى باللفظ إلى الثقل على اللسان فهو مخل بالفصاحة، وإذا سلم من الاستكراه ملح ولطف.

واستشهد ببيت ابن المعتز على حُسن الإضافات المتتابعة، حيث أضاف عتاق إلى دنانير، وأضاف دنانير إلى وجوه، ولعلها حسنت لأن الإضافة وقعت بين المشبه والمشبه به، فأصبحا جزأين متلازمين تلازم المضاف والمضاف إليه، فَقَرَّرَ بذلك أن المشبه به وهو الدنانير في صفائها وحسنها صفة حقيقية لتلك الوجوه، فلا تفاوت بين المشبه والمشبه به، وهذا التعبير أقوى في الدلالة على الصفاء والحسن من قولنا: "وجوه كالدنانير"، وأقوى في تعميق الصورة في النفس.

ولعلها حسنت أيضا لأن في البيت إضافتين، وإنما يستكره في تتابع الإضافات أن تكون ثلاثة فأكثر (٣).

---

(١) رواية عقود الدرر: "غَدَونَا".

(٢) رواية عقود الدرر: "غَايِرَة".

(٣) وذكر ابن السبكي من شروط كراهة تتابع الإضافات: أن تكون ثلاثة فأكثر، وأن لا يكون واحد منها جزءاً، أو كالجزء وأن لا يكون المضاف إليه الأخير ضميراً، وأن لا يكون فيها إضافة في عَلَم كقول أبي سفيان لقد أمر أمر ابن أبي كبشة، فليس في مثل ذلك استكراه.

ورأى أن أحسن ما يُستدل به على فصاحة تتابع الإضافات قوله تعالى: "ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا" - مريم: (٢) - وقد ينازع فيه فيقال: إن الإضافات ههنا ترجع إلى إضافتين أو إضافة، فإن ذكر الرحمة رحمة، ورحمة الله صفته، ويؤيد ذلك قول النحاة أنه يرد الحال من المضاف له، إذا كان المضاف جزأه أو كجزئه؛ لأنه يصير وجود الإضافة كعدمها ثم المضاف إليه ضمير. /

شروح التلخيص - عروس الأفراح -: ١ / ١١٦ - ١١٧.

فى هذين البيتين تشيع النشوة والغبطة في نفس ابن المعتز ، حيث قصد وصحبه الخمارة حين غار النجم ، وأشرف على المغيب ، وتلفع الليل بغلالة رقيقة تشف عما تحتها ، وهذا دليل على قرب الصباح ، ولما كان النور يظهر أول ما يظهر فى الجوانب ويكون نوره فيها أشد جعل تلك الغلالة مزينة ومطرزة بخيوط الصباح ، وازدادت هذه الصورة روعة حين قال : " لبسنا " فجعل الليل كاللباس يحيط بهم ويعمهم ويتستر عليهم .

وظللت تلك الروح المرحة تداعبه داخل الخمارة ، حين ظلت كؤوس الخمر تدور من غير انقطاع ، وزاد من نشوته وانبساطه أن اللواتي يدرن الراح بلغن الغاية في الجمال ، فهن الدنانير بعينها في صفائها وبريقها ، وأحس الشاعر أن تأثير جمالهن متغلغل في داخله ، فزاد لفظ " ملاح " زيادة في الوصف .

الشاهد التاسع والخمسون : (*) (المنسرح)

قول الخالدي (١) :

وَيَعْرِفُ الشِّعْرَ مِثْلَ مَعْرِفَتِي ∴ وَهْوَ عَلَى أَنْ يَزِيدَ مُجْتَهِدُ

وَصَيْرَفِيُّ القَرِيضِ وَازِنُ (٢) دِينَارِ المَعَانِي (٣) الدِّقَاقِ مُنْتَقِدُ (٤)

(*) الدلائل ، رضا : ٨٢ ، خفاجي : ١٤١ ، شاكر : ١٠٤

(١) هو أبو عثمان سعيد بن هاشم الخالدي من شعراء اليتيمة ، وكان في حاشية سيف الدولة الأدبية ، وقيم دار كتبه مع أخيه أبي بكر محمد ، وكان السري الموصلي يدعي عليهما سرقة شعره .

انظر : يتيمة الدهر : ٢ / ١٨٣ - ٢٠٨ .

(٢) رواية الدلائل : رضا ، خفاجي ، شاكر : " وزان " .

(٣) رواية الديوان : " الجياد " .

(٤) انظر البيتين في :

ديوان الخالديين - أبي عثمان سعيد بن هاشم - : ٢ / ١٢٢ ، خاص الخاص : ١٥٦ - ١٥٧ ، الإيضاح : ١ / ٧٩ ، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - : ٥ ب .

وهذان البيتان لأبي عثمان الخالدي في وصف غلام له يسمى رشأ [١].

والشاهد من قصيدة [٢] مطلعها :

مَا هُوَ عَبْدٌ لَكِنَّهُ وَلَـــدُ ∴ خَوَّلَنِيهِ الْمُهَيْمِنُ الصَّمَدُ

وقبل الشاهد :

خَازِنُ مَا فِي يَدِي وَحَافِظُــهُ ∴ فَلَيْسَ شَيءٌ لَدَيَّ يُفْتَقَـدُ

يَصُونُ كُتْبِي فَكُلُّهَا حَسَــنٌ ∴ يَطْوِي ثِيَابِي فَكُلُّهَا جُدُدُ

وَحَاجِبِي فَالْخَفِيفُ مُحْتَبَــسٌ ∴ عِنْدِي بِهِ وَالثَّقِيلُ مُطَّــرَدُ

وبعد هذا الشاهد وبعده :

وَحَافِظُ الدَّارِ إِنْ رَكِبْتُ فَمَا ∴ عَلَى غُلَامٍ سِوَاهُ أَعْتَمِــدُ

الشاهد هنا كسابقه وهو حسن تتابع الإضافات قال :

" ومما جاء منه حسنًا جميلاً قول الخالدي في صفة غلام لــه [٣]".

ولعل الإضافة هنا حسنت ، لأنها ربطت بين المشبه به والمشبه ، وجعلتهما كالجزء الواحد ، أو لأن تتابع الإضافات وَلَّدَ مبالغة عظيمة في وصف الغلام بعظيم الخبرة والدقة ، فالدينار وهو شيء محسوس أضيف إلى شيء معنوي ، وهو " المعاني "

---

(١) قال أبو الحسين محمد بن الحسين الفارسي أنه رآه بعد موت مولاه أبي عثمان في ناحية أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف قال : وهو اليوم وزير قراد العقيلي والي البلد والجامعين والقصر./ ثمار القلوب : ٢٢٩.

(٢) قال الثعالبي : قرأت أنا بخطه - أي بخط الغلام رَشأ - في مجموعة من شعر الخالديين بخط أحد الأخوين في دفتر أعارنيه أبو نصر سهل بن المرزبان :
كتب ابن سكرة الهاشمي إلى أبي عثمان يسأله عني فكتب إليــه :
ما هو عبدٌ لكنه ولدُ . . . القصيدة / انظر:
ديوان الخالديين : ١١٩ - ١٢٠.

(٣) الدلائل ، رضا : ٨٢ ، خفاجي : ١٤١ ، شاكر : ١٠٤.

فأكسبه تجسيداً وحساً ، فكأنه جعل الشيء المعنوي هو ذلك الشيء المحسوس بعينه ، فهو لشدة خبرته ودقيق نظرته يحس بالمعاني ، ويلمسها ، ويقلبها على شتى وجوهها كما يقلب الدينار عند الوزن .

فالخالدي في هذه الأبيات يضرب بغلامه المثل في الكياسة والشهامة، والنفاذ في حسن الخدمة ، وجمع له محاسن المماليك، ومناقب العبيد ، فهو يصفه في هذين البيتين بمعرفة الشعر معرفة مولاه ، وأن له حاسة ذوقية تمكنه من الوقوف على دقائق الشعر ، وأسراره مثل وقوف مولاه ، بل إن فيه روح الجرأة والاجتهاد وحب الاطلاع ، فهو يبذل وسعه في أن يزيد على مولاه في معرفة الشعر .

* وهو صيرفي القريض يتصرف في الشعر بدقة نظره فيه، ويجعل لبعضه عيارا على البعض بعلمه ، وزّان المعاني الدقيقة الشبيهة بالدنانير في العزة وميل النفوس إليها يزنها ويقدرها بميزان العقل والفكر ليودي سالمه من زيادة ونقصان ، منتقد فميز جياد الأشعار من رديها، والله أعلم (١) .

الشاهد الستون : (*) (الكامل)

قول أبي تمام :

خُذْ هَا ٱبْنَةَ الفِكْرِ المُهَذَّبِ فِي الدُّجَى ∴ وَاللَّيْلُ أَسْوَدُ رُقْعَةِ الجِلْبَابِ (٢) (٣)

وهو من قصيدته في مدح مالك بن طوق التغلبي (٤) ، ومطلعها :

---

(١) شرح أبيات الإيضاح : شاهد رقم : ١٦ ، النسخة الأزهرية ـ
(*) الدلائل ، رضا : ٨٢ ، خفاجي : ١٤١ ، شاكر : ١٠٤ .
(٢) رواية العمدة : " حالك الجلباب " .
(٣) انظر البيت في :
ديوان أبي تمام ـ دار صعب ـ : ٢٥ ، العمدة : ٢ / ٧٠ ، تحرير التحبير : ٣ / ٤٠٢ ، أنوار الربيع : ٥ / ١٥٤ .
(٤) مالك بن طوق : هو مالك بن طوق بن عَتَّاب " غَيَّاث " التغلبي ، أبو كلثوم (٠٠ - ٢٥٩ هـ وقيل : ٢٦٠ هـ) ، أمير كان من الأشراف الأجواد الفرسان ====

لَوْ أَنَّ دَهْراً رَدَّ رَجْعَ جَوَابِي .·. أَوْ كَفَّ مِنْ شَأْوَيهِ طُولَ عِتَابِي

وبعده أبيات قبل الشاهد :

لَعَذَلْتُهُ فِي دِمنَتَينِ تَقَادَمَا .·. مَمْحُوَّتَينِ لِزَينَبٍ وَرَبَابِ

يَامَالِكُ اسْتَودَعْتَنِي لَكَ مِنَّةً .·. تَبْقَى ذَخَائِرُهَا عَلَى الأَحْقَابِ

يَاخَاطِباً مَدْحِي إِلَيهِ بِجُودِهِ .·. وَلَقَدْ خَطَبْتَ قَلِيلَةَ الخُطَّابِ

وبعدها الشاهد - وبعده :

بِكْراً تُورِّثُ فِي الحَيَاةِ وَتَنْثَنِي .·. فِي السِّلْمِ وهي كَثِيرَةُ الأَسْلاَبِ

وَيَزِيدُهَا مَرُّ اللَّيَالِي جِدَّةً .·. وَتَقَادُمُ الأَيَّامِ حُسْنَ شَبَابِ

ذكر الشيخ أنه شاهد آخر على حسن تتابع الإضافات وموضع الشاهد قوله : " وَاللَّيلُ أَسْوَدُ رُقْعَةِ الجِلْبَابِ "، حيث أضاف أسود إلى رقعة ، وأضاف رقعة إلى الجلباب ، وربما حَسَّنَت الإضافة ؛ لأن في البيتين إضافتين لا أكثر، ولعل الشاعر لجأ إلى تتابع الإضافات، ليبالغ في وصف الليل بشدة السواد .

وفي البيت وجوه جمالية أخرى أضفت عليه حسنا وخلابة .

أنظر إلى قوله : " خُذْهَا " حيث أبهم ليشوق النفس إلى معرفة هذا الشيء المقدم ، وفي استعمال فعل الأمر زيادة تشويق ، ثم بين بعد ذلك ماهية الشيء المأخوذ ، وفي قوله " خذها " تظهر النفس المليئة بالثقة بما حاكت وصورت ، ثم كنَّى عنها بقوله : " ابنة الفكر " ، فهناك صلة وثيقة بين هذه القصيدة ، وبين فكره كصلة الأبوة والبنوة ، فهو لم يُنْشِئها إلا بعد أن تفاعلت أفكاره ، فولدت هذه المعاني .

=== ولي إمرة دمشق للمتوكل العباسي ، وبنى بمساعدة الرشيد بلدة " الرحبة " التي على الفرات وتعرف برحبة " مالك " نسبة إليه ، وكثر سكانها في أيامه وكان فصيحاً له شعر ./ انظر ترجمته في : معجم البلدان : ٣/ ٣٤ ، فوات الوفيات : ٣/ ٢٣١ ، النجوم الزاهرة : ٣/ ٣٢ ، مختارات البارودي : ١/ ١٣٥-١٣٧ ، الأعلام : ٥ / ٢٦٢ .

وفي اختياره لزمن تولد القصيدة دليل على أن ألفاظها ومعانيها خرجت من نفس صادقة هادئة ؛ لأنه صاغها في وقت الدُّجى ، وقت اشتداد الظلمة ، فكلما اشتد الكون ظلمة اشتدت النفس إنارة وصفاء ، فتتسلل الأحاسيس من الداخل لتسكن في كلمات صادقة معبرة .

قال ابن أبي الاصبع :

" فإنه إنَّما خصَّ تهذيب الفكر بالدُّجى لكون الليل تهدأ فيه الأصوات ، وتسكن الحركات ، فيكون الفكر فيه مجتمعاً ، والخاطر خالياً ، ولاسيما في وسط الليل عندما تأخذ النفس حظها من الراحة ، وتنال قسطها من النوم ، ويخف عليها ثقل الغذاء ، فحينئذ يكون الذهن صحيحاً ، والصدر منشرحاً ، والقلب منبسطاً ، واختياره وسط الليل دون السَّحر مع ما فيه من رقة الهواء ، وخفة الغذاء ، وأخذ النَّفْس سهمها من الراحة ، لما يكون في السَّحر من انتباه أكثر الحيوان الناطق والبهيم ، وارتفاع معظم الأصوات ، وجَرْس الحركات ، وتقشُّع الظلماء بطلائع الأضواء ، وببعض ذلك يتقسَّم الفكر ، ويتذبذب الخاطر ، ويشتغل القلب ، ويتفرق مجتمع الهم ، ووسط الليل خال عما ذكرنا ، ولهذا خصَّ أبو تمام تهذيب الفكر بالدُّجى عادلاً عن الطرفين لما فيهما من الشواغل التي ذكرناها "(١).

ولقد كره ابن رشيق كلمة "الدُّجى" في هذا البيت ورأى أنها حشو لا فائدة منه ، قال :

" .. فقوله " الدُّجى " حشو(٢) ؛ لأن في القسيم الثاني ما يدل عليه من زيادة

---

(١) تحرير التحبير : ٣ / ٤٠٣ .

(٢) الحشو : وسماه قوم الاتكاء ، وذلك أن يكون في داخل البيت من الشعر لفظ لا يفيد معنى ، وإنما أدخله الشاعر لإقامة الوزن ، فإن كان ذاك في القافية ، فهو استدعاء ، وقد يأتي في حشو البيت ما هو زيادة في حسنه وتقوية لمعناه كالذي تقدم من التتميم والالتفات وغير ذلك مما ذكرناه آنفا . / العمدة : ٢ / ٦٩ .

استعارتين مليحتين ، فإن لم يكن في القسيم الأول حشو كان القسيم الثاني بأثره فضلة ".(١)

ولقد ردّ ابن أبي الإصبع على من قال إن في البيت حشواً وأبرز سر إتيان الشاعر بهذه اللفظة فلفظ " الدّجى " قد يطلق على الليل كله سواء كان مظلماً أو مقمراً ، لكنه إطلاق مجازي ، وحقيقته أن الدّجى هو شدة الظلمة ، وطرفا الليل لقربهما من الشمس لا يكون غيهبهما شديد الظلمة ، وأبو تمام أراد هنا الإطلاق الحقيقي لا المجازي لقصد المبالغة ، ولمّا رأى أن لفظ " الدّجى " فيه عموم فهو يصلح أن يكون اسما لليل كائناً ماكان في حالتي الحقيقة والمجاز ، احترس من ذلك بما جاء به من التذييل ليخلص من الاشتراك الحاصل من لفظة " الدُّجَى " على انفرادها ، وكل ذلك مبالغة في وصف القصيدة .

قال ابن أبي الإصبع :

" وإنما دخلت لفظة الدُّجى على وسط الليل ؛ لأنها جمع دجية ، وطرفا الليل لقربهما من الشمس لا يكون غيهبهما شديد الظلمة ، والدُّجى شدة الظلمة ؛ لأنه مجموع ظلمات ، وإن كان الدُّجى قد يطلق على الليل كله ، سواءٌ كان مظلماً أو مقمراً ، لكنه اطلاق مجازي حقيقته ماذكرناه ، وأبو تمام أرادها هنا الحقيقة لا المجاز ؛ لقصد المبالغة ، ولما لحظ أبو تمام أن لفظة الدُّجى لعمومها وصلاحيتها في حالتي المجاز والحقيقة إلى أن تكون اسما لليل كائناً ماكان آحترس من ذلك بما جاء به التذييل حيث قال :

... ... والليلُ أسوَدُ رُقْعَةِ الجِلْبَابِ

ليخلص من الاشتراك الحاصل من لفظة الدُّجى على انفرادها ، وليتبين أنه أراد الليالي السود التي سمّتها العرب بالدّآري ، لا الليالي

---

(١) العمـدة : ٢ / ٧٠ .

البيض ، ولا غيرها من الليالي التي فيها وقت مُضيء في الجملة فراراً من ليل لا يخلو من الأصوات والحركات ، مبالغة في وصف القصيدة بالتنعيح المرضي في الوقت المختار لذلك ، وقد جمع الكتاب العزيز هذه المعاني، وأتى بها في أوجز لفظ وأجزله حيث قال سبحانه : ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَقْوَمُ قِيلاً ﴾ (١)(٢).

الشاهد الحادي والستون: (*) (الطويل)

قول المتنبي :

وَقَيَّدْتُ نَفْسِي فِي ذَرَاكَ مَحَبَّةً ∴ وَمَنْ وَجَدَ الإِحْسَانَ قَيْداً تَقَيَّدَا (٣)

وهو من قصيدة يمدح بها سيف الدولة ويهنيه بعيد الأضحى ، ومطلع القصيدة :

لِكُلِّ امْرِيءٍ مِنْ دَهْرِهِ مَا تَعَوَّدَا ∴ وَعَادَاتُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الطَّعْنُ فِي العِدَا (٤)

وقبل الشاهد :

تَرَكْتُ السُّرَى خَلْفِي لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ ∴ وَأَنْعَلْتُ أَفْرَاسِي بِنُعْمَاكَ عَسْجَدَا

وبعده الشاهد وبعده :

إِذَا سَأَلَ الإِنْسَانُ أَيَّامَهُ الغِنَى ∴ وَكُنْتَ عَلَى بُعْدٍ جَعَلْتُكَ مَوْعِدَا

استشهد به الشيخ على حسن النظم ، ورأى أن استعارة القيد في الأصل مبتذلة عامية إلا أنّ الطريق الذي سلكه المتنبي أخرجها من العامية المبتذلة إلى الاستعارة النادرة . قال :

---

(١) سورة المزمل ، آية (٦) . (٢) تحرير التحبير: ٣ / ٤٠٣ .

(*) الدلائل ، رضا : ٨٢ ، خفاجي : ١٤١ ، شاكر: ١٠٥ .

(٣) ديوانه بشرح العكبري : ١ / ٢٩١ ، العرف الطيب : ٢ / ١١٩ ، نهاية الأرب : ٣ / ١٠٧ .

(٤) ديوانه بشرح العكبري : ١ / ٢٨١ ، العرف الطيب : ٢ / ١١١ .

" الاستعارة في أصلها مبتذلة معروفة ، فإنك ترى العامي يقول للرجل يكثر إحسانه إليه وبره له ، حتى يألفه، ويختار المقام عنده قد قيدني بكثرة إحسانه إليّ وجميل فعله معي حتى صارت نفسي لا تطاوعني على الخروج من عنده ، وإنما كان ماترى من الحسن بالمسلك الذي سلك في النظم والتأليف (١) ".

ولعل الاستعارة لَطُفت وندرت ؛ لأنه بناها بناءً نادراً فيه جِدَّة وطرافة ، فاستعارةُ القيد عادة تُبنى على الإحسان ، فهو الذي يُرغم العواطف ، ويجعلها تنقاد قسراً ، ولكن الشاعر لصدق عاطفته ، وفرط محبته للممدوح خرج بها عن الوجه المعتاد ، فبناها على المحبة الخالصة ، فانقاد شعوره طائعاً مختاراً ، فهو الذي قيد نفسه من غير أن تدفعه المصلحة لذلك .

فشعوره وارتباطه بالممدوح أرفع وأسمى من أن يقيده الإحسان وحده .

ونصب محبةً على المفعول لأجله ليبين أنها محبة مطلقة غير محددة .

وقوله : " مَنْ وَجَدَ الإِحْسَانَ قَيداً تَقَيَّدَا " تذييل لطيف خرج مخرج المثل ، والحكمة ليؤكد أن الإحسان في أصله قيد فكيف إذا أُضيفت إليه المحبة الخالصة ؟

وذكر العكبري أنه نظر إلى قول الطائي :

وَتَزكي سُرْعَةَ الصَّدرِ اَغْتِبَاطا ∴ يَدُلُّ عَلَى مُوَافَقَةِ السُّرُورِ . (٢)

ومثله :

هِمَمِي مُعَلَّقَةٌ عَلَيْكَ رِقَابُهَا ∴ مَغْلُولَةٌ إِنَّ الوَفَاءَ إِسَارُهَا (٣)

يبدو أن الشيخ أول من اتخذ بيت الشاهد شاهداً على الاستعارة النادرة .

---

(١) الدلائل ، رضا : ٨٣ ، خفاجي : ١٤١ ، شاكر : ١٠٥ .

(٢) ديوان أبي تمام : - دار صعب - : ٩٦ .

(٣) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ١ / ٢٩١ .

الفصل الرابع :

شواهد التقديم والتأخير

أ - التقديم والتأخير مع الاستفهام .

ب - التقديم والتأخير مع النفي .

ج - التقديم والتأخير في الخبر .

د - تقديم مثل وغير .

مواضـع التقديـم والتأخـير :-

ذكر الشيخ عبد القاهر أن باب التقديم ". . باب كثير الفوائد جم المحاسن ، واسع التصرف ، بعيد الغاية ، لا يزال يفترّ لك عن بديعة ، ويفضي بك إلى لطيفة ، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه ، ويلطف لديك موقعه ، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ، ولطف عندك أن قُدِّم فيه شيء ، وحُوِّل اللفظ عن مكان إلى مكان".(١)

ورأى أن كل تقديم لا بد أن يكون له غرض معنوي ، وأنه من الخطأ أن يُقسَّم الأمر في التقديم والتأخير إلى مفيد تارة وترجع إفادته إلى معنى الكلام ، وغير مفيد تارة أخرى بل الغرض منه أمر لفظي ، وهو التوسعة على الشاعر حتى يستقيم له الوزن . قال الشيخ :-

" واعلم أن من الخطأ أن يُقسَّم الأمر في تقديم الشيء وتأخيره قسمين ، فيُجعل مفيداً في بعض الكلام ، وغير مفيد في بعض ، وأن يعلّل تارة بالعناية ، وأخرى بأنه توسعةٌ على الشاعر والكاتب حتى تطرد لهذا قوافيه ، ولذاك سجعه ، ذاك لأنّ من البعيد أن يكون في جملة النظم ما يدل تارة ، ولا يدل أخرى ، فمتى ثبت في تقديم المفعول مثلا على الفعل في كثير من الكلام أنه قد اختصّ بفائدة لا تكون تلك الفائدة مع التأخير ، فقد وجب أن تكون تلك قضية في كل شيء وكلّ حال ".(٢)

فإفادة التقديم عنده مطردة في كل شيء وفي كل حال ، وقد خالفه في ذلك ابن الأثير فرأى أن التقديم له فائدتان :

إحداهما : أن يكون للاختصاص .

وثانيهما : مراعاة النظم ،(٣) وعلى هذا سار كثير من علماء البلاغة المتأخرين.(٤)

---

(١) الدلائل ، رضا : ٨٣ ، خفاجي : ١٤٢ ، شاكر : ١٠٦ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٨٦-٨٧ ، خفاجي : ١٤٥ ، شاكر : ١١٠ .

(٣) المثل السائر : ٢ / ٢١٨ .

(٤) انظر : شروح التلخيص : ٢ / ١٥٠-١٥١ .

ثم ذكر الشيخ بعد ذلك مسائل التقديم، ورأى أنه لا يستطيع أحد أن يمتنع من التفرقة بين تقديم ما قدم فيها، وترك تقديمه، فتعرض لتقديم همزة الاستفهام على الفعل والاسم، ومواضع التقديم والتأخير مع النفي، ومواضع التقديم والتأخير في الخبر المثبت، ثم نكتة تقديم "مثل" و"غير"، وأخيراً تقديم النكرة على الفعل وعكسه - وهذا الفصل لم يورد فيه شواهد شعرية -، وكان الشيخ يُقلِّب كل موضع على وجوهه المختلفة تقليب الخبير المتمرس، ويبين الدلالات الفنية لكل وجه، وأثرها في المعنى، وأثر هذا المعنى في النفس، فدل ذلك على أصالة فكره، وبُعد نظره، وقدرته على سبر أغوار النفس، وكشف خفاياها وأسرارها.

م - التقديم والتأخير في الفعل المضارع مع الاستفهام :

الشاهد الثاني والستون :- (*) (الطويل)

أَيَقْتُلُنِي وَالمَشْرَفِيُّ(١) مُضَاجِعِي ∴ وَمَسْنُونَةٌ زُرْقٌ(٢) كَأَنْيَابِ أَغْوَالِ(٣) (٤)

(*) الدلائل، رضا: ٩١، خفاجي: ١٥٧، شاكر: ١١٧.

(١) المَشْرَفِي: السيف يُنعت بالجودة، ومشرفي منسوب إلى مشارف الشام، وهي أرض من قرى العرب، تدنو من الريف، وقيل هذا خطأ، بل هي نسبة إلى موضع من اليمن. / المصباح المنير" شرف": ١/٣٣٢، وانظر: معجم ما استعجم: ٢ / ١٢٣٠.

(٢) مسنونة زرق: أي نصال الرماح والسهام يعني سهاماً محددة الأزجة، ونعتت بزرق للدلالة على أنها صافية مجلوة فهي لشدة التماعها وبريقها تُرى زرقاً، والعرب تصف كل خبيث بالزرقة، ولذلك يقال هو أزرق العين ./ اللسان" زرق": ١٠/١٣٨ - ١٣٩.

(٣) أغوال: مفرده غول، وهو حيوان وهمي، وذكره للتهويل وهو من السعالي والجمع غيلان وأغوال، وكل ما اغتال الإنسان وأهلكه فهو غول ./ المصباح المنير: ٢/١١١.

(٤) انظر البيت في: ديوان امرئ القيس - السندوبي: ١٦٢، طبقات فحول الشعراء: ١/٨٣، المعاني الكبير: ٢/١٠٤٩، ثمار القلوب: ٧٨، شرح =======

أورده الشيخ من غير نسبة ، وهو لامرئ القيس من قصيدته التي مطلعها :

أَلَا عِمْ صَبَاحاً أَيُّهَا الطَّلَلُ البَالِي ∴ وَهَلْ يَعِمَنْ مَنْ كَانَ فِي العُصُرِ الخَالِي

وقبل الشاهد :

فَأَصْبَحْتُ مَعْشُوقاً وَأَصْبَحَ بَعْلُهَا ∴ عَلَيهِ القَتَامُ سَيِّئَ الظَّنِّ وَالبَالِ

يَغُطُّ غَطِيطَ البَكْرِ شُدَّ خِنَاقُهُ ∴ لِيَقْتُلَنِي وَالمَرْءُ لَيْسَ بِقَتَّالِ

وبعدها بيت الشاهد وبعده :

وَلَيْسَ بِذِي رُمْحٍ فَيَطْعَنُنِي بِهِ ∴ وَلَيْسَ بِذِي سَيْفٍ وَلَيْسَ بِنَبَّالِ

لِيَقْتُلَنِي أَنِّي شَغَفْتُ فُؤَادَهَا ∴ كَمَا شَغَفَ المَهْنُوءَةَ الرَّجُلُ الطَّالِي

استشهد الشيخ بهذا البيت على أن الهمزة هنا للإنكار التكذيبي بمعنى " لا يمكن أن يكون " ، فعنده أن الهمزة إذا دخلت على الفعل كان الشك في الفعل نفسه ، وكان الإنكار متوجهاً إليه ، فإن كان الفعل مضارعاً كان الإنكار تكذيبياً بمعنى " لا يكون " ، وإن كان ماضياً كان بمعنى " لم يكن " ومثاله قوله تعالى :

﴿ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثاً إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيماً ﴾ (١)

فهذا تكذيب للمشركين وَرَدٌّ لما يفترونه ، فقد زعموا أن الملائكة إناث ، وأن الله اصطفاهم ، واختصهم بالبنين ، فجاء الفعل أصطفى ، وقد قدمت عليه الهمزة للتكذيب أي أنه لم يكن .

وقد يكون الإنكار بمعنى التوبيخ أي " ماكان ينبغي أن يكون " هذا إذا كان الفعل ماضياً ، وبمعنى : " لا ينبغي أن يكون " إن كان الفعل مضارعاً يُراد به الحال .

ورأى الشيخ أن التقرير لا يكون إلا بالماضي والحال ، ولا يكون بالفعل المراد به الاستقبال .

هذا ملخص ماأورده الشيخ من دخول الهمزة على الفعل . قال :

=== المفصل : ٢/ ٩/ ٩٧ ، الإيضاح : ١/ ٢٣٦-٢٧٥ ، التلخيص : ٢٤٤ ، شرح أبيات الإيضاح : - فيض الله - : ٣٧ ب ، شروح التلخيص - باب التشبيه : ٣/ ٣٧١ .

(١) سورة الإسراء ، آية ٤٠ .

"... وهذه مسائل لا يستطيع أحد أن يمتنع من التَّفْرِقة بين تقديم ما قُدِّم فيها وترك تقديمه .

ومن أبين شيءٍ في ذلك " الاستفهام بالهمزة " فإن موضع الكلام على أنك إذا قلت : " أفعلت ؟ " ، فبدأت بالفعل ، كان الشك في الفعل نفسه ، وكان غرضك من استفهامك أن تعلم وجوده .

وإذا قلت : " أأنت فعلت ؟ " فبدأت بالاسم ، كان الشك في الفاعل من هو ، وكان التردُّد فيه . ومثال ذلك أنك تقول : " أبنيت الدار التي كنت على أن تبنيَها ؟ " ، " أقلتَ الشعر الذي كان في نفسك أن تقوله ؟ " ، " أفَرَغْتَ من الكتاب الذي كنت تكتبه ؟ " تبدأ في هذا ونحوه بالفعل ؛ لأن السؤال عن الفِعل نفسه والشك فيه ؛ لأنك في جميع ذلك متردِّدٌ في وجود الفعل وانتفائه ، مُجَوِّزٌ أن يكون قد كان ، وأن يكون لم يكن .

وتقول : " أأنتَ بنيتَ هذه الدار ؟ " ، " أأنتَ قلتَ هذا الشعر ؟ " ، " أأنتَ كتبت هذا الكتاب ؟ " ، فتبدأ في ذلك كله بالاسم ، ذاك لأنك لم تشكّ في الفعل أنه كان .

كيف ؟ وقد أشرت إلى الدار مبنية ، والشعرِ مقُولاً ، والكتاب مكتوباً ، وإنما شككت في الفاعل من هو ؟

فهذا من الفرق لا يدفعه دافعٌ ، ولا يشكُّ فيه شاك ، ولا يخفى فسادُ أحدهما في موضع الآخر .

فلو قلت : " أأَنتَ بنيتَ الدّار التي كنتَ على أن تبنيَها ؟ " ،... خرجت من كلام الناس ، وكذلك لو قلت أَبَنَيتَ هذه الدار ؟ " ... قلت ما ليس بقول . ذاك لفساد أن تقول في الشيء المشاهد الذي هو نصب عينيك أموجودٌ أم لا ؟

ومِمّا يُعلَم به ضرورة أنه لا تكون البداية بالفعل كالبداية بالاسم أنك

تقول : " أقلت شعراً قطّ " ، " أرأيت اليوم إنساناً ؟ " ، فيكون كلاماً مستقيماً ، ولو قلت : " أأنتَ قلت شعراً قط ؟ " ، " أأنتَ رأيت إنسانا "، أَحَلْتَ ، وذاك أنه لا معنى للسؤال عن الفاعل من هُوَ في مثل هذا ؛ لأن ذلك إنما يُتصور إذا كانت الإشارة إلى فعل مخصوص نحو أن تقول : " من قال هذا الشعر ؟ " ، و " من بنى هذه الدار ؟ " . . . وما أشبه ذلك مما يمكن أن يُنَصّ فيه على معيَّن ، فأما قِيلُ شعرٍ على الجملة . . . فمحال ذلك فيه ؛ لأنه ليس مما يختص بهذا دون ذاك حتى يُسأل عن عين فاعله . . . واعلم أن هذا الذي ذكرت لك في الهمزة وهي للاستفهام قائم فيها إذا هي كانت للتقرير ، فإذا قلت : " أأنتَ فعلت ذاك ؟ " ، كان غرضك أن تقرره بأنه الفاعل (١) ".

ثم ذكر الشيخ أن للهمزة مذهباً آخر وهو إنكار أن يكون الفعل قد كان من أصله . قال :

" وآعلم أن " الهمزة " فيما ذكرنا تقرير بفعل قد كان ، وإنكارٌ له لِمَ كان ، وتوبيخ لفاعله عليه .

ولها مذهب آخر ، وهو أن يكون الإنكار أن يكون الفِعل قد كان من أصله .

ومثاله قوله تعالى :

﴿ أَفَأَصْفَاكُم رَبُّكُمْ بِالبَنِينَ ، وَاتَّخَذَ مِنَ المَلائِكَةِ إِنَاثاً (٢) . . . (٣) ﴾

وهذه الفروق الآنفة كانت بين تقديم الفعل ، وتقديم الاسم ، والفعل ماض .

أما عن الفرق إذا كان الفعل مضارعاً فقد قال الشيخ :-

" والقول في ذلك أنك إذا قلت : " أتفعل ؟ " و " أأنتَ تفعل ؟ " لم يخل

---

(١) الدلائل ، رضا : ٨٧-٨٨ ، خفاجي : ١٤٦-١٥١ ، شاكر : ١١١-١١٤ .

(٢) الإسراء : ٤٠ .

(٣) الدلائل ، رضا : ٨٩ ، خفاجي : ١٥٢-١٥٥ ، شاكر : ١١٤ .

من أن تريد الحال،أو الاستقبال ، فإن أردت الحال كان المعنى شبيهاً بما مضى في الماضي ، فإذا قلت : " أتفعل ؟ " و " أأنت تفعل ؟ " لم يخل من أن تريد الحال،أو الاستقبال . فإن أردت الحال كان المعنى شبيهاً بما مضى في الماضي ، فإذا قلت : " أتفعل ؟ " كان المعنى أنك أردت أن تقرّره بفعل هو يفعله ، وكنت كمن يُوهم أنّه لا يعلم بالحقيقة أن الفعل كائنٌ ، وإذا قلت : " أأنت تفعل ؟ " كان المعنى على أنك تريد أن تقرّره بأنه الفاعل ، وكان أمرُ الفعل في وجوده ظاهراً وبحيث لا يُحتاج إلى الإقرار بأنه كائن ، وإن أردت بـ " تفعلُ " المستقبل ، كان المعنى إذا بدأت بالفعل على أنك تعمد بالإنكار إلى الفعل نفسه ، وتزعم أنه لا يكون ، أو أنه لا ينبغي أن يكون ، فمثال الأول :

أيَقْتُلُني والمَشْرَفي مُضَاجِعي . . . . .

ومثال الثاني :

أأتْرُكُ أنْ قَلَّتْ دَرَاهِمُ خَالِدٍ .·. زِيَارَتَهُ إِنّي إذاً لَلَئِيمُ "(١)

فامرؤ القيس قدم الهمزة على الفعل المضارع المراد به الاستقبال ، فيكون الإنكار موجهاً للفعل نفسه لا للفاعل ، ويراد به التكذيب ، فقوله : " أيقتلني " ليس إنكاراً لأن يكون القتل من الفاعل بل هو إنكار لفعل القتل ، وأنه لن يكون .

قال الشيخ :

" فهذا تكذيب منه لإنسان تهدده بالقتل ، وإنكار أن يقدر على ذلك ويستطيعه "(٢)

فامرؤ القيس قد جرد بعل محبوبته من كل صفات البطولة ، فهو منحط الشأن ، كثير الهذيان ، ليس له إلا الغطيط ، وهو ليس بقتّال ، وليس بذي رُمح ، وليس بذي سيف ولا نبل ، وهذه الأوصاف كلها توهم بأن الإنكار في قوله : " أيقتلني "

---

(١) الدلائل ، رضا : (٩١-٩٢ ، خفاجي : ١٥٦-١٥٧ ، شاكر: ١١٦-١١٧ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٩١ ، خفاجي ١٥٧ ، شاكر: ١١٧ .

متوجه إلى ذلك البعل أي " أهو يقتلني " ، ولكن الصورة التي رسمها آمرؤ القيس لنفسه تنفي هذا الوهم . حيث جعل سيفه مضاجعًا وملازمًا له ، ثم استعانته بصورة الغول ، وهو أمر وهمي ليضفي الرعب والهول على صورة استعداده ، فهـذا الاستعداد ، وهذا التأهب لا يمكن أن يكون لأجل شخص تلك صورته ، ومنزلته في الحقارة " وكأن آمـرأ القيس لما أفرغ هذا الرجل من كل مايهتم به الخصم من أحوال خصيمه استشعر أن وراء هذا أنه لو كان آمرأ ذا شأن لأخاف الشاعر ، فقال : أيقتلني ليرشد إلى أن قتله مستبعد منه ومن غيره ، وذكر عُدّته ؛ ليؤكد ذلك ، وبهذا يحقق معنى دقيقًا بين محظورين ، فلو أنه اكتفى بوصفه بالضعف ، والخور لما كان في ذلك تنويه بشجاعة الشاعر واقتداره ، ولو أنه اكتفى بوصف نفسه بالقوة ، وكمال العَدّة لأوهم أن صاحبها مما يحتفل بملاقاته ".(١)

قال الشيخ :

" وجملة الأمر أن تقديم الاسم يقتضي أنك عَمَدْتَ بالإنكار إلى ذات من قيل " إنه يفعل " أو قال هو " إني أفعل " وأردت ما تُريده إذا قلت: " ليس هو بالذي يفعل ، وليس مثله يفعل ، ولا يكون هذا المعنى إذا بدأت بالفعل فقلت : " أتفعل ؟ " ... وقد يتوهم المتوهم في الشيء من ذلك أنه يحتمل ، فإذا نظر لم يُحْتَمل ، فمن ذلك قوله : " أيقتلني والمشرفي مضاجعي ؟ " وقد يظُنّ الظانّ أنه يجوز أن يكون في معنى أنه ليس بالذي يجيء منه أن يقتل مثلي ، ويتعلّق بأنه قال قبل :

يَغِطُّ غَطِيطَ البَكْرِ شُدَّ خِنَاقُه ∴ لِيَقْتُلَنِي وَالمَرْءُ لَيسَ بِقَتَّالِ

ولكنه إذا نظر علم أنه لا يجوز ، وذاك لأنه قال : " والمشرفي مضاجعي " ، فذكر ما يكون منعاً من الفعل ، ومحال أن يقول : هو ممن لا يجيء منه الفعل ومع من يصح منه ، لا من هو منه محال ، ومن هو نفسه عنه عاجز ، فاعرفه ".(٢)

---

(١) دلالات التراكيب : ٢٥١ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٩٢-٩٣ ، خفاجي : ١٥٩ ، شاكر : ١١٩ .

والبيت أورده الخطيب في التلخيص شاهداً على التشبيه الوهمي في قوله : " كأَنْيَابِ أَغْوَالِ " ، والتشبيه الوهمي : هو التشبيه غير المدرك بإحدى الحواس ، ولكنه لو أدرك لكان مدركاً بها ، فإنَّ أنياب الغول مما لا يدركه الحس لعدم تحققها مع أنها لو أدركت لم تدرك إلا بحس البصر .(١)

وأورده في الإيضاح شاهداً على موضعين :

في باب الإنشاء(٢) ، وفي باب الفصل والوصل(٣) .

الشاهد الثالث والستون : (*) (الطويل)

أَأَتْرُكُ أَنْ(٤) قَلَّتْ دَرَاهِمُ خَالِدٍ ∴ زِيَارَتَهُ إِنِّي إِذاً لَلَئِيمُ(٥)

---

(١) التلخيص : ٢٤٤ ، الإيضاح : ٢ / ٣٣٦ .

(٢) الإيضـــاح : ١ / ٢٣٦ . (٣) المصدر السابق : ١ / ٢٧٥ .

(*) الدلائل ، رضا : ٩٢ ، خفاجي : ١٥٧ ، شاكر : ١١٧ .

(٤) رواية الأغاني : " إن " بكسر الهمزة ، ويبدو أن رواية الدلائل أصوب ، لأن " إن " بكسر الهمزة تكون شرطية ، بمعنى أن الترك لن يكون إلا إذا حصلت قلة الدراهم ، فصورت حالة الفقر بأنها لم تقع بعد . أما " أن " بفتح الهمزة فتكون بمعنى " لأن " ، فتصور أن حالة الفقر وقلة الدراهم قد وقعت وحصلت ، وهذا ما تدل عليه الأبيات .
جاء في شرح أبيات الإيضاح : " تروى بفتح الهمزة وبكسرها ، فإن روى بفتح الهمزة أريد لأن ، وإن روى بكسر الهمزة كان شرطاً جزاؤه في قوله : أأترك .

(٥) انظر البيت في :
الكامل - دار الفكر - : ١ / ٢١٢ ، الأغانـــي : ٢٤ / ٢٥٥ ، العمدة : ١ / ٧٠ ، حماسة ابن الشجري : ١٣٣ ، الإيضاح : ١ / ٢٣٧ ، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - : ٣٩أ ، المستطرف : ١ / ١٦٥ .

أورده الشيخ من غير نسبة ، وهو لعُمارة بن عقيل[1] يمدح به خالد بن يزيد ابن مزيد الشيباني[2] ، ويذم تميم بن خزيمة[3] .

وبعده :

---

(١) هو عُمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية الخطفي ، وكنيته أبو عقيل وهو شاعر ابن شاعر ، مقدم فصيح ، كان يسكن بادية البصرة ، ويزور الخلفاء في الدولة العباسية فيجزلون له العطاء ، ويمدح قوّادهم وكتابهم ، فيحظى منهم بكل فائدة ، وكان النحاة يأخذون عنه اللغة ، وفيه قال محمد بن يزيد " المبرد " " ختمت الفصاحة في شعر المحدثين بعُمارة بن عقيل " اتصل عمارة بإسحاق بن إبراهيم المصعبي ، وله فيه مديح كثير ، واجتمع الناس وكتبوا شعره ، وبقي إلى أيام الواثق ، ومدحه وعمي قبل موته ، «ولد سنة ١٨٢ هـ» وتوفي «سنة ٢٣٩ هـ». /

انظر ترجمته في : /

معجم الشعراء للمرزباني : ٢٤٧ ، جمهرة أنساب العرب : ٢٢٦ ، الأغاني : ٢٤/ ٢٤٥ - ٢٥٨ ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ٣/ ١٤٣٢-١٤٣٩ ، الأعلام : ٥ / ٣٧ .

(٢) هو خالد بن يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني أحد الولاة في العصر العباسي " اشتهر بالجود والكرم " ت : ٢٣٠ هـ " ، ولعُمارة ابن عقيل فيه مدائح كثيرة منها :

تَأبَى خَلَائِـقُ خَالِدٍ وَفِعَالُـهُ .·. إِلَّا تَجَنُّبَ كُلِّ أَمرٍ عَائِبِ
وإِذَا حَضَرْنَا البَابَ عِنْدَ غَدَائِهِ .·. أَذِنَ الغَدَاءُ لَنَا بِرَغْمِ الحَاجِبِ

انظر ترجمته في :

أخبار أبي تمام للصولي : ١٥٦ ، ١٥٨-١٦٦ ، الأغاني : ٢٤/ ٢٥٤-٢٥٥ ، معجم الشعراء للمرزباني : ٢٤٨ ، جمهرة أنساب العرب : ٣٢٦-٣٢٧ ، الأعلام : ٢ / ٣٠١ .

(٣) هو تميم بن خزيمة بن حازم النهشلي ، شيخ من شيوخ بني تميم ، وأمير من أمرائها ، عاصر المأمون ، وقد قصده الشاعر عُمارة في حاجة له ، فلم يلتفت إليه ، ولم يُجِب مطلبه ، وحُجِب عنه ، فقصد خالد بن يزيد ، فأكرمه ، فقال الأبيات التي منها الشاهد / انظر: الأغاني : ٢٤/ ٢٥٣-٢٥٥ .

وَقَدْ (١) يَسْلَعُ (٢) المرءُ اللئيمُ اصطناعُه (٣) .·. ويعتلُّ نَقْدَ المَرْءِ وَهوَ كريـمُ (٤)

فَتىً وَاسِطٌ في ابنَيْ نِزارٍ مُحَبَّبٌ .·. إلى ابْنَيْ نِزارٍ في الخُطوبِ عَمِيمُ (٥)

فَلَيْتَ بِثَوبَيهِ لَنَا كَانَ خَالِدٌ .·. وَكَانَ لِبَكْرٍ بالثَّرَاءِ تَمِيمُ

فَيُصْبِحَ فِينا سَابِقٌ مُتَمَهِّلٌ .·. وَيُصْبِحَ فِي بَكْرٍ أَغَمُّ بَهِيمُ (٦)

والشاهد فيه كسابقه حيث قدم الهمزة على الفعل المضارع المراد به الاستقبال ، فيكون الإنكار للفعل ذاته ، وهو بمعنى " لن يكون ذلك مني " ، وهو إنكار تكذيبي ، فالشاعر حين أنكر تحقق ترك الزيارة ، أكد بذلك وفاءه للممدوح في جميع الأحوال ؛ لأن حدوث ترك الزيارة معناه إثبات صفة اللؤم ولزومها له ، وهذا أمر يستقبحه الشاعر ، ولكي يزجر النفوس عن ترك الأحبة في وقت الشدة جاء بقوله : " إنّي إذاً للئيم " ، فأكد صفة اللؤم التي تنفر منها النفوس " بأن " و " لام التوكيد "

---

(١) رواية الأغاني : " فقد " .

(٢) السَّلع : الشق ، والسَّلع شق في الجبل كهيئة الصدع ، وجمعه أسلاع ، وسلوع / اللسان : " سلع " : ٨ / ١٦٠ .

(٣) يروى بالرفع على أنه فاعل للئيم ، أو على النصب على أنه شبيه بالمفعول به ، جاء في الكامل : " من رفع المرء نصب اصطناعه ، ومن نصب المرء رفع اصطناعه " .

(٤) ذُكر في الأغاني أن البيت بعد الشاهد :

فَلَيْتَ بِثَوبَيهِ لَنَا كَانَ خَالِدٌ .·. وَكَانَ لِبَكْرٍ بالثَّرَاءِ تَمِيمُ

(٥) هذا البيت غير مذكور في الأغاني .

(٦) ذكر هذا البيت في الأغاني بعد قوله :

" فَلَيْتَ بِثَوبَيهِ لَنَا كَانَ خَالِدٌ " .

هذه الأبيات لم تذكر إلا في :

الكامل للمبرد - دار الفكر - : ١ / ٢١٣ ، الأغاني : ٢٤ / ٢٥٥ (ماعدا البيت الثاني) ، وذُكر بعضها في حماسة ابن الشجري : ١٣٣ ، ورواية ابن الشجري للبيت الأخير :

فَيُصْبِحُ في قَومِي أَغَرُّ مُحَجَّلٌ .·. وَيُصْبِحُ فِي بَكْرٍ أَغَمُّ بَهِيمُ .

وذلك لاستبعاد الترك ، وكأنه يعرّض بهذه الجملة بتميم بن خزيمة ، وأن هذا الأمر يحصل منه ، فهو على بخله لئيم ، فالرجل قد يكثر ماله ، وهو ذميم ، وقد ينضب مال رجل آخر ، وهو مع ذلك كريم رفيع المحامد ، وأراد بالأخير ، وصف خالد بن يزيد بالكرم والمجد مع قلة ماله.

ومثل قول عُمارة في المعنى قول أبي نواس يعتذر إلى ابن الهيثم :

أَأُقَنِّعُ المَعْرُوفَ وَهوكَأَنَّهُ ∴ قَمَرُ الدُّجَى إِنِّي إِذاً لَلَئِيمُ (١)

الشاهد الرابع والستون : (*) (الكامل)

قول ابن أبي عيينة (٢) :

(١) تحرير التحبير : ٣ / ٦١٩ .

(*) الدلائل ، رضا : ٩٥ ، خفاجي : ١٦٠ ، شاكر : ١٢١ .

(٢) جاء في الأغاني : أن ابن أبي عيينة هو محمد بن أبي عيينة قال : " وابن أبي عيينة هو محمد بن أبي عيينة بن المهلب بن أبي صفرة " : ٢٠ / ٧٥ ، وذكر في موضع آخر أن محمداً هو أبوه قال :

" أبو عيينة الشاعر هو أبو عيينة بن المنجاب بن أبي عيينة بن المهلب ، وكان محمد بن أبي عيينة أبو أبي عيينة الشاعر ، يتولى الري ، لأبي جعفر المنصور " : ٢٠ / ٧٩ .

وجاء في معجم الشعراء للمرزباني :-

" أبو عيينة بن محمد بن أبي عيينة " : ٢٦٧ .

وجاء في الكامل للمبرد أن ابن أبي عيينة هو عبد الله بن محمد بن أبي عيينة ، وقد أورد هذا البيت منسوباً إليه مع بعض الأبيات الأخرى .

وابن أبي عيينة شاعر مطبوع غزّال هجّاء . قال الجاحظ :-

" والمطبوعون على الشعر من المولدين بشّار العُقيلي ، والسيد الحميري ، وأبو العتاهية ، وابن أبي عُيينة ... " .

وعنه قال المرزباني : - " وأبو عيينة هذا من أطبع الناس وأقربهم مأخذاً في الشعر وأقلهم تكلفاً " .

ويبدو أن الشيخ عبد الهادي العدل في كتابه " دراسات تفصيلية لبلاغة ====

فَدَعِ الوَعِيدَ فَمَا وَعِيدُكَ ضَائِرِي .·. أَطَنِينَ(١) أَجْنِحَةِ الذُّبَابِ يَضِيرُ(٢)

وهذا البيت قاله عبد الله بن أبي عيينة لعلي بن محمد بن جعفر(٣) ، وكان دعاه إلى نصرته حين ظهرت المُبَيِّضَة(٤) فلم يُجبه ، فتوعده ، فقال عبد الله :

==== عبد القاهر " قد نسب الأبيات إلى محمد بن أبي عيينة والد الشاعر .
أما الشيخ العباسي في معاهد التنصيص ، فقد ذكر أنه لا يعرف قائلها ، وانما رأى صاحب الدر الفريد ينسبها إلى عبد الله بن محمد بن أبي عيينة . وهذا ما ورد في كتاب الكامل للمبرد ./ انظر ترجمته في :
البيان والتبيين : ١/ ٥٠-٣٦١ ، ٤/ ٤٨-٧٦ ، الشعر والشعراء : ٢/ ٨٧٦ ، الكامل للمبرد : - مكتبة المعارف - : ١/ ٢٤٩-٢٥٨ ، معجم الشعراء : ٢٦٧ ، الأغاني : ٢٠/ ٧٥-١١٩ .

(١) رواية الكامل : " أَطَنِينُ أَجْنِحَةِ البَعُوضِ " .

(٢) انظر البيت في :
الكامل للمبرد : - مكتبة المعارف - : ١/ ٢٥٧ ، التلخيص : ٣٩٦ . أورده القزويني في علم البديع في " رد العجز على الصدر " من غير نسبة . الإيضاح : ٢ / ٥٤٦ ، وذكره في علم البديع من غير نسبة ، معاهد التنصيص : ٣ / ٢٨٨ ، رقم الشاهد (١٧٦) ، أنوار الربيع : ٣ / ١٠٣ ، ذكره في " رد العجز على الصدر " .

(٣) هو علي بن محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم . كان والده محمداً شيخاً وَدّاعاً محبباً في الناس مفارقاً لما عليه كثير من أهل بيته من قبح السيرة ، وكان يروي العلم عن أبيه جعفر ، اجتمع عليه ابنه علي ، والحسين بن الحسن الأفطس وأقنعوه بقبول الخلافة ، وكان كارهاً لها ، فقبلها على مضض ، وكان ليس له من الأمر إلا اسمه ، وكان ابنه علياً أسوأ ما كان سيرة وأقبح ما كان فعلا ./ انظر : تاريخ الطبري : ٨/ ٥٣٧-٥٣٨ ، رأى الشيخ عبد الهادي العدل أن الخطاب هنا موجه لابن عم الشاعر خالد بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب ، ولعله توهم ذلك لما لابن أبي عيينة من أهاج كثيرة في ابن عمه هذا .

(٤) المُبَيِّضَة : بكسر الياء فرقة من الثَّنوية ، وهم أصحاب المُقَنَّع سموا بذلك لتبييضهم ثيابهم خلافاً للمسودة من أصحاب الدولة العباسية . ======

أَعَلَيَّ إِنَّكَ جَاهِلٌ مَغْـــرُورُ ∴ لاظُلْمَةٌ لَكَ لَا وَلَا لَكَ نُـــورُ
أَكَتَبْتَ (١) تُوعِدُنِي أَن ٱسْتَبْطَأْتَنِي ∴ إِنِّي بِحَرْبِكَ مَاحَيِيتُ جَدِيـرُ

وبعدها الشاهد وبعده :

وَإِذَا ٱرْتَحَلْتَ فَإِنَّ نَصْرِي لِلأُولَى ∴ أَبَوَاهُمُ المَهْدِيُّ وَالمَنْصُـــورُ
نَبَتَتْ (٢) عَلَيهِ لُحومُنَا وَدِمَاؤُنَـــا ∴ وَعَلَيهِ قَدَّرَ سَـعْيَنَا المَشْـكُورُ (٣)

الشاهد في البيت : أن إنكار الأمر المستحيل الوقوع بالهمزة إنما يأتـــي على سبيل التمثيل ، وذلك بتنزيل المخاطب الذي يطلب الأمر المستحيل بمنزلـــة من يستطيعه .

قال الشـــيخ :

" . . . وإذ قد عرفت ذلك فإنه لا يقرّر بالمحال وبما لا يقول أحد إنـــه يكون إلّا على سبيل التمثيل ، وعلى أن يقال له إنك في دعواك ماادّعيـــت بمنزلة من يدّعي هذا المحال ، وإنك في طمعك في الذي طمعت فيـــه بمنزلة من يطمع في الممتنع (٤) " .

فالكلام في البيت ليس على ظاهره ، إذ لا يدّعي أحد أنّ طنين الذبـــاب يضير ؛ لأن وقوع الضرر منه مستحيل ، فهو إذا على التمثيل ، وذلك بتنزيل المخاطب - في دعواه أن وعيده الذي لا يؤبه له " يضير " - منزلة من يدّعي أن طنين أجنحة الذباب يضـير ، ووجه الشـبه أن كلا قد ادّعى دعوى كاذبة (٥) .

=== انظر : تاريخ الطبري : ٩ / ٢٥٧ ، ٢٩٤ ، ٢٩٦ ، ٣١١ ، ٣٤٣ ، اللسان : " بيض " : ٧ / ١٢٨ .

(١) رواية المعاهد : " أبعثت " .

(٢) رواية معاهد التنصيص : " بُنيت " .

(٣) انظر الأبيات في :
الكامل للمبرد - مكتبة المعارف - : ١ / ٢٥٧ ، معاهد التنصيص : ٣ / ٢٨٨ ، رقم الشاهد : " ١٧٦ "

(٤) الدلائل ، رضا : ٩٤ ، خفاجي : ١٥٩-١٦٠ ، شاكر : ١٢٠ .

(٥) دراسات تفصيلية شاملة لبلاغة عبد القاهر : ٢٦٨ .

قال الشيخ :

" جعله كأنه قد ظن أن طنين أجنحة الذباب بمثابة ما يضير حتى ظن أن وعيده يضير ".(١)

والبيت فيه استخفاف، واستهانة بالمهجو من عدة وجوه : حيث استعمل فعل الأمر " دع " وفيه تحقير أي اترك الوعيد ، فأنت أعجز وأصغر شأنا من أن تتوعد .

• استعماله النفي : " فما وعيدك ضائري " وفيه استبعاد حصول الضرر.

ولكي تكتمل صورة الاستخفاف جاء بالتشبيه الضمني في أسلوب الاستفهام الإنكاري ، فدخلت الهمزة على الاسم ، وهذا معناه إنكار الفاعل ، وهو الطنين ، وبالتالي إنكار وعيده ، حيث شبه وعيده الذي لا يعبأ به بطنين أجنحة الذباب ، ووجّه الإنكار لهما عن طريق الهمزة .

والبيت يستشهد به البلاغيون في علم البديع على موضوع " رد العجز على الصدر " وهو من النوع الذي يقع فيه أحد اللفظين الملحقين بالمتجانسين في آخر البيت ، والآخر في آخر المصراع الأول.(٢)

وأشار الشيخ عبد القاهر في هذا الفصل إلى فائدة جليلة وهي : أن محض المعنى في الأبيات السابقة ليس هو الإنكار ، ولو كان محض المعنى هو الإنكار لم يكن هناك فرق بين الإنكار بالهمزة ، والإنكار بالنفي الصريح .

فالإنكار بالهمزة له ميزة أخرى وهي إشراك السامع في التفكير في الحقائق المعروضة ، فهو لا يفرض عليه الحكم فرضاً ؛ لأن طريقة الفرض فيها ثقل على النفس ، وإنما فيه تنبيه للسامع بأن يراجع نفسه ، ويعرف حقيقته ، فيرتدع ، كأن يدّعي القدرة على فعل ما لا يقدر عليه ، أو أن يهم بفعل ما لا يستصوب فعله ، فإذا روجع تنبه وعرف الخطأ . قال الشيخ :-

---

(١) الدلائل ، رضا : ٩٥ ، خفاجي : ١٦٠ ، شاكر : ١٢١.

(٢) انظر: التلخيص : ٣٩٣ ، معاهد التنصيص : ٣ / ٢٨٨ ، أنوار البديع : ٣ / ١٠٣.

" واعلم أنا وإنْ كُنَّا نُفَسِّر الاستفهام في مثل هذا بالإنكار ، فإن الذي هو محض المعنى أنه ليتنبه السامع حتى يرجع إلى نفسه ، فيخجل ، ويرتدع ويَعْيَى بالجواب ، إما لأنه قد ٱدَّعى القدرة على فعل لا يقدر عليه ، فإذا ثبت على دعواه قيل له : " فافعل " ، فيفضحه ذلك ، وإما لأنه هَمَّ بأن يفعل ما لا يُسْتَصْوَب فعلَه ، فإذا رُوجِع فيه تَنَبَّه وعرف الخطأ ، وإما لأنه جوَّز وجود أمر لا يوجد مثله ، فإذا ثبت على تجويزه وُبِّخَ على تَعَنُّتِه وقيل له : " فَأَرِنَاهُ في موضع وفي حالٍ ، وأقم شاهداً على أنه كان في وقت " ولو كان يكون للإنكار ، وكان المَعنى فيه من بَدْءِ الأمر ، لكان ينبغي أن لا يجيء فيما لا يقول عاقل إنه يكون ، حتى يُنكر عليه كقولهم : " أَتَصْعَدُ إلى السَّمَاءِ ؟ " ، " أَتَسْتَطِيعُ أن تَنْقُلَ الجِبَال ؟ " ، " أإلى رَدِّ ما مضى سبيلٌ " ؟ "(١).

ب - مواضع التقديم والتأخير مع النفي " :-

الشاهد الخامس والستون :- (*) (المتقارب)

قوله :-

وَمَا أَنَا أَسْقَمْتُ جِسْمِي بِهِ ∴ وَلَا أَنَا أَضْرَمْتُ فِي القَلْبِ نَارَا (٢)

والبيت أورده الشيخ من غير نسبة ، وهو للمتنبي من قصيدة يعتذر فيها لسيف الدولة حين استبطأ مدحه ، ومطلعها :-

أَرَى ذَلِكَ القُرْبَ صَارَ ازْوِرَارَا ∴ وَصَارَ طَوِيلُ السَّلَامِ ٱخْتِصَارَا

---

(١) الدلائل ، رضا : ٩٣-٩٤ ، خفاجي : ١٥٩ ، شاكر : ١١٩-١٢٠ .
(*) الدلائل ، رضا : ٩٧ ، خفاجي : ١٦٢ ، شاكر : ١٢٥ .
(٢) انظر البيت في : ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ٢/ ٩٥ ، الطرائف الأدبية " المختار من دواوين المتنبي والبحتري وأبي تمام " : ٢١٣ ، الإيضاح ١/ ١٣٧ ، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - : ٢١ ب .

وقبل الشاهد :

وَأَعْلَمُ أَنِّي إِذَا مَا ٱعْتَذَرْ (م) ... تُ إِلَيكَ أَرَادَ ٱعْتِذَارِي ٱعْتِذَارَا

وَلَكِنْ حَمَى الشِّعْرَ إِلَّا القَلِيـ ... ـلَ هَمٌّ حَمَى النَّوْمَ إِلَّا غِرَارَا

كَفَرْتُ مَكَارِمَكَ البَاهِرَا ... تِ إِنْ كَانَ ذَلِكَ مِنِّي ٱخْتِيَارَا (١)

وبعدها الشاهد وبعده :

فَلَا تُلْزِمَنِّي ذُنُوبَ الزَّمَانِ (م) إِلَيَّ أَسَاءَ وَإِيَّايَ ضَارَا

وَعِنْدِي لَكَ الشُّرَّدُ السَّائِرَا ... تُ لَا يَخْتَصِصْنَ مِنَ الأَرْضِ دَارَا

قَوَافٍ إِذَا سِرْنَ عَنْ مِقْوَلِي ... وَثَبْنَ الجِبَالَ وَخُضْنَ البِحَارَا (٢)

استشهد الشيخ بهذا الشاهد على أن تقديم الاسم يقتضي وجود الفعل، فالقاعدة عنده أنه إذا ولي الاسم حرف النفي، فإن النّفي يتجه إلى نفي فاعل فعل قد ثبت حصوله، وتحقق، أما إذا ولي الفعل النفي كان النفي لشيء لم يثبت حصوله. قال الشيخ :

" وإذ قد عرفت هذه المسائل في الاستفهام، فهذه مسائل في النفي إذا قلت : مافعلت، كنت نفيت عنك فعلاً لم يثبت أنه مفعول، وإذا قلت : ماأنا فعلت كنت نفيت عنك فعلا ثبت أنه مفعول (٣) ".

وإذا تقدم الاسم على الفعل مع تقدم حرف النفي لا يجوز أن يكون المنفي عاماً، بل يجب أن يكون محدداً، فلا يجوز أن تقول :

" ماأنا قلت شعراً قط، وما أنا أكلت اليوم شيئاً "، لأنك تنفي الفعل عن ذاتك، وتثبت أن هناك أحداً قد قال كل شعر، وأكل كل شيء، وهذا محال.

---

(١) ذكر في الطرائف الأدبية قوله :

وَلَكِنْ حَمَى الشِّعْرَ إِلَّا القَلِيـ ... ـلَ هَمٌّ حَمَى النَّومَ إِلَّا غِرَارَا

قبل بيت الشاهد.

(٢) ديوانه بشرح العكبري : ٢/ ٩٤ - ٩٥.

(٣) الدلائل، رضا : ٩٧، خفاجي : ١٦٢، شاكر : ١٢٤.

أما إذا تقدم النفي على الفعل ، فيجوز أن يكون الفعل عاما ، فلك أن تقول : " ماقلتَ شعراً قط " ، لأنك نفيت الفعل عن نفسك من غير أن تثنيه لغيرك .

قال الشيخ :-

" ومن أجل ذلك صلح في الوجه الأول أن يكون المنفيُّ عاماً كقولك : "ماقلتَ شعراً قط"، "وما أكلتَ اليومَ شيئاً"، "وما رأيتُ أحداً من النَّاس"، ولم يصلح في الوجه الثاني ، فكان خلفاً أن تقول : "ما أنا قلتَ شعراً قط"، "وما أنا أكلتُ اليومَ شيئاً"، "وما أنا رأيتُ أحداً من النَّاسِ"، وذلك لأنه يقتضي المحال ، وهو أن يكون ههنا إنسان قد قال كل شعر في الدنيا ، وأكل كل شيءٍ يؤكل ، ورأى كل أحد من الناس فنفيت أن تكونه ".(١)

فالشاعر في بيت الشاهد يثبت أن السَّقَم ثابتٌ موجود ، وليس القصد إلى نفيه بل أن يكون هو الجالب له ، وأن يكون قد جرَّه إلى نفسه ، وأثبتهُ بذلك لِلْهَمِّ الذي اعتراه . قال الشيخ :

" المعنى كما لا يخفى على أن السَّقم ثابت موجود ، وليس القصد بالنفي إليه ، ولكن أن يكون هو الجالب له، ويكون قد جره إلى نفسه ".(٢)

ففي تقديم المسند إليه المسبوق بنفي على الخبر الفعلي قصر واختصاص هذا على مذهب الشيخ عبد القاهر .

فقد اختلف علماء البلاغة في صور إفادة تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي القصر ، فاشترط الإمام عبد القاهر أن يتقدم المسند إليه حرف نفي ، سواء كان المسند إليه نكرة أم معرفة ظاهراً أم مضمراً ، فإن لم يتقدمه حرف نفي أصلاً ، أو كان متأخراً فتارة يفيد التقديم الاختصاص ، وأخرى يفيد التقوي من غير تفريق

---

(١) الدلائل ، رضا : ٩٧ ، خفاجي : ١٦٢ ، شاكر : ١٢٤ .
(٢) الدلائل ، رضا : ٩٧ ، خفاجي : ١٦٣ ، شاكر : ١٢٥ .

بين النكرة والمعرفة ، ظاهرة أو مضمرة ، فحاصل مذهبه التعويل على حرف النفي .

هذا على ما ذكره صاحب الإيضاح ، وعبارته :

" ... لأن ظاهر كلام الشيخ فيما يليه حرفُ النفي ، القطع بأنه يفيد التخصيص مضمراً كان أو مظهراً ، معرفاً أو مُنكَّراً ، من غير شرط ، لكنه لم يُمَثِّل إلا بالمضمر"(١).

أما السكاكي ، فحاصل مذهبه : إن كان المسند إليه نكرة ، فهو للتخصيص ، وإن كان معرفة " اسماً ظاهراً " ، فلا يكون إلّا للتقوي ، أما إذا كان معرفة مضمرة ، فيحتمل الأمرين التقوي والتخصيص ، ولم يشترط السكاكي ما آشترطه الإمام عبد القاهر من تقديم حرف النفي ، وإنما آشترط في إفادة التقديم الاختصاص عدة أمور منها :

جواز تأخير المسند إليه على أن يكون فاعلاً في المعنى فقط كقول القائل : " أنا درست " ، فيجوز أن تقدر أن أصله " درست أنا " على أن يكون الضمير " أنا " تأكيداً للفاعل في درست .

ومنها : تقدير كونه مؤخراً في الأصل ، وقُدِّم لإفادة التخصيص(٢).

فالشاعر في بيت الشاهد يُكِن لسيف الدولة حباً صادقاً ، ووفاءً عجيباً ، فحين علم بلومه وعتابه ، ثارت أحاسيسه ، وأراد أن يُبَرِّئ نفسه ، ويمحو ما علق في نفس سيف الدولة ، فلم يرَ طريقاً للبراءة إلّا أسلوب القصر يحمله كل أعذاره ، وينفي عنه نفياً قاطعاً كل ما اتهم به . " فقوله : ما أنا أسقمت جسمي " معناه أن هذا السقم في جسمي ، وهذا الضنى لم أفعله أنا وإنما فعله غيري ، وقوله : " ... ولا أنا أضرمت في القلب ناراً " أي أن هذا الجوى ، وهذا الوجد الذي يستعر في فؤادي لم أشعله أنا ، ووراء هذا التركيب معنى لطيف هو عجز الشاعر أمام عواطفه المشبوبة ، والتي سببت هذا السقم ، وهذا الوجد ، وكأنه يقول : لو كان الأمر

---

(١) الإيضاح : ١ / ١٤٤ .

(٢) انظر : المفتاح : ١٠٠-١٠١ ، الإيضاح : ١ / ١٤٤-١٤٧ ، شروح التلخيص : ١ / ٤٠٠-٤٢٣ .

بيدي لأنقذت نفسي من هذا الذي أجده ، ولكن لا طاقة لي بذلك ، وهذا معنى جيد (١).

الشاهد السادس والستون : (*) (الطويل)

قولـه :

وَمَا أَنَا وَحْدِي قُلْتُ ذَا الشِّعْرَ كُلَّهُ ∴

أورد الشيخ الصدر دون العجز،ومن غير نسبة ، والشاهد صدر بيت للمتنبي وتمامه :-

وَلَكِنْ لِشِعْرِي فِيكَ مِنْ نَفْسِهِ شِعْرُ (٢)

وهو من قصيدة يمدح بها علي بن أحمد بن عامر الأنطاكي (٣) ، مطلعها :

أُطَاعِنُ خَيْلاً مِنْ فَوَارِسِهَا الدَّهْرُ ∴ وَحِيداً وَمَا قَوْلِي كَذَا وَمَعِي الصَّبْرُ (٤)

وقبل الشاهد :

وَمَا قُلْتُ مِنْ شِعْرٍ تَكَادُ بُيُوتُهُ ∴ إِذَا كُتِبَتْ يَبْيَضُّ مِنْ نُورِهَا الحِبْرُ

كَأَنَّ المَعَانِي فِي فَصَاحَةِ لَفْظِهَا ∴ نُجُومُ الثُّرَيَّا أَوْ خَلَائِقُكَ الزُّهْرُ

وَجَنَّبَنِي قُرْبَ السَّلَاطِينِ مَقْتُهَا ∴ وَمَا يَقْتَضِينِي مِنْ جَمَاجِمِهَا النَّسْرُ

---

(١) خصائص التراكيب : ١٧٧.

(*) الدلائل ، رضا : ٩٧ ، خفاجي : ١٦٣ ، شاكر : ١٢٥.

(٢) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ٢/١٥٨ ، العرف الطيب : ٣/٦٧.

(٣) هو علي بن أحمد الأنطاكي الملقب بالمجتبي أبو القاسم "... - ٣٧٦ هـ" حاسب مهندس ، من أهل أنطاكية ، استوطن بغداد وتوفي فيها ، وكان من أصحاب عضد الدولة ابن بويه ، المقدمين عنده ، له مؤلفات عدة منها : " التخت الكبير " في الحساب الهندسي ، و " تفسير الأرتماطيقي " و " شرح إقليدس " و " آستخراج التراجم " ، كان فصيحاً من الموصوفين بحسن البيان . انظر:

تاريخ الحكماء : ٢٣٤ ، الأعلام : ٤ / ٢٥٣-٢٥٤.

(٤) ديوانه بشرح العكبري : ٢ / ١٤٨ ، العرف الطيب : ٣/٥٩.

وإنّي رأيتُ الضُّرَّ أحسنَ منظراً ∴ وأهونَ مِنْ مرأى صغيرٍ بهِ كِبْرُ
لِساني وعيني والفؤادُ وهِمّتي ∴ أَوُدُّ اللّواتي ذا اسمُها مِنكَ والشَّطْرُ

وبعدها البيت وبعده :

وماذا الّذي فيهِ مِنَ الحُسْنِ رَوْنَقاً ∴ ولكِنْ بَدا في وجهِهِ نحوكَ البِشْرُ
وإنّي وإنْ نِلْتَ السّماءَ لَعالِمٌ ∴ بأنّكَ مانِلْتَ الّذي يُوجِبُ القَدْرُ
أزالتْ بِكَ الأيّامُ عَتْبي كأنّما ∴ بَنُوها لَهَا ذَنْبٌ وأنتَ لَهَا عُذْرُ (١)

الشاهد فيه كسابقه،وهو أن تقديم الاسم المنفي يقتضي وجود الفعل ،فالشاعر هنا لم يرد نفي قول الشعر وإنما أراد أن ينفي عن نفسه شيئاً ثبت حصوله ، وهو قول الشعر ،فالشاعر أراد أن يثبت لممدوحه عظيم الخصال ، ورفع الصفات ، فجاء بأسلوب القصر هذا وركّبه أحسن مايكون التركيب ،فأعقب النفي " ما " الضمير " أنا " وأكده بلفظ " وحدي " ،وجاء باسم الإشارة " ذا " ليُعلي من قيمة الشعر المقول ، ويثبت كثرته ،فنفى عن نفسه أن يكون هو وحده الذي صاغ هذا الشعر الفخم الكثير، وأثبت ذلك لصفات الممدوح . فهي لعظمها وحسنها،وفخامتها ألهمته وأوحت إليه بالكثير من القول الجيد ،فكأنها بهذا الإلهام هي التي قالت هذا الشعر.

هـ - التقديم والتأخير في الخبر :

الشاهد السابع والستون :- (*) (الطويل)

هُمُ يُفْرِشُونَ (٢) اللِّبْدَ (٣) كُلَّ (٤) طِمِرَّةٍ (٥) ∴ وأجْرَدَ (٦) سَبّاحٍ (٧) يَبُذُّ (٨) المُغَالِيَا (٩)

---

(١) ديوانه بشرح العكبري : ٢ / ١٥٧ - ١٥٩ ، العرف الطيب : ٦٥/٣-٦٧.
(*) الدلائل ، رضا : ١٠٠، خفاجي : ١٦٥، شاكر: ١٢٩.
(٢) يُفرشون : بضم الياء يجعلون اللبد فراشاً لظهور كل حجر وثابة ، وكل فحل كريم ، ويروي بعضهم يَفرشون بفتح الياء .
وهو من فَرَشَ الشيء يَفرِشُه ويَفْرُشُه فَرْشاً وفَرّشه فانفرش ======

. . . .

=== وافترشه : بسطه ./ اللسان : " فرش " : ٦ / ٣٢٦ .

(٣) اللِّبْدَ : أي لِبْدَ السَّرجِ ، وأَلْبَدَ السَّرْجَ عمل له لِبْداً ، واللِّبْدَةُ كل شَعَرٍ أو صوف مُلْتَبِدٍ بعضه على بعض./ اللسان " لبد " : ٣ / ٣٨٦ .

(٤) طِمِرَّة : الفرس الجواد ، وقيل هو : المستفز للوَثْب، والعدو ، وقيل : هو الطويل القوائم الخفيف ، وقيل المستعدُّ للعدو ./ اللسان " طمر " : ٤ / ٥٠٣ .

(٥) وأجرد : الأجرد من الخيل والدواب كلها : القصير الشعر حتى يقال: إنه لأجرد القوائم ، وقيل الأجرد الذي رق شعره وقصر ، وهو مدح ./ اللسان : " جرد " : ٣ / ١١٦ .

(٦) سبّاح : صيغة بالغة من سَبَحَ ، سَبْحُ الفرس : جَرْيُهُ ، وفرس سبوح وَسابِحٌ يسبح بيديه في سيره أي سريع الجري / اللسان : " سبح ": ٢ / ٤٧٠ .

(٧) يبذ : يسبق وهو من بَذَّ القوم يَبُذُّهم بَذاً : سبقهم وغلبهم، وكل غالب باذ ./ اللسان " بذذ " : ٣ / ٤٧٧ .

(٨) المغاليا : إن ضمت الميم جاز أن يراد به السهم نفسه،أو فرس يغاليه ، وجاز أن يراد به الرانع يده بالسهم يريد به أقصى الغاية ، ويقال: بيني وبينه غلوة سهم ، كما يقال قيد رمح وقاب قوس ، وإن فتحت الميم يكون جمعاً للمغلاة ، وهي السهم يتخذ للمغالاة ، والمُغالي بضم الميم، والعين غير معجمة الذي يريد أن يعلوه ولا يقدر على ذلك لطوله . / انظر : شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ٤ / ١٧٦٤ ، شرح الحماسة للتبريزي : ٤ / ١٣٦ ، ورواية الدلائل والإيضاح : " المغالبا " بالباء .

(٩) انظر البيت في :
الحماسة : ٢ / ٣٧٨ ، الزهرة : ٢ / ٧٥٤ ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ٤ / ١٧٦٣ ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٤ / ١٣٦ ، الإيضاح : ١ / ١٤١ ، شرح أبيات الإيضاح : - فيض الله - : ٢١ ب .

أورده الشيخ من غير نسبة ، وهو للمُعَذَّلِ بنِ عَبدِ اللّهِ اللَّيثِيّ (١).

والشاهد أحد أبيات خمسة هي :

جَزَى اللّهُ فِتْيَانَ العَتِيكِ وإنْ نَأَتْ ∴ بِي الدَّارُ عَنْهُمْ خَيْرَ مَاكَانَ جَازِيَـا

هُمُ خَلَطُونِي بِالنُّفُوسِ وَأَكْرَمُوا الـ (م) صَّحَابَةَ لَمَّا حُمَّ مَاكُنْتُ لَاقِيَـا (٢)

هُمُ يُفْرِشُونَ اللِّبْدَ كُلَّ طِمِرَّةٍ ∴ وَأَجْرَدَ سَبَّاحٍ يَبُذُّ المُغَالِيَـا

طَعَامُهُمُ (٣) فَوْضَى فَضًا (٤) فِي رِحَالِهِمْ (٥) ∴ وَلَا يُحْسِنُونَ الشَّرَّ (٦) إلَّا تَنَادِيَـا

كَأَنَّ دَنَانِيرًا عَلَى قَسَمَاتِهِمْ ∴ إذَا المَوتُ لِلأَبْطَالِ (٧) كَانَ تَحَاسِيَا (٨)

---

(١) في الزهرة المعذل العبدي ، وفي معجم الشعراء المعذل البكري ، وهو أحد بني قيس بن ثعلبة شاعر إسلامي كان موجوداً في دولة بني أمية ، قدم على المهلب بن أبي صفرة بخراسان ، وأنشده شيئا من شعره ، فأعطاه خمسين وصيفاً ، ومدح أيضا النّهاس بن ربيعة العتكي . /انظر ترجمته : معجم الشعراء : ٣٨٨ ، شرح الحماسة للمرزوقي : ٤ / ١٧٦٣ - ١٧٦٥ ، شرح الحماسة للتبريزي : ٤ / ١٣٦ - ١٣٧ .

(٢) ذكر المرزباني مكانه : « مَتَاعُهُمُ فَوضَى فَضاً فِي دِيَارِهِمْ . . . »
وجعل قبل البيت الأخير : « هُمُ خَلَطُونِي بِالنُّفُوسِ وَأَكْرَمُوا . . .

(٣) رواية معجم الشعراء : « مَتَاعُهُمُ » .
ورواية الزهرة : « أَكُفُّهُمُ » .

(٤) رواية الزهرة : « بِمَا فِي رِحَالِهِمْ » .

(٥) رواية معجم الشعراء : « فِي دِيَارِهِمْ » .

(٦) رواية معجم الشعراء واللسان : « الشَّرَّ » .

(٧) رواية الزهرة : « فِي الأَبْطَالِ » .

(٨) انظر الأبيات في :
الحماسة ، تحقيق عسيلان : ٢ / ٣٧٨ - ٣٧٩ ، الزهرة : ٢ / ٧٥٤ ، معجم الشعراء : ٣٨٨ ، ذكر أربعة أبيات ماعدا بيت الشاهد ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ٤ / ١٧٦٣ - ١٧٦٤ ، زهر الآداب : ذكر أربعة أبيات ماعدا بيت الشاهد ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٤ / ١٣٦ - ١٣٧ ، اللسان : « فضا » : ١٥ / ١٥٨ ، ذكر البيت الرابع فقط .

وهذه الأبيات قالها المعذل في مدح النَّهَّاس[1] بن ربيعة العتكي ؛ لأنه كفل به ، وكان المعذل أُخِذ بجرم ، فأطلقه النهاس وأمره أن ينجو بنفسه ، وأسلم نفسه مكانه ، فقال له المعذل أُخيرك بين أن أمدحك ، وبين أن أمدح قومك ، فقال امتدح قومي ، فمدحهم بهذه الأبيات ، وكان المهلب بن أبي صفرة يعجب بها إعجابا شديداً فقدم عليه مرة ، فقال : يامعشر الأزد هذا الذي يقول : وأنشد الأبيات ، فجمعوا له خمسين وصيفاً وأعطاه المهلب مثلها[2].

والشاهد في البيت أن تقديم المسند إليه " هم " على الخبر الفعلي المثبت " يُفرشون " لم يفد هنا الاختصاص بل التقوي ؛ لأن القصد ليس إلى الفاعل بل إلى التوكيد والتحقيق بأن الفاعل قد فعل الفعل ، ومنع السامع من الشك .

فمذهب الشيخ في تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي المثبت أنه قد يفيد الاختصاص تارة ، ولا يفيده أخرى ، بل يفيد التقوي[3] وذلك بحسب القصد ، فإن كان القصد إلى الفاعل بإثبات الفعل له وحده دون غيره ، فهذا يفيد الاختصاص ، وإن كان القصد لا إلى الفاعل بل إلى توكيد المعنى ، وتحقق وقوع الفعل ، كان التقديم للتقوي . قال الشيخ :

---

(١) في ديوان الحماسة وشرحيها للمرزوقي والتبريزي :
" النَّهس بن ربيعة ".

(٢) انظر: معجم الشعراء للمرزباني : ٣٨٨ ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ٤/ ١٧٦٣ ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٤ / ١٣٦ .

(٣) وهذا ما أجمع عليه جمهور البلاغيين وإنما اختلفوا في تقديم الاسم الظاهر على الخبر الفعلي ، فهو يفيد الاختصاص عند الشيخ بشرط تقدم النفي . أما عند السكاكي فهو يفيد التقوي ليس غير ، فحاصل مذهب الشيخ التعويل على النفي ، وحاصل مذهب السكاكي إن كان المسند إليه نكرة فهو للتخصيص ، وإن كان معرفة واسماً ظاهراً ، فلا يكون إلَّا للتقوي ، أمّا إذا كان معرفة مضمرة فيحتمل الأمرين التقوي والتخصيص ، انظر: الأمر مفصلا في : الدلائل ، رضا : ٩٦-١٠٦ ، خفاجي : ١٦٢-١٧١ ، شاكر : ١٢٤-١٣٨ ، المفتاح : ١٠٠-١٠١ ، شروح التلخيص : ١/ ٤٠٠-٤٢٣ .

" واعلم أنّ الذي بان لك في الاستفهام،والنفي من المعنى في التقديم قائم مثله في " الخبر المثبت " ، فإذا عمدت إلى الذي أردت أن تحدّث عنه بفعل،فقدمت ذكره ، ثم بنيت الفعل عليه ، فقلت : " زيد قد فعل "، و" أنا فعلت " ، و" أنت فعلت " ، : اقتضى ذلك أن يكون القصد إلى الفاعل إلّا أن المعنى في هذا القصد ينقسم قسمين : أحدهما جَليٌّ لا يشكل،وهو أن يكون الفعل فعلاً قد أردت أن تنصّ فيه على واحد ، فتجعله له ، وتزعم أنه فاعله دون واحد آخر ، أو دون كل أحد ، ومثال ذلك أن تقول : " أنا كتبت في معنى فلان ، وأنا شفعت في بابه "، تريد أن تدّعي الانفراد بذلك ، والاستبداد به ، وتُزيل الاشتباه فيه ، وتَرُدّ على من زعم أن ذلك كان من غيرك ، أو أن غيرك قد كتب فيه كما كتبت ، ومن البين في ذلك قولهم في المثل : " أتُعَلِّمُني بِضَبٍّ أنَا حَرَّشْتُهُ(١) " والقسم الثاني : أن لا يكون القصد إلى الفاعل على هذا المعنى ، ولكن على أنك أردت أن تحقّق على السامع أنه قد فَعل ، وتمنعَهُ من الشك ، فأنت لذلك تبدأ بذكره ، وتُوقعه أولاً ومن قبل أن تذكُرَ الفعل في نفسه ، لكي تباعده بذلك من الشُّبهة ، وتمنعه من الإنكار ، أو من أن يُظَنَّ بك الغلط أو التزيّد ، ومثاله قولك : " هو يعطي الجزيل " ، و" هو يحبُّ الثناءَ " ، لا تريد أن تزعَمَ أنه ليس هنا من يعطي الجزيل ويحبُّ الثناء غيرُهُ ، ولا أن تُعَرِّض بإنسان ، وتحطه عنه ، وتجعله لا يعطي كما يعطي ،

---

(١) المثل مشهور وهو في مجمع الأمثال للميداني : (١ / ١٢٥) ، وروي من غير تقديم الهمزة " تُعَلِّمُني بِضَبٍّ أنَا حَرَّشْتُهُ " ويُضرب لمن يخبرك بشيء أنت به منه أعلم ، وانظر كذلك كتاب الأمثال لابن سلام : ٢٠٢ ، الرواية هنا بتقديم الهمزة ، جمهرة الأمثال : (١ / ٧٦) ، والحرش والتحريش : اغراؤك الإنسان ، والأسد ليقع بقرنه ، وحَرْشُ الضب : صيده وهو أن يُحَكَّ الجُحْر الذي هو فيه يُتَحرَّشُ به ، فإذا أحسه الضب حَسِبَه ثُعباناً فأخرج إليه ذَنَبه فيُصاد حينئذٍ ./ اللسان : ٦ / ٢٨٠ .

ولا يرغَب كما يرغَب ، ولكنك تريد أن تحقّق على السامع أنّ إعطاء الجزيل وحُبّ الثناء دأبه ، وأن تُمكّنَ ذلك في نفسه "(١).

فالشاهد عند الشيخ إذاً يُفيد التقوي ، لأن بين الشاعر وبين الممدوح مودة عميقة ، وعاطفة متأصلة ، فهم قد خلطوه بنفوسهم أي أنهم أقاموه بينهم ، وأسقطوا الحشمة - كما يقول المرزوقي - بينه وبينهم ، وجعلوه يشاركهم في خيرهم وصاحبوه مصاحبة كريمة لمّا قُدّر له ماكان يكابده ، ولمّا كان الموقف موقف مدح ، ولمّا كان إحساس الشاعر بحب هؤلاء القوم عظيمًا لجأ إلى تأكيد المعنى وتقويته ، وتقريره في النفوس بتقديم المسند إليه على المسند " هُمُ خَلَطُوني " " هُمُ يُفْرِشُونَ ". قال الشيخ :

" لم يرد أن يدّعي لهم هذه الصفة دعوى من يُفردُهم بها ، ويَنُصّ عليهم فيها ، حتى كأنه يُعَرِّض بقوم آخرين ، فينفي أن يكونوا أصحابها . هذا محالٌ! وإنّما أراد أن يصفهم بأنهم فرسان يمتهدون صهوات الخيل ، وأنهم يقتَعِدُون الجياد منها ، وأنّ ذلك دأبهم من غير أن يُعرِّض لنفيه عن غيرهم ، إلا أنه بدأ بذكرهم لينبه السامع لهم ، ويُعْلِمَ بَديًا قصده إليهم بما في نفسه من الصفة ، ليمنعه بذلك من الشك ، ومن توهم أن يكون قد وصفهم بصفة ليست هي لهم ، أو أن يكون قد أراد غيرهم فغلط إليه "(٢).

---

(١) الدلائل ، رضا : ٩٩ ، خفاجي : ١٦٤-١٦٥ ، شاكر : ١٢٨-١٢٩ .

(٢) الدلائل ، رضا : ١٠٠ ، خفاجي : ١٦٥ ، شاكر : ١٢٩ .

الشاهد الثامن والستون :- (*) (الطويل)

هُمُ يَضْرِبُونَ الكَبْشَ يَبْرُقُ بَيْضُهُ .·. عَلَى وَجْهِهِ مِنَ الدِّمَاءِ سَبَائِبُ (١) (٢) (٣) (٤) (٥) (٦) (٧)

أورده الشيخ من غير نسبة، وهو للأخنس بن شهاب التغلبي (٨).

(*) الدلائل ، رضا : ١٠٠ ، خفاجي : ١٦٦ ، شاكر : ١٣٠.

(١) رواية الحماسة - تحقيق عسيلان -، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ، والإيضاح : " فَهُمُ ".

(٢) الكبش : " الكبش " واحدُ " الكِبَاش " و " الأَكْبُش " ، و (كَبْشُ) القوم سيدهم ./ مختار الصحاح : " كبش " : ٥٦٢.

(٣) رواية نظام الغريب : " تَبْرُقُ ".

(٤) بَيضُهُ : واحدته " بيضة " وهي الخوذة الواقية للرأس في الحرب ، والمقصود هنا ببيضه أدوات القتال على التغليب ،/ أو هي خوذ جيشه على المجاز المرسل ، ويبرق بيضه موضع الحال من الكبش ، والعامل فيه يضربون ، وعلى وجهه من الدماء سبائب في موضع الحال أيضا من قوله يبرق ./ شرح التبريزي : ٢ / ١٢٥.

(٥) رواية الحماسة - تحقيق عسيلان -: " على خده ".
ورواية شرح أبيات الإيضاح : " على مُبْصِرٍ ".

(٦) سبائب : الطرائق ، الواحدة سبيبه ، والمراد هنا طرائق الدم ./ اللسان : " سبب " : ١ / ٤٥٨-٤٥٩.

(٧) انظر البيت في :
المفضليات : ٢٠٣ ، رقم (٤١) الحماسة - ت - عسيلان : ١ / ٣٧٦ ، شرح الحماسة للمرزوقي : ٢ / ٢٢٧ ، شرح الحماسة للتبريزي : ٢ / ١٢٥ ، الإيضاح : ١ / ١٤١ ، ذكر الشطر الأول فقط ، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - ٢٢ أ.

(٨) نُسب البيت في نظام الغريب (٧٨) " لعيينة بن شهاب " ، والمشهور أنه للأخنس، وهو الأخنس بن شهاب بن شريق بن ثمامة بن أرقم بن عدي ابن معاوية بن عمرو بن غنم بن تغلب " ... ت نحو ٧٠ ق هـ " والخنس تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الأرنبة .
وهو أحد شعراء الفرسان ، وهو صاحب العصا ، و " العصا " ، فرسه كما جاء في ذيل الأمالي والنوادر : ١٨٥ ، والأخنس شاعر جاهلي ، وقد ظن ====

والشاهد من قصيدة مطلعها :

لِابْنَةِ حِطّانَ بينَ عَوْفٍ مَنَازِلٌ (١) ∴ كَما رَقَّشَ العُنْوانَ (٢) في الرَّقِّ (٣) كاتِبُ

وقبل الشاهد :

تَرى رَائِدَاتِ (٤) الخَيلِ حَولَ بُيُوتِنَا ∴ كَمِعْزَى الحِجَازِ أَعْجَزَتْهَا الزَّرَائِبُ

فَيَغْبَقْنَ (٥) أَحْلَاباً (٦) وَيُصْبَحْنَ (٧) مِثْلَهَا ∴ فَهُنَّ مِنَ التَّعْدَاءِ قُبٌّ (٨) شَوَازِبُ (٩)

==== صاحب القاموس المحيط مادة " خنس " - أنه صحابي خلط بينه وبين الأخنس ابن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي حليف بني زهرة ، ولقب بالأخنس لأنه رجع ببني زهرة بن بدر ، وفي صحبته خلاف ، وخلط البكري في السمط بينه وبين بكير بن الأخنس الثقفي . / انظر ترجمته وبعض أخباره في : أمالي القالي : ٢/ ٩٧-٢٤٣ ، ٣/ ١٨٥ ، المؤتلف والمختلف : ٢٧ ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٢/ ١٢٠-١٢٥ ، القاموس المحيط " خنس " : ٢/ ٢٢٠ ، الأعلام : ١ / ٢٧٧ .

(١) رقّش : نمّق وحسّن / أساس البلاغة " رقش " : ١٧٣ .

(٢) العنوان : الأثر والعلامة . / اللسان : " عنن " : ١٣/ ٢٩٤ .

(٣) الرّق : بفتح الراء وكسرها ، جلد رقيق يكتب فيه ، أو الصحيفة البيضاء . اللسان : " رقق " : ١٠/ ١٢٣ .

(٤) الرائدات : التي ترعى لا تعلف في البيوت ، فهي ترود الرعي من كثرتها ./ اللسان : " رود " : ٣ / ١٨٨ .

(٥) يغبقن : من الغبوق وهو شرب العشي / اللسان : " غبق " : ١٠/ ٢٨١ .

(٦) أحلاب : جمع حَلَب - بفتحتين - وهو اللبن المحلوب ./ اللسان : " حلب " : ١/ ٣٢٧-٣٢٩ .

(٧) يصبحن : من الصبوح ، وهو شرب الغداة / تاج العروس : " صبح " : ٢ / ١٧٥ .

(٨) قُبّ : القُبّ الضوامر الخواصر واحدها أقب وقباء / اللسان : " قب " : ١/ ٦٥٨ .

(٩) شوازب : الضوامر مفردها شازب / اللسان : " شزب " : ١/ ٤٩٤ .

فَوَارِسُهَا مِنْ تَغْلِبَ ٱبْنَةِ وَائِلٍ ∴ حُمَاةٌ كُمَاةٌ لَيسَ فِيهَا أَشَائِبُ (١)

وبعدها الشاهد وبعده (٢) :

بِجَأْوَاءَ (٣) يَنْفِي وِرْدَهَا سَرَعَانَهَا (٤) ∴ كَأَنَّ وَضِيحَ (٥) الْبِيضِ فِيهَا الكَوَاكِبُ

وَإِنْ قَصُرَتْ أَسْيَافُنَا كَانَ وَصْلَهَا ∴ خُطَانَا إِلَى القَومِ الَّذِينَ نُضَارِبُ (٦)

الشاهد فيه كسابقه حيث قدّم الضمير " هم " على الخبر الفعلي المثبت " يضربون الكبش " للتقوية والتوكيد ، وتنبيه السامع لقصدهم بالحديث من غير أن يدّعي انفرادهم بالضّرب دون غيرهم .

قال الشيخ :

" لم يرد أن يدّعي لهم الإنفراد ، ويجعل هذا الضرب لا يكون إلّا منهم ، ولكن أراد الذي ذكرت لك من تنبيه السامع لقصدهم بالحديث من قبل ذكر الحديث ليحقق الأمر ويؤكده ". (٧)

---

(١) أشائب : الأخلاط والأدناس ، والأقذار / المصباح المنير : " شوب " : ١/ ٣٥٠ .

(٢) ذُكر في الحماسة أن بعد الشاهد :

لِكُلِّ أُنَاسٍ مِنْ مَعَدٍّ عِمَارَةٌ ∴ عَرُوضٌ إِلَيْهَا يَلْجَئُونَ وَجَانِبُ

أَرَى كُلَّ قَومٍ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِم ∴ وَتَقْصُرُ عَمَّا يَفْعَلُونَ الذَّوَائِبُ

(٣) الجأواء : الكتيبة الكثيرة الدروع المتغيرة الألوان لطول الغزو ، مأخوذة من الجُؤْوة - بضم الجيم - وهي حمرة تضرب إلى السواد / اللسان)(جأي) : ١٤/ ١٢٧ .

(٤) سرعانها : سَرَعانُ النّاس وسَرَعانُهم : أوائلهم المستبقون إلى الأمر ، وسَرَعانُ الخيل أوائلها ./ اللسان : " سرع " : ٨/ ١٥٢ .

(٥) وضيح البيض : ما وضح منها وظهر ./ اللسان " وضح " : ٢/ ٦٣٤ .

(٦) رواية الحماسة تحقيق عسيلان .

" خُطَانَا إِلَى أَعْدَائِنَا فَنُضَارِبُ " .

(٧) الدلائل ، رضا : ١٠٠ ، خفاجي : ١٦٦ ، شاكر : ١٣٠ .

فالأخنس بن شهاب يريد أن يفتخر بشجاعة قومه النادرة ، وبسالتهم الفائقة، فأخذ يقوي معاني تلك البطولة في النفوس ،لتأنس بها ، وتعجب ، واستعمل لذلك عدة طرق،وأساليب،منها : تقديم المسند إليه على المسند " هُمْ يَضْرِبُونَ " لينبه السامع إليهم،ويشوق النفس لمعرفتهم ، ويلفت الأنظار إلى صور بطولاتهم بتأكيد حصول الضرب منهم .

ثم استعمل لفظ " كبش " والمراد به رئيس القوم . وأي كبش أراد ؟ ! أراد الكبش القوي المحتاط الذي لبس خوذته واحتاط للمقارعة كل ذلك ليبين أنهم إنما يقارعون الأبطال ورؤساء الكتائب الشجعان دون الأوساط منهم والعجزة .

ثم أنظر إلى إهماله زمن المقارعة وكيفيتها : ليوجه النفس إلى الأمر الهام الذي يريد تقويته وتقريره ، وهو قوتهم المتناهية ،فأصدر النتيجة بقوله :

" وعلى وجهه من الدماء سبائب " فَصُورَة قضائهم على العدو كانت صورة سريعة لم تستغرق منهم وقتاً ، ولم تستنفد منهم جهداً .

وأنظر إلى تركيب صورة القضاء هذه،حيث قدّم المسند " الجار والمجرور " " على وجهه " على المسند إليه " سبائب " ، وخَصَّ الوجه بالذكر دون سائر الاعضاء إمعانا في الذُّلِّ والهَوان اللذين لحقا به،لأن الوجه موضع الأنفة والكبرياء .

الشاهد التاسع والستون : (*) (الهزج)

قول عُرْوَة بن أُذَيْنَة :(١)

(*) الدلائل ، رضا : ١٠٠ ، خفاجي : ١٦٦ ، شاكر: ١٣٠ .

(١) هو عُرْوَة بن أُذَيْنَة ، واسمه يحيى بن مالك بن زحل بن يعمر الشدّاخ بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة ابن كنانة بن خزيمة ، ويُكَنّى عروة بأبي عامر، وهو شاعر غزل مُقَدّم ، من شعراء أهل المدينة ، وهو معدود من الفقهاء والمحدثين ، روى عنه مالك بن أنس،وعبيد الله بن عمر العدوي./ انظر : المؤتلف والمختلف: ٥٤ ، الأغاني : ١٨ / ٣٢٢ - ٣٣٥ .

سَلَيْمَى أَزْمَعَتْ بَيْنَا (١) .·. فَأَيْنَ تَقُولُهَا (٢) أَيْنَا (٣)

ذكر الاستاذ شاكر أنه ورد في هامش "المخطوطة" مانصه : " وبعده :

وَقَدْ قَالَتْ لِأَتْرَابٍ .·. لَهَا زُهْرٍ تَلَاقَيْنَا

تَعَالَيْنَ فَقَدْ طَابَ (م) لَنَا الْعَيْشُ تَعَالَيْنَا

وَغَابَ الْبَرَمُ (٤) اللَّيْلَةَ .·. وَالْعَيْنُ فَلَا عَيْنَا

إِلَى مِثْلِ مَهَاةِ الرَّمْلِ (٥) .·. تَكْسُو الْمَجْلِسَ الزَّيْنَا

تَمَنَّيْنَ مُنَاهُنَّ (م) فَكُنَّا مَا تَمَنَّيْنَا (٦)

الشاهد في البيت تقديم الاسم الظاهر " سُليمى " على الخبر الفعلي المثبت " أزمعت " ، وهو يفيد التقوي هنا ؛ لأن القصد توكيد وتحقيق أمر الإزماع ، وليس القصد جعل الإزماع خاصاً بها دون غيرها . قال الشيخ :

" وذلك أنه ظاهر معلوم أنه لم يرد أن يجعل هذا الإزماع لها خاصة ، ويجعلها من جماعة لم يُزْمِع البينَ منهم أحد سواها . هذا محال ، ولكنه أراد أن يحقق الأمر ويؤكده ، فأوقع ذكرها في سمع الذي كلّما بتداءً ومن أول الأمر ليَعْلَم قبلَ هذا الحديث أنه أرادَها بالحديث ، فيكون ذلك أبعد له من الشك " (٧) .

---

(١) رواية الأغاني : " أجمعت " .

(٢) رواية العقد الفريد : " بوصلها " .

(٣) انظر البيت في :-
ديوانه : ٣٩٨ ، العقد الفريد - دار الفكر - الأغاني : ٣٢٧/١٨ .

(٤) البَرَم : بفتح الراء جمع أَبْرَام ، ومعناه : " اللئام " ./ اللسان " برم " : ٤٣/١٢ .

(٥) ذكر في الأغاني بيتاً قبله ، وهو :
" فَأَقْبَلْنَ إِلَيْهَا مُسْرِعَاتٍ يَتَهَادَيْنَا "

(٦) انظر الأبيات في :
ديوانه : ٣٩٨-٤٠٠ ، الأغاني : ٣٢٧/١٨ ، الدلائل - شاكر - : ١٣٠ .

(٧) الدلائل ، رضا : ١٠١ ، خفاجي : ١٦٦ ، شاكر : ١٣١ .

بعد أن أزمعت " سُلَيمى " البين والفراق تصارعت في صدر الشاعر الآلام ، فحبس شكواه داخل روحه حتى ضاقت بها النفس ، فعزم أن يعلنها للوجود لعله يجد في إعلانها بعض السلوى ، فكانت أول صرخة يطلقها : " سُليمى " لينبه الأسماع إلى أنها هي سبب آلامه وشكواه ، فتتشوق للإصغاء إليه ومعرفة كنه تلك الشكوى ، وجاء بالخبر الفعلي المثبت " أزْمَعَت " ليؤكد ويقرر تحقق وقوع ذلك الازماع ، ولجأ الشاعر إلى أسلوب التقوية هذا لأن إضرار المحب بمحبوبه شيء يستبعده الناس وهو أمر غريب يخالف الواقع ، فلكي يمنع السامعين من الشك في شكواه نبه الأسماع إليها أولاً ، ثم أكد هذه الشكوى .

وانظر إلى تصغير الاسم " سُلَيمى " ومافيه من لفتات نفسية وعاطفية جميلة ، ففيه استعطاف ، وحنين ، وترجٍّ ، ولوم .

وتأمل في الشطر الثاني " فَأين تقولها أَينَا " هذا الاستفهام ، وهذا التكرار " أين - أينا " ، وهذا الظن ، ومايبنطوي تحتها من معانٍ حبيسة ، ولوعة مكتومة في نفس الشاعر .

وما أجمل أَلِف الإطلاق التي جعلها قافية لأبياته ، وكأنه وَجَد فيها مَراحاً إلى إطلاق زفرات الألم ، والأسى ، واللوعة الحبيسة .

الشاهد السبعون : (*) (الطويل)

هُمَا يَلْبَسَانِ المَجْدَ أَحْسَنَ لِبْسَةٍ .·. شَحِيحَانِ مَا اسْتَطَاعَا عَلَيهِ كِلَاهُمَا (١)

(*) الدلائل ، رضا : ١٠١ ، خفاجي : ١٦٦ ، شاكر : ١٣١ .

(١) انظر البيت في :

الحماسة - ت عسيلان - : ١/ ٥٣٧ رقم ٣٨٧ ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ٣ / ١٠٨٢ رقم ٣٨٦ ، فرحة الأديب : ٥١ ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٣ / ٦١ ، نهاية الإيجاز : ١٢٢ ، الإيضاح : ١ / ١٤١ ، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - : ٢١ ب ، شاعرات العرب - ت . عبدالبديع صقر - : ٢٧٧ .

أورده الشيخ من غير عزو، وهو لعمرة الجُشَمِيَّة، وقيل الخَثْعَمِيَّة[1]، ترثي ابنيها، وقيل أخويها.

وأول القصيدة:

أَبَى النَّاسُ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا[2] هَمَاهُمَا .:. وَلَوْ أَنَّنَا اسْطَعْنَا لَكَانَا[3] سِوَاهُمَا

بَنَيَّا عَجُوزٍ حَرَّمَ الدَّهْرُ أَهْلَهَا .:. فَلَيْسَ لَهَا إِلَّا الإِلَهَ سِوَاهُمَا (٤)

---

(١) ذكر الاستاذ عسيلان محقق كتاب الحماسة أنه ذُكر في بعض مخطوطات الحماسة أن البيت لعمرة الجُشَمِيَّة، وذُكر في هامش الأصل أنها لعمرة الخثعمية. وكذلك ذكر المرزوقي والتبريزي لقب الخثعمية.
وذكر التبريزي أن أبا ريَّاش رجَّح أن يكون هذا البيت - مع بقية الأبيات التي سوف أُوردها - لدرماء بنت سيَّار بن عبعبة الجحدرية ترثي أخويها.
ولقد نقل الأُستاذ شاكر في تحقيقه الدلائل رأي أبي رياش خطأ، فذكر أنه رجَّح أن تكون لدرماء بنت سيَّار بن عبعبة الخثعمية، ولعله سهو منه أو خطأ من الطابع؛ لأن الذي ذكره أبو ريَّاش لقب "الجحدرية" كما ذكرت آنفا.
ونُسبت الأبيات في فرحة الأديب لدُرنَى بنت سيَّار بن صبرة بن حطَّان ابن سيَّار بن عمرو بن ربيعة.

(٢) رواية شاعرات العرب: "يقولا" ولعله سهو من الجامع، أو خطأ من الطابع لأن "الناس" جمع فيناسبه واو الجماعة لا ألف الاثنين، فالضمير في القول يرجع إلى "الناس" وليس إلى المَرْثِيَّين.

(٣) رواية فرحة الأديب: "لكانوا".
ورواية شاعرات العرب: "لكان".

(٤) البيتان ذكرهما التبريزي: (٣/٦٣)، وذُكرا كذلك في "شاعرات العرب": ٢٧٧، وورد البيت الأول في فرحة الأديب: ٥٠، ولم يردا في الحماسة تحقيق عسيلان، ولا في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي.

لَقَدْ زَعمُوا أَنِّي جَزِعْتُ عَلَيهِمَا ∴ وَهَلْ جَزَعٌ أَنْ قُلْتُ وَا بِأَبَا هُمَا (١)

هُمَا أَخَوَا فِي الحَرْبِ مَنْ لَا أَخَا لَهُ ∴ إِذَا خَافَ يَوماً نَبْوَة فَدَعَاهُمَا

وبعد ها الشاهد وبعده :

شِهَابَانِ مِنَّا أُوقِدَا ثُمَّ أُخْمِدَا ∴ وَكَانَ سَنًا لِلْمُدْلِجِينَ سَنَا هُمَا

إِذَا نَزَلَا (٢) الأَرْضَ المَخُوفَ بِهَا الرَّدَى ∴ يُخَفِّضُ مِنْ جَأْشَيْهِمَا مُنْصُلَاهُمَا

إِذَا آسْتَغْنَيَا (٣) حُبَّ الجَمِيعُ إِلَيهِمَا ∴ وَلَمْ يَنْأَ عَنْ نَفْعِ الصَّدِيقِ غِنَاهُمَا (٤)

---

(١) رواية النوادر :

وَقَدْ زَعَمُوا أَنِّي جَزِعْتُ عَلَيهِمَا ∴ وَهَلْ جَزَعٌ إِنْ قُلْتُ يَا بِأَبَا هُمَا

(٢) رواية الخصائص ،وفرحة الأديب : " إِذَا هَبَطَا " .

(٣) رواية فرحة الأديب : " وَجَادَ عَلَى الأَدْنَيْنِ فَضْلُ غِنَاهُمَا " .

(٤) ذكر الغندجاني في فرحة الأديب تسعة أبيات مع اختلاف ترتيبها عن المذكور آنفا . وزاد على الأبيات المذكورة ثلاثة أبيات إلا أنه لم يذكر البيت الثاني .

والأبيات السبعة مع بيت الشاهد مذكورة في :-

شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٣ / ٦١ - ٦٢ ،شاعرات العرب : ٢٧٧ - ٢٧٨ ، والأبيات جميعها ماعدا (١ - ٢) في : الحماسة (ت -عسيلان) : ١ / ٥٣٧ - ٥٣٨ ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ٣ / ١٠٨٢ - ١٠٨٧ ،

والبيت (٢ - ٤) في شرح أبيات سيبويه للسيرافي منسوبا لدُرنَىٰ بنت سيار بن صبرة بن حِطّان بن سيَّار بن عمرو بن ربيعة ، والبيت (٣) في الحماسة البصرية لعمرة الخثعمية ترثي ولديها : ١ / ٢٢٦ .

والبيت (٣ - ٤) في النوادر لأبي زيد : ١١٥-١١٦ ونسبها لامرأة جاهلية من بني سعد ، والبيت (٤) في الكتاب منسوباً لدرنىٰ بنت عبعبه من بني قيس بن ثعلبة ، والبيت (٦) في الخصائص لابن جني : ١ / ٢٩٦ ، ونُسب لدُرنا بنت عبعبة ، والبيت (٧) مع بيت آخر في المختار من شعر بشار عزاه إلى أعرابية ترثي ابنيها .

الشاهد في البيت تقديم المسند إليه الضمير " هما " على الخبر الفعلي المثبت " يلبسان " ، وهو هنا يفيد التقوية ؛ لأن الشاعرة لم ترد قصر صفة لبس المجد عليهما دون غيرهما بل القصد تنبيه الأسماع إليهما .

قال الشيخ عبد القاهر :

" لا شبهة في أنه لم يرد أن يقصر هذه الصفة عليهما ولكن نبه لهما قبل الحديث عنهما "(١).

أُصيبت الشاعرة بفقد عزيزين عليها ، يملكان فؤادها ، فلم يبق لها بعد رحيلهما إلاّ أن تتغنى بذكراهما ، وأن تقرر في الأذهان أجمل صورة لهما ، وتؤكد في النفوس أبلغ صفاتهما ، وفي هذا التقرير والتوكيد ما يبعث الراحة والسلوى في نفسها ، فقدمت المسند إليه على المسند لتنبه الأسماع إلى ما سنذكره عنهما من جميل الخصال ، وطيب الصفات ، فتتأكد بذلك وتقوى في النفس ، فهي لم تقتصر على وصفهما بالمجد بل بالغت في ذلك بأن جعلته لباسهما الذي يتزينان به ، فكما أن الإنسان لا يستغني عن اللباس ، فكذلك هما لا يستغنيان عن المجد ، ولا يستغني هو عنهما ، فهو ملازم لهما مستمر معهما في كل زمان ومكان .

ومن المعلوم أن الشح والبخل صفة مذمومة إلاّ أنّ الشاعرة قلبت تلك الصورة ، فشوقت النفس إلى معرفة ذلك الشح المحمود ، حيث جعلت الشح بالمجد من أنبل الصفات وأسماها .

قال المرزوقي :

" وصفتهما بأنهما يكتسبان المجد ، ويستمتعان به أحسن استمتاع ، وأجمل اكتساب ، وأنهما يَضِنّانِ به حيثُ ظهر وطلع فلا يتركانه لأحد ما داما يستطيعان كسبه ، والفوز به ، وانتصب " أحسن لبسة " على أنه مصدر ، وارتفع شحيحان " على أنه خبر مقدم ، والمبتدأ " كلاهما " و " ما استطاعا " في

---

(١) الدلائل ، رضا : ١٠١ ، خفاجي : ١٦٧ ، شاكر : ١٣١ .

موضع الظّرف ، واسم الزمان محذوف معه ، واسطاع منقوص عن استطاع ، وتقدير الكلام : كلاهما شحيحان به ما اسطاعا عليه ، أي ما قدَرَا عليه ، ومعنى " يلبسان المجد " أي يتملّيانه ، ويُمتّعان به . قال :

لَبِسْتُ أَبِي حَتَّى تَمَلَّيتُ عَيشَهُ ∴ وَبَلَّيتُ أَعْمَامِي وَبَلَّيتُ خَالِيَا[1]

ورأى الشيخ عبد القاهر أن قول الشاعرة " هما يلبسان المجد " أبلغ وآكد في جعلهما يلبسانه من أن يقال : " يلبسان المجد " فالسر في إفادة تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي المثبت التوكيد أن الاسم لا يؤتى به مُعرًّى من العوامل إلّا لحديث قد نوي إسناده إليه ، فإذا ابتدئ بالمسند إليه شعر القلب بأنك أردت الحديث عنه ، فإذا جيء بالحديث دخل على القلب دخول المأنوس به ، وقبله قبول المطمئن إليه ، فالإعلام عن الشيء بغتة ليس كالإعلام به بعد التنبيه عليه ، والتوطئة له ، فالتنبيه عليه يجري مجرى تكرير الإعلام في التأكيد والإحكام ، فإضمار الشيء ثم تفسيره أفخم من أن يذكر من غير تقدم إضمار .

قال الشيخ :

" فإن قلت فمن أين وجب أن يكون تقديم ذكر المحدَّث عنه بالفعل آكد لإثبات ذلك الفعل له ، وأن يكون قوله : " هُمَا يَلْبَسَانِ المَجْدَ " أبلغ في جعلهما يلبسانه من أن يقال : " يَلْبَسَانِ المَجْدَ " ؟

فإن ذلك من أجل أن لا يؤتى بالاسم مُعَرًّى من العوامل إلّا لحديث قد نوي إسناده إليه ، وإذا كان كذلك ، فإذا قلت " عبد الله " فقد أشعرت قلبه بذلك أنك قد أردت الحديث عنه ، فإذا جئت بالحديث ، فقلت مثلاً قام أو قلت : خرج ، أو قلت : قدم ، فقد عُلِم ما جئت به ، وقد وَطّأت له ، وقدّمت الإعلام فيه ، فدخل على القلب دخول المأنوس به ، وقبله قبول المتهيئ له المطمئن إليه ، وذلك لا محالة أشد لثبوته وأنفى

---

(١) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ٣ / ١٠٨٤ ، وانظر كذلك : شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٣ / ٦١ .

للشبهة وأمنع للشك ، وأدخل في التحقيق ، وجملة الأمر أنه ليس إعلامك الشيء بغتة مثل إعلامك له بعد التنبيه عليه والتقدمة له ، لأن ذلك يجري مجرى تكرير الإعلام في التأكيد والإحكام ، ومن ههنا قالوا : إن الشيء إذا أُضْمِرَ ، ثم فُسِّر كان ذلك أفخم له من أن يُذكر من غير تقدم إضمار (١) .

ولعل الشيخ يقصد بتنبيه السامع ما يترتب على التنبيه من التشويق ، فمن الأمور الفطرية أن الشيء إذا جاء بعد التشويق إليه كان أوقع في النفس ، وآنس للقلب .

فنظرة الشيخ عبد القاهر نظرة دقيقة تدل على قدرته على التحليل النفسي ، أما المتأخرون ، فقد نظروا للمسألة نظرة نحوية بحتة ، فرأوا أن السِّر في إفادة تقديم المسند إليه التقوي هو تكرر الإسناد ، فمثلا : " زيد قام " أسند القيام إلى الضمير المستتر في قام ثم أسند جملة قام إلى زيد ، فتصبح بذلك الجملة في قوة جملتين . قال الشيخ السكاكي :

" . . . هو أن المبتدأ لكونه مبتدأ يستدعي أن يسند إليه شيء ، فإذا جاء بعده ما يصلح أن يستند إليه صرفه المبتدأ إلى نفسه ، فينعقد بينهما حكم ، سواء كان خالياً عن ضمير المبتدأ نحو : " زيد غلامك " أو كان متضمناً له نحو : " أنا عرفت " و " أنت عرفت " و " هو عرف " أو " زيد عرف " ، ثم إذا كان متضمناً لضميره صرفه ذلك الضمير إلى المبتدأ ثانياً ، فيكتسي الحكم قوة (٢) .

---

(١) الدلائل ، رضا : ١٠١ - ١٠٢ ، خفاجي : ١٦٨ ، شاكر: ١٣٢ .

(٢) المفتاح : ٩٦ ، وانظر كذلك : شروح التلخيص : ١ / ٣٩٧- ٤٠٣ .

الشاهد الحادي والسبعون :- (*) (الكامل)

وَلَأَنْتَ(١) تَفْرِي(٢) مَاخَلَقْتَ(٣) وَبَعْـ ... ـضُ القَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْـــرِي(٤) (٥)

(*) الدلائل ، رضا : ٤٠٤ ، خفاجي : ٢٦٩ ، شاكر : ١٣٤ .

(١) رواية الكتاب ومعاني القرآن للأخفش الأوسط ، والأغاني، والصناعتين، وشرح أبيات سيبويه للسيرافي ، ورواية همع الهوامع : " وَأَرَاكَ تَفْرِي " . ورواية الديوان : " فَلَأَنْتَ تَفْـرِي " .

(٢) تَفْرِي : أصل الفَرْي القَطع ، فَرَيت الشيء أفريه فرياً قطعته لأصلحـــه ، وتفري في البيت معناه تُنَفِّذ ماتعزم عليه وتقدره، ويقال للشجاع : مايفــري فَرِيَّهُ أحد ./ اللسان : " فرا " : ١٥ / ١٥٣ .

(٣) الخلق : التقدير، يقال خلقت الشيء إذا قدرته، وفي اللسان الخلـــق في كلام العرب : ابتداع الشيء على مثال لم يسبق إليه ، ومعناه أيضـــا التقدير ./ جمهرة اللغة " خلق " : ٢ / ٢٤٠ ، اللسان " خلـق " : ١٠ / ٨٧ .

(٤) رواية الكتاب، وشرح أبيات سيبويه للنحاس ، وشرح أبيات سيبويه للسيرافي بحذف الياء .

يستشهد به النحاة على جواز حذف الياء في الوقف من قوله : " يَفْــرِي " فيمن سكّن الراء ، ولم يطلق القافية ، وإثبات الياء أكثر وأقيس ، لأنــه فعل لا يدخله التنوين ، ويعاقب ياءه في الوصل، فيحذف لذلك كقــاضٍ وغازٍ، وما أشبههما .

جاء في الكتاب : " والأسماء أجدر أن تحذف ، إذا كان الحذف فيهـــا في غير الفواصل والقوافي ، وأما القوافي فنحو قوله - وهو زهـــــير :

وَأَرَاكَ تَفْرِي مَاخَلَقْتَ وَبَعْـ ... ـضُ القَومِ يَخْـلُـقُ ثُمَّ لَا يَفْـــرِي

وإثبات الياءات، والواوات أقيس الكلامين ، وهذا جائز عربي كثـــير " / الكتاب : ٤ / ١٨٥ .

وقال في موضع آخر : واعلم أن الياءات، والواوات اللواتي هن لامات إذا كان ماقبلها حرف الرَّوِيّ فُعل بها مافُعل بالياء والواو اللتـــين أُلحقتا للمدّ في القوافي ؛ لأنها تكون في المدّ بمنزلة المُلحَقَة ، ويكون ماقبلها رَوِيّاً كما كان ماقبل تلك رَوِيّاً ، فلما ساوتها في هذه المنزلـــة أُلحقت بها في هذه المنزلة الأخرى ، وذلك قولهم - لزُهــير :

=====

======-

أورد الشيخ الشاهد من غير نسبة، وهو من قصيدة لزهير بن أبي سُلمى[1]

=== * وَبَعْضُ القَومِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْـرِ *

وكذلك "يغزو" لو كانت في قافية كنت حانِفَها إن شئت "/ الكتاب: ٤ / ٢٠٩

واستشهد به الأخفش الأوسط والجاحظ - في الحيوان - عند تفسير قوله تعالى: " أَحْسَنُ الخَالِقِين " - المؤمنون: ١٤ - في بيان معنى الخلق.

وكذلك استشهد به ابن قتيبة في " المعاني الكبير " وفي " تأويل مشكل القرآن " عند تفسير معنى " الخلق " أيضا.

(٥) انظر البيت في:

ديوانه - صنعة أبي العباس ثعلب -: ٨٢، ديوانه: صنعة الأعلم الشنتمري -: ١١٩، ديوانه - دار كرم -: ٨٨، الكتاب: ٤ / ١٨٥-٢٠٩، تفسير الطبري: ١٨ / ٩، معاني القرآن للأخفش: ٤١٧، من غير نسبة، شرح أبيات سيبويه للنحاس: ٢٥٤، من غير نسبة، الحيوان: ٣ / ٣٨٣، المعاني الكبير: ١ / ٥٣٩، تأويل مشكل القرآن: ٥٠٧، جمهرة اللغة: " خلق ": ٢ / ٢٤٠، العقد الفريد: ٦ / ٣٠٩، الأغاني: ١٠ / ٣٠٤، الصناعتين: ٤٣١-٥٠٧، البحر المحيط: ١ / ٩٣، ٢ / ٤٦٥، شرح أبيات سيبويه للسيرافي: ٢ / ٣٤٤، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ٤ / ١٨٧٩، اللسان: " خلق ": ١٠ / ٨٧، " فرا ": ١٥ / ١٥٣، همع الهوامع: ٢ / ٢٠٦، من غير نسبة، وذكر الطبري أن البيت يروى

وَلَأَنْتَ تَخْلِقُ مَافَرَيْتَ وَبَعْـ .·. ـضُ القَومِ يَخْلِقُ ثُمَّ لَا يَفْـرِي

(١) هو زهير بن أبي سُلمى بن ربيعة بن رياح المزني (.. - ١٣ ق هـ) من مضر، ولد في بلاد مزينة بنواحي المدينة، وكان يقيم في الحاجر من ديار نجد، ذكر البغدادي أن هناك من يظن أن زهيراً من بلاد غطفان قال: كانت محلتهم - أي بني "مزينة" في بلاد غطفان، فيظن الناس أنه من غطفان أعني زهيراً وهو غلط. وكأن هذا رد على ما قاله ابن قتيبة في كتابه الشعر والشعراء حيث قال: " هو زُهَير بن رَبِيعَة بن قُرْط والناس ينسبونه إلى مزينة وإنما نسبه إلى غَطَفَان " وزهير حكيم الشعراء في ======

يمدح هرم بن سنان (١) ، ومطلعها :

لِمَنِ الدِّيَارُ بِقُنَّةِ (٢) الحِجْرِ (٣) .·. أَقْوَيْنَ (٤) مِنْ حِجَجٍ (٥) وَمِنْ دَهْرِ (٦) (٧)

==== الجاهلية ، وفي أئمة الأدب من يفضله على شعراء العرب كافة ، وكانت عائلته كلها شعراء فخاله شاعر ، وأخته سلمى شاعره ، وابناه كعب وبجير شاعران ، واخته الخنساء شاعرة . / انظر ترجمته في :
طبقات فحول الشعراء : ١ / ٦٣ ، الشعر والشعراء : ١ / ١٤٣ ، ١٥٩ ، شرح شعر زهير - صنعة ثعلب - : ١٣ / ١٥ ، الاشتقاق : ٣٦ - ١٨٢ ، الأغاني - دار الاحياء - : ١٠ / ٢٨٨ - ٣١٦ ، الاستيعاب - ضمن الإصابة - ٣ / ٢٨٠ - ٢٨٥ ، أسد الغابة : ١ / ١٩٧ ، الإصابة : ٣ / ٢٧٩ رقم (٧٤١٣) ، خزانة البغدادي :- دار صادر -: ١ / ٣٧٥ ، الأعلام : ٣ / ٥٢ .

(١) هو هرم بن سنان بن أبي حارثة المري من مرة بن عون بن سعد بن ذبيان (٠٠ - ١٥ ق هـ) من أجواد العرب في الجاهلية يُضرب به المثل ، وقد أكثر زهير من مدحه ، ومدح ابن عمه الحارث بن عوف بن أبي حارثة لإصلاحهما بين عبس وذبيان ، ومات هرم قبل الاسلام في أرض لبني أسد يقال لها " رُزاء " . / انظر ترجمته في :
شرح ديوان زهير صنعة ثعلب : ١٥ ، الأغاني : ١٠ / ٢٩٣ - ٢٩٤ ، الأعلام : ٨ / ٨٢ .

(٢) القُنَّة : أعلى الجبل وأراد به هنا : ما أشرف من الأرض .

(٣) الحجر : اسم موضع وهو بالكسر حجر ثمود ، وهو موضع عند وادي القرى ، وبالفتح هو حجر اليمامة . / شعر زهير صنعة أبي العباس ثعلب : ٧٦ ، شعر زهير صنعة الأعلم : ١١٤ .

(٤) أقوين : خلون وأقفرن / شرح ثعلب : ٧٦ ، شرح الأعلم : ١١٤ .

(٥) رواية الأغاني : " مذ حجج ومذ دهر "

(٦) رواية الأعلم : " ومن شَهْرِ " .

(٧) ديوانه - صنعة الأعلم - : ١١٤ .

وقبل الشاهد :

مُتَصَرِّفٍ لِلْمَجْدِ(١) مُعْتَرِفٍ ∴ لِلنَّائِبَاتِ(٢) يُرَاحُ(٣) لِلذِّكْرِ(٤)

جَلْدٍ يَحُثُّ عَلَى الجَمِيعِ إِذَا ∴ كَرِهَ الظَّنُونَ(٥) جَوَامِعَ الأَمْرِ

وبعدهما الشاهد وبعده :

وَلَأَنْتَ أَشْجَعُ حِينَ تَتَّجِهُ(٦) الـ ∴ أَبْطَالُ مِنْ لَيْثٍ أَبِي أَجْرِ(٧)

وَرْدٍ(٨) عُرَاضِ السَّاعِدَيْنِ حَدِيـ ∴ ـدِ النَّابِ بَيْنَ ضَرَاغِمٍ غُثْرِ(٩)

يَصْطَادُ أُحْدَانَ(١٠) الرِّجَالِ فَمَا ∴ تَنْفَكُّ أَجْرِيهِ عَلَى ذُخْرِ(١١)

استشهد الشيخ بالبيت على أنه تكثر إفادة تقديم المسند إليه على الفعل، التوكيد والتقوية في مواضع المدح والافتخار ؛لأن من شأن المادح،أو المفتخر أن يمنع السامعين من الشك فيما يمدح به، ويباعدهم من الشبهة . قال الشيخ :

---

(١) رواية ثعلب : " للحمد " .

(٢) رواية ثعلب : " لِلرُّزْء " .

(٣) رواية ثعلب : " نَهَّاض " .

(٤) رواية ثعلب : " إلى الذكر " .

(٥) الظنون : الذي ليس يوثق بما عنده ، والظَّنُون :البئر القليلة الماء التي لا يوثق بها . / ثعلب : ٨١ ، الأعلم : ١١٩.

(٦) تتجه : يواجه بعضها بعضاً./ ثعلب : ٨٢ ، الأعلم : ١٢٠ .

(٧) أَجرٍ : جمع جرو ، والجرو للسباع،وغيرها من الكلاب،وأمثالها ، وجمعه أجرٍ وجراء./ شرح شعر زهير صنعة ثعلب : ٨٢.

(٨) وَرْد : أي تعلو لونه حمرة / شعر زهير الأعلم : ١٢٠.

(٩) غُثْرٌ : الغُثر الغُبْرُ / ثعلب : ٨٢ ،الأعلم : ١٢٠.

(١٠) أحدان : جمع واحد والهمزة بدل من واو أي يصطاد الرجال واحداً بعد واحد / الأعلم : ١٢١.

(١١) ذُخر : مايدّخر لما بعد اليوم / الأعلم : ١٢١.

"... وكذلك يكثر في المدح كقولك : " أنت تعطي الجزيـــــل "

" أنت تفْرِي في المَحْلِ " " أنت تجود حين لا يجود أحــــــد " ،

وكما قــال :

" وَلأَنْتَ تَفْرِي مَا خَلَقْتَ وَبَعْـ .·. ـضُ القَوْمِ يَخْلُق ثُمَّ لا يَفْـــــرِي

وكقول الآخر :

" نَحْنُ في المَشْـتَاةِ نَدْعُو الجَفَلَى "

وذلك أن من شـأن المادح أن يمنع السامعين من الشك فيما يمدح به ،

ويباعدهم من الشبهة ، وكذلك المفتخر".(١)

• لهرم ابن سنان في التاريخ مواقف أخلاقية جليلة يُضرب بها المثل ، فـــأراد الشاعر أن يؤكد هذه الأخلاق ، فمدحه بمضاء العزم ، فهو إذا قدَّر أمراً ، أو هَـــمَّ به مضى ، ولم يتوقف لشجاعته ، وجرأته ، وجودة رأيه ، ولم يثنه عن عزمه جبن ولا هيبة ، فقدم الشاعر المسند إليه على المسند الفعلي ؛ ليؤكد هذه الصفات ويقررها في نفوس السامعين ، ويمنعهم من الشك فيما يُمدح به ، ويباعدهم من الشبهة ، وزاد الأمر تأكيداً بإدخال لام التوكيد على المسند إليه . قال الأعلم :

" المعنى : إنك إذا تهيأت لأمر مضيت له ، وأنفذته ، ولم تعجز عنه ، وبعضُ القوم يُقَدِّر الأمر ، ويتهيأ له ، ثم لا يُقدم عليه ، ولا يُمضيه عجزاً وضعف همَّه".(٢)

ثم انظر إلى موقع " ثُمَّ " ، وكيف ساعدت على إظهار تقاعسهم عن إمضاء الأمـــر

الشاهد الثاني والسبعون :- (*) (الرمل)

* نَحْنُ فِي المَشْـــتَاةِ(٣) نَدْعُو الجَفَلَـى(٤) *

---

(١) الدلائل ، رضا : ١٠٣-١٠٤ ، خفاجي : ١٦٩ ، شاكر : ١٣٤ .
(٢) شعر زهير - صنعة الأعلم - : ١٢٠ .
(*) الدلائل ، رضا : ١٠٤ ، خفاجي : ١٦٩ ، شاكر : ١٣٥ .
(٣) المشتاة : أيام الشتاء ، وأراد وقت القحط ./ اللسان " شتا " : ٤٢٢/١٤ .
(٤) الجَفَلَى : قال الأخفش : دُعي فلان في النَّقَرَى لا في الجَفَلَى ، والأجفلى : ======

ذكر الشيخ صدر البيت فقط، ومن غير نسبة، وهو لطرفة بن العبد[1]، وعجزه :

لا تَرَى الآدِبَ[2] فِينَا يَنْتَقِرْ[3][4]

=== أي دُعي في الخاصة لا في العامة ./ اللسان " جفل " : ١١ / ١١٤، وهم يُدعون الجَفَلَى، وهي الدعوة العامة ./ أساس البلاغة " جفل " : ٦١ .

(١) هو طرفة بن العبد بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة الشاعر المشهور (نحو ٨٦ - ٦٠ ق هـ) وكنيته أبو إسحاق، ويقال : أبو سعد، وقيل : أبو عمرو، وقيل عمرو اسمه .، وأمه وردة بنت قتادة ابن مشنوء، وهو شاعر جاهلي جعله ابن سلّام في الطبقة الرابعة من فحول الشعراء ، ولد في بادية البحرين ، وتنقل في بقاع نجد ، وكان من ندماء الملك عمرو بن هند الذي أرسله فيما بعد إلى عامله - على البحرين وعمان - المكعبر برسالة يأمره فيها بقتله لأبيات بلغ الملك أن طرفة هجاه بها ، فقتله المكعبر، وهو ابن عشرين، وقيل : ابن ست وعشرين./ انظر ترجمته في :-
طبقات ابن سلّام : ١ / ١٣٨-٢٠٢، الشعر والشعراء : ١ / ١٩١، مختارات ابن الشجري : ١٧٢ - ٢٠٧، وانظر كذلك : شعراء النصرانية : ١ / ٢٩٨- ٣٢٠، شعر الشعراء الستة الجاهليين : ٢ / ٤ - ١٠٥، معجم شعراء اللسان : ٢٤٢، معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين : ٢٦٩-٢٧٠، الأعلام : ٣ / ٢٢٥ .

(٢) الآدب : الداعي إلى المأدبة .

(٣) ينتقر : من نقر، وانتقر الشيء وتَنَقَّرَه ، ونَقَّرَ عنه كل ذلك : بحث عنه ، ودعاهم النَّقَرَى إذا دعا بعضاً دون بعض ، والنَّقرى خلاف الجَفَلى ./ اللسان : ٥ / ٢٣٠ .

(٤) انظر البيت في :
شرح ديوان طرفة بن العبد - دار مكتبة الحياة - : ٤٥ ، النوادر في اللغة : ٨٤، أمالي المرتضى : ١ / ٣٤٥، مختارات ابن الشجري : ١٨٩ ، اللسان : " نقر " : ٥ / ٢٣٠، " جفل " : ١١ / ١١٤، الإيضاح : ١ / ١٤١، شرح أبيات الإيضاح :- فيض الله - : ٢٢أ، شعراء النصرانية : ١ / ٣٠١ .

وهو من قصيدة يفتخر بها، ويصف نفسه، وقومه بشدة الكرم، ومطلعها :

أَصَحَوْتَ اليَوْمَ أَمْ شَاقَتْكَ (١) هِرّ (٢) .·. وَمِنَ الحُبِّ جُنُونٌ مُسْتَعِرْ

وبعده الشاهد وبعده :

حِينَ قَالَ النَّاسُ فِي مَجْلِسِهِمْ .·. أَقُتَارٌ (٣) ذَاكَ أَمْ رِيحُ قُطُرْ (٤)

بِجِفَانٍ (٥) تَعْتَرِي نَادِينَا .·. مِنْ سَدِيفٍ (٦) حِينَ هَاجَ الصِّنَّبِرْ (٧)

كَالجَوَابِي (٨) لاتَنِي مُتْرَعَةً (٩) .·. لِقِرَى (١٠) الأَضْيَافِ أَوْ لِلْمُحْتَضِرْ (١١)

---

(١) شاقتك : الشوق والاشتياق نزاع النفس إلى الشيء يقال شاقه الشيء فهو شائق، ومشوق ، وشوّقه فتشوّق أي هيج شوقه./ مختار الصحاح : " شوق " : ٣٥١.

(٢) هِرّ : بلد وموضع في جُفاف، وهي أرض لأسد وحنظلة واسعة يألفها الطير " هبر " ، و " هُرّ " بالضم والتشديد قف باليمامة./ انظر :

معجم ما استعجم : ١/٢/٣٨٧/٢، ١٣٥٠/٤/٢ ، معجم البلدان : ٥/ ٣٩٧

اللسان : " هرر " : ٥ / ٢٦٢.

(٣) قُتار : رائحة اللحم المشوي / اللسان " قتر " : ٥ / ٧١.

(٤) قُطُر : العود الذي يحرق ليتبخر به ، يعني أنهم جادون في وليمتهم./ اللسان " قطر " : ٥/ ١٠٧.

(٥) جِفان : جمع جفنة وهي القصعة أي القدر الكبيرة الضخمة./ تاج العروس: " جفن " : ٩/ ١٦٢.

(٦) السديف : شحم السنام المقطع / التاج : " سدف " : ٦/ ١٣٦.

(٧) الصِّنَّبْر : وهو البرد الشديد القارس، وهو القَرّ والزمهرير مثله./ فقه اللغة : ٣٥٢.

(٨) الجَوَابِي : الجوبة شبه رهوة تكون بين ظهراني دور القوم يسيل منها ماء المطر، وقيل هي الحفرة المستديرة الواسعة./ اللسان " جوب " ١/ ٢٨٦، وقال الثعالبي : الجابية الحوض الكبير / فقه اللغة : ٢٩٠.

(٩) المترعة : ترِع الشيء بالكسر ترعاً، وهو ترِعٌ وتَرَع : امتلأ/ اللسان " ترع " : ٨/ ٣٢.

(١٠) القِرى : خدمة الضيف واستضافته./ اللسان " قرا " : ١٥/ ١٧٩.

(١١) المحتضر : الذي يأتي الحضر./ التاج : " حضر " : ٣/ ١٤٩.

الشاهد فيه كسابقه ، وهو أن المسند إليه قُدِّم على الخبر الفعلي في موضع الافتخار ليؤكد الشاعر مايريد الافتخار به ، ويمنع السامع من الشك فيما يفتخر .

فالشاعر في البيت أراد أن يصف قومه بالكرم الشامل ، والجود العام ، فأخرج هذا الافتخار في أبدع صورة وأغربها ، وأجمل أسلوب وآنقه .

فقد اختار الزمن ، فأحسن الاختيار ، فقدم الجار والمجرور " في المشتاة" على متعلقه " ندعو " ليثبت ويظهر أنهم ليسوا كرماء في وقت الرخاء فقط ، فهذا الوقت يكثر فيه المتصارعون على الكرم ، أما وقت القحط والجدب حين تنقبض أيدي الكرماء تمتد أيديهم ، ويشتد كرمهم ، وليس هذا فحسب ، فبعد أن وفق في اختيار الزمن أخذ يضفي على موقفهم نوعاً من الغرابة ، فهم في وقت الشتاء، وهو وقت القحط تمتد أيديهم للعام والخاص ، للصغير والكبير ، للغني والفقير ، فدعوتهم عامة شاملة ، وهذا أعظم مايكون الكرم .

فاجتماع زمن القحط ، وكون الدعوة عامة أمر غريب تتعجب له النفس وتستغربه ، وتدهش له .

ولأن الأمر فيه نوع من الغرابة قد يشك السامع فيها ، قدم المسند إليه على الخبر الفعلي " نحن في المشتاة ندعو " ، لينبه الأسماع ويوقظها ، حتى إذا ماوقفت النفس على تلك الصفات تقررت فيها وقويت وتأكدت ، وزال عنها كل شك .

الشاهد الثالث والسبعون :- (*) (الرجز)

* قَدْ أَغْتَدِي وَالطَّيْرُ لَمْ تَكَلَّمِ (١)

(*) الدلائل ، رضا : ١٠٥ ، خفاجي : ١٧٠ ، شاكر : ١٣٦ .
(١) لم أقف عليه فيما اطلعت عليه من مصادر ، ولم أعثر على قائله .

ذكره الشيخ من غير نسبة ، ولم يذكر نصفه الآخر .

واستشهد به على أن الكلام البليغ هو أن تبدأ بالاسم ثم تبني الفعل عليه ، فإذا كان الفعل مضارعاً ، وقع بعد واو الحال ، لم يصلح إلاَّ مبنياً على الاسم ؛ لأن الأمر يصير بمعرض الشك . قال :

" فإذا كان الفعل فيما بعد هذه الواو التي يُراد بها الحال مضارعاً لم يصلح إلّا مبنياً على آسم ، كقولك : " رأيته وهو يكتب " ، و " دخلت عليه وهو يملي الحديث ".(١)

وعنده أن الفعل إذا كان مما لا يُشَكّ فيه ، ولا يُنكر بحال ، كان خلفاً من القول أن تأتي به مبنياً على الاسم ، فإذا أردت الإخبار عن رجل من عادته أن يخرج في كل غداة قلت : " قد خرج " ، ولم تحتج إلى أن تقول : " هو قد خرج " ، لأن خروجه ليس بشيء يشك فيه السامع فتحتاج أن تحققه ، فإن أردت أن تخبر عن حال رجل على نية الركوب والمُضِّي ، ولم يكن شك ، وتردد أنه يركب أو لا يركب كان خبرك فيه أن تقول : قد ركب " ولا تقول : " هو قد ركب " ، ولكن إن جئت بهذا الكلام ، ووضعته بعد واو الحال حسن ؛ لأن الحكم تغير ، وصار الأمر بمعرض الشك ، وذاك أنه إنما يقول هذا من أنه يصادفه في منزله ، وأن يصل إليه من قبل أن يركب ، فإن قلت ، فإنك قد تقول : " جئته وقد ركب " بهذا المعنى ومع هذا الشك ، فإن الشك لا يقوى حينئذٍ قوته في الوجه الأول.(٢)

---

(١) الدلائل ، رضا : ١٠٤ ، خفاجي ١٧٠ ، شاكر : ١٣٦ .

(٢) الدلائل ، رضا : ١٠٤ - ١٠٥ ، خفاجي : ١٧٠ ، شاكر : ١٣٥ - ١٣٦ .

الشاهد الرابع والسبعون :ـ (*)　　　(الطويل)

تَمَزَّزْتُهَا(1) وَالدِّيكُ يَدْعُو صَبَاحَهُ(2) .·. إِذَا مَابَنُو نَعْشٍ(3) دَنَوْا فَتَصَوَّبُوا(4)

أورد الشيخ الشاهد من غير نسبة،وهو للنابغة الجعدي(5) من قصيدة أولها :ـ

(*) الدلائل ، رضا : ١٠٥ ، خفاجي : (١٧ ، شاكر: ١٣٧ .

(1) رواية الديوان ،والكتاب ،والمفصل ، ومغني اللبيب،وشرح شواهد المغني : " شربت بها " .

ورواية مجاز القرآن : " شربت إذا ما الديك " .

ورواية معاني القرآن للأخفش الأوسط : " بَاكَرْتُهَا والديك . . "

ويبدو أن رواية الدلائل ومن وافقها أدق وأجمل من هذه الروايات لأن التمزز معناه شرب الشراب قليلاً قليلاً فيوجد له طعم /اللسان " مزز " : ٥ / ٤١٠ .

أضف إلى ذلك أن على كل رواية من الروايات السابقة مأخذا ، فرواية " شَرِبْتُ بِهَا وَالدِّيكُ يَدْعُو صَبَاحَهُ " عَدَّىٰ شَرِب بالباء،وهو متعد بنفسه . ورواية : " شَرِبْتُ إِذا مَاالدِّيكُ . . " حذف المفعول لغير سر بلاغي ورواية : " بَاكَرْتُهَا وَالدِّيكُ . . . " البيت فيه خرم وهو اسقاط الحرف الأول من الجزء الأول ، فيما هو مبنى على الأوتاد المجموعة ، وذلك يكون في خمسة أوزان من العروض : الطويل ، والوافر ، والهزج ، والمضارع ، والمتقارب / ، كتاب القوافي : ٦٩ .

(2) بنات نعش : من منازل القمر الثمانية والعشرين ،شُبهت بحملة العرش في تربيعها ، وهي سبعة كواكب : أربعة منها نعش لأنها مربعة ، وثلاثة بنات نعش .

وقوله : " إذا مابنو نعش دنوا فتصوبوا " موضع شاهد عند النحاة ، فقد استشهد به سيبويه على تذكير بنات نعش ، لإخباره عنها بالدنو والتصويب كما يخبر عن الآدميين حيث صارت هذه الأشياء عندهم تُؤمر وتطيع وتفهم الكلام بمنزلة الآدميين .

وذكر ابن هشام أن واو ضمير الذكور قد تستعمل لغير العقلاء إذا نُزّلوا

==========

. . . .

==== منزلتهم نحو قوله تعالى : " يَاأَيُّهَا النَّمْلُ آدْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ " وذلك لتوجيه الخطاب إليهم ، وشذ قوله :

شَرِبْتُ بِهَا وَالدِّيكُ يَدْعُو صَبَاحَهُ .:. إذا مَابَنُو نَعْشٍ دَنَوا فَتَصَوَّبُوا

والذي جَرَّأه على ذلك قوله : " بَنُو " لا " بَنَات "، والذي سَوَّغ ذلك أن مافيه من تغيير نظم الواحد شبَّهه بجمع التكسير ، فسهل مجيئه لغير العاقل ، ولهذا جاز تأنيث فعله نحو: " إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو اسْرَائِيل " مع امتناع قامت الزيدون ".

(٣) تَصَوَّبُوا : التَّصَوُّب الانحدار ٪ اللسان " صوب " : ١/ ٥٣٤ أي دنوا من الأفق للغروب.

(٤) انظر البيت في :

ديوان النابغة الجعدي : ٤ ، الكتاب : ٢ / ٤٧ ، مجاز القرآن لأبي عبيدة : ٢ / ٨٣ ، معاني القرآن للأخفش الأوسط : ٤٢٤ ، شرح أبيات سيبويه للنحاس : ١٥٠ ، المقتضب : ٢ / ٢٢٤ ، الصحاح " نعش" : ٣ / ١٠٢٢ ، الموشح : ١٠٢ ، الصاحبي : ٤١٩ ، العمدة : ٢ / ٢٨٢ - ٢٨٣ ، المقتصد في شرح الإيضاح : ١/ ٢٠٠ ، شرح المفصل : ١ / ٥ / ١٠٥ ، مغني اللبيب : ٢ / ٣٦٥ ، شرح شواهد المغني : ٢ / ٧٨٢ ، لسان العرب : " نعش" : ٦ / ٣٥٥ ، خزانة الأدب للبغدادي : ٨ / ٨٢ ، الشاهد رقم (٥٨٩).

(٥) ذُكر البيت في " الكتاب " و " مجاز القرآن " و " معاني القرآن للأخفش " و " شرح أبيات سيبويه للنحاس " و " المقتضب " و " الصحاح " و " المقتصد في شرح الإيضاح " و " شرح المفصل " و " مغني اللبيب " و " شرح شواهد المغني " و " خزانة الأدب " من غير نسبة .

ونسبه المرزباني وابن رشيق للنابغة الذبياني .

وَمَولىً جَفَتْ عَنْهُ المَوالِي كَأَنَّمَا .·. يُرَى وَهْوَ مَطْلِيٌّ بِهِ القَارُ (١) أَجْرَبُ

وبعده بيتان قبل الشاهد :

رَئِمْتُ (٢) إِذَا لَمْ تَرْأَمِ البَازِلُ (٣) ابْنَهَا .·. وَلَمْ يَكُ فِيهَا لِلْمُبِسِّينَ (٤) مَحْلَبُ

وَصَهْبَاءَ (٥) لَا تَخْفِي القَذَى (٦) وَهِيَ دُونَهُ .·. تُصَفَّقُ (٧) فِي رَاوُوقِهَا (٨) ثُمَّ تُقْطَبُ (٩)

وبعد هما الشاهد وبعده :

وَبَيضَاءَ مِثْلِ الرِّئْمِ (١٠) لَوْ شِئْتُ قَدْ صَبَتْ .·. إِلَيَّ وَفِيهَا لِلْمَحَاضِرِ مَلْعَبُ

---

(١) القار والقير بالكسر لغتان : وهو صُعد يذاب فيستخرج منه القار، وهو شيء أسود يُطلى به السفن فيمنع الماء من الدخول ، وكذا الإبل عند الجرب اللسان : " قير " : ٥ / ١٢٤ .

(٢) رَئِمتُ : عطفتُ وهو من رَئِمَت الناقة ولدها تَرْأَمُهُ رَأْماً وَرَأْماناً عطفت عليه، ولزمته / اللسان " رأم " : ١٢ / ٢٢٣ .

(٣) البازل : الناقة التي بُزل نابها أي شُق / اللسان : " بزل " : ١١ / ٥٢ .

(٤) المبسين : جمع مُبسٍّ ، وهو الذي يقول للناقة بسبس حتى تدر / اللسان ، ٦ / ٢٧ .

(٥) وصهباء : أي رب صهباء، وهي الخمر المصنوعة من العنب / فقه اللغة : ٢٧٦ .

(٦) القذى : القذىٰ في الشراب ما يقع فيه من ذباب وغيره . / التاج : " قذي " : ١٠ / ٢٨٩ .

(٧) تُصَفَّقُ : التصفيق تحويل الشراب من إناء إلى إناء ممزوجاً ليصفو . / اللسان " صفق " : ١٠ / ٢٠٢ .

(٨) الراووق : ناجود الشراب ، الذي يروق به فيصفى ، والشراب يتروق منه بغير عصر . أي المصفاة : " روق " : ١٠ / ١٣٤ .

(٩) تُقْطَب : تمزج بالماء / اللسان : " قطب " : ١ / ٦٨٠ .

(١٠) الرِّئم : بالكسر : الظبي الخالص البياض ، وجمعه أرآم وآرام . / اللسان " رأم " : ١٢ / ٢٢٤ .

موضع الشاهد قوله : " وَالدِّيكُ يَدْعُو صَبَاحَهُ "

والشاهد فيه كسابقه، وهو أن الكلام البليغ أن تبدأ بالاسم، ثم تبني الفعل عليه ، فإذا كان الفعل مضارعاً ، وقع بعد واو الحال لم يصلح إلّا مبنيّاً على الاسم ؛ لأن الأمر يصير بمعرض الشك .

فالشاعر هنا أراد أن يصف الوقت الذي ترتاح فيه نفسه للشرب ، فجاء بواو الحال ، وقدّم المسند إليه على الفعل ليبالغ في وصفه بشدة البكور ، فيمنع بذلك المستمع من الشك في الخبر ، وهذا أحسن وأدق وصفاً مما لو قال :

" تَمَزَّزْتُهَا وَيَدْعُو الدِّيكُ صَبَاحَهُ "

وفي جعل الديك ينادي على الصباح لطافة وحسن في التعبير وأناقة وابتكار من الخيال .

د - مواضع التقديم والتأخير - مثل وغير :

الشاهد الخامس والسبعون : (*) (السريع)

مِثْلُكَ يَثْنِي الْمُزْنَ (١) عَنْ صَوْبِهِ (٢) .·. وَيَسْتَرِدُّ الدَّمْعَ عَنْ غَرْبِهِ (٣) (٤)

(*) الدلائل ، رضا : ١٠٦ ، خفاجي : ١٧٢ ، شاكر : ١٣٨ .

(١) رواية الديوان والدلائل تحقيق شاكر وشرح أبيات الإيضاح ، وبغية الإيضاح : " مِثْلُكَ يَثْنِي الحُزْنَ عَنْ صَوْبِهِ " .

ورأى الاستاذ عبد المتعال الصعيدي أن رواية " المزن " لا تناسب مقام الرثاء ، وكذلك رأى الشيخ عبد الهادي العدل في كتابه (دراسات تفصيلية شاملة لبلاغة عبد القاهر) أن رواية " المزن " تحريف لم يفطن الناشر له . وأثبت الخطيب في الإيضاح والشيخ محمد رشيد رضا والاستاذ عبد المنعم خفاجي رواية " المزن " من غير تعليق أو إنكار .

(٢) الصوب : نزول المَطَر وهو أيضا القصد ، فُلان مستقيم الصَّوب إذا لم يزغ عن قصده يميناً وشمالاً في مسيره ./ اللسان " صوب " : ١/٥٣٦ .

(٣) غربه : الغروب : مجاري الدمع ، وللعين غربان ، مقدمها ومؤخرها . قال الأصمعي : يقال بعينه غرب إذا كان يسيل ، ولا تنقطع دموعها ، والغَـرْبُ =====

ذكره الشيخ من غير نسبة ، وهو لأبي الطيب المتنبي من قصيدة له قالها يعزي أبا شجاع عضد الدولة (١) - وقد ماتت عمته - ومطلع القصيدة :-

آخِرُ مَا المَلْكُ مُعَـزًّى بِـهِ .·. هَذَا الَّذِي أَثَّـرَ فِي قَلْبِـهِ

وقبل الشاهد :

حَاشَاكَ أَنْ تَضْعُفَ عَنْ حَمْلِ مَا .·. تَحَمَّلَ السَّائِرُ (٢) فِي كُتْبِـهِ

==== مسيل الدمع ، والغَرْب : انهما له من العين ، والغُرُوب : الدموع حين تخرج من العين ، والغَرُوب أيضا مجاري الدمع / اللسان " غـرب " : ١ / ٦٤٢ .

(٤) انظر البيت في :-
ديوانه بشرح العكبري : ١ / ٢١٦ ، نهاية الإيجاز : ١٢٤ ، الإيضاح : ١٤٨/١ ، شرح أبيات الإيضاح : - فيض الله - : ٢٢ب .

(١) هو السلطان عضد الدولة " أبو شجاع " فناخسرو بن ركن الدولة حسن ابن بُويه الديلمي ، تملك فارس بعد عمه عماد الدولة ، ثم اتسعت ممالكه ، وسار إليه المتنبي ، ومدحه وأخذ صِلاته .
قصد عضد الدولة العراق ، والتقى بابن عمه عز الدولة وقتله، وتملك العراق، ودانت له الأمم ، كان بطلاً شجاعاً مهيباً نحويًا أديباً عالماً جباراً عسوفاً شديد الوطأة ، وله صنّف أبو علي الفارسي كتابي " الإيضاح " و " التكملة " ومدحه فحول الشعراء، وكانت وفاته سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة ببغداد ودفن بمشهد النّجف ، وحكم بعده ابنه صمصام الدولة . / انظر ترجمته : يتيمة الدهر : ٢ / ٢١٦-٢١٨ ، الكامل لابن الأثير : ١١٣/٧-١١٥ ، العبر : ١٣٨/٢-١٣٩ ، وفيات الأعيان : ٥٠/٤-٥٥ ، النجوم الزاهرة : ١٤٢/٤-١٤٣ ، بغية الوعاة : ٢٤٧/٢-٢٤٨ ، شذرات الذهب : ٧٨/٣-٧٩ ، سير أعلام النبلاء : ٢٤٩/١٦-٢٥٢ .

(٢) السائر : الذي حمل إليه الكتاب بوفاتها يقول : إذا كان قد أطاق حمل ذكر وفاتها ، فحكم قلبك أن يكون أشد طاقة له ، وهذه مغالطة، وإنما أراد تسكينه ، فتوصل إليه بكل وجه . / شرح العكبري : ٢١٦/١ .

وَقَدْ حَمَلْتَ الثِّقْلَ مِنْ قَبْلِهِ ∴ فَأَغْنَتِ الشِّدَّةُ عَنْ سَحْبِهِ
يَدْخُلُ صَبْرُ المَرْءِ فِي مَدْحِهِ ∴ وَيَدْخُلُ الإِشْفَاقُ فِي ثَلْبِهِ (١)

وبعد ها الشاهد وبعده :

إِيْمَا لِإِبْقَاءٍ عَلَى فَضْلِهِ ∴ إِيْمَا لِتَسْلِيمٍ إِلَى رَبِّهِ (٢)
وَلَمْ أَقُلْ مِثْلُكَ أَعْنِي بِهِ ∴ سِوَاكَ يَا فَرْداً بِلَا مُشْبِهِ

استشهد الشيخ بالبيت على أنه إذا قصد بـ " مثل " ما أُضيفت إليه ، ولم يقصد بها المعنى اللغوي الظاهر ، وهو الشبيه والنظير - أي إذا استعملت كناية من غير تعريض - كان تقديمها على الخبر الفعلي كاللّازم ، " وإنما كان التقديم فيها كاللازم ، ولم يكن لازماً ، لأنه لا شيء يوجبه من جهة القياس " ، ولا من جهة الكناية ، وإنما هو مما يساعد على الغرض المقصود منها ، وهي حاصلة مع التقديم والتأخير ، فليس هذا اللزوم إلّا في استعمال البلغاء " (٣).

والسر في تقديم مثل ، وغير ، إفادة تقوي الحكم. قال البهاء السبكي :
" والسر فيه أن تقديمهما (٤) يفيد تقوي الحكم (٥) ".

---

(١) ثلبه ثلباً : إذا صرّح بالعيب فيه ، وتنقصه . قال الراجز :
" لا يحسنُ التَّعريضُ إلا ثَلْباً " .
والمثالب : العيوب ، الواحد " مثلبة " . / شرح العكبري : ١/٢١٦.

(٢) إيما : يريد إمّا أنشد ثعلب قال :
يَالَيْتَمَا أُمُّنَا شَالَتْ نَعَامَتُهَا ∴ أَيْمَا إِلَى جَنَّةٍ أَيْمَا إِلَى نَارِ
والمعنى : أنك إذا فعلت ماقلت لك : إما لتبقى ، فلا تهلك من الجزع ، وإما لتسلم الأمر إلى الله ، فإن الأمر له فيما شاء في عباده ./.
شرح العكبري : ١ / ٢١٧.

(٣) بغية الإيضاح : ١ / ١٥٦.

(٤) يقصد " مثل وغير ".

(٥) شروح التلخيص : - عروس الأفراح - : ١ / ٤٢٥.

قال الشيـــخ :

" ومما يُرى تقديم الاسم فيه كاللّازم " مثل " و " غير " في نحو قولـــــه :

مِثْلُكَ يَثْني المُزْنَ عَنْ صَـــوبِهِ .·. وَيَسْتَرِدُّ الدَّمْعَ عَنْ غَرْبِـــــهِ

وقول الناس : " مثلك رَعى الحق والحرمة " ، وكقول الذي قال له الحجاج : لأحملنك على الأدهم يريد القيد ، فقال على سبيل المغالطة : ومثـــل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب ، وما أشبه ذلك مما لا يقصد فيه بمثـــل إلى إنسان سوى الذي أُضيف إليه ، ولكنهم يعنون أنّ كل من كان مثله في الحال والصفة كان من مقتضى القياس ، وموجب العُرْف ، والعادة أن يفعل ما ذكر أو أن لا يفعل (١) ".

" ووجه الدلالة فيه : أنه إذا ثبت أن من كان مثله ، وعلى أخص أوصـافـه يفعل كذا ، أو لا يفعل لزم عقلاً أنه هو أيضا يفعله أو لا يفعله ، لأن ما ثبت لأحد المثلين أو نفي عنه يجب أن يثبت مثله للآخر ، أو ينفي عنـــــه ، فكأنك تقول : أنت تفعل كذا ، لأن مثلك يفعله ، فهو من استعمـــــال الملزوم في اللازم (٢) ".

وذكر الشيخ أن هذا الأسلوب الكنائي أفخم من الأسلوب الصريح ، فهو مركـــوز في الطباع ، وجار في عادة كل قوم ، فلو قيل : " يثني المزن عن صوبه مثلك ، و " رعـــى الحق والحرمة مثلك " رأيت كلاما مقلوباً عن جهته ، ومغيرًا عن صورته ، ورأيـــت اللفظ قد نبا عن معناه ، ورأيت الطبع يأبى أن يرضاه (٣).

فالشاعر في البيت أراد أن يصف الممدوح بقوة الصبر ، والجلد عند المصـاب ،

---

(١) الدلائل ، رضا : ١٠٦ - ١٠٧ ، خفاجي : ١٧٢ ، شاكر : ١٣٨-١٣٩ .

(٢) دراسات تفصيلية شاملة لبلاغة عبد القاهر : ٢٨٩ .

(٣) الدلائل ، رضا : ١٠٧ - ١٠٨ ، خفاجي : ١٧٣ ، شاكر : ١٤٠ .

فأخذ يقوّي هذا المعنى في نفس ممدوحه، فجاء بـ" مثل " مضافة إلى ضمير المخاطب " الممدوح " وأراد بذلك أنت"... تقدر على دفع الحزن عن قصده، وتغلبه بالصبر، وترد الدّمع إلى قراره ومجراه، بأن تصرفه عن المجرى، وكيف لا تفعل هذا وأنت لا شبه لك"(١).

وهذا الأسلوب أمضى للعزم، وأدعى للصبر، وأحث على الجلد، وأريح للنفس.

الشاهد السادس والسبعون: (*) (السريع)

وَلَمْ أَقُلْ مِثْلُكَ أَعْنِـي بِـهِ ∴ سِوَاكَ يَافَرْدًا بِلَا مُشْـبِهِ (٢)

أورد الشيخ البيت من غير عزو، وهو للمتنبي من قصيدته التي منها الشاهد السابق، والتي قالها لتعزية عضد الدولة، وقد ماتت عمته، وهو آخر بيت في القصيدة.

استشهد به الشيخ للتنظير على القول الذي ساقه في بيان أن مقصوده من " مثل " التي يكون تقديمها كاللازم هي ماكان معناها نفس المعنى الذي قصده الشاعر، وهو أنت أعني لا سواك أي أن المقصود بها ما أُضيفت إليه دون التعريض.

---

(١) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري: ٢١٦/١.

(*) الدلائل، رضا: ١٠٧، خفاجي: ١٧٣، شاكر: ١٣٩.

(٢) ذكر الشيخ عبد القاهر في المختار من دواوين المتنبي والبحتري وأبي تمام، أن البيت قبل الشاهد " وجعل القافية ساكنة ":

يَمُوتُ رَاعِي الضَّأنِ فِي جَهْـلِهِ ∴ مَوْتَةَ جَالِينُوسَ فِـي طِبِّـهْ

وهذا البيت في الديوان هو الخامس عشر من القصيدة، وبيت الشاهد هو البيت الأخير منها وهو الخامس والثلاثون.

انظر البيت في:

الديوان بشرح العكبري: ٢١٧/١، الطرائف الأدبية: ٢٠٥، وفي التمثيل والمحاضرة ذكر أربعة أبيات من القصيدة، ولم يذكر ضمنها بيت الشاهد: ٤٠٥، الإيضاح: ١٤٧/١، شرح أبيات الإيضاح - فيض الله -: ٢٢ب.

الشاهد السابع والسبعون : (*) (البسيط)

* غَيري بِأَكْثَرِ هَذا(١) النَّاسِ يَنْخَدِعُ(٢) *

ذكر الشيخ الصدر دون العجز ومن غير نسبة، وهو لأبي الطيب المتنبي ، والشاهد مطلع قصيدة قالها في مدح سيف الدولة،(٣) ويذكر فيها الواقعة التي حدثت في جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة، وهي الوقعة التي نكب فيها المسلمون.(٤)

وعجز البيت :

* إِنْ قاتَلوا جَبُنوا أَوْ حَدَّثوا شَجُعوا * (٥)

(*) الدلائل ، رضا : ١٠٧ ، خفاجي : ١٧٣ ، شاكر : ١٣٩ .

(١) الناس اسم من أسماء الجموع عبر عنه بإشارة الواحد على اللفظ لا على المعنى ، ولو أراد المعنى لقال: هؤلاء . /شرح الديوان للعكبري : ٢ / ٢٢١ .

(٢) ينخدع : يغتر ، وأصله من خدع الضَّبّ في جحره إذا دخل فيه ، ومنه قول الشاعر- الممزق العبدي -:

أَرِقْتُ فَلَمْ تَخْدَعْ بِعَيني نَعْسَةٌ .·. وَمَنْ يَلْقَ مالاقَيتُ لابُدَّ يَأْرَقُ

أي لم تدخل بعيني نعسة ، والخداع : المَنع ، والخداع : الحيلة ، وخَدَعَ الضَّبُّ يَخْدَع خَدْعاً ، وانخدَع : استروح ريح الإنسان ، فدخل في جُحره لئلا يحترش ، والخَدع إظهار خلاف ماتخفيه وخدعه يخدعه خدعاً بالكسر مثل سحره يسحره سحراً ./ اللسان : "خدع" : ٨/ ٦٣-٦٦ .

(٣) ذكر صاحب العرف الطيب أنه قالها في رثاء أبي شجاع فاتك ، وقد توفي بمصر سنة (٣٥٠هـ) / العرف الطيب : ٤ / ٣١ .

وليس البيت عنده مطلع القصيدة ، بل مطلعها :

الحُزنُ يُقلِقُ وَالتَجَمُّلُ يَردَعُ .·. وَالدَّمْعُ بَينَهُما عَصِيٌّ طَيِّعُ

وبيت الشاهد هو البيت الثاني والأربعون منها .

وقبله :

لا قَلَّبَتْ أَيدي الفَوارِسِ بَعْدَهُ .·. رُمحاً وَلا حَمَلَتْ جَواداً أَربَعُ

وبعد الشاهد :

أهل الحفيظة ....

(٤) جاء في تاريخ الطبري والكامل لابن الأثير: أن سيف الدولة بن حمدان دخل إلى بلاد الروم فغزا ، وأوغل فيها ، وفتح حصوناً كثيرة وسبيا ، وغنم ، فلمّا أراد الخروج من بلد الروم أخذوا عليه المضايق فهلك من كان معه من المسلمين أسرا وقتلا ، واسترد الروم الغنائم والسبي ، وغنموا أثقال المسلمين وأموالهم، ونجا سيف الدولة في عدد يسير. / انظر:

تاريخ الطبري : ١١/ ٣٧٢ ، الكامل لابن الأثير: ٦/ ٣٣٤ .

(٥) ديوانه بشرح العكبري : ٢ / ٢٢١ ، العرف الطيب : ٤ / ٣٩ .

وبعده :

أَهْلُ الحَفِيظَةِ إِلَّا أَنْ تُجَرِّبَهُمْ ∴ وَفِي التَّجَارِبِ بَعْدَ الغَيِّ مَا يَزَعُ
وَمَا الحَيَاةُ وَنَفْسِي بَعْدَ مَا عَلِمَتْ ∴ أَنَّ الحَيَاةَ كَمَا لَا تَشْتَهِي طَبَعُ

والبيت شاهد على أن " غير " إذا سلك بها مسلك " مثل " كانت مثلها في الحكم .

قال الشيخ :

" وكذلك حكم " غير " إذا سُلك به هذا المسلك فقيل : " غيري يفعل ذاك " ، على معنى أني لا أفعله ، لا أن يُومِئ بـ " غير " إلى إنسان فيخبر عنه بأن يفعل كما قال :

" غيري بأكثر هذا الناس ينخدع " ، وذاك أنه معلوم أنه لم يُرد أن يُعرِّض بواحد كان هناك ، فَيَسْتَنْقِصه ، وَيَصِفَهُ ، بأنه مضعوف يُغَرُّ وَيُخْدَع ، بل لم يَرِد إلَّا أن يقول : إنِّي لست ممن ينخدع ، وَيَغْتَرّ "(١).

وهذا الاستعمال الكنائي لـ " غير " أبلغ وأقوى من الأسلوب الصريح ؛ لأنه كدعوى الشيء ببينة(٢).

" ووجه الدلالة : أنك إذا حكمت على غيرك على سبيل العموم بحكم ، لزم ثبوت ضده لك ، فإذا نفيت عن غيرك أمراً لزم ثبوت ضده لك ، وإذا أثبت له أمراً لزم نفيه عنك ، فالذي يقول : " غيري ينخدع " أثبت لغيره الانخداع ، فلزم نفيه عن نفسه ، والذي يقول : " غيرك لا يجود ، نفى عن غير المخاطب الجود ، فلزم إثباته له ، وهكذا "(٣).

---

(١) الدلائل ، رضا : ١٠٧ ، خفاجي : ١٧٣ ، شاكر : ١٣٩ .
(٢) دراسات تفصيلية شاملة لبلاغة عبد القاهر : ٢٩٢ .
(٣) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

الشاهد الثامن والسبعون : (*) (الوافر)

قال أبو تمـــام :-

وَغَيْرِي يَأْكُلُ(١) المَعْرُوفَ سُـــحْتاً(٢) .·. وَتَشْحُبُ(٣) عِنْدَهُ بِيضُ الأَيَـادِي(٤)(٥)

وهو من قصيدة يمدح بها أبا عبدالله أحمد بن أبي دؤاد(٦) ، ويعتـــــذر

(*) الدلائل ، رضا : ١٠٧ ، خفاجي : ١٧٣ ، شاكر : ١٣٩ .

(١) يأكل : يجحد .

(٢) السُّحْتُ والسُّحُتُ كل حرام قبيح الذِّكر ، وقيل : هو ما خَبُثَ من المكاسب وحَرُم ، فَلَزِم عنه العار ، والسُّحْتُ : الحرامُ الذي لا يَحِلُّ كَسْبُه ؛ لأنـــه يَسْحَتُ البركة أي يُذهِبُها ./ اللسان " سحت " : ٢ / ٤١ .

(٣) رُوي الفعل في شـرح أبيات الإيضاح مبنياً للمجهول : " تُشـــحب " وَتَشْحَبُ : من شَحِبَ لونُه وجسمه يَشْحَبُ ، وَيَشْحُبُ بالضم شحوباً ، وشَحُبَ شُحُوبةً ، تَغَيَّر من هُزال ، أو عمل ، أو جوع أو سفر / اللسان : " شحب " : ١ / ٤٨٤ .

(٤) بيض الأيادي : وهو من إضافة الصفة إلى الموصوف ، وهو مجاز بليـــغ ، فالمراد بالأيادي هنا النِّعَم ، والمراد ببياضها شهرتها ، وأنها غير مشوبة بالمَنِّ / شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - : ٢٣ أ .

(٥) انظر البيت في :
ديوان أبي تمام - دار صعب - : ٧٢ - ٧٣ ، شرح ديوان أبي تمـــام محمد محيي الدين عبد الحميد - : ١ / ٢٣٠ ، الإيضاح : ١ / ١٤٩ ، شـــرح أبيات الإيضاح : - فيض الله - : ٢٣ أ .

(٦) هو القاضي أبو عبدالله أحمد بن أبي دواد فرج بن جرير القاضـــــي (١٦٠ هـ - ٢٤٠ هـ) كان فصيحاً مفوهاً وشاعراً جواداً ممدحاً رأســاً في التجهم ، وهو الذي شغب على الإمام أحمد بن حنبل وأفتى بقتلـه ، وكان من المعتزلة ، وله مكانة عند المأمون والمعتصم ، وهو أول من بـــدأ الخلفاء بالكلام ، وكانوا لا يتكلمون حتى يتكلموا ، وكان بينه وبين ابن الزيات ضغينة ومهاجاة عظيمة ، توفي بالفالج في خلافة المتوكل ./ انظر ترجمته : تاريخ الطبري : ٩ / ١٩٧ ، أخبار أبي تمام : ١٤١ - ١٥٧ ، تاريـــخ ====

إليه عما اتهمه به الوشاة من أنه[1] هجاه ، ومطلع القصيدة :

سَقَى عَهْدَ الحِمَى سَبَلُ العِهَادِ[2] .·. وَرَوَّى حَاضِرٌ مِنْهُ وَبَادِ[3]

وقبل الشاهد :

وَكَانَ الشُّكْرُ لِلْكُرَمَاءِ خَصْلاً .·. وَمَيْدَاناً كَمَيْدَانِ الجِيَادِ

عَلَيْهِ عُقِّدَتْ عُقَدِي[4] وَلَاحَتْ .·. مَوَاسِمُهُ عَلَى شِيَمِي وَعَادِي

وبعد هما الشاهد وبعده :

=== بغداد : ٤ / ١٤١ - ١٥٦ ، العبر : ١/ ٣٣٩ ، ميزان الاعتدال : ١ / ٩٧ ، وفيات الأعيان : ١ / ٨١ - ٩١ ، لسان الميزان : ١ / ١٧١ ، شذرات الذهب : ٢ / ٧٥ - ٨٧ - ٩٣ ، سير أعلام النبلاء : ١١/ ١٦٩ .

(١) جاء في أخبار أبي تمام :-
أن أبا تمام مر بقوم فاستوقفوه وسألوه : أي رجل أنت لو لم تكن في اليمن ، فقال : ما أحب أنّي بغير الموضع الذي اختاره الله لي ، فممن تحبون أن اكون ، فقالوا : من مُضَر ، فقال : أبو تمام إنّما شَرُفَت مُضَر بالنبي صلى الله عليه وسلم ، ولولا ذلك ماقيسوا بملوكنا ، وفينا كذا ، وفينا كذا ، ففخر وذَكرَ أشياء عاب نفراً من مُضَر ، فانتقل الخبر إلى ابن أبي دواد ، وزادوا عليه ، فقال : ما أحب أن يَدخلَ إليّ أبو تمام ، فَلْيُحْجَب عَنِّي ، فقال أبو تمام الأبيات يعتذر إليه ويمدحه / ونظر :
أخبار أبي تمام : ١٤٧ - ١٤٨ .

(٢) رواية - دار صادر - : سبلُ ، ويروى : " صوب العهاد " ، وسَبَلُ العهاد : مطر يجيء بعضه في إثر بعض ./ انظر :
فقه اللغة : ٢٨٥ .

(٣) ديوانه - دار صادر - : ٧١ ، شرح الديوان - محمد محيي الدين -: ٢٢٣ .

(٤) ويروى " عَلَيهِ عُقِّدَتْ عوذِي " ، والعُوَذ - بضم العين، وفتح الواو جمع عوذة ، وهي ما يوضع على الصبي ليقيه العين والحسد " نقلاً عن شرح ديوان أبي تمام - محمد محيي الدين -: ٢٣٠ .

تَثَبَّتْ إِنْ قَوْلاً كَانَ زُوراً (١) ∴ أَتَى النُّعْمَانَ قَبْلَكَ عَنْ زِيَادِ

وَأَرَّثَ (٢) بَيْنَ حَيِّ بَنِي جُلَاحٍ (٣) ∴ شَبَا حَرْبٍ وَحَيِّ بَنِي مُصَادِ (٤)

وَغَادَرَ فِي صُدُورِ الدَّهْرِ قَتْلَى ∴ بَنِي بَدْرٍ (٥) عَلَى ذَاتِ الإِصَادِ (٦)

فَمَا قَدْحَاكَ (٧) لِلْبَارِي وَلَيْسَتْ ∴ مُتُونُ صَفَاكَ مِنْ نَهَزِ الْمُرَادِي

وَلَوْ كَشَّفْتَنِي لَوَجَدْتَ خِرْقاً ∴ يُصَافِي الأَكْرَمِينَ وَلَا يُصَادِي

الشاهد في البيت كسابقه ، فالشاعر هنا لم يرد التعريض بشاعر آخر، فيزعم أن ما اتهم به عند الممدوح كان من ذلك الشاعر ، بل كل الذي أراده هو أن يقوي معنى براءته في نفس الممدوح ، بقوله : " إني لا آكل معروفك سحتا ، ولا اتعاطى إحسانك حراماً ، ولا تتغير عندي أياديك البيض ، وعطاياك المشهورة الجميلة

---

(١) المقصود بزياد هنا : النابغة الذبياني ، والمقصود بالنعمان النعمان ابن المنذر ملك العرب في الحيرة ، وكان قد بلغ النعمان أن النابغة يشبب بامرأته ، فحقد عليه النعمان ، فهرب النابغة، ثم مازال يعتذر له بقصائد جياد حتى صفح عنه . / انظر : الأغاني : ١١ / ٨ - ١٤ - ٢٨ - ٢٩.

(٢) أرّث : أفسد ، والتأريث الإغراء بين القوم ، وهو من أرَّث النار أوقدها./ اللسان " أرث " : ٢ / ١١١.

(٣) بنو جلاح : أصل اسمهم " بنو الجلاح " بالألف واللام ، وهم من كلب بن وبرة / انظر : جمهرة أنساب العرب : ٤٥٨.

(٤) بنو مَصَاد : هم من بني عليم بن جناب ويرجعون في نسبهم إلى كلب ابن وبرة ./ انظر : جمهرة أنساب العرب : ٤٥٧.

(٥) بنو بدر: أراد حذيفة بن بدر وأخوته / جمهرة أنساب العرب: ٢٥٦.

(٦) ذات الإصاد : الردهة التي قُتل عليها قيسُ بن زهير حُذيفةَ بن بدر، وهي موضع ماء بالهباءة / معجم ما استعجم : ١ / ١٦٢.

(٧) قِدْحَاك : القِدْحُ : السهم قبل أن يُراش ويُنصَّل / اللسان " قدح " ٢ / ٥٥٦.

الصافية عن الشوائب بالكفران والغمط ، ولما اتُهمتَ به من الهجاء[١] .

قال الشيخ :

" لم يرد أبو تمام بقوله :

وَغيري يَأكُلُ المَعْرُوفَ سُحْتًا ∴ وَتَشْحَبُ عِنْدَهُ بِيضُ الأَيَادِي

أن يعرض مثلاً بشاعر سواه ، فيزعم أن الذي قُرِفَ[٢] به عند الممدوح من أنه هجاه كان من ذلك الشاعر لا مِنْهُ ، هذا محال ، بل ليس إلّا أنه نفى عن نفسه أن يكون ممن يَكْفُر النِّعمة ويلؤم"[٣].

وما أجمل تصويره إنكار المعروف في صورة آكل السحت ، للتقبيح والتشنيع من هذا الفعل .

وفي قوله : " تَشْحَبُ عنده بيض الأيادي " مجاز رائع بليغ ، وهو مجاز مرسل علاقته المحلية ، لأن اليد هي محل النعمة وموضعها ، فالعرب يطلقون اليد ، ويريدون بها النعمة .

فالروعة في هذا المجاز أنه أتى في جملة تلاحمت أجزاؤها ، وتشابكت ألفاظها ، فخرجت صورة رائعة ومختصرة عن الشخص اللئيم الذي ينكر الفضل العظيم ، فعبر عن النعمة باليد ، وعبر عن عظمها وفضلها بالبياض ، ثم عبر عن إنكارها بالشحوب وتغير اللون ، وقدّم الظرف " عنده " على " بيض الأيادي " إمعانا في وصفه باللؤم .

---

(١) شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - : ٢٣أ .

(٢) قُرِفَ : أي اتهم . / اللسان « قرف » : ٩/ ٢٨٠

(٣) الدلائل ، رضا : ١٠٧ ، خفاجي : ١٧٣ ، شاكر : ١٣٩ .

الفَصلُ الخَامِس

شواهد القول في الحذف

أ - حذف المبتدأ .

ب - حذف المفعول به .

الحـــذف :

قدم الشيخ عبدالقاهر لهذا الفصل بمقدمة بَيَّن فيها أهميته في التراكيب اللغوية ،وأثر هذه التراكيب في نفس السامع أو القارئ ، فهو" . . . باب دقيق المسلك ، لطيف المأخذ ، عجيب الأمر ، شبيه بالسحر ، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة ، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبن ، وهذه جملة قد تنكرها حتى تخبر، وتدفعها حتى تنظر"(١).

ثم عرض بعد ذلك كثيراً من الشواهد التي لم يزد فيها على أن بين موضع الحذف ، ثم ترك للقارئ حرية التذوق .

وقد تحدث في هذا الفصل عن :

١- حذف المبتدأ .

٢- حذف المفعول به .

وفيما يلي سأعرض شواهده في هذا الفصل محاولة بيان ما ظهر لي من أسرار الحذف .

---

(١) الدلائل ، رضا : ١١٢، خفاجي : ١٧٨ ، شاكر: ١٤٦ .

م- حــذف المبتدأ:

الشاهد التاسع والسبعون : (*) (البسيط)

(١) (٢) (٣)
أَعْتَادَ قَلْبَكَ مِنْ لَيْلَى عَوَائِدُهُ ∴ وَهَاجَ أَهْوَاءَكَ الْمَكْنُونَةَ الطَّـــلَلُ
(٤) (٥) (٦) (٧) (٨) (٩) (١٠) (١١)
رَبْعٌ قَوَاءٌ أَذَاعَ الْمُعْصِرَاتُ بِهِ ∴ وَكُلُّ حَيْرَانَ سَارٍ مَاؤُهُ خَضِـــلُ

البيتان ذكرهما الشيخ من غير عزو ، إلاّ أنه أشار إلى أنهما في أبيات الكتـاب.

(*) الدلائل ، رضا : ١١٢ ، خفاجي : ١٧٨ ، شـاكر: ١٤٦.

(١) رواية الكتاب، وشرح أبيات سيبويه للنحاس، والخصائص ، وشرح أبيات سيبويـه للسيرافي ، والمغني : " اعتاد قلبـك من سـلمى " .

(٢) رواية شرح أبيات سيبويه للنحاس : " عَوائِدُها " .

(٣) رواية شرح أبيات سيبويه للنحاس : " وهاج أهوالها ".
ورواية مغني اللبيب وشرح شواهد المغني : " وهاج أحزانك " ، ورواية الأهــواء أجود لأنها أعم وأشمل ، فهي تشمل الحزن ، وكل ما يضطرب في جوانح النفس مـن أحاسيس تهيجها الذكريات .

(٤) الربع : المنزل والوضع الذي أقاموا به ، وهو من رَبَع بالمكان أقام به ، وأقاموا فـــي ربعهم وربوعهم ورباعهم ، وهذا مربعهم /أساس البلاغة : (ربع) : ١٥٢ .

(٥) قواء : أي قفر خالٍ ، أقوت الدار من أهلها ، ونزلوا بالقواء والقِيّ : بالقفر/ أسـاس البلاغة " قوى " : ٣٨٣ .

(٦) أذاع المعصرات به : أذهبته وطمست معالمه . /اللسان " ذيع " : ٨/ ٩٩ .

(٧) رواية شرح شواهد المغني : " أذاع المعصرات بها " .

(٨) حيران : السحاب المتحير، وهو سحاب ثقيل متردد ليس له ريح تسوقه لكثـــرة مائه ، فلا يبرح مكانه حتى يصب مطره . /اللسان : " حير" : ٤ / ٢٢٣-٢٢٤.

(٩) سارٍ: عام ، وهو من : سار الشيء وسِرْتُهُ ، فَعَمّ/اللسان : " سير" : ٤ /٣٩٠.

(١٠) خَضِل : أي غزير شديد ، وهو من : أخضلتنا السماء : بَلّتنا بَلاًشديداً . /اللسان : " خضل " : ١١/ ٢٠٨.

(١١) لم أقف على البيتين في ديوانه : .
انظرهما في :
الكتاب: ١/ ٢٨١ ، شرح أبيات سيبويه للنحاس : ١١٦ ، الخصائص : ٣/ ٢٢٦-١/ ٢٩٦ ، شرح أبيات سيبويه للسيرافي : ١/ ٣٩١ ، اللسان : " ذيع " : ٨/ ٩٩- ذكر الشطر الأول من البيت الثاني فقط - مغني اللبيب : ٢/ ٦٠١ ، شـــرح شواهد المغني : ٢ / ٩٢٤ .

ونسبهما البغدادي في شرح شواهد المغني (١) لعمر بن أبي ربيعة (٢)، وعلى قوله هذا سار كثير من المحققين (٣).

وموضع الشاهد قوله : " ربع " ، والشاهد فيه : رفع " ربعٌ " على أنه خبر مبتدأ محذوف ، كأنه قال : هو ربعٌ قواء اعتاده قلبك مرة بعد مرة . قال سيبويه :

" كأنه قال : " وذاك ربعٌ " ، أو " هو ربعٌ " ، رفعه على ذا ، وما أشبهه ، سمعناه ممن يرويه عن العرب " (٤).

ومُنع حمله على البدل ؛ لأن الربع أكثر من الطلل ، ولا يجوز أن يبدل الأكثر من الأقل .

ورُوي أن السيرافي أجاز كونه بدلاً (٥)، وردَّ ذلك ابن جني والنحاة . جاء في الخصائص:

---

(١) نقلاً عن تحقيق شرح كتاب سيبويه للسيرافي حيث ورد فيه " هو عمر بن أبي ربيعة وذلك عند البغدادي في شرحه لشواهد المغني الشاهد (٨٣٤) ورقة ٧٥٥/أ مخطوط استانبول (طبع منه أربعة أجزاء) وفيه (أحزانك) بدل أهواءك) / شرح كتاب سيبويه للسيرافي : ١ / ٣٩١ .

(٢) ذكر البيتان في الكتاب ، وشرح أبيات سيبويه للنحاس ، والخصائص ، وشرح أبيات سيبويه للسيرافي ، واللسان ، والمغني ، وشرح شواهد المغني من غير نسبة .

(٣) انظر : معجم شواهد العربية : ٢٩١ ، الكتاب :- تحقيق عبد السلام هارون -: ١ / ٢٨١ ، الخصائص - تحقيق - محمد على النجار - ٣ / ٢٢٦ ، ١ / ٢٩٦ ، شرح أبيات سيبويه للسيرافي - تحقيق محمد على سلطاني - ١ / ٣٩١ ، الدلائل - تحقيق - شاكر : ١٤٦ .

(٤) الكتاب : ١ / ٢٨٢ .

(٥) ذُكر في تحقيق كتاب شرح أبيات سيبويه للسيرافي - محمد على سلطاني - أنه وجد ذلك مذكوراً على حاشية الكتاب . قال المحقق :
" وقال السيرافي على حاشية الكتاب يجوز أن يكون " ربع " بدلاً من الطلل كأنه قال : وهاج أهواءك ربع .
قلت : ولكنه على هذا يفقد المعنى عنصر التأثير إذ يجعل البيتين =====

" والبدل لا يجوز إذا كان الثاني أكثر من الأول ،كما يجوز إذا كان الأول أكثر من الثاني ،ألا ترى أنهم لم يُجيزوا أن يكون " رَبْع " . . . بدلاً من " الطلل " ، من حيث كان الربع أكثر من الطلل ، ولهذا حمله سيبويه على القطع والابتداء دون البدل والإتباع "[1]

وذكر ابن هشام علة أخرى لمنع البدل ، وهو لئلا يصير الشعر معيباً لتعلق أحد البيتين بالآخر ،إذ البدل تابع للمبدل ، وهذا مايسميه علماء القوافي تضميناً[2].

ولقد ردد الشيخ عبدالقاهر ماقاله سيبويه والنحاة في هذا الموضع ولم يزد عليهم شيئا يبين السر البلاغي لهذا الحذف .

فالبيت إذاً محمول على القطع والاستئناف ، ولعل السر في هذا الحذف أنه حين طرقت قلب الشاعر الذكريات ، ومرت بخياله صور الأطلال هاجت في صدره الأهواء التي كان يكنها ويسترها ، وثار شعوره الجيّاش وإحساسه المتوتر ، فقطع الكلام ، واستأنف كلاماً جديداً عميق الصلة بكوامن نفسه باعثا معه زفرات الحسرة والألم على تلك الديار الخالية ، وقد أذْهَبَت الأمطار معالمها وطمستها ، وقد زاد من حزنه وألمه اشتداد تلك الأمطار على هذه الديار ،فالسحاب حيران لا يبرح مكانه حتى يصب مطره ، وهذا مازاد في اندثارها .

واستعماله لفظ " هاج " أضفى على البيت قيمة شعرية ، وازدادت هذه القيمة حين أسند الهيجان إلى الطلل الذي هو سبب في هيجان الأشواق المكنونه ،لكي يُظْهِر شدة تلك الأشواق .

" وهو من باب المجاز العقلي " .

=== كليهما لغرض واحد محدد ، مع أن في البيت الثاني انطلاقة أخرى مع الذكريات، وتعبيراً مثيراً عن الحسرة والألم لخلو الرَّبع من أهله" : ١ / ٣٩٢.

(١) الخصائص : ٣ / ٢٢٦.

(٢) المغني : ٢ / ٦٠١.

الشاهد الثمانون :- (*) (البسيط)

هَلْ تَعْرِفُ اليَومَ رَسْمَ الدَّارِ وَالطَّلَلَا (١) .·. كَمَا عَرَفْتَ بِجَفْنِ الصَّيقَلِ (٢) الخِلَلَا (٣)

دَارٌ لِمَرْوَةَ إِذْ أَهْلِي وَأَهْلُهُمُ (٤) .·. بِالكَانِسِيَّةِ (٥) نَرْعَى اللَّهْوَ وَالغَزَلَا (٦)

أورده الشيه من غير نسبه (٧) ، ونسبه سيبويه في الكتاب لعمر بن أبي ربيعة ، وهو وارد في ديوانه ، وذكر السيرافي في شرح أبيات سيبويه أنه نسبهما إلى عَوْج ابن حَزَام الطائي (٨).

(*) الدلائل ، رضا : ١١٢ ، خفاجي : ١٧٨ ، شاكر: ١٤٦ .

(١) الجفن : غمد السيف / معجم مقاييس اللغة : (جفن) : ١/٤٦٥ .

(٢) الصيقل : صانع السيوف وجَلَّاؤها / اللسان " صقل " : ١١ / ٣٨٠ .

(٣) الخلل : وهو جمع الخِلة ، وهي جلود تنقش ، وتلبس جفون السيف ، فشبه ذهاب الرسوم والآثار بذهاب هذه النقوش وانطماسها / اللسان : " خلل " : ١١ / ٢٢٠ .

(٤) رواية شرح أبيات سيبويه للنحاس : " وأهلهما " .

(٥) رواية شرح أبيات سيبويه للسيرافي : " بالكامسية " .
والكانسية : موضع ، ولم أجده في معجم البلدان لياقوت ولا في معجم البكري ، والموجود هناك " كاس " ، وهو مكان بنجد ، وجاء في اللسان : الكناسة والكانسية موضعان .

(٦) انظر البيتين في : -
ديوان عمر بن أبي ربيعة - دار صادر - : ٣٢٠ ، الكتاب : ١ / ٢٨٢ ، شرح أبيات سيبويه للنحاس : ١١٧ ، شرح أبيات سيبويه للسيرافي : ١/١٩٩ - ٢٠٠ ، اللسان : " كنس " : ٨/٨٣ .

(٧) وذكر البيت من غير نسبة في :
شرح أبيات سيبويه للنحاس ، اللسان .

(٨) لم أعثر على ترجمته :
قال السيرافي : " قال سيبويه قال عَوْج بن حَزَام الطائي " ثم ذكر أربعة أبيات سأذكرها .

وبعد البيتين :

أَمْسَى شَبَابُكَ عَنَّا الغضُّ قَدْ رَحَلَا ∴ وَلَاحَ فِي الرَّأْسِ شَيْبٌ حَلَّ فَاشْتَعَلَا

إِنَّ الشَّبَابَ الَّذِي كُنَّا نُزَنُّ بِـهِ ∴ وَلَّى وَلَمْ نَقْضِ مِنْ لَذَّاتِهِ أَمَلَا

وَلَّى الشَّبَابُ حَمِيداً غَيْرَ مُرْتَجَعٍ ∴ وَاسْتَبْدَلَ الرَّأْسُ مِنِّي شَرَّ مَا بُدِلَا

وفي شرح أبيات سيبويه للسيرافي ذكر بعد البيت الأول :

رَسْماً كَسَتْهُ اللَّيَالِي بَعْدَ جِدَّتِـهِ ∴ دُقَاقَ تُرْبٍ سَفَتْهُ الرِّيحُ فَانْتَخَلَا

وَكُلُّ أَسْحَمَ رَجَّافٌ لَهُ زَجَـلٌ ∴ وَاهِي العَزَالِي إِذَا مَا انْهَلَّ أَوْ وَبَلَا (١)

والبيتان يستشهد بهما النحاة على رفع " دار " على أنها خبر لمبتدأ محذوف تقديره " هي دار " ، أو " تلك دار " ، ولم يجعلوه بدلاً من قوله : " هل تعرف اليوم رسم الدار " بل استؤنف الكلام به ، فقيل " دارٌ " ، قال النَّحاس في شرح أبيات سيبويه :

" لم يقل داراً ، وقد قال هَلْ تَعْرِفُ رَسْمَ الدَّارِ ؛ لأنه لم يعطفه على الفعل ، ولكنه ابتدأ به كأنه قال : تِلْكَ دَارٌ (٢) .

وقال السيرافي :

" الشاهد فيه أنه رفع " دار " ، والذي قبله : " هَلْ تَعْرِفُ اليَوْمَ رَسْمَ الدَّارِ " ، فلم يجعله بدلاً مما قبله ، واستأنف الكلام به ، فقال : " دارٌ " رفع ، وجعله خبر ابتداء محذوف ، كأنه قال : هو " دَارٌ لمروة " (٣)

• إذا ذُكِرَت الكانسية فاضت نفس عمر بن أبي ربيعة حنيناً ، وانبعثت فيها الذكريات العذبة ، ففيها قضى أجمل فترات حياته ، وفيها ذاق متعة الحياة والصبا ، وما أجمل تعبيره عن تلك المتعة بقوله :

---

(١) شرح أبيات سيبويه للسيرافي : ١ / ٢٠٠ .

(٢) شرح أبيات سيبويه للنحاس : ١١٧ .

(٣) شرح أبيات سيبويه للنحاس : ١/ ١٩٩ - ٢٠٠ .

" نَرْعَىْ اللَّهوَ وَالغَزَلَا " ، فدل على أنها متعة مستمرة لا يشوبها كدر ولا ملل .

فحين وقعت عين عمر على أطلال دار مروة تحسّر على انصرام تلك الأيام الحلوة، وآندثار تلك الديار الحبيبة ، وآنبعثت من قلبه كلمات حيرى تدل على الأسى الذي يكابده الشاعر، فلجأ إلى الاستفهام وحمّله كل معاني الحزن والحسرة التي تضطرم في نفسه ، " هَلْ تَعْرِفُ اليَوْمَ رَسْمَ الدَّارِ وَالطَّلَلَا "

ولأن تلك الرسوم البالية - هي رسوم ديار مروة ، حسُنت في عينيه ، فشبهها ، بالخلل والنقوش التي تكون على جفون السيف :

" كَمَا عَرَفْتَ بِجَفْنِ الصَّيقَلِ الخِلَلَا "

ولشدة تعلقه بتلك الرسوم ضاقت نفسه بألم الذكرى ، فقطع الكلام، واستأنف كلاماً جديداً يُعلن فيه سبب تعلقه بتلك الديار - فهي ديار مروة .!

الشاهد الواحد والثمانون :- (*) (البسيط)

دِيَارَ مَيَّةَ إِذْ مَيٌّ (١) تُسَاعِفُنَا (٢) .:. وَلَا يَرَى مِثْلَهَا عُجْمٌ وَلَا عَرَبُ (٣)

(*) الدلائل ، رضا : ١١٣ ، خفاجي : ١٧٩ ، شاكر : ١٤٧ .

(١) ذكر شارح الديوان الإمام أبو نصر الباهلي أنه يُروى " دارٌ لِمَيَّةَ " اتفق الرواة على أن " مَيَّة " هذه هي حفيدة الصحابي الجليل قيس بن عاصم المنقري سيد أهل الوبر كما سماه الرسول صلى الله عليه وسلم ، واختلفوا في اسم أبيها فجاء في طبقات ابن سلام : ٢/ ٥٥٩ ، والأغاني (١٨/ ٢٥) أنها مَيَّة بنت طُلْبَة بن قيس ، وورد في جمهرة الأنساب (٢١٦) ، والوفيات : (٤/ ١١) ، والبداية والنهاية لابن كثير (٩/ ٣١٩) أنها بنت مُقاتل بن طُلْبَة ، وفي الشعر والشعراء (١/ ٥٣٣) مَيَّة بنت فلان بن طُلْبَة ، فأهمل ذكر أبيها ، وفي السمط (١/ ٨٢) مية بنت عاصم ، ورجح محقق الديوان أنها مية بنت منذر بن طُلْبَة لورود آسم منذر في القصيدة .

(٢) تساعفنا : المساعفة : المساعدة والمواتاة، والقُرْبُ في حُسْنِ مُصافاة ومُعاونة / اللسان " سعف " : ٩/ ١٥٢ .

(٣) انظر البيت في : ديوان ذي الرُّمة - شرح الإمام أبي نصر الباهلي - تحقيق =====

ذكره الشيخ (١) من غير نسبة ولكنه ذكر أنه من أبيات الكتاب ، والبيت لذي الرُّمَّة ، وهو من بائيته المشهورة (٢) التي مطلعها :

مَابَالُ عَيْنِكَ مِنْهَا المَاءُ يَنْسَكِبُ .·. كَأَنَّهُ مِنْ كُلَى مَفْرِيَّةٍ سَرِبُ

=== عبد القدوس أبو صالح : ١ / ٢٣ ، نوادر أبي زيد الأنصاري : ٣٢ ، شرح أبيات سيبويه للنحاس : ١١٦ ، همع الهوامع : ١ / ١٦٨ ، خزانة البغدادي ٢ / ٣٣٩ ، شاهد رقم (١٤٠) .

وانظر كذلك : ٣٤٥ .

(١) هو غيلان بن عقبة بن بُهيش (بهيس) بن حارثة بن عمرو بن ربيعة بن مُضر (٧٧-١١٧ هـ) أبو الحارث ذو الرُّمَّة ، وهو شاعر من الطبقة الثانية من فحول الإسلام ، قال أبو عمرو بن العلاء ، فُتح الشعر بامرئ القيس ، وخُتِم بِذي الرُّمَّة ، وكان ذو الرُّمَّة مدور الوجه حسن الشعرة جعدها أقنى خفيف العارضين أكحل حسن الضحك مُفَوَّهاً إذا كلمك كلمك أبلغ الناس ، وهو من عشَّاق العرب المشهورين ./ انظر ترجمته في :-

طبقات فحول الشعراء : ٢ / ٥٥٩ ، الشعر والشعراء : ١ / ٥٣١-٥٤٣ ، الأغاني : ١٨ / ١-٤٧ ، الموشح : ١٥٥-١٦٨ ، وفيات الأعيان : ٤ / ١١-١٧ الأعلام : ٥ / ١٢٤ .

(٢) وردت في كتب الأدب أخبار كثيرة تدل على شهرة هذه القصيدة ، وفخامتها منها : ماجاء في الأغاني من حديث ذي الرُّمَّة عن شعره قال :-

" من شعري ماطاوعني فيه القول ، وساعدني ، ومنه ماأجهدتُ نفسي فيه ، ومنه ماجُنِنت به جنونا . . . أما ماجُنِنت به جنوناً فقولي :

" مَابَالُ عَيْنِكَ مِنْهَا الدَّمْعُ يَنْسَكِبُ "

وورد أيضا في كتاب الأغاني أن عُمارة بن عقيل قال :

كان جرير يقول : ماأحببت أن ينسب إلي من شعر ذي الرُّمَّة إلَّا قوله :

" مَابَالُ عَينِكَ مِنْهَا المَاءُ يَنْسَكِبُ "

فإن شيطانه كان له فيها ناصحاً / : ١٨ / ٢٢-٢٣ .

وجاء في الموشح : " وقال أبو عمرو بن العلاء قال جرير : لو خرس ذو الرُّمَّة بعد قصيدته : " مَابَالُ عَينِكَ . . . " كان أشعر الناس ./ ١٥٦ .

======

وقبل الشاهد :-

لا بَلْ هُوَ الشَّوقُ مِنْ دَارٍ تَخَوَّنَها (١) .·. ضَرْبُ السَّحَابِ وَمَرٌّ بَارِحٌ (٢) تَرِبُ (٣)

يَبْدُو لِعَيْنَيكَ مِنْهَا وَهِيَ مُزْمِنَةٌ .·. نُؤْيٌ (٤) وَمُسْتَوقَدٌ بَالٍ وَمُحْتَطَبُ

إِلى لَوَائِحَ مِنْ أَطْلَالِ أَحْوِيَةٍ (٥) .·. كَأَنَّهَا خِلَلٌ مَوْشِيَّةٌ قُشُبُ (٦)

بِجَانِبِ الزُّرْقِ (٧) لَمْ تَطْمِسْ مَعَالِمَهَا .·. دَوَارِجُ (٨) المُورِ (٩) وَالأَمْطَارُ وَالحِقَبُ

وبعده :

بَرَّاقَةُ الجِيدِ وَاللَّبَّاتِ (١٠) وَاضِحَةٌ .·. كَأَنَّهَا ظَبْيَةٌ أَفْضَى بِهَا لَبَبُ (١١)

=== وجاء في أساس البلاغة :

وعن ذي الرُّمَّة : قلت مَابَالُ عَينِكَ - بيتا واحداً - ثم أُرتِجَ عَلَيَّ فمكثت حولا لا أضيف إلى هذا البيت شيئاً حتى قدمت أصبهان فَحُمِمتُ بِهَا حُمَّى شديدة فَهُدِيتُ لهذه القصيدة فتساتلت - أي تتابعت - عَلَيَّ قوافيها، فَحَفِظْتُ مَا حَفِظْتُ منها، وَذَهَبَ عَلَيَّ مِنْهَا./ " ستل " : ٢٠٢ .

(١) تخونها : تعهدها / اللسان " خون " : ١٣/١٤٥ .

(٢) البارح : الريح الحارة في الصيف / القاموس المحيط (برح) : ١/٢٢٣ .

(٣) تَرِب : كثير التراب أو ريح تسوق التراب / اللسان " ترب " : ١/٢٢٨ .

(٤) نؤى : النؤى حفرة حول الخباء لئلا يدخله ماء المطر / الصحاح : "نأى" ٦/٢٥٠٠ .

(٥) أحوية : بيوت مجتمعة من الناس على ماء / اللسان " حوا " : ١٤/ ٢١٠ .

(٦) قُشُب : جدد / اللسان " قشب " : ١ / ٦٧٤ .

(٧) الزُّرْق : أكثبة رمل بالدهناء / اللسان " زرق) : ١٠/١٣٨ .

(٨) الدوارج : إذا درجت الريح حتى يُرى لها ذيل كالرسن في الرمل فهي الدَّروج / فقه اللغة : ٢٧٨ .

(٩) المُور: التراب الذي تمور به الريح ./ فقه اللغة : ٢٩٦ .

(١٠) اللبات : وسط الصدر والمنحر " اللسان " (لبب) : ١/٧٣٣ .

(١١) اللبب : ما انحدر من الرمل، أو ما استرق منه ./ فقه اللغة: ٢٩٩-٣٠١ .

بَينَ النَّهارِ وَبَينَ اللَّيلِ مِنْ عُقَدٍ(١) .·. عَلَى جَوَانِبِهِ الأَسْبَاطُ(٢) وَالهَدَبُ(٣) (٤)

البيت أيضا - من أبيات الكتاب ، استشهد به سيبويه والنحاة ، وتبعهم الشيخ عبد القاهر على أن ديار منصوبة بإضمار فعل " كأنه قال : أذكر ديار مَيَّة ، ولكنه لا يذكر آذكر لكثرة ذلك في كلامهم واستعمالهم إيّاه "(٥).

وذكر سيبويه أن من العرب من يرفع ديار كأنه يقول تلك ديار فلانة أي أنّ المحذوف المبتدأ لا الفعل(٦).

وذكر البغدادي في خزانة الأدب أنه يجوز أن يكون مجروراً على أنه يدل من دار في بيت قبله، وهو :

لَا بَلْ هُوَ الشَّوقُ مِنْ دَارٍ تَخَوَّنَهَا .·. مَرًّا سَحَابٌ وَمَرًّا بَارِحٌ تَرِبُ(٧)

وعلى هذا التقدير ينتفي موضع الشاهد .

ويبدو أن حمل البيت على حذف الفعل، أو المبتدأ يضفي على البيت سحراً جماليّاً ، ويكشف عن الخواطر ، والأحلام التي امتلأت بها نفس الشاعر.

فلذكرى الأطلال أثر في نفس المحب ، والإطالة في ذكرها يثير في نفسه الشجون ، ويحرك كوامن الأسى ، ففضل الشاعر هنا ذكر الديار بسرعة، فحذف الفعل " آذكر " منعاً للنفس من التألم والأسى ، فوصف الديار حين كانت

---

(١) العقد : ماتعقد من الرمل / فقه اللغة : ٣٠٠.

(٢) السَّبَطَ : بالتحريك نبتُ الواحدة سَبَطَة / اللسان (سبط) : ٣٠٩/٧.

(٣) الهَدَبُ : كل ورق ليس له عرض / اللسان (هدب) : ٧٨١/١.

(٤) آنظر الأبيات في : ديوانه : ١ / ١٩-٢٧.

(٥) الكتاب : ١ / ٢٨٠.

(٦) المصدر السابق : ١ / ٢٨١.

(٧) خزانة الأدب للبغدادي : - مكتبة الخانجي - : ٢ / ٣٤١.

ميّ تواصله وتواتيه بأنها تبلغ من الروعة والجمال إلى حد ينبغي أن لا يكون لها مثيل عند العجم والعرب .

وللدكتور أبي موسى تعليل لطيف للحذف عند ذكر الديار . قال :

" وقد يقال : إنّ الديار والمنازل من المثيرات التي تهز النفس فتتزاحم فيها الخواطر والأطياف والأحلام التي بددتها الأيام في طغيان قاس عنيف ، فالشاعر في هذا الموقف ممتلىء النفس أعظم الامتلاء متوتر الحس أشد التوتر وهذه حال . تدعو الى أن تكون الصياغة مركزة أشد التركيز ، ليكون الأسلوب أشبه بالنفس ، وقد يُقَوّي هذا أنك إذا راجعت النظر في الأبيات السابقة التي بُنيت على الحذف تجدها تذكر معنى هو أمس بقلب الشاعر من سابقه ، لأنه يخصص الديار ، ويحددها ، فهي دار مروة ، أو دار سلمى ، أو ديار ميّة ، وبهذا التحديد تلم أحسن الذكرى وتطوف به أعذب الأطياف ، وهذا موقف يعظم سلطانه على النفس الشاعرة ، وهذا التفسير الذي نفسر به هذه الخصوصية في سياق الأطلال هو ما نراه تفسيراً للخصوصية نفسها عند ذكر الرجال مدحاً أو قدحاً ، فإنهم حين تحمى نفوسهم بذكر المناقب أو المثالب يقطعون الكلام ليستأنفوا مقطعاً جديداً من مقاطع المعنى ، ويبنون هذا المقطع الثاني على إسقاط المسند إليه ، وكأنّ الحذف هنا تمييز ، وفصل بين لونين من ألوان المعنى (١) ".

---

(١) خصائص التراكيب : ١٢٠ - ١٢١ .

الشاهد الثاني والثمانون :- (*)   (الكامل)

وَعَلِمْتُ أَنِّي يَومَ ذَا (١) .·. كَ مُنَازِلٌ كَعْباً وَنَهْدَا

قَومٌ إِذَا لَبِسُوا الحَدِيـ (٢) .·. ـدَ تَنَمَّرُوا حَلَقاً وَقِدّا (٣)

ذكرهما الشيخ من غير عزو ، وهما لعمرو بن معدي كرب ، من قصيدة قالها في حربه نهداً وكعباً محالفا جرماً التي خذلته ، فجرم ونهد قبيلتان من قضاعة من بني الحارث بن كعب ، قتلت جرم رجلاً من أشراف بني الحارث ، فآرتحلت عنهم ، وتحولت في بني زبيد ، فخرجت بنو الحارث يطلبون دم أخيهم ، فالتقوا ، فعبأ عمرو جرماً لنهد ، وتعبأ هو وقومه لبني الحارث ، ففرت جرم ، واعتلت بأنها كرهت دماء نهد (٤)

(*) الدلائل ، رضا : ١١٣ ، خفاجي : ١٧٩ ، شاكر : ١٤٨ .

(١) يومذاك : ويجوز أن يكون المشار إليه أمراً قد علمه السامعون ، وهو الحرب ، ويجوز أن يكون المشار إليه السلاح الذي زعم أنه أعَدَّه ، ويوم السلاح يوم الحرب ، ويجوز أن يكون أشار به إلى الحَدَثان ؛ لأنه قد قال : " أَعْدَدْتُ للحَدَثان " ./ انظر : شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ١ / ١٧٦ .

(٢) حَلَقاً : انتصب حَلَقاً على أنه بَدَلٌ من الحديد ، ويُرِيدُ به الدُّروع التي نُسِجَتْ حَلْقَتين حَلْقَتَين ، والقِدُّ أراد به اليَلَب ، وهو شبه دِرْع كان يُتَّخذ مِنَ القِدِّ ، ويروى : " خُلُقاً وقَدّا " ، ويكون انتصاب خُلُقاً على التمييز ، أي تشبَّهوا بالنَّمِر في أخلاقهم وخِلَقهم ، ودَلَّ على الخِلَق قوله : قَدّا ./ انظر : شرح الحماسة للمرزوقي : ١ / ١٧٦ .

(٣) انظر البيتين في :- ديوان عمرو بن معدي كرب : ٦٨ ، ديوانه - مطبوعات مجمع اللغة العربية - : ٦٤ ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ١ / ١٧٤ ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ١ / ٩١ ، لسان العرب : " نمر " : ٥ / ٢٣٥ .

(٤) شرح الحماسة للتبريزي : ١ / ٨٤ .

ومطلع القصيده :-

يَاأَيُّهَا المُفْتَنا بِنَا ∴ جَهْلاً بِنَا وَلِيدْتَ عَبْدَا

وبعده أبيات قبل الشاهد :

لَيْسَ الجَمَالُ بِمِئْزَرٍ ∴ فَاعْلَمْ وَإِنْ رُدِّيتَ بُرْدَا

إِنَّ الجَمَالَ مَعَادِنٌ (١) ∴ وَمَنَاقِبٌ أَوْرَثْنَ مَجْدَا

أَعْدَدْتُ لِلحَدَثَانِ (٢) سَا ∴ بِغَةً وَعَدَّاءً عَلَنْدَى (٣)

نَهْدًا (٤) وَذَا شُطَبٍ (٥) يَقُدُّ (٦) (م) ∴ البَيْضَ وَالأَبْدَانَ (٧) قَدَّا

وبعدها الشاهد وبعده :

كُلُّ امْرِئٍ يَجْرِي إِلَى ∴ يَومِ الهِيَاجِ بِمَا اسْتَعَدَّا

لَمَّا رَأَيْتُ نِسَاءَنَا ∴ يَفْحَصْنَ (٨) بِالمَعْزَاءِ (٩) شَدَّا

---

(١) رواية حماسة البحتري : " معادن ومآثر " .
رواية عيون الأخبار : " معادن وموارث " : ١ / ٣٠٠ .

(٢) رواية لباب الآداب : " للهيجاء " .

(٣) علندى : أصل الكلمة ثلاثي ، والنون والألف زائدتان ، فهو من العَلْد ، وهو الغليظ الشديد من كل شيء ، وذكر بعضهم أن العَلَنْدى : الضخم من الإبل ، والخيل جميعا ، وجمعه " علايد " ، وإن شئت : " عَلادٍ " والألف في علندى للالحاق بدليل أنه يقال للمؤنث عَلَنْداة ، وينون ، فيقال عَلَنْدِيٌ ./ انظر :
شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ١ / ١٧٥ ، التبريزي : ١ / ٩١ .

(٤) نهدا : أي فرساً غليظاً ./ المرزوقي : ١ / ١٧٥ .

(٥) وسيفاً ذا شُطَبٍ : ذا طرائق يقطع البيض والدروع قطعاً ، ويقال سيف فيه شُطوب وطرائق ./ المرزوقي : ١ / ١٧٦ .

(٦) القدّ : القطع طولا ، والقط القطع عرضا . / المرزوقي : ١/١٧٦ .

(٧) البَدَن من الدروع : قدر ما يستر البدن ./ المرزوقي : ١ / ١٧٦ .

(٨) يفحصن : يؤثرن لشدة العدو في المعزاء ، ويروى " يمحصن " والمحص : العَدو الشديد ./ المصدر السابق : ١/١٧٧ .

(٩) الأمعز والمَعزاء : الأرض الحَزْنة ذات الحجارة ، والأصل في المعز =====

وَبَدَتْ لَمِيسُ كَأَنَّهَا ∴ بَدْرُ السَّمَاءِ إِذَا تَبَدَّى

وَبَدَتْ مَحَاسِنُهَا الَّتِي ∴ تَخْفَى وَكَانَ الأَمْرُ جِدًّا (١)

ذكر الشيخ البيت شاهدا على أنه من المواضع التي يطرد فيها حذف المبتدأ وهي " القطع والاستئناف " . قال :

" ومن المواضع التي يطرد فيها حذف المبتدأ " القطعَ والاستئناف " يبدأون بذكر الرجل، ويقدّمون بعض أمره، ثم يَدَعُون الكلام الأول ، ويستأنفون كلاماً آخر ، وإذا فعلوا ذلك أتوا في أكثر الأمر بخبرٍ من غير مبتدأ " (٢).

• كان عمرو بن معدي كرب شاعراً وفارساً مِقْدَاماً ، ولشعوره بهذه الشجاعة والقدرة أخذ يفتخر بها ، فذكر أنه نازل كعباً وهي قبيلة من ولد الحارث بن مذحج ، ونهدا وهي قبيلة من قضاعة ، ثم قطع الحديث ، وانتقل إلى جزء آخر من المعنى هو بقلبه أوثق ، وبنفسه أشد ، فاستأنف الحديث عن شجاعتهم وعدتهم وعتادهم ، وأنهم قومٌ إذا لبسوا الحديد والدروع واليَلَب تشبهوا بالنمر في أفعالهم في الحرب ، أو أنّ الحَلَق والقِدّ تختلف ألوانها اختلاف لون النمر، وقد رأى المرزوقي أنّ المعنى الأول أجود قال :

== الصَّلابة ، ويقال رجل ماعِزٌ ومَعِزٌ / . المصدر السابق : ١/ ١٧٧.

(١) البيت الثاني والثالث في : الوساطة : ٣٤٣ ، التمثيل والمحاضرة : ٦٥ ، والبيت الثاني في الحماسة البصرية : ١ / ٥ ، والبيت الرابع والخامس والتاسع والعاشر مع بيتين آخرين في لباب الآداب: ٢٠٤ ، والبيت التاسع والعاشر في الخصائص لابن جني من غير عزو، وانظر الأبيات : شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ١/ ١٧٤ - ١٧٨، والتبريزي : ١ / ٩٠ - ٩٣.

(٢) الدلائل ، رضا : ١١٣ ، خفاجي : ١٧٩ ، شاكر : ١٤٧.

" ويروى " خُلُقاً وَقَدّاً " ويكون انتصاب خُلُقاً على التمييز أي تشبهوا بالنِّمر في أخلاقهم وخِلَقِهم ، ودَلّ على الخِلَق قوله قَدّاً ، ومعنى الرواية الأولى أنهم إذا لبسوا الحديد ، والدُّروع واليَلَب تشبهوا بالنِّمر في أفعالهم في الحرب ، ويجوز أن يريد بتنمّروا تلوّنوا بألوان النمر لطول ثباتهم ، وملازمتهم الحديد ، وحينئذ يصحّ أن يكون انتصاب خَلقاً على التمييز ، والمعنى الأول أجود(١) ".

ورأى الدكتور محمد أبو موسى أن الحذف وقع في مقطع جديد من مقاطع المعنى ، فقد ذكر في البيت الأول كعباً ونهداً من غير إشارة إلى ما هم عليه من العُدّة والقوة ثم استأنف حديثاً آخر أو جزءاً جديداً من المعنى فذكر عُدّتهم وبنى هذا الاستئناف على الحذف لقوة الدلالة عليه ؛ ولأنه مناسب لقوة الانفعال بهذا الجزء من المعنى ، فالإحساس بالفروسية يعظم حين تكون الملاقاة مع عدو موفور العُدّة عظيم الاقتدار ، وحين يقوى التأثير بالمعنى ، ويعظم الإحساس به يكون السياق سياق إيجاز وتلميح ما دام ليس هناك ما يدعو إلى النص على شيء معين وإبرازه(٢).

وكذلك رأى الدكتور أبو موسى أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين البيتين ، وسياق القصيدة ، وعلة الحذف ، فموسيقى البيت موسيقى وثابة تصف روح الشاعر المستفزة المتحمسة ، وهذه الأنغام السريعة تحتاج إلى التركيز الشديد . قال :

" وهكذا يمضي الشاعر مصوراً قيم الفروسية في تصورها العربي الدقيق ، وهذه الموسيقى الوثّابة ، تصف هذه الروح المستفزة ، وتتسع في بعض مراحلها إلى الفلسفة التي تبدو هادئة في تحليل الجمال ، وهذه الأنغام السريعة يقتضيان تركيز العبارة أشد التركيز ؛ لأن ذكر ما يدل عليه السياق ، والحال هذه عائق يعوق تدفق النغم ، ويحبس اندفاع الروح(٣) ".

---

(١) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ١/١٧٦ .
(٢) خصائص التراكيب : ١٢١-١٢٢ .
(٣) المرجع السابق : ١٢٢ .

الشاهد الثالث والثمانون :- (*) (الوافر)

هُمُ حَلُّوا (١) مِنَ الشَّرَفِ المُعَلَّى (٢) .·. وَمِنْ حَسَبِ العَشِيرَةِ (٣) حَيْثُ شَاؤُوا

بُنَاةُ مَكَارِمٍ وَأُسَاةُ (٤) كَلْمٍ (٥) .·. دِمَاؤُهُمُ مِنَ الكَلَبِ (٦) الشِّفَاءُ (٧)

(*) الدلائل ، رضا : ١١٣-١١٤ ، خفاجي : ١٨٠ ، شاكر : ١٤٨ .

(١) رواية زهر الآداب : " حازوا " .

(٢) المُعَلَّى : يعني المُرَفَّع إلى أبعد الغايات ، وأقصى النهايات ، ويجوز أن يكون أراد القِدْحَ المُعَلَّى ؛ لأنه أشرفُ القِدَاح ، وأكثرها أنصباءً ، فجعله مثلاً لأرفع المدارج وأسنى المراتب ./ انظر : شرح الحماسة للمرزوقي : ٤ / ١٦٥٩ ، التبريزي : ٤ / ٩٦ .

(٣) رواية زهر الآداب : " ومن كرم " .

(٤) أُسَاة : الأُساة الأطباء الواحد : آسٍ ./ انظر : المرزوقي : ٤ / ١٦٥٩ .

(٥) الكَلْم : الجُرْح / معاني أبيات الحماسة : ٢٢٠ .

(٦) الكَلَب : - داء الكلب - وهو أن يعض الكَلْبُ الرَّجُل فينبح نبح الكلب ./ معاني أبيات الحماسة : ٢٢٠ .

(٧) انظر البيتين في :-
الحماسة - ت عسيلان - : ٢ / ٣١٠ ، الحيوان : ٢ / ٥ ، المعاني الكبير : ١ / ٢٤٣ ، الاشتقاق : ٢١ ، المؤتلف والمختلف : ٦٢ ، معجم الشعراء للمرزباني : ٣٣٣ ، معاني أبيات الحماسة : ٢٢٠ ، الحماسية (٧٣٤) ، ديوان المعاني : ١ / ٤٣ ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ٤ / ١٦٥٨ - ١٦٥٩ ، أمالي المرتضى : ١ / ٢٥٩ ، زهر الآداب : ٢ / ٥٥٢ ، سمط اللآلي : ١ / ٢٧٠ ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٤ / ٩٦ ، الحماسة البصرية : ١ / ١٥٤ ، نهاية الأرب : ٣ / ١٨٧ ، أنوار الربيع : ٦ / ١١٢ ، الإيضاح : ١ / ١١٣ ، ذكره في " تعريف المسند إليه " ، شرح أبيات الإيضاح :- فيض الله :- ١٢ ب .

والبيتان ذكرهما الشيخ من غير عزو ، وهما على الأرجح[1] ، لأبي البُرْج القَاسِم بن حَنْبَل المُرِّي[2] يمدح بهما زُفَر بن هاشم بن سِنَان[3].

---

(١) ذكر الجاحظ البيت الثاني من بيتى الشاهد مع ثلاثة أبيات أُخر ونسبها إلى بعض المُرِّيين ، ولعله قصد به أبا البرج القاسم بن حنبل المُرِّي .
وذكر الآمدي والبصري البيت الثاني فقط مع أبيات أُخر ، وكذلك ذكر الخوارزمي " شرح أبيات الإيضاح " البيت الثاني فقط مع بيت آخر قبله ، ونسبوها إلى أبي البرج المُرِّي ، وزاد البصري أنها تروى أيضا لمُرَّة الجعدي .
وذكر النويري البيت الأول فقط مع أبيات أُخر منسوباً لأبي البرج أيضا ، وذكر المرزباني والمرزوقي والتبريزي البيتين مع عدة أبيات أُخر ، ونسبوها كذلك لأبي البرج .
وذُكر في المعاني الكبير ، ومعاني أبيات الحماسة البيت الثاني فقط من بيتى الشاهد من غير عزو .
وذكر ابن دريد الشطر الثاني من البيت الثاني من غير عزو أيضا ، وذكر المرتضى فى أماليه البيت الأول من بيتي الشاهد ، وذكر أن محمدَ بن يحيى الصولي قد أنشده ، ونَسب البيت الثاني إلى أُمَيَّة بن أبي الصلت ، وهو في ديوانه : ١٧ برواية :
بُنَاةُ مَكَارِمٍ وَأُسَاةُ كَلْمٍ .'. دِمَاً وَهُمُ مِنَ الكَلْمِ الشِّفَاءُ
وفي سمط اللآلي ذُكر البيت الثاني منسوباً للحطيئة ، وهو غير موجود في ديوانه . وذكر الميمني في تعليقه أن هذه النسبة خطأ ولعلها زيادة من أحد النساخ .

(٢) هو أبو البرج المُرِّي ثم الشَّهمِي ، سهم بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان ابن بغيض ، واسم أبي البرج القاسم بن حنبل ، وأضاف الحصري لقب " المدني " ، وهو شاعر إسلامي كما قال صاحب القاموس المحيط / انظر ترجمته في: المؤتلف والمختلف : ٦٢ ، معجم الشعراء : ٣٣٣ ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ٤ / ١٦٥٨ ، شرح الحماسة للتبريزي : ٤ / ٩٦-٩٧ ، القاموس : " برج " :

(٣) لم أقف على ترجمة له .

وبيتا الشاهد من قصيدة أولها :-

(١) أَرَى الخِـلَّانَ بَعْدَ أَبِي خُبَيْبٍ (١) ∴ وَحُجْرٍ فِي جَنَابِهِم جَفَـاءُ

وقبل بيت الشاهد :

(٢) مِنَ البِيضِ الوُجُوهِ بَنِي سِنَانٍ ∴ لَو أَنَّكَ تَسْتَضِيءُ بِهِمْ أَضَاءُوا

(٣) لَهُمْ شَمْسُ النَّهَارِ إِذَا اسْتَقَلَّتْ ∴ وَنُورٌ مَا يُغَيِّبُهُ العَمَاءُ

(٤) - (٥) وبعدهما الشاهد وبعده :

(٦) فَأَمَّا بَيْتُكُمْ إِنْ عُدَّ بَيْتٌ ∴ فَطَالَ السَّمْكُ وَاتَّسَعَ الفِنَاءُ

(٧) وَأَمَّا أُسُّهُ فَعَلَى قَدِيمٍ ∴ مِنَ العَادِيِّ إِنْ ذُكِرَ البِنَاءُ

(٨) فَلَوْ أَنَّ السَّمَاءَ دَنَتْ لِمَجْدٍ ∴ وَمَكْرُمَةٍ دَنَتْ لَهُمُ السَّمَاءُ (٢)

موضع الشاهد قوله "بُنَاةُ مَكَارِمٍ وَأُسَاةُ كَلْمٍ" حيث حذف المبتدأ، والأصل : هم بُناةُ مَكارِمٍ وهم أُساةُ كَلْمٍ.

والشاهد من أبيات المدح الجياد ، فقد بلغ الشاعر فيه غايته ، وأصاب فيه مرماه ، فقد جعل الممدوح في أعلى درجات الشرف ، فكأن الشرف والحسب له مراتب ، وهم قد تربّعوا في أعلاها ، واحتلوا أشرفها ، فلا يدانيهم فيها أحد ، وهذا قمة المدح .

---

(١) ويروى : أبي حَبيب .

(٢) هذه الأبيات بكاملها موجودة في معجم الشعراء للمرزباني : ٣٣٣ ، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ٤ / ١٦٥٨ - ١٦٥٩ ، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٤ / ٩٦ - ٩٧ مع اختلاف بسيط في رواية البيت الأخير ففيها :

"دَنَتْ لَكُمْ" بدل لهم .

والبيت الأول والثاني والثالث في الحيوان مع اختلاف في رواية البيت الأول فجاء فيه :

أَرَى الخِلَّانَ بَعْدَ أَبِي عُمَيرٍ ∴ بِحِجْرٍ فِي لِقَائِهِم جَفَاءُ.

وبعد أن أضفى عليهم هذه الصفة ، وألبسهم هذا الشرف قطع الكلام ، وانتقل إلى معنى آخر وثيق الصلة بالمعنى الأول ، فاستأنف ، وحذف المبتدأ ، وكأن الصفات التي سيذكرها من خصوصياتهم ، وأن الذهن يخطئهم بل سينصرف اليهم تلقائياً .

فمن سر الحذف هنا ماسماه المتأخرون العدول إلى أقوى الدليلين اللذين هما العقل واللفظ وأقواهما هو العقل.(١)

وللدكتور أبي موسى كلام في بيان سر الحذف قال فيه :

" قال بناة مكارم وأراد هم بناة مكارم ، والحذف كما ترى واقع في مقطع من مقاطع المعنى ، يوضح ماذكره في البيت الأول مجملاً ، وهو شرفهم وتمكنهم ، فذكر أنهم بُنَاة مكارم هكذا بإطلاقهم المستغرق مكارم الجود ، والنجدة والشجاعة والقوة إلى آخر ماتحطه العبارة ، ثم هم أُسَاةُ كَلْمٍ ، فهم يملكون من الشدة والحكمة مايأسون به الجراح ، وكأن الشاعر أراد أن يبرز تميز هذا الجزء من المعنى بقطعه عن سابقه ، وحذف المسند إليه وهو وسيلته في ذلك ؛ لأنه لو ذكره لقال هم فيكون رابطاً واضحاً وقوياً بين البيتين فيفوت غرض الشاعر ، والكلام وإن كان على تقديره إلّا أن إسقاطه من اللفظ يفيد هذا الغرض(٢) ".

=== والبيت الأول والثاني والثالث والثامن في المؤتلف والمختلف مع اختلاف بسيط في البيت الأول فورد فيه : " بِحِجر " بدل " وحجر " والبيت الثاني والثامن في أمالي المرتضى ، والبيت الثاني والثامن في زهر الآداب ، والبيت الأول والثاني والثالث والثامن في الحماسة البصرية ، مع اختلاف بسيط في رواية البيت الثالث ففيه :

" هَم شمسُ النَّهارِ " .

والبيت الثاني والثالث والثامن في نهاية الأرب .

(١) انظر: الإيضاح : ١٠٩ ، شروح التلخيص : ١/ ٢٧٥-٢٧٦ .

(٢) خصائص التراكيب : ١٢٣

واستشهد القزويني بالبيت الأول في تعريف المسند إليه بالإضمار لكـون المسند إليه مذكوراً، أو في حكم المذكور لقرينة، لأن المقام مقام الغيبة.(١)

الشاهد الرابع والثمانون :- (*) (الطويل)

رَآني عَلَى مَابِـي عُمَيْلَةُ فَاشْتَكَى ∴ إِلَى مَالِهِ حَالِي أَسَرَّ كَمَا جَهَـرْ
غُلَامٌ رَمَاهُ اللَّهُ بِالْخَيْرِ(٢) مُقْبِـلاً(٣) ∴ لَهُ سِيمِيَاءُ(٤) لَا تَشُقُّ عَلَى البَصَـرْ(٥)

أورد هما الشيخ من غير عزو، وهما لأُسَيد بن عنقاء الفزاري(٦) من قصيدة قالها فـي

(١) الإيضاح : ١ / ١١٣.
(*) العلائل ، رضا : ١١٤، خفاجي : ١٨٠، شاكر: ١٤٨.
(٢) رواية الصحاح ، والمؤتلف ، والممتع ، واللسان :
" غُلَامٌ رَمَاهُ اللَّهُ بِالحُسْنِ "
وجاء في اللسان أن أبا رياش اعترض على رواية "بالحُسْنِ" : " قال ابن بري : وحكى عليّ بن حمزة أن أبا رياش قال : لا يَرْوِي بيت ابن عنقاء الفزاري :
" غُلَامٌ رَمَاهُ اللَّهُ بِالحُسْنِ يَافِعا "
إلاّ أعمى البصيرة ؛ لأن الحُسن مولود ، وإنما هو :
" رَمَاهُ اللَّهُ بِالخَـيْرِ يَافِعـا "
قال : حكاه أبو رياش عن أبي زيد " / اللسان " سوم " : ١٢ / ٣١٣ .
(٣) رواية الصحاح ، والمؤتلف ، واللسان : " يَافِعاً " .
(٤) روى البيت في اللسان برواية : " سِيمِيَاءُ " ، ورواية " سيماء " والسُّـومَةَ والسِّيمةَ ، السِّيماء ، والسِّـمياءُ : العلامة له سيمياء لا تشق على البصـر أي يفرح به من ينظر إليه / اللسان : " سوم " .
(٥) انظر البيتين في :-
الصحاح : " سوم " : ٥ / ١٩٥٦ ، الأمالي لأبي على القالـي : ١ / ٢٣٧ ، المؤتلف والمختلف : ١٥٩ ، الممتع في صـنعة الشعر : ٢٣٨ ، لسـان العرب : " سوم " : ١٢ / ٣١٣.
(٦) سماه المرزباني سويد بن عنقاء الفزاري ، وهو أكبر أهل زمانه وأشدهـم عارضة ولساناً ، طال عمره ، ونكبه دهره ، واختلّت حالته ، فأكرمه عُمَيْلة ، ذكر له في اللسان خمسة أبيات منها بيت الشاهد . / انظر:

=======

مدح عُمَيْلَةَ الفزَّارِي ، حين رأى عُمَيْلَةَ حاله وقد نكبه الدَّهر،فأعانه وواساه،
وقصة ذلك أن عُمَيلَةَ رأى يوما أسيدا،وهو في حال سوء،فسأله قائلا : ياعم
ماأصارك إلى ماأرى من حالك ؟ فقال بَخل مثلك بماله ، وَصَوني وَجهي عن
مسألة الناس ،فقال : والله لئن بقيت إلى غد لأغيرنَّ ماأرى من حالك ،فرجع
ابن عنقاء إلى داره ، وهو بين رجاء ويأس ،فلما كان السحر سمع رُغاء الإبل ،
وثغاء الشاة ،وصهيل الخيل ، ولَجَب الأموال ،وأُخبر بأن عُمَيلَةَ ساق إليه ماله،
فقسم المال بينهما شطرين ، فأنشأ أسيد يقول :

رَآنِي عَلَى مَابِي عُمَيْلَةَ فَاشْتَكَى .. ----- وبعده :

دَعَانِي فَآسَانِي وَلَوْضَنَّ لَمْ أَلُمْ .·. عَلَى حِينِ لَابَدْوٌ يُرَجَّى وَلَا حَضَرْ
فَقُلْتُ لَهُ خَيْرًا وَأَثْنَيْتُ فِعْلَهُ .·. وَأَوفَاكَ مَاأَبْلَيتَ مِنْ ذَمٍّ أَوْشَكَرْ
وَلَمَّا رَأَى المَجْدَ اسْتُعِيرَتْ ثِيَابُهُ .·. تَرَدَّى رِدَاءً سَابِغَ الذَّيلِ وَاتَّزَرْ
غُلَامٌ رَمَاهُ اللَّهُ بِالخَيرِ مُقْبِلاً .·. لَهُ سِيمِيَاءُ لَا تَشُقُّ عَلَى البَصَرْ
كَأَنَّ الثُّرَيَّا عُلِّقَتْ فَوقَ نَحْرِهِ .·. وَفِي أَنْفِهِ الشِّعْرَى وَفِي خَدِّهِ القَمَرْ
إِذَا قِيلَتْ العَوْرَاءُ أَغْضَى كَأَنَّهُ .·. ذَلِيلٌ بِلَا ذُلٍّ وَلَو شَاءَ لَانْتَصَرْ (١)

موضع الشاهد قوله : " غُلَامٌ رَمَاهُ اللَّهُ بِالخَيرِ مُقْبِلاً " والشاهد فيه كسابقه
وهو حذف المبتدأ ، والأصل " هُوغُلَامٌ "،ولعل سر الحذف هوكون الممدوح
معروفا عقلاً فمن العبث ذكره إلى جانب وقوع القطع عند أهم جزء في المعنى .

فقد كان لصنيع الممدوح أبلغ الأثر في إحساس الشاعر وإثارة انفعاله ،فوصفه
قبل بيت الشاهد بأنه ماجد ،وأن صفة المجد صفة ملازمة له ، وأصيلة في خلائقه ،

=== أمالي القالي : ١ / ٢٣٧ ، المؤتلف والمختلف : ١٥٩ ،لسان العرب : " عرر " " عور " " خصص " " سوم " " حوا " ، معجم الشعراء في لسان العرب : ٤٩ - ٣١١ .

(١) انظر الأبيات والقصة في :
الأمالي للقالي : ١ / ٢٣٧ ، الممتع في صنعة الشعر : ٢٣٨ .

فهو ليس كمن يدَّعي المجد ، وهو تعبير رائع عن تغاير حال الممدوح عن غيره ممن يدَّعي المجد ؛ ولشدة شعور الشاعر بفضل هذا الممدوح وتأثره بموقفه النبيل قطع الكلام ، وانتقل إلى أهم جزء في المعنى ، وأبلغ صفة أراد الشاعر وَصْفَه بها .

وفي بناء الاستئناف على قوله " غلامٌ " تنبيه للسامع ولفت لنظره إلى أنه غلام يافع بلغ مبلغ الرِّجال بفضله وجوده ، وتوجيه للعقول والأذهان إلى تلك الخصلة التي رماه الله بها ، فعلامة الخير فيه لا يخطئها أحد ؛ لأنها ظاهرة ، فرَمي الله له بالخير كأنه إصابة أحدثت فيه علامة قوية لا يمكن نزعها ، وعلامات النجابة والإحسان مرسومة على وجهه ، وكأنها أبت أن تُحْبَس في داخله ، ففاضت على خُلقه ، وخَلقه .

على أن كلمة " غلام " لم يرضها الحجَّاج حين وصفته بها ليلى الأخيلية ، فقالت :

إذَا وَرَدَ (١) الحَجَّاجُ أَرْضًا مَرِيضَةً .. تَتَبَّعَ أَقْصَى دَائِهَا فَشَفَاهَا

شَفَاهَا مِنَ الدَّاءِ العُقَامِ (٢) الذِي بِهَا .. غُلَامٌ إِذَا هَزَّ القَنَاةَ ثَنَاهَا (٣)

فقال لها : لا تقولي " غُلَامٌ " ، وقولي " هُمَامٌ " (٤) .

ومن العجيب في الأبيات أن يوصف رجلٌ بمثل هذه الأوصاف " له سيمياء . . . كأن الثريا عُلِّقَتْ فوقَ نَحْرِهِ . . . وَفِي أَنْفِهِ الشِّعْرَى . . وَفِي خَدِّهِ القَمَرْ "

فهي إنما تقال في الفتيات الجميلات ، أو المُرد .

والمدح الجيد في قوله : " إذَا قِيلَت العوراء . . . . "

---

(١) رواية أمالي القالي : " إذَا هَبَطَ " .

(٢) رواية أمالي القالي : " العُضَال " .

(٣) رواية أمالي القالي : " سقاها " .

(٤) الكامل للمبرد ـ مكتبة المعارف ـ : ١ / ١٧٩ .
أمالي القالي : " إذَا هَبَطَ " .

الشاهد الخامس والثمانون :- (*) (الطويل)

إِذَا ذُكِرَ ابْنَا العَنْبَرِيَّةِ(١) لَمْ تَضِقْ ∴ ذِرَاعِي وَأَلْقَى بِاسْتِهِ مَنْ أُفَاخِرُ
هِلَالَانِ حَمَّالَانِ فِي كُلِّ شَتْوَةٍ ∴ مِنَ الثِّقْلِ مَالَا تَسْتَطِيعُ الأَبَاعِرُ(٢)

البيتان أورد هما الشيخ من غير نسبة ، وهما بيتان لا ثالث لهما ، يُنسبان لِمُوسَى بِن جَابِر الحَنَفِي(٣).

(*) الدلائل ، رضا : ١١٤ ، خفاجي : ١٨٠ ، شاكر : ١٤٨-١٤٩.

(١) هما بِرَادس وعَامِر ابنا شَمَّاس بن لَأي من بني أَنْفِ النَّاقة أمهما من بني العَنْبَر، وهما خَالا مُوسَى بِن جَابِر الحَنَفِي ، وذكر المرزوقي في شرحه أنهما من آبائه ./ شرح الحماسة للمرزوقي : ١/٣٦٩.
شرح الحماسة للتبريزي : ١ / ١٩١.

(٢) انظر البيتين في :-
الحماسة (ت-عسيلان) : ١ / ٢١٤ رقم (١٢٨) ، معاني أبيات الحماسة ٢١٦ " الحماسية "١٢٨" في الملحق المنقول من كتاب " إصلاح ماغلط فيه أبو عبد النمري " للغندجاني - ذكر البيت الثالث فقط - .
شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ١ / ٣٦٩ ، رقم الحماسية (١٢٦) ،
شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ١/١٩١.

(٣) هو موسى بن جابر بن أرقم بن سلمة بن عبيد الحنفي اليمامي نصراني جاهلي يلقب بأُزيرق اليمامة ، ويعرف بابن ليلى، وهي أمه، وهو شاعر كثير الشعر، ويلقب أيضا بابن الفُرَيعة وهي أمه ، وذكر التبريزي أن أبا العلاء قال : موسى منقول من العبرانية، ولم أعلم أن في العرب من سمى موسى زمان الجاهلية ، وإنما حدث هذا في الإسلام لمّا نزل القرآن وسمى المسلمون ابناءهم بأسماء الأنبياء على سبيل التبرك .
وكأنه أراد أن يقول أنه شاعر إسلامي ، وذكر البكري في ذيل السمط أنه شاعر مخضرم / انظر ترجمته : في :-
العقعق والبررة " نوادر المخطوطات " : ٢/٣٦٦ ، ذيل الأمالي والنوادر ٧١ ، المؤتلف والمختلف : ١٦٥ ، معجم الشعراء للمرزباني : ٢٧٦ ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ١/٣٦٣-٣٧٤ ، حماسة ابن الشجري : ٢٢ ، شرح =====

وموضع الشاهد قوله : " هلالان " والأصل " هما هلالان ".

يفتخر موسى بن جابر بأخواله أشد افتخار، فإذا مرّ ذكرهما وجد طرق الفخر متسعة وممهدة أمامه لما لهما من مناقب وأمجاد وسؤدد ، فقوله : " لم تضق ذراعي " أي لم تعجزني مقالات الفخر، ولم يضق بي المقام في الفخر والمباهاة ، وأمام مناقبهما وشرفهما يعجز كل من يحاول مضاهاتهما . فقوله : " وألقى باسته من أفاخر " أي قعد وجلس وسكت وانكسرت حدته ، وانطفأت حميته ، وهو من التعابير المستعملة في مقام العجز والهزيمة ، من باب الكناية .

وبعد أن أثبت لهما الفخر ، وأنه لا يدانيهما فيه أحد قطع الكلام، واستأنف معنى جديداً وثيق الصلة بالسياق،وهو أهم جزء فيه لذا أتى به مباشرة ، فحذف المبتدأ وبنى عليه الاستئناف ، وفي هذا تنبيه للأذهان إلى ما يقصده الشاعر، فأعلن أنهما هلالان ظاهران للعيان لا يخفى صنيعهما ، ففي وقت الشتاء حين ينضب معين الأجواد ، وتقبض أيادي الكرام ، في هذا الوقت يتلألأ نجمهما ويظهر جودهما فهما يحملان فيه أعباءً ثقالاً ، وتبعاتٍ عظاماً كتبعات الجود والكرم ، وتبعات النجدة ، وتبعات المجد والسيادة مالا تستطيع الإبل حمله لو أنه جُسِّم،وأُلقي عليها لتحمله.

قال النمري :-

" هذان الرجلان يحملان من أعباء المغارم ، وأثقال الصنائع مالو أنه يوزن لم تستطع حمله الإبل ، وهي أثقل الحيوان حملا ، وأكثره صبراً "[1]

وقال المرزوقي :

=== ديوان الحماسة للتبريزي : ١ / ١٨٩ ، التذكرة السعدية : ٦٨-١٤٣ ، الأعلام : ٧ / ٣٢٠ ، معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين : ٣٥٤ ، معجم شعراء اللسان : ٤١٥ ، ذيل السمط : ٣٥ .

(١) معاني أبيات الحماسة : ٢٦١ ، الحماسية (١٢٨) الملحق .

" هما في الاشتهار واعتلاء الشأن ، واستضاءة الناس بنورهما ، والانتفاع بمكانهما بمنزلة هِلالَين ، ويتكلفان عند كُلّ جَدْبٍ وَمَحْلٍ من الأثقال والأعباء ، مَالو صارت أجْرَاماً لعَجَز عن النهوض بها وتحمُّلِها البُعْرَان ، فإن قيل : إذا كان قصدُه في تحمُّل الأثقال إلى قِرَى الضَّيف ، ونحر الجزور ، وقِسْمَتَها في المَيسر والصَّبر علي المُؤَن ، والنهوض بالكُلَف، فكيف قال حَمَّالان من الثقل مالا يستطيع الأباعر ؟ وكيف مَثَّل مايَثْقُل على القُلوب من الغَرَامَاتِ والحقوق ، بالأوقار التي تَثقُل على الظُّهور ؟ قلت : إنَّما يُريدُ أَنّ تلك المؤَن والتكاليف التي يلتزمها ، ويَسْعى بها وفيها لوجُسِّمَت ثم حُطِّت ، لكانت الجمال لا تستقلّ بِهَا ، ولا تقوى عليها ، فهذا وجهٌ ، ويجوز أن يكون لَمَّا قال حَمَّالان في كل شتوة من الثقل جعل لِفَقْهٍ، لا تستطيع الأباعر، إذ كانت الجمال وأشباهها هي التي لحمل الأثقال خُلِقَت وبها اشتهرت ، وليكون في اللفظ تَوافقٌ مع الأمن من عارض الالتباس ".(١)

وقد علَّق أبو العلاء على قول النمري بأنه جائز، ولكنه بعيد ، والأولى حمل الكلام على ماكثُر . قال :-

" قد تأول النمري له معنى قد يجوز مثله ، ولكنه بعيد وإنَّما ينبغي أن يُحمل الشيء على ماكثُر، وذلك أنه ذهب إلى أن هذين الممدوحين يحملان من قِرَى الأضياف ، ومن نحر الإبل مالا تستطيع الأباعر أي أنها لا تقوى عليه لأنه يهلكها ، وهذا مجانس قولهم بنو فلان ظَلَّامون للجزر قال ابن مقبل :

عَادَ الأَذِلةَ في دَارٍ وكَان بِهَا (٢) ∴ خُرسُ الشَّقَاشِقِ ظَلَّامون لِلْجُزُرْ (٣)

أي يعقرونها كثيرًا ، فكأن ذلك ظلم لها .

---

(١) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ١ / ٣٦٩ - ٣٧٠.
(٢) خرس الشقائق : البعير الكثير الهدر / اللسان " شقق " : ١٠ / ١٨٥.
(٣) ديوانه : ٨١

ونحو منه قول الآخر :

قَتِيلَان لَا تَبْكِي المَخَاضُ عَلَيهِمَا ∴ إذا شَبِعَتْ مِنْ قرمل وَأفَانِي

أي كانا يعقرانها فلمّا قُتِلا لم تبكِ عليهما .

فلا تعدلن عما ذكره أبو العلاء إلى غيره (١) .

الشاهد السادس والثمانون : (*) (الطويل)

أَلَا لَا فَتَى (٢) بَعْدَ ابْنِ نَاشِرَةِ (٣) الفَتَى ∴ وَلَا عُرْفَ (٤) إِلَّا قَدْ تَوَلَّى وَأَدْبَرَا

فَتىً (٥) حَنْظَلِي (٦) مَا تَزَالُ رِكَابُهُ (٧) ∴ تَجُودُ (٨) بِمَعْرُوفٍ وَتُنْكِرُ مُنْكَرَا (٩)

---

(١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ١٩١/١-١٩٢ .

(*) الدلائل ، رضا : ٤١١ ، خفاجي : ١٨١ ، شاكر : ١٤٩ .

(٢) قوله : " لا فتى " و " لا عُرْفَ " حذف منهما الخبر ، كأنه قال : لا فتى في الدنيا بعد ذهابه ، ولا عُرف موجود بعد تولي عرفه ، ويجوز تنوين لا فتى ولا عرف ، فيكون في موضع الرفع بالابتداء ، قال التبريزي : " حذف الخبر من قوله لا فتى ولا عرف جميعاً كأنه قال : لا فتى في الدنيا بعد ذهابه ، ولا عرف موجود بعد تولي عَرفه ، ولك أن تنون لا فتى ، وأن الأول أشرف في المعنى وأبلغ ، فيكون في موضع الرفع بالابتداء ، وكذلك لا عرف ترفعه وتنونه ، ولكنك تلغي حركة الهمزة من إلَّا وهي كسره على التنوين ، والفصل بين الرفع والنصب أن النصب يفيد الاستغراق كأنه نفيٌ قليل الجنس وكثيره إن كان جواب هل من فتى ، وهل من عرف والرفع لا يكون فيه الاستغراق بكونه جواباً وهل عرف لا يمتنع أن يكون السؤال عن واحد من الجنس ويكون الجواب عن حده ./ انظر : شرح الحماسة للتبريزي : ٢٢/٣ .

(٣) ابن ناشرة : هو عبد الله بن ناشرة ، أحد بني عامر بن زيد مناة بن تميم ، وكان غلب على سجستان أيام ابن الزبير ، وتغير الذين أسلموه ، وقتله عبد العزيز بن عبد الله بن عامر وقد مدحه الفرزدق ورثاه ./ انظر ترجمته وبعض أخباره في : ديوان الفرزدق :- دار بيروت- : ٢١٦/١ ، الممتع في صنعة الشعر : ٢٥٨ .

. . . .

---

(٤) رواية البيان والتبيين والأشباه والنظائر (٢ - ٢٢٠) والممتع في صنعة الشعر :

" وَلا خَيرَ إلَّا قَدْ تَوَلَّى وَأَدْبَرَا "

وورد في الأشباه والنظائر : (٢/ ١٣١) رواية أخرى :

" وَلا مَجْدَ إلَّا قَدْ تَوَلَّى وَأَدْبَرَا "

(٥) أجاز التبريزي نصب " فتى " على المدح والاختصاص، فيكون المحذوف هنا الفعل لا المبتدأ ، فينتفي موضع الشاهد .

(٦) نسبة إلى حنظلة الأكرمين ، وهو حنظلة بن مالك بن زيد مناة من تميم جدٌّ جاهلي ، بنوه عدة بطون منهم " بنو الظليم " واسمه مرة " وبنو قيس، وبنو عمرو ، وبنو يربوع . / انظر ترجمته :

سبائك الذهب : ٩٣ ، الأعلام : ٢/٢٨٧ .

(٧) رواية الأشباه والنظائر : (٢ / ١٣١) :

" فَتَى حَنْظَلِي مَا تَزَالُ يَمِينُهُ "

(٨) رواية الأشباه والنظائر : (٢ - ١٣١) :

" تعرف معروفا " .

(٩) ذُكر في البيان والتبيين البيت الأول من بيتي الشاهد مع أبيات أخرى- سترد فيما بعد- وفي الأشباه والنظائر عند نسبتها لأبي خَزابة ذُكر البيت الأول فقط مع ثانٍ له غير بيت الشاهد الثاني .

وكذلك في الممتع في صنعة الشعر ذُكر البيت الأول من الشاهد مع ثلاثة أبيات أخرى دون ذكر البيت الثاني من الشاهد . وذُكر بيتا الشاهد مع بيت آخر في الأشباه والنظائر - عند نسبتها للجَرْمي - ، وكذلك في الحماسة للتبريزي ./ انظر :

البيان والتبيين : ٣ / ٣٢٩ ، الأشباه والنظائر : ٢ / ٢١٦- ٢٢٠-١٣١ ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٣ /٢٢ ، الممتع في صنعة الشعر : ٢٥٩ .

ذكرهما الشيخ من غير نسبة ، وهما لأبي حُزابة(١) .

وموضع الشاهد قوله : " فتى حنظلي " حيث حذف المبتدأ والأصل : " هو فتى " .

والأبيات كما ذُكرت في البيان والتبيين :

أَلَا لا فَتَى بَعْدَ ابنِ نَاشِرَةِ الفَتَى ∴ وَلَا خَيرَ إلَّا قَدْ تَوَلَّى وَأَدْبَرَا (٢)

وَكَانَ حَصَاداً لِلْمَنَايَا ازْدَرَعْنَهُ (٣) ∴ فَهَلَّا تَرَكْنَ النَّبْتَ مَاكَانَ أَخْضَرَا

لَحَا اللَّهُ (٤) قَوماً أَسْلَمُوكَ وَرَفَّعُوا ∴ عَنَاجِيجَ (٥) أَعْطَتْهَا يَمِينُكَ ضُمَّرَا

---

(١) نسب الشاهد لأبي حُزابة في البيان والتبيين ، وفي موضع من الأشباه والنظائر ، ونسب في موضع آخر منه لمسعود بن مالك الجَرمي .
ورد من غير نسبة في شرح ديوان الحماسة للتبريزي ، والممتع في صنعة الشعر .
وأبو حزابة : هو الوليد بن حنيفة ، أحد بني ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مَناة بن تميم ، شاعر من شعراء الدولة الأموية بدوي حضر وسكن البصرة ، ثم اكتُتِب في الديوان ، وضُرِب عليه البعث إلى سجستان ، فكان بها مدة ، وعاد إلى البصرة ، وخرج مع ابن الأشعث لما خرج على عبد الملك ، وأظنه قُتل معه ، وكان شاعراً راجزاً فصيحاً خبيث اللسان هجَّاء / انظر ترجمته في :
الأغاني : ٢٢ / ٢٦٠ .

(٢) ورد في الأشباه والنظائر بعد هذا البيت بيت الشاهد الثاني - برواية " ماتزال يمينه " -

(٣) ازدرعنه : زرعنه / اللسان : " زرع " : ٨ / ١٤١ .

(٤) لَحَاهُ اللَّهُ لَحْياً أي قبَّحه ولَعَنَه / اللسان " لحا " : ١٥ / ٢٤٢ .

(٥) العناجيج مفردها عُنْجُوج ، وهو الرائع من الابل . / انظر :
معجم مقاييس اللغة : " عنج " : ٤ / ١٥٢ .

أَمَا كَانَ فِيهِم فَارِسٌ ذُو حَفِيظَةٍ (١) ∴ يَرَى المَوتَ فِي بَعْضِ المَوَاطِنِ أَعْذَرَا

يَكِرُّ كَمَا كَرَّ الكُلَيبِيُّ (٢) بَعْدَ مَا ∴ رَأَى المَوتَ تَحْدُوهُ الأَسِنَّةُ أَقْمَرَا (٣)

فَكَرَّ عَلَيهِ الوَرْدُ (٤) يَدْمَى لَبَانُهُ (٥) ∴ وَمَا كَرَّ إِلَّا رَهْبَةً أَنْ يُعَيَّرَا

ولعل من أسرار الحذف في البيت ضيق المقام .

فقد كان لابن ناشرة مكانة عظيمة ، ومحبة خالصة في نفس الشاعر ، فحين علم بمقتله اعتصر الألم فؤاده ، فسالت الكلمات تسجل خطراته ، فابن ناشرة فتى لا يخلفه أحد بعد ذهابه ، فالعُرف قد ارتحل من الدنيا برحيل عُرفه ، وكأنه لا يستطيع أحد أن يؤدي حق العرف إلَّا هو .

وترى نفس الشاعر لشدة حزنها حائرة مضطربة تبحث عن كلمة تلوذ بها ، فخرجت كلمة " فتى " كزفرة تُروِّح عن تلك النفس الضائعة ، وهذه الزفرة وإن كانت تحمل كل معاني الأسى والحزن على ذلك الفتى النادر الوجود إلَّا أن في تغني الشاعر بها مايطرب روحه ، ويخفف حدة حزنه ، فلو أنه قال : " هو فتى " لطال النفس وطال معه الحزن ، وفات مراد الشاعر ، فالنَّفس الحزينة لا تقوى على الإطالة والتكرار .

ووَجَدَت النَّفس في هذه الكلمة انطلاقة تعبر عن كل مايدور فيها ، فأخذت تدعو على هؤلاء القوم الذين أسلموه للموت ، وأخذت تلوم فرسانهم وتتهمهم بسوء الحفيظة وقلة مراعاة الحرمة .

---

(١) الحفيظة : الذَّبُّ عن المحارم والمنع لها عند الحروب / اللسان "حفظ" : ٧ / ٤٤٢ .

(٢) الكليبي : هو عثمان بن عبد الله أحد بني عُبيد قتل معه . / انظر : الممتع في صنعة الشعر : ٢٥٩ .

(٣) رواية الممتع في صنعة الشعر :

يَكِرُّ كَمَا كَرَّ الكُلَيبِيُّ مُهْرَهُ ∴ وَمَا كَرَّ إِلَّا ضِيقَةً أَنْ يُعَيَّرَا

(٤) الوَرْدُ : الأسد / اللسان : " ورد " : ٣ / ٤٥٦ .

(٥) اللَّبَان : الصدر / اللسان " لبن " : ١٣ / ٣٧٦ .